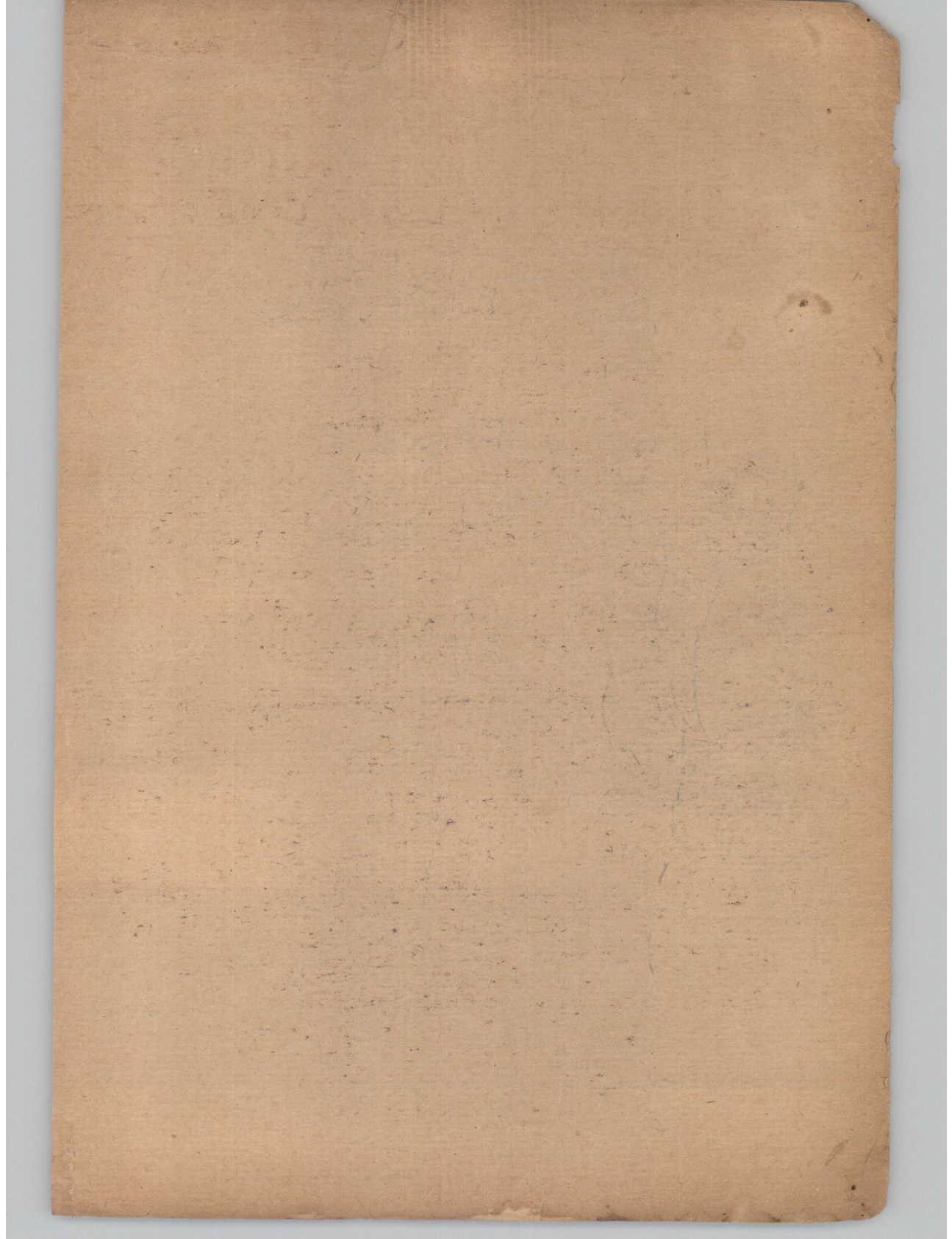


منبر السلام

مع العدد
• المنتخب من السنة النبوية الشريفة
• "الفرودس" مجلة الطول المسلم
التمن ١٠ قرش

العدد ١٢ • السنة ٣١ • ذوالحجة ١٣٩٣ • ديسمبر ١٩٧٢





نص رسالة السيد الرئيس
محمد أنور السادات

التي بعث بها إلى مؤتمر الجمعيات والريثان والمركز الإسلامية
في أندونيسيا والمنفقد في مكرنا تأييد الشعب مصر
وشعوب الأمة العربية .. والتي ألقاها السيد

محمد توفيق عريضة

أمير عام المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية



□ ٣ □

■ الاسلام أخوة جامعة للذين فى شرق الارض والذين فى غربها

وجه السيد الرئيس محمد أنور السادات رسالة الى مؤتمر الجمعيات والهيئات والمراكز الاسلامية فى اندونيسيا والذي عقد فى جاكرتا تأييدا لشعب مصر وشعوب الامة العربية فى معركتها المصرية وذلك بمناسبة زيارة الوفد المصرى الاسلامى برئاسة السيد محمد توفيق عويضة .

وحضر المؤتمر أكثر من ٣٠ ألف شخص يمثلون الهيئات والجمعيات والمراكز الاسلامية فى كل من جزيرة سومطرة وبالى ومن جميع انحاء اندونيسيا .

كما حضر المؤتمر السيد الدكتور معطى على وزير الشؤون الدينية الاندونيسى واعضاء الوزارة الاندونيسية وانسفرء العرب والمسلمون .

وقد أعلن قاده هذه الهيئات تأييدهم لمصر وللسيد الرئيس محمد أنور السادات والدول العربية مشيدين بيوم العاشر من رمضان وبالتضامن العربى الذى كان له أثره فى معركة المصير هذا . . وقد ألقى كلمة السيد الرئيس محمد أنور السادات السيد محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس الوفد المصرى الاسلامى الى اندونيسيا (وفيما يلى نص الرسالة :

باسم الله ، والحمد لله ، وتحية طيبة من الاعماق اليكم تعبر عن أصدق الود وأخلص الاخاء وأطيب الامانى .

وانه ليطيب لى ويهيج قلبى ان أبعث تحيتى الاخوية وتقديرى العظيم الى اخى السيد الرئيس سوهارتو وإلى الحكومة الاندونيسية الموقرة ، وإلى الشعب الاندونيسى العظيم ، لما لسته فى معركة المصير الدائرة بين حقنا الواضح وبين باطل الصهيونية من تعاطف قلوبكم معنا ، وتأيدكم المخلص لنا فى المجالات الرسمية وفى المحافل الشعبية والوسائل الاعلامية .

ولم يكن شئ من هذا غريبا علينا ، ولا غير متوقع منكم ، لانكم طالما وقفتم معنا فى صمود وصلابة تؤيدون حقنا ، وتسايرون ما يقتضيه ديننا الحنيف من وحدة فى السراء والضراء توجب الاخاء والتعاون ومناصرة الحق ورجاله ، ومؤازرة الجهاد وابطاله .

■ بالبطولة والتدريب والخبرة والتخطيط استطاع الجيش المصري
المؤمن بربه أن يعبر القناة وأن يقتحم خط بارليف وأن يهزم الجيش
الاسرائيلي الذي ادعى أنه لا يقهر



السيد الرئيس سوهارتو رئيس جمهورية اندونيسيا يستقبل
السيد محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية *

ولم يكن بعد الثقة التي تفصل دياركم عن ديارنا ليحجب عن قلوبنا مشاعركم النبيلة ،
أو يوارى عن عيوننا اعمالكم المجيدة ، أو يبعد عن اسماعنا أصواتكم المدوية ، فإن
الوجدان المشترك بيننا وبينكم رباط وثيق لا يخضع لبعد الثقة أو قربها ، والانسلام
أخوة جامعة للذين في شرق الارض والذين في غربها •
واذا كنا في سنوات مضت قد تناوبنا الاسبى من نكبة حاقت بنا مكرًا وخديعة ،
فإننا الآن نتبادل الفرح بنصر مؤزر ، نحمد الله تعالى عليه ، لانه سدد خطانا في
المعركة التي تعرفون تفصيلها ، فاستطاع الجيش المصري الباسل المؤمن بربه تعالى ،
والمعتز بوطنه المقدس والمتسلح بالبطولة والتدريب والخبرة والتخطيط والعدد

□ • □

□ □ □

■ وأنه لمن الفخار لنا ولكم أن يسجل التاريخ المنصف في صفحاته الذهبية
الخالدة ، أن الجيوش العربية المجيدة المجاهدة دحرت القوات الاسرائيلية
دحرا أذهل خبراء الحروب وقوادها .

والوسائل أن يعبر قناة السويس التي طالما أشاع العدو انها لن تعبر ، وأن يقتحم خط
بارليف الذي طالما زعم العدو انه حصون منيع لا تكسر ، وأن يهزم الجيش
الاسرائيلي الذي ادعى العدو في صلافة وغرور انه لا يقهر .
كما استطاع الجيش السوري البطل والقوات العربية المظفرة أن تتصدى بايمانها
وبسالتها واسلحتها للقوات الاسرائيلية ، فتدك معداتها وتسحق وسائلها ، وتنتصر
عليها .

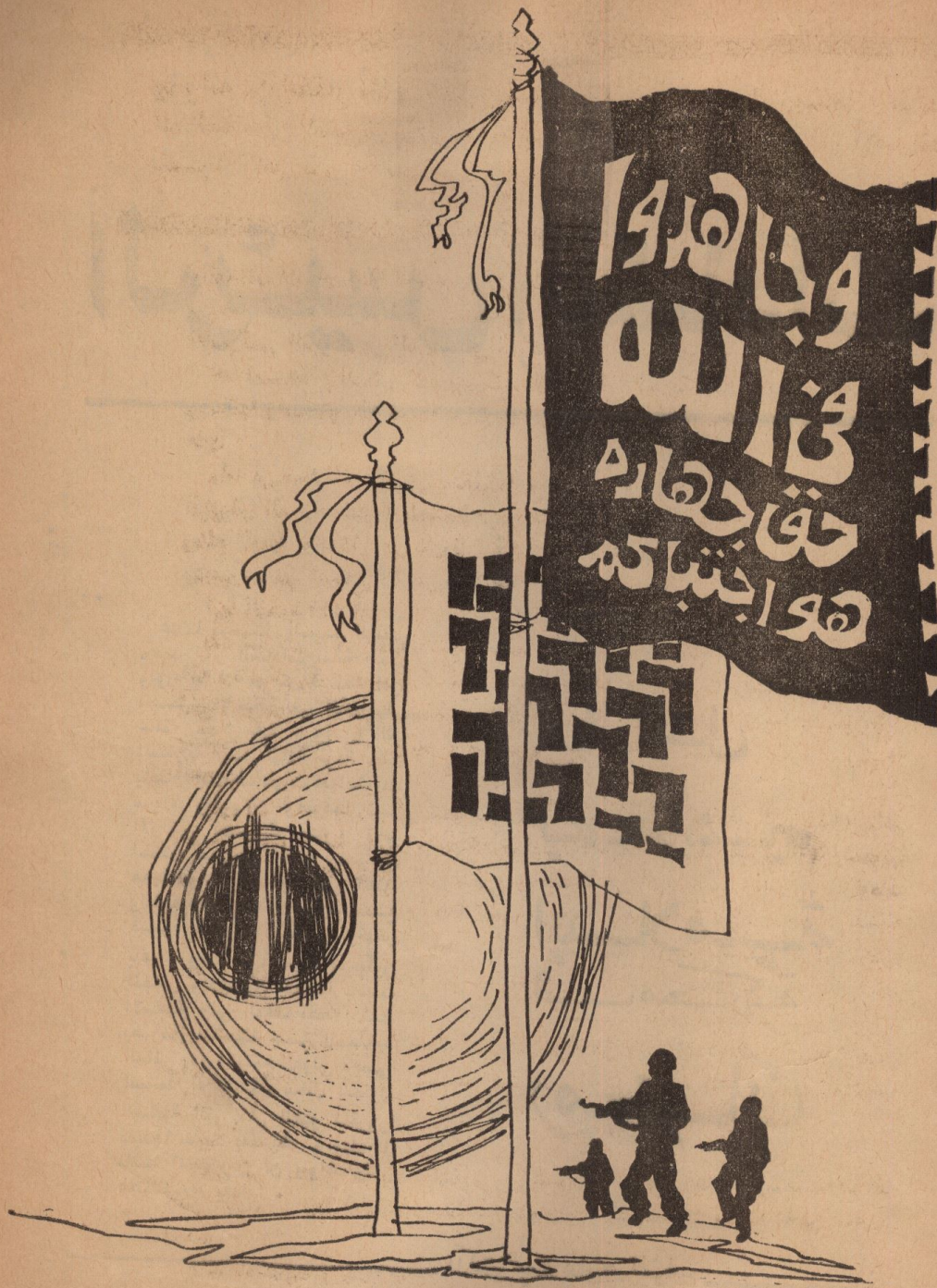
وأنة لمن الفخار لنا ولكم أن يسجل التاريخ المنصف في صفحاته الذهبية الخالدة أن
الجيوش العربية المجيدة المجاهدة دحرت القوات الاسرائيلية ، دحرا اطار صوابها ،
وخلع قلوبها ، وقذف في قلوبها : وأذهل خبراء الحروب وقوادها : واستثار اعجابهم
وتقديرهم في اصقاع الارض كلها .
أيها الاخوة الاعزاء .

لقد شاركتهمونا في بهجتنا بهذا النصر الذي استرددنا به عزتنا : وسيكون بعون
الله ومشيئته نصرا مبينا كاملا حاسما نسترجع به أرضنا ومقدساتنا وحقوق
أخوتنا وأخوتكم عرب فلسطين ، الذين شردهم العدو من دورهم وديارهم ،
وسلبهم حريتهم وأموالهم وأمنهم ، وصيرهم مثلا لشناعة العدوان وبشاعة
الظغيان .

وفي هذا المقام يسرنى أن أشيد بالاعمال العظام والجهود الجسام التي بذلها وسأهم
بها عن عقيدة ورضا أخوتي وأخوتكم ملوك الامة العربية والاسلامية ورؤسائها وشعوبها
وأن أنوه بالمشاركة الفعالة التي سارع بها أخوتنا في أفريقية من رؤساء وحكومات
وشعوب ، تحقيقا لما تمليه وحدة البيئة ووحدة المصالح المشتركة ووحدة المناضلة
للظغيان ، وأن أنئى على القرارات الحكيمة المنصفة التي آزرتنا بها جميع الدول المناصرة
للحق والخير والعدل والسلام في جميع بقاع الارض ، فقد كان لهذا كله أعظم
الاثار في تأييد حقنا على باطل خصومنا ، وكانت له نتائج الحميدة في سير معركتنا
العادلة : وفي ثقتنا بأن الانسانية الراقية المبراة من الاهواء تساند بفطرتها الحق
والخير والعدل أينما كان وحيثما كان : لترقرف على العالم كله راية الامن والرخاء
والسلام .
أيها الاخوة .

أننى أكرر تحيتي الطيبة لآخوتي في أندونيسيا رئيسا وحكومة وشعبا داعيا الله
على التقدير أن يكلنا جميعا برعايته وعونه وتوفيقه وتأييده انه نعم المولى ونعم
النصير .
والسلام عليكم ورحمة الله .

□ □ □



□ ∇ □

الرئيس السادات

يقاتل
بمفاهيم
إسلامية
في معركة
رمضان

عندما تحمل السيد الرئيس
محمد أنور السادات أمانة الحكم
ولواء القيادة لم يكن قد تقلد أمرا
يحسد عليه فلقد ألقى القدر على
عاتقه حملا ثقيلا . ويرز إلى
المسئولية ليجد أمامه تركة مثقلة
باهظة التكاليف طويت فيها خريطة
سيناء والجولان وغيرهما من
الأراضي العربية لتكون تحت
احتلال صهيوني غادر واحتاجت
معها قواتنا المسلحة إلى البناء
والتجديد . وانطلق الرجل مع
مسيرة العلم والإيمان . ونهض
بأعبائه وأخذ - وصحبه - بينون
الجيش ويعيدون تسليحه بأحدث
الأسلحة وفي الوقت نفسه أخذ
يعرض لقضيتنا على الصعيد
العالمي وفي المجتمع الدولي . حتى
استنفذ الرجل كل سبيل للحلول
السلمية التي كان العدو المغرور
يسدها سبيلا بعد آخر . وطالما
ناشد المستكبرين أن يتواضعوا ،
والظالمين أن يعدلوا .

الدكتور سميرة على محمد الخولي



لقاء الأمل بين القائد والجنود الذي أثمر نصرا عظيما وعهدا على تقديم أغلى التضحيات في سبيل تحقيق نصر مصر .

العمليات وتوقيتاتها وجداولها » ويقول « عندما نطرح وثائقنا كلها للدراسة التاريخية فإن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الامين » ثم يقول « عندما جاءت ساعة الصفر بدأ كل شئ يتحرك وفقا للخطة . فان الموضوع لم يكن مسألة فرص وانما كان مسألة حسابات ومهما وجدت من فرص تبدو متاحة أمامنا فقد كان علينا الانغمار لان الحرب أكبر بكثير من المغامرة » .

وهكذا كان العلم فى خدمة المعركة بهذا التخطيط الدقيق . ومن هنا كان التخطيط من صميم الاسلام والدين نفسه يحثنا على تخطيط حياتنا حتى لا تفاجئنا الايام فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذ من غناك لفقرك ومن شيباك لهرمك ومن صحتك لمريضك ومن فراغك لشغلك ومن دنياك لآخرتك » . وانما تحيا الامم بتخطيط حياتها على أساس من الحساب والارقام . والقرآن الكريم والسنة المطهرة يلفتان النظر الى سر الارقام . فلقد قرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى « خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » وأنه « خلق السموات والارض فى ستة أيام » و « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » وسمى يوم القيامة يوم الحساب . وبهذا يظهر لنا علاقة الدين بالتخطيط واهتمامه به . كما

وطالما ناشد الغاوين أن يرشدوا والعابدين لانفسهم وهوأما أن يفهموا ولكن مع كل هذا كان لا يجد الا حمقا وعقوا والاصلغا وعلوا . فلم يكن بدمن السيف يقوم به الصعويويؤدب به البطر ، ولم يكن بد من القوة يكره بها الطاغوت أن يتضاءل ويتطامن وتجعله يستمع للحق الذى كان يصمم عنه آذنيه ، ويستسلم للقصاص الذى كان فى منجاة عنه فكان قرار خوض معركة النصر ، وكان قرار العبور واخذ الثار الذى جعل اليأس يفارق روح مصر والذى أفلح فى تبديد الغيوم الكثيفة التى تراكمت حول صلاحية العرب لاسترداد ارضهم واخذ ثارهم .

ولقد كان دور العلم والايامن فى معركة العاشر من رمضان (السادس من أكتوبر) كبيرا وجليلا . أما عن دور العلم فلقد كان ذلك واضحا فى هذا التخطيط السليم والتدبير الحكيم للمعركة أشار اليه القائد العام للقوات المسلحة فى حديث له بقوله « فى الوقت الذى كنا نعد فيه للمعركة كانت الخطة العامة لما سوف نقوم به تختمر وتتبلور وتظهر ملامحها شريفا فشيئا بالدراسة المستمرة والتطوير الدءوب » ويقول « فى كل حرب هناك خطة العمليات وهناك خطة الخداع : واعتقد أننا نجحنا فلقد وضعنا خطة الخداع على المستوى الاستراتيجى والتعبوى ووضعت لها توقيتات وجداول سارت جنبا الى جنب مع خطة

يكشف لنا عن حركة العلم ودور التخطيط في المعركة .

أما عن « منطق الإيمان » في المعركة فحدث عنه ولا حرج . فلقد كانت ضربات جنودنا شجاعة محتقة لا ترمي للعدو قوة ولا تخشى له بأسا . ولقد بهرت بطولاتهم الرائعة وتقانيهم الجليل أنظار المراقبين من أجانب ومواطنين وبات مؤكدا أن في مصر من المواهب الكبيرة والكثيرة التي تفقدى الحق بأى شئ مهما غلا . ولا تبالي في سبيل الأمة بأى تضحية . لو أنك رأيت اندفاعهم ؟ لو أنك رأيتهم بالاعلام في أيديهم يعبرون الجسور وسط النار ؟ لو أنك رأيت تكبيرهم وحماسهم ؟ لو أنك رأيتهم يقتحمون المواقع الحصينة بأجسادهم قبل سلاحهم . ؟ لو أنك رأيت هذا كله . وكثيرا غيره لادمشك .

ولقد أفلح هذا الشباب المكافح في أداء واجبه على نحو أثبت للعالم كله أن الاسلام قادر في كل عصر ومصر على خلق البطولات النادرة التي تتحدى الطغيان المسلح والفيالق المدرعة ولقد بوغت الدنيا بأولئك البواسل يخترقون الحواجز المحكمة والموانع المائية والسدود الترابية في اعداد محكم متتابع اخذ يمتد حتى استوعب طول جبهة القناة في شبه معجزة لقنوا فيها العدو درسا لن ينساه وعلموه أن في العرين أسودا وأن للديار حماة . وأن للحق حراسا تسبدهم الآلام ويؤرقهم ما تلقاه الحياة من عبث الطواغيت بأقدار العباد والبلاد . وأن ذلك ليس الا جولة في معركة سوف تمتد شوطا مع الزمن . ومع اليوم غدا . وأن غدا لناظره قريب . ولقد كان مدد

حماسهم البالغ والذئب الدافق لشجاعتهم الرافرة أن الحق لابد أن يسود وأن الارض المسلوية لابد أن ترجع الى أصحابها . وأن اسم الله لابد أن يعلو وبذلك كانت صيحاتهم في القتال بتكبير الله تجلجل في الافاق وتهز جنبات الصحراء مما كان يلقي الذعر في صفوف أعدائهم .

كما كان مدد هذه الشجاعة الفائقة أن خصومهم من اليهود في هذه الارض لا حظ لهم من مهابة أو توقير وأنهم مهما عرض لهم من قوة فانهم « ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » أما عمل الايمان وراء المقاومة المستميتة ضد عدوان اليهود فأمر لا مرية فيه . فلقد كان هناك رصيد من مواريث الاسلام في العزة والاياء ، والتضحية والفداء هي التي ساقط الجنود المجاهدة الى مقاتلة المحتلين الفاسقين وزودتهم بطاقات هائلة من المصابرة والثبات كانت مناط الامل وطريق النصر ، ان الرجولة المجردة تتحمل المكاره . فكيف اذا اصطبغت بالايمان وقاض في نواحيها اليقين والامل . ألا تفعل العجايب ؟؟ انها تكون والحالة هذه اشبه بالنار عندما تنفخ فيها الرياح تنحفر مشاعرهم كلها ويواجهون الاخطار ببأس شديد .

وهكذا نجد أن منطق الايمان في مواجهة الشدائد يصنع الكثير . انه يجعل الرجل يستخف بالموت ويلقى الحثوف وهو رابط الجأش عامر الفؤاد باليقين ، انه يجعل الموت أمنية تستشرف لها الهمم العالية وتشير الى ما سبق لاهلها عند الله من مثوبة



القائد الاعلى الرئيس محمد
انور السادات يتحدث الى احد
الضباط في المواقع الامامية التي
زارها خلال شهر يونيو ١٩٧٣



الرئيس القائد محمد أنور السادات يتطلع بالنظار المكبراني الضفة الاخرى فى سيناء المصرية وذلك خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .
فنصر العاشر من رمضان كان جهادا وتخطيطا واعدادا وتوكلا على الله .

أجزاءهم فسوف يجمعهم الله الله العلى القاهر بقدرته فاذا الوجه المشوه مشرق المحيا ناصع الجبين . واذا الساق المبتورة قوية سليمة . واذا العين المفقوءة حادة مبصرة . واذا الجسم الممزق بشر سوى مكتمل يهتف لمولاه « وعجلت اليك رب لقرضى » كهذا المسلم الذى جاءته ضربة من الخلف فلما أحس بطعنة الرمح صاح قائلا « فزت ورب الكعبة » وأعجبنى هذا الدعاء المتبادل بين سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن جحش حين التقيا فى معركة أحد . فقال سعد ألا تأتى ندعى الله تعالى ؟ فقال عبد الله بلى فدعا سعد ربه قائلا : اللهم اذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا بأسه شديدا حرده فاقتله فيك وأخذ سلبه . فأمن عبد الله على ذلك . ثم دعا عبد الله قائلا : اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه شديدا حرده فاقتله فيك ويقا تلنى ويأخذنى فبجنع أنفى وأذنى فاذا لقيتك قلت يا عبد الله قيم جدع أنك وأذك ؟ فأقول فيك وفى رسولك . فأمن سعد على ذلك واشتبك الفريقان وأبلى عبد الله بلاءا حسنا حتى نال ما تمناه إذ قتله ابن شريق وجرع أنفه وأذنه ولقب بالمجدع فى الله . ومن به سعد فتذكر دعوتهما سويا . فقال كانت دعوتك خيرا من دعوتى .

وهكذا نرى منطق الايمان واليقين كيف يصنع رجلا يؤثرون ما عند الله على الدنيا وما تضم . لانه يعلم

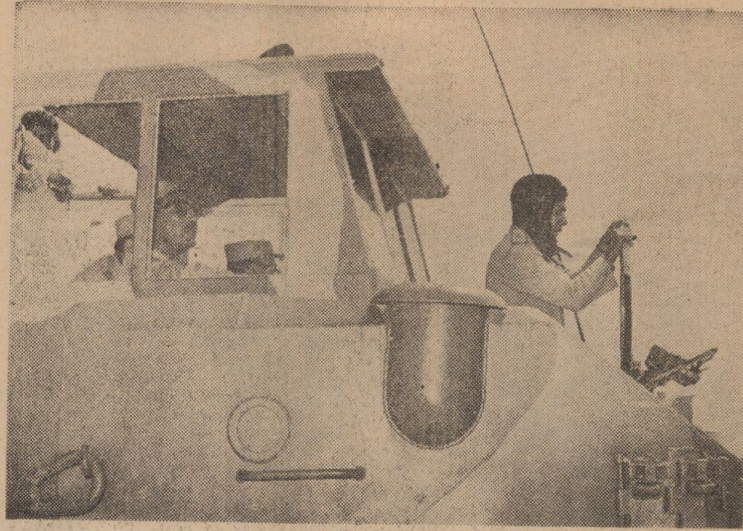
وما سيفدون عليه من كرامة وجزاء ، انه يجعل الشخص ينطلق وهو يعلم أنه ان قتل أو أهرق دمه فان كل قطرة منه تقع فى يد الله قبل أن يبل بها الثرى ولهذا اليقين - فى ميادين الكفاح بالذات - منطق ينفى الجبن ويورث الجراءة ، ويجعل الركون الى القدر بازاء أى وعد أو وعيد على أساس أن الرزق والاجل الى الله وحده « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ولقد كان منطق الايمان هذا أثره الفعال فى نفوس سلفنا الصالح الذين كانوا يستقبلون الموت محدقين جرأ . وسهام الموت تنطلق الى صدورهم ورءوسهم وأعناقهم ما يززع ذلك لهم يقينا . وكانوا يتمنون من أعماق قلوبهم أن يموتوا أبطالاً فى مقارعة الحديد والنار . لا ناعمين فى فراشهم وبين ذويهم . ولا عليهم أن تطوى وحشة الصحراء جثثهم الممزقة أو تتخطفها الطيور أو تصير فى أجواف الوحوش ما دام ذلك فى سبيل الله وإبتغاء مرضاته فلقد كان لسان حالهم يقول :

وذلك فى ذات الاله وان يشأ

يبارك على أوصال شلى ممزع

لان هؤلاء كانوا يعلمون - بمنطق الايمان - أنهمهما تمزقت أجسامهم أو تقطعت أطرافهم أو تبعثرت



الرئيس القائد أثناء جولة له
فوق أرض الجبهة ضمن زيارته
المتلاحقة التي جاء العاشر من
رمضان محصلة صادقة لها .

أن الدنيا فانية بمن فيها وما فيها . فماذا لو طال عمر
الإنسان ورغد عيشه ؟ . ماذا بعد طول المكث في
الأرض وجمع حطامها الفاني . ماذا الا التعرض
لمتاعب العيش ومشكلاته التي تفرض على الأحياء كما
قال أبو العلاء المعري :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد
ثم ماذا بعد ذلك إلا التوسد في التراب والبعد عن
مواطن الشرف والكرامة التي تمجّل للشهداء .

ولو أن الحياة تبقى لحى

لعدنا أضلنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بد

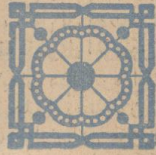
فمن العار أن تموت جباناً

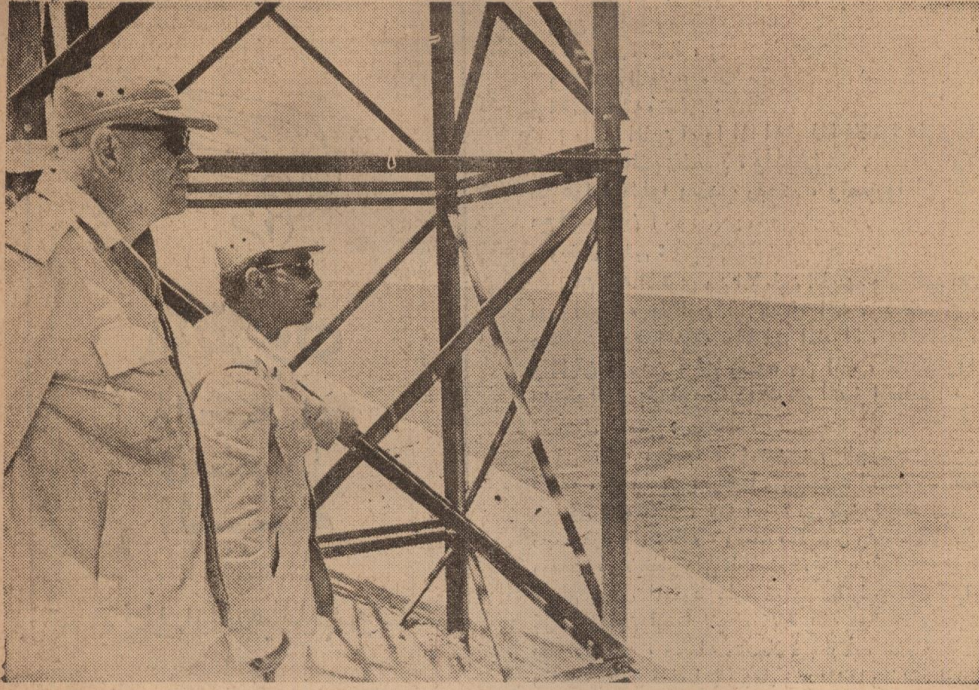
فالشهادة في سبيل الله ليست انتقاصاً من عمر
الإنسان ولا تمجيلاً لأجله قبل مواعده المقدور . كلا
« قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
إلى مضاجعهم » « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة » .

فالموت في سبيل الله مع وضوح هذه المعاني لمنطق
الإيمان ليس الاتكراً للمؤمن الذي باع روحه وحياته
في سبيل دينه وأعلاء كلمة الله في الأرض فهو
يستوفي أجله المقدور على أكرم صورة وأشرف خاتمة
« ولا تحميمين الذين قتلوا في سبيل الله أو أوتوا بل
أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بما آتاهم الله من
فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وبعد : فأننا في هذه الظروف التي نحياها أفقر
خلق الله إلى تأييد الله بالانعطاف إليه وأصلاح ما
بيننا وبينه والاستقامة على هداة . ويوم ينظر إلينا
رب البشر نظره الرضا والقبول فسوف تتكشف هذه
الكروب كلها . والله المستعان .

□ ١٢ □





الرئيس القائد محمد أنور
السادات مع الفريق أول أحمد
اسماعيل في أحد مواقعنا على
ضفة القناة يحدد في عزم وحسم
أبعاد نوعية العبور وكيفية اجتياز
الحاجز الرملي وتحطيم خط
بارليف .



الرئيس القائد محمد أنور
السادات مع واحد من جنودنا
البواسل أثناء زيارته لقواتنا
الظافرة قبيل المعركة .

وعن شكر الله ،
وعن الطاعة ،
وعن وحدة الأمة ،
وعن عدم التنازع .
قال سبحانه وتعالى :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا
تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ]
ويقول تعالى :

[أَنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ، ويقتلون ،
وعدا عليه حقا في التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا
ببيعكم الذي يابِعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] .
يقول الألوسي : -

في الآية ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان
فضله (الجنة) ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن ولا أبلغ
مما في هذه الآية ، لأنه أبرزه في صورة عقد عاقده
رب العزة جل جلاله ، وضمنه مالا عين رأت ، ولا أذن
سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط ، بل
كونهم قاتلين أيضا لأعلاء كلمة الله تعالى ، ونصرة
دينه سبحانه ، وجعله مسجلا في الكتب السماوية -
وناهيك به من صك ! - وجعل وعده حقا ولا أحد أوفى
من واعد ، فنسيته أوثق من نقد غيره ، وأشار
إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم ، وصور جهاد
المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه ، وثابة الله تعالى
لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء .
وأتى سبحانه بقوله : « يقاتلون » .. الخ - بيانا
لمكان التسليم وهو المعركة ، وإلى الإشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم :

« الجنة تحت ظلال السيوف »

ثم أمضاه سبحانه بقوله : « وذلك هو الفوز
العظيم » ومن هنا أعظم الصحابة - رضى الله تعالى
عنهم - أمر هذه الآية ، فقد أخرج ابن أبي حاتم
وغيره عن جابر بن عبد الله قال : نزلت هذه الآية على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
المسجد : (إن الله اشترى من المؤمنين) ... الخ -
فكثر الناس في المسجد ، فأقبل رجل من الانصار ثانيا
طرفي ردائه على عاتقه فقال : يا رسول الله ، أنزلت
هذه الآية ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال
الانصارى : بيع ربيع لا نقيلا ولا نستقبل !
أما إذا كان الاستشهاد فإن الله سبحانه وتعالى
يقول :

[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ
أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ ، وَهُمْ يَدْعُونَ بِالنَّارِ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ،
أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَأَلَهُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ



هتقربون والجهاد في سبيل الله

فصل في الدعوة إلى الجهاد

لقد فرض الله جهاد أعداء الله ورسوله بكل وسيلة
من الوسائل :

بالقلب
وباللسان
وباليد

وانفاق المال في سبيل الله للقلب عليهم
وبذل النفس رخيصة في سبيل النصر
وفي القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة
آيات كريمة ، وأحاديث سامية هي بيانات حربية من
أقوى ما يكون !

إنها بيانات حربية تختلف أساليبها وتنوع :

فكفون في صورة نصيحة ،
أو في صورة أمر ،
أو في صورة نهى .

واقطأحاط الله ورسوله الجهاد بكل ما يكفل
للمسلمين النصر باذن الله ابتداء من الجانب المادي :
[وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة]

إلى الجانب الروحي الذي استفاض فيه كثيرا ،
وتحدث عن مبادئ اجتماعية وأخلاقية هي أسباب
لنجاح النصر ،

لأن تحدث عن :
الذبات عند اللقاء ،

الله وفضل ، وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) وان من موارث اسلافنا رضوان الله عليهم . لقي كانوا في الاعم الاغلب - يواظبون عليها انهم كانوا يذهبون الى الربط يرابطون فيها مسلحين مستعدين للجهاد ، والربط : جمع رباط ، وهى أمكنة على الحدود ، وعلى التغير يرابط فيها كل من وهب نفسه لله جاعلا حياته فى سبيله . لقد كانوا يقيمون فيها حارسين حذرين من العدو أن يغير على بلاد المسلمين عن طريقها ، فهم يسهرون الليل على أسوار الربط يرقبون أية حركة مريبة من العدو مستعدين بأسلحة عصرهم ، مدربين على أحدث طرق القتال السائدة فى زمانهم . وكان أبو يزيد البسطامى - وهو من كبار الصوفية وهو منهم سلطان العارفين - كان يرابط فى سبيل الله ، كان يرتقى فوق سور الرباط ويستمر طيلة الليل حارسا له ممن يقصده من الأعداء ،

ولم يكن أبو يزيد - مرابطا فحسب ، وانما كان مرابطا ذاكرا : وقد جمع بهذا بين الحالتين اللتين ذكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : « عينا لا تمسهما النار ، عين يكت من خشية الله ، وعين سهرت تحرس فى سبيل الله » وكما أمر الله سبحانه وتعالى بالجهاد والحراسة فى سبيل الله فإنه سبحانه وتعالى أمر بالذكر ، بل أمر بالذكور الكثير فى حالة الحرب فقال سبحانه : [يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وقد ذهب ربحكم واصبروا ان الله مع الصابرين] . والله سبحانه وتعالى بين بهذه الكلمة القرآنية الكريمة بعض عوامل النصر ، وكما أن من عوامل النصر الثبات ، فان من عوامله ذكر الله تعالى .

ولا تقل أهمية ذكر الله تعالى عن أى عامل من عوامل النصر . كان أبو يزيد يحرس ويذكر ، ويتعبير آخر : كان أبو يزيد بين المسجد ذاكرا ، وبين الحرب مشهرا سيفه !

ويقول أبو يزيد عن نفسه فى صراحة ، انه : « ما كان يستند الا الى حائط رباط ، أو حائط مسجد » أى انه كان حياته فى مجال العبادة ، وفى مجال الجهاد ، أنه يقول : « لم أزل منذ أربعين سنة أنى ما استندت الى حائط الا الى حائط مسجد أو رباط » . فقل له : لم لا تستند فى ذلك رخصة ؟ فقال : سمعت الله عز وجل يقول :

[فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] فهل ترى من رخصة ؟ وإذا كانت العبادة فى الاعراف الاسلامية جهادا فان أبا يزيد البسطامى - رحمه الله - كان حياته فى مجال الجهاد .

وإذا كان الجهاد فى الاعراف الاسلامية أيضا عبادة من أسنى أنواع العبادة ، فان أبا يزيد كان حياته - فى عبادة !

ويقول أبو يزيد أيضا : « أقامنى الحق مع المجاهدين ، أضرب معهم بالسيوف فى وجوه أعدائه دهرًا طويلا » وفى هذه الكلمة تعبير جميل هو « أقامنى الحق » ان الحق سبحانه هو الذى أقامه ، فالفضل له سبحانه وهذه سمة من السمات الواضحة عند الصوفية ، ان الحق هو الذى يقيمهم فى الشكر حينما يشكرون على ما وفقهم اليه من أعمال الخير ، فالفضل منه والشكر منه ! والزيادة بسبب الشكر منه ، والشكر على الزيادة منه . ولم يكن أبو يزيد بدعا فى الجو الصوفى ، وإذا كان المؤرخون للصوفية يرون مرورًا عابرا على جهاد الصوفية ، فان ذلك لما يؤمن به المؤرخون من ان امر جهاد الصوفية من الوضوح بحيث لا يحتاج الى بيان مستفيض !

لقد كانوا يجاهدون فى جميع الميادين ، جهاد النفس .

الجهاد فى المجتمع

جهاد أعداء الله باللسان

ونحب فى هذا المقام أن تلقى بعض الضوء على جهاد الصوفية بالسيوف بآدين بابي يزيد البسطامى وجهاده .

أقد قلنا انه لم يكن بدعا فى الجو الصوفى ! وذلك أن من كبار المجاهدين الذين خاضوا المعارك شيخ الصوفية الامام ابراهيم بن ادحم : لقد غزا فى البر ، ولقد غزا فى البحر ، وكان فى هذا وذاك ذاكرا لله لا يفتر .

ومنهم رب السيف والزهد والعبادة الامام شقيق البلخي من كبار زعماء الصوفية ، وكان صاحب مدرسة مجاهدة عابدة ، كان يسعه رؤيه السيوف تلمع ، ورؤية المعركة تحتم ، وما كانت نفسه آنذاك تطير شعاعا من الابطال ، وما كان يقول لها : ويحك لن تراعى ، وكان كلها حمى اللطيس وهو فى غمار المعركة كانت سعادته أكثر ، وهو ينكل بالعدو فى شجاعة لا تبالى بالموت وقعت عليه أو رقع عليها .

وكانت ثقة شقيق بالله مطلقة ، بلغت الى الحد الذى اندفع فيه شقيق فى الجهاد فى سبيل الله لا يبالي على أى جيب كان فى الله مصرعه

وهامو بين الصفيين فى محاربة العدو مسلحا بالايمن ، والعدة الحربية ، وقد التحم الجيشان ، فليس هناك الا سيوف مصلته ، ورقاب قطع ، ورعوس تسقط ، وإذا بشقيق يقول لمن بجواره :

« كيف ترى نفسك ؟ أترى نفسك فى حالة تشبه حالتك فى الليلة التى رقت فيها امرأتك انك » ؟

فقال صاحبه : لا والله !

فقال شقيق :

« لكنى - والله - أرى نفسى فى هذا اليوم مثل ما كنت فى الليلة التى رقت فيها امرأتى » !

ومات شقيق شهيدا فى ساحة الحرب والجهاد سنة أربع وتسعين !

رجل وامرأة في معركة الصحراء

١ - الرجل :

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف حامل اللواء .. يلتقي نسبه مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف في جده الثاني .. تحدث عنه سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « ما رأيت بمكة أحسن ولا أرق ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » .. وكان إسلامه مفاجأة لوجوه قريش وسادتها وللسابقين الأولين من المؤمنين على السواء ، فقد كان فتى قريش المدلل بشبابه وجماله المنشأ في النعمة والحلية ، وكان أنيقا رقيقا وحيد الأبوين قد شغفهما حبا يرفل في ثياب العز وتفوح منه أطيب العطور ، رخم الصوت يأخذ بمجامع قلوب عشيرته منغما بليغا حللما كيسا . وبينما هو يختال مزهوا في مكة إذ سمع بنوبة محمد بن عبد الله بن هاشم بن عبد مناف رسول الله ، وبالدعوة التي ينشرها سرا .. فاتجه الى هذه الدار ولقى محمدا رسول الله وسمع منه فانشرح صدره للإسلام وأسلم مخفيا إسلامه شفقة بأمه الى أن شعرت به قريش فحبسوه ليفتنوه وظل ثابتا صابرا لا يتزعزع إيمانه حتى وجد فرصة الإفلات فهاجر الى الحبشة ثم عاد الى مكة مع من عاد من مهاجري الحبشة بعد انهيار الحصار الذي ضربه مشركو قريش على محمد وآله ومن والاه من بنى هاشم .. عاد خالما ثوب العز والجاه وأناقاة المضر وخيلاء النعمة واستبدل بكل متاع الدنيا قلبا عامرا بالآيمان والتقوى والتواضع والخشوع وأقبل على تلقى الدين وحفظ ما نزل من قرآن ولازم النبي صلى الله عليه وسلم حتى كانت بيعة العقبة الاولى حين اختاره المصطفى عليه الصلاة والسلام ليمضي مع المبايعين الى يثرب ليعلمهم الدين وينشره للناس هناك . وكان عدد المبايعين اثني عشر نفرا من بينهم أسعد ابن زرارة بن خالة سعد بن معاذ زعيم الاوس رضى الله عنهما . خرج مصعب بن عمير من مكة الى المدينة (يثرب) ليفتحها بالقرآن وينشر فيها الدين الجديد (الاسلام) . ونزل ضيفا على أسعد بن زرارة وتنقل ما بين الاوس والخزرج .

ما التفت
يمينا ولا شمالا
يوم أحد
إلا ورأيتها تقاتل
دونى

الاستاذ أحمد زينة



الغزوات مع النبي وخليفته أبي بكر الصديق وقد جرحت نسيبة بنت كعب رضى الله عنها اثني عشر جرحا بين ضربة سيف وطعنة رمح .. وأبليت يوم أحد بلاء حسنا وصمدت بجوار النبي وحاربت دونه وردعت كل من حاول الخلوص اليه من المشركين بالسيف والرمح .. وتترك لها وصف المعركة ..

فالت رضى الله عنها :
« خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس .. ومعى مسقاة بها ماء أسقى بها الجرحى .. وانتبهت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والرمح مع المسلمين (النصر معهم) فلما انهزموا انحزت الى رسول الله وقمت أبشر القتال دونه وأودعته بالسيف وأرمى عنه بالرمح حتى خلصت الجراح الى وأصابني ابن قميئة حين ولى الناس عن رسول الله وأقبل العدو يقول « دلونى عن محمد فلا نجوت ان نجا » فاعترضته أنا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا وضربته عدة ضربات ، وضربني ابن قميئة على عاتقي وضربته التى أحدثت بها جرحا أجوف له غور » .

تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسيبة رضى الله عنها فقال (ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد الا ورائتها تقاثل دونى) .

وقد قايلت نسيبة أم عمارة حرب اليمامة فى خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقطعت يدها وهى لا تكف عن القتال حتى رأت مسيلمة الكذاب مقتولا بسيف ولدها عبد الله بن زيد وحرية حبشى رضى الله عنهما .. وعنهما رضى الله عنها قالت : « قاتلت يوم اليمامة حتى قطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى من ناهية حتى وجدت الخبيث مقتولا ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بتيابه فقلت أقتلته ؟ فقال نعم ، فسجدت شكرا لله تعالى .. وقتله كان بعد ضرب حبشى له بحريته » .

نزل فى مصعب بن عمير ونسيبة بنت كعب ومن صعد معها قرآن عطر قبورهم وأحياهم فى الخادين .. قال تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

تلك الامثال من روائع الصمود نضربها لرجالنا فى معركة التحرير علها تكون نورا يضيء طريقهم الى النصر : وليعلموا ان النصر حليفهم وأن المهم فى المعارك هو ارادة القتال وارادة النصر ومؤمنين بنصر الله .. ولقد كانت الهزيمة فى أحد درسا مهدا للمسلمين السبيل الى النصر فى كل معركة خاضوها سواء فى عهد الرسول أو فى العهود اللاحقة .

صلاة الله وسلامه على القائد الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .
وسلام الله ورحمته على المجاهدين الاولين ..
ونصر من الله وفقه قريب الى جنودنا البواسل الصامدين ..

يوم المسلمين ويعلمهم الدين ويتلو عليهم القرآن بصوته الرخيم الذى خشعت له القلوب ، وتمكن فى خلال عام من هداية جمع كبير على رأسهم سعد بن معاذ زعيم الاوس وجميع عشيرته ، وسعد بن عباد زعيم الخزرج وعشيرته ، حتى اذا كان موعد الحج خرج معه زعيما القبيلتين فى ثلاثة وسبعين رجلا وامراتين هما أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى ، قبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية . ورجعوا الى (يثرب) مع مصعب بن عمير أنصارا للرسول ليهيئوا للمدينة دورها التاريخى فى حركة التحول من الوثنية الى الاسلام وليعدوا لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها .

عظم الله أجر مصعب بن عمير .. أى الرجال كان .. لقد غزا المدينة بالقرآن .. ثم يغزو أعداء الله بالسيف ويحمل اللواء فى بدر .. دفعه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاض المعركة الباسلة على ماء بدر وعاد رافعا لواء النصر .. وهو ذا يحمل اللواء ثانية فى معركة أحد فكان النصر فى بدء المعركة ثم جاءت النكسة حين تعجل رماة المسلمين بالنزول من أعلى الجبل مخالفين أوامر قائدهم العظيم رسول الله ليشتركوا فى الغنائم فكشفوا بهذه المخالفة ظهور المسلمين لخيلى خالد بن الوليد الذى اغتتم الفرصة بحركة التفاف بارعة قلبت ميزان المعركة وانحسر الناس عن رسول الله فخلص اليه نفر من قريش أصابوا رباعيته وشجوا وجهه وأذاعوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمع من حول النبي صلى الله عليه وسلم قلة من المؤمنين المستبسلين منهم مصعب بن عمير حاملا اللواء مرفوعا ومعترضا كل من حاول الوصول الى رسول الله من المشركين ، الى أن حمل عليه عدو الله بن قميئة فاصاب منه مقتلا وهو يزود عن قائده رسول الله وعن لواء المسلمين واستخلص رسول الله اللواء من يد مصعب الشهيد ودفعه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فرفعه من بعده وريث الروح للمسلمين . فعادوا الى الحرب بما حمل المشركين على التعجيل بالرحيل قبل أن تدور الدائرة عليهم .

لقد صدق حامل اللواء مصعب بن عمير ما عاهد الله عليه ، واستشهد ولم يجاوز الاربعين من عمره ونعم بوفاته ثرى البقيع مع من دفنوا بالبقيع من شهداء أحد .

٢ - أما المرأة :

ففى أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية (أم عبيد الله بن زيد قاتل مسيلمة الكذاب) وهى إحدى اثنتين من نساء (يثرب) حضرتنا بيعة العقبة الثانية .. وقد بايعت رسول الله فىمن بايعوه على ألا يشركوا بالله شيئا وعلى أن يمنعوا رسول الله مما يمنعون منه أنفسهم وأبناؤهم ونساءهم ، وأن يبايعوه على السمع والطاعة فى النشاط والكسل .. الخ . حضرت أغلب



تعبيرا عن الصداقة والاخوة
العربية الافريقية ، وادراكا لعدالة
القضية العربية ، والتزاما
بقرارات منظمة الوحدة الافريقية
ومؤتمرات دول عدم الانحياز ،
وقفت الدول الافريقية موقفا
ايجابيا وحاسما في مواجهة
العدوان الاسرائيلي على مصر .
لقد اعتبرت افريقيا ان قضية
العدوان الاسرائيلي قضية افريقية
تهم افريقيا حكومات وشعوبا ،
وايقنت الدول الافريقية ايضا خطورة
هذا العدوان على «الامن الافريقي» ،
خاصة وان افريقيا نفسها قد ذاق
الوانا من العدوان الاسرائيلي ،
تمثلت في المطامع التوسعية
الصهيونية في افريقيا ايضا في
تخريب اقتصاديات افريقيا
والتحالف الاسرائيلي مع النظم
الاستعمارية والعنصرية في افريقيا
ومحاولة اشعال الحركات
الانفصالية والانضمام الى صفوف
المرتزقة في أحداث الكونغو
وجنوب السودان وغيرها .

على ضوء
مؤتمر القمة
العربي بالجزائر



دَعْمُ الصَّدَاقَةِ وَالْأَخُوَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَفْرِيقِيَّةِ

الاستاذ احمد يوسف القرشي



الرئيس محمد أنور السادات يحدد أبعاد معركتنا المصرية في مؤتمر الوحدة الإفريقية

- ٩ - زائير - ٤ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٠ - ساموئي - ٩ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١١ - رواندا - ٩ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٢ - فونتا العليا - ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٣ - الكاميرون - ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٤ - غينيا الاستوائية - ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٥ - تانزانيا - ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٦ - ملاجاش - ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٧ - أفريقيا الوسطى - ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٨ - ثوبيا - ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ١٩ - نيجيريا - ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢٠ - جامبيا - ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢١ - رامبيا - ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢٢ - غانا - ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢٣ - السنغال - ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢٤ - جابون - ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢٥ - ميرانيون - ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ .
 - ٢٦ - كينيا - أول نوفمبر ١٩٧٣ .
 - ٢٧ - ليبيريا - ٢ نوفمبر ١٩٧٣ .
 - ٢٨ - ساحل العاج - ٨ نوفمبر ١٩٧٣ .
 - ٢٩ - تيسولنا - ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ .
- هذا والجدير بالذكر أن كلا من الصومال وموريتانيا لا تعترف أساسا بالكيان الاسرائيلي . ولا شك أن قطع أفريقيا لعلاقاتها مع اسرائيل يعد

ولمواجهة العدوان الاسرائيلي على مصر وأفريقيا قامت الدول الافريقية بقطع علاقاتها مع اسرائيل ، مما اصاب الدبلوماسية الاسرائيلية بنكسة خطيرة في أفريقيا تسببت في ضياع مصالح اسرائيل الحيوية في القارة الافريقية وقضت على اخطبوط التسلسل الصهيوني في القارة . واكثر من هذا فان قطع العلاقات الافريقية مع اسرائيل قد فرض على اسرائيل عزلة دولية سوف تعاني الكثير من آثارها .

ولقد أصيبت اسرائيل بنكستها الدبلوماسية في أفريقيا في وقت كانت تتعرض قواتها لنكسة عسكرية في سيناء والجولان بعد نجاح قواتنا المسلحة في اجتياز خط بنزليف في أقل من ست ساعات وبدون خسائر تذكر .

وفيما يلي قائمة بأسماء الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها باسرائيل وتاريخ قطع العلاقات :

- ١ - غينيا - ٥ يونيو ١٩٦٧ .
- ٢ - أوغندا - ٣٠ مارس ١٩٧٣ .
- ٣ - تشاد - ٢٧ نوفمبر ١٩٧٣ .
- ٤ - الكونغو الشعبية - ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ .
- ٥ - النيجر - أول يناير ١٩٧٣ .
- ٦ - مالي - ٥ يناير ١٩٧٣ .
- ٧ - بوروندي - ١٦ مايو ١٩٧٣ .
- ٨ - توجو - ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ .

دعما للصداقة والاخوة العربية الافريقية . ومن المعروف أن الوطن العربى منطقة افريقية آسيوية تشغل أكثر من ٧٢ فى المائة من مساحته جزءا من جسم افريقيا . ونحو ٧٠ فى المائة من العرب - وهم افريقيون - يعيشون فى افريقيا .

وليس هناك شعب أقرب الى الافريقيين من العرب . حيث تمتد علاقات العرب بالافريقيين الى أعماق بعيدة من التاريخ ثم فيها الامتزاج السلالى بين السكان والتبادل الحضارى بين المذنبات والدفاع المشترك فى مواجهة التحديات .

وتتسع العلاقات بين الدول العربية والدول الافريقية اليوم الى آفاق مترامية وميادين مختلفة وتقوم هذه العلاقات وفق أهداف واضحة وصارفة فى تعبيرها عن الروابط القوية التى لا تنفصم بين الافريقيين والعرب .

ومصر بموقعها الاستراتيجى والحضارى والتاريخى والنضالى ترتبط بافريقيا بوشائج قوية منذ فجر الحضارة المصرية وطوال عصور التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر .

ولقد كانت ثورة ١٩٥٢ نقطة تحول تاريخى لا فى مصر وحدها ، بل فى افريقيا والعالم الثالث كله . وكان قيام هذه الثورة العامل الحاسم فى تفجير ثورات الاستقلال فى افريقيا . وقد تحملت ثورة مصر مسئوليتها كاملة نحو تصفية الاستعمار فى القارة حيث ساندت مصر حركة التحرر الافريقى بنفس القوة التى ساندت بها حركة التحرير العربى على اعتبار أن قضية الحرية لا تتجزأ وأن نضال شعوب افريقيا لا يجرى فى عزلة عن نضال مصر .

ومنذ السنوات الاولى لثورة مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فتحتت القاهرة ذراعيها للمناضلين من أبناء افريقيا وأمدت مصر حركات التحرير بالمساعدات المادية والمعنوية وخصصت لهم اذاعات موجهة ، وتبنت مصر الدفاع عن قضايا حركات التحرير فى المؤتمرات الدولية . ولا زالت مصر تتحمل دورها كاملا من أجل تصفية بقايا الاستعمار والعنصرية فى افريقيا .

وفى مواجهة التفرقة العنصرية وقفت مصر بكل امكانياتها ضد النظم العنصرية فى افريقيا وبلغ من استنكارها للتفرقة العنصرية أن قطعت علاقاتها مع جنوب افريقيا فى ٣٠ مايو ١٩٦٦ وقاطعت بضاعتها وحملت لواء الدعوة فى المحافل الدولية للقضاء على التمييز العنصرى سواء فى الامم المتحدة أو فى منظمة الوحدة الافريقية أو فى المؤتمرات الافروآسيوية أو فى مؤتمرات دول عدم الانحياز .

واستهدفت مصر تدعيم العلاقات السياسية مع دول افريقيا من أجل تنسيق السياسات الخارجية تجاه القضايا الدولية والافريقية والعربية . وشاركت مصر فى انشاء وتدعيم منظمة الوحدة الافريقية التى تضم ست دول عربية .

ومصر التى قطعت شوطا كبيرا فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية استهدفت اقامة التعاون

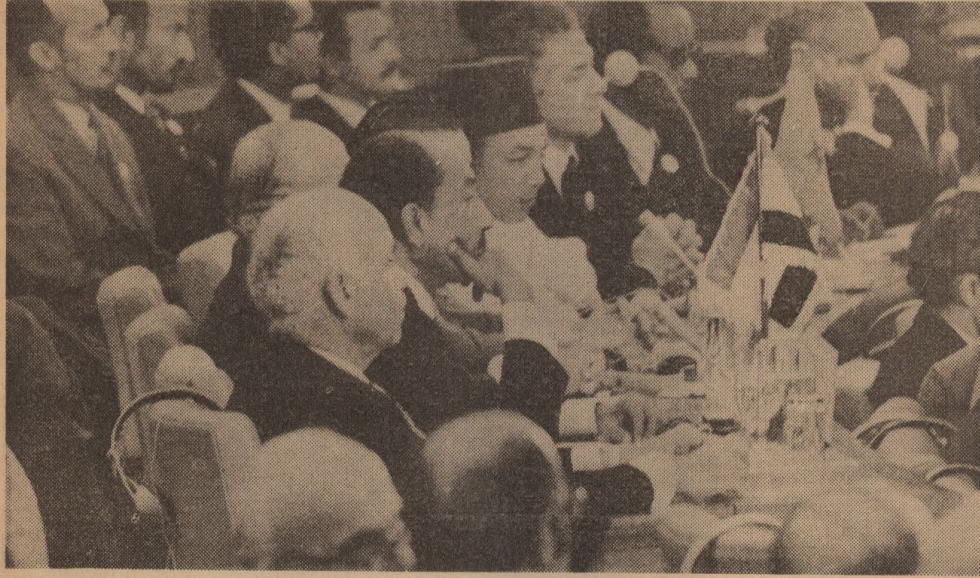
الاقتصادى مع الدول الافريقية من أجل تدعيم استقلال هذه الدول . وفى هذا الصدد تضع مصر تقدمها الصناعى وتطورها الاقتصادى فى خدمة الدول الافريقية . وكثيرا ماشهدت القاهرة مؤتمرات افريقية متعددة بقصد تطوير الامكانيات الاقتصادية للقارة .

من هذه المؤتمرات على سبيل المثال : مؤتمر التنمية الصناعية الافريقية الذى عقد فى أوائل ١٩٦٦ لبحث اتجاهات ومستقبل التنمية الصناعية فى افريقيا . كما أقامت مصر حوالى ٢٠ مكتبا تجاريا فى عواصم افريقيا لتدعيم العلاقات الاقتصادية فى ظل الصداقة الوطنية والمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة . وقد استطاعت هذه المكاتب التجارية أن تقيم جسور من العلاقات التجارية المتينة بين مصر والدول الافريقية .

واستنادا الى رابطة الحضارة والثقافة التى ربطت مصر بافريقيا منذ فجر التاريخ بزغت الحضارة المصرية متوغلة فى قلب افريقيا حتى بلاد النوبة على نحر ما عكسته المؤلفات التاريخية من تشابه فى الوسائل الحضارية . . استنادا الى هذه الرابطة استهدفت مصر توثيق التعاون الثقافى مع الدول الافريقية خاصة أن اللغة العربية يتحدث بها ملايين الافريقيين وهى أقدم لغة حية فى القارة الافريقية ، وقد دخلت الى أطرانها الشرقية قبل دخول الاسلام وتركزت آثارها فى لغات اثيوبيا والصومال وتانزانيا وبعض الدول الاخرى .

ورابطة الدين من الروابط القوية بين مصر وافريقيا فهناك أكثر من ٩٠ مليوناً من الافريقيين يدينون بالاسلام ينتشرون فى أغلب الدول الافريقية . وعلى سبيل المثال فإن الاسلام فى غرب افريقيا يستوعب أغلبية مطلقة لا تقل عن ٩٠ فى المائة . فى تشاد . النيجر ، مالي ، موريتانيا ، السنغال ، جينيا بينما يسود الاسلام كل غينيا وهناك أيضا حوالى ٢٠ مليوناً من المسلمين فى نيجيريا وهى تعد الدولة السادسة أو السابعة فى عدد المسلمين فى العالم والثانية فى افريقيا كما ينتشر الاسلام كذلك فى باقى دول غرب افريقيا أما اذا انتقلنا الى الاسلام فى شرق افريقيا فى اثيوبيا يقدر المسلمون بنصف مجموع السكان الكلى وفى الصومال ترتفع النسبة ٩٩ فى المائة من عدد السكان وينتشر الاسلام بنسب مرتفعة فى باقى دول شرق افريقيا حتى انه فى جنوب افريقيا يوجد ١٥٠ ألف مسلم . وعلى ضوء هذه الامثلة يمكن القول أن الاسلام يحتل مكانة عظيمة فى القارة الافريقية فهو دين له حضارات خالدة فى معظم دول القارة . وحفاظا على رابطة الدين المقدسة التى تربط الدول العربية بالدول الافريقية يواصل المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية رسالته الخالدة فى القارة التى نود أن نخصص لها دراسة خاصة .

ومصر كأكبر مورد بشرى للعلماء والخبرات فى افريقيا لها دور واضح فى قيادة التطور داخل القارة . ومن أجل ذلك لم تدخر مصر جهدا فى تقديم خبراتها الى الدول الافريقية الشقيقة .



القائد المؤمن الرئيس محمد أنور السادات يرأس وفد مصر في مؤتمر القمة العربي في الجزائر الذي عبرت قراراته الحازمة عن صدق العزم في معركتنا المصرية •



الرئيس محمد أنور السادات
يتوسط جلالة الملك فيصل
والرئيس هواري بومدين أثناء
لقاء القمة العربي بالجزائر •



حديث ودي بين الرئيس محمد أنور السادات وبين الرئيس
السوداني جعفر نميري في لقاء القمة بالجزائر .

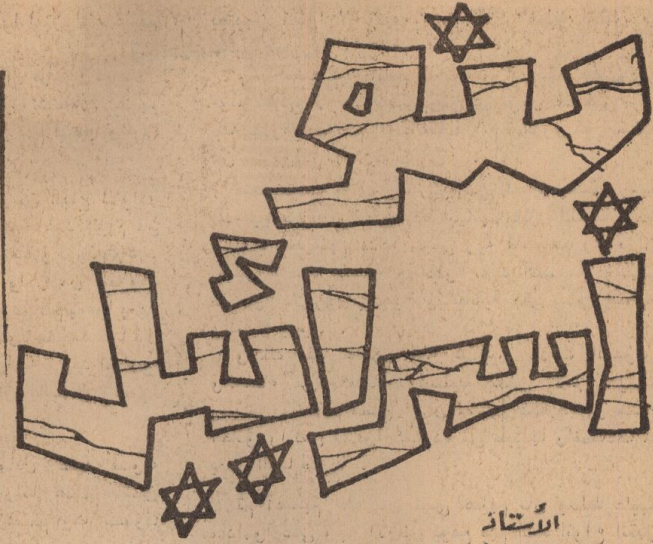
- تعزيز التمثيل الدبلوماسي العربي في أفريقيا .
- قطع جميع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والثقافية وغيرها مع جنوب أفريقيا والبرتغال وروديسيا .
- الحظر التام لتصدير البترول العربي الى هذه الدول الثلاث .
- اتخاذ اجراءات خاصة لمواصلة التمييز الطبيعي للدول الافريقية الشقيقة بالبترول العربي ودعم وتوسيع التعاون الاقتصادي والمالي والثقافي مع هذه الدول .
وعلى ضوء هذه الحقائق والمواقف يمكن القول ان الدول العربية والدول الافريقية تستقبل معا مرحلة جديدة من علاقات الاخوة والصداقة التي تمتاز بالاصالة والمنفعة المتبادلة .

تلك هي ابعاد الصداقة والاخوة العربية الافريقية التي هي في الحقيقة الدافع الرئيسي لقيام الدول الافريقية بقطع علاقاتها مع اسرائيل

افريقيا في مؤتمر القمة العربي

ولقد حظي التضامن للموقف الافريقي باهتمامات مؤتمر القمة العربي بالجزائر وجاء في البيان الخاص للمؤتمر والموجه الى الدول الافريقية ان الملوك والرؤساء العرب قد قرروا اتخاذ اجراءات فعالة لتعزيز التضامن العربي الافريقي بصورة عملية بينها :

- دعم التعاون العربي الافريقي في المجال السياسي .



الاستاذ
عبدالمعظم مغرب

ونوجز القول فنقتصر على موقفهم من ابتلاء الله لهم بالنعم والنعمة وقيل أن - تكشف سلوكهم في هذين الأمرين نشير إلى قوله تعالى « وقطعناهم في الأرض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ولبسوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » فمنهم الصالحون كما قال تعالى « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ومنهم الكافرون والفاستقون ولكن أكثرهم - كما يشير إلى آيات كثيرة - كانوا منذ عهد موسى إلى عهد محمد فاسقين ظالمين معاندين .

وفي هذه الآية أمران : -

أولا تقطيعهم أما ، ومعناه تفريقهم في كل قطر حتى لا تكون لهم شوكة وحتى يتحقق فيهم قول الله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) .

ثانيا ابتلاؤهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقد قص علينا القرآن في آيات شتى مامنهم من النعم الكثيرة ، ولكن كان من شأنهم أنهم كفروا بهذه النعم وخالفوا أمر الله في كل نعمة اختصهم بها فخطبهم الله يذكرهم بنعمته وعهده بقوله تعالى « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافرين به ولا تشكروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون »

□ ٢٣ □

لعل القرآن الكريم لم يتحدث عن قوم من الاقوام السابقين أكثر مما تحدث عن بني إسرائيل ، ولعل السبب في ذلك أن تاريخهم امتد زمنا طويلا وتعاقب فيهم كثير من الانبياء والرسل ، ولم يستاصلهم الله - كما استاصل اقواما من قبلهم - وأن كانت جرائمهم وأثامهم لا تقل عن جرائم من سبقهم من الأمم الضالة المكذبة فيقوا يحاربون انبياءهم ويحاربون من جاء من بعد انبيائهم فحاربوا عيسى عليه السلام وادعوا أنهم صليبه وحاربوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولكنهم هزموا في نهاية أمرهم وأخرجوا من ديارهم وأموالهم وخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وشاء الله - وله الحكمة البالغة - أن يظلوا مع التاريخ يشيعون الفساد والعداوة وينشرون الشر في كل زمان ومكان .

يعتدون كانوا لا يتباهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

ومن أمثلة ما ابتلاهم الله به من السيئات ماورد في قوله تعالى « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » .

فقد عاندوا نبيهم واسرفوا في العباد فطلبوا رؤية الله جهرة وعلقوا على ذلك ايمانهم فأنزل الله نارا من السماء احرقتهم فدعا موسى ربه فأحياهم رجاء ان يشكروا هذه النعمة ويتعظوا بتلك الصاعقة ولكنهم ماكدوا يشعرون بالحياة وبالعافية حتى نسوا النعمة والنعمة جميعا .

ولذلك فقد عذبهم الله عذابين عذاب البؤس والشقاء في المعيشة وتسلط بعض الامر عليهم والثاني مسخهم مسخ أبدان فكانوا كالقردة أو مسح أخلاق وأنفس فكانوا كالقردة في طيشها وفسادها لما يصل اليها ايديها .

ثم أعلمهم الله بأن تضي عليهم بأن يسلم عليهم ماداموا على وجه الارض يوقع بهم أشد أنواع القهر والعذاب فسلط عليهم البابليين فنكلوا بهم شر تنكيل ثم سلط عليهم النصارى فسلبواهم ملكهم ثم سلط عليهم المسلمين لما غدروا بهم في يثرب - ونصروا عليهم المشركين فقاتلهم النبي وانتصر عليهم واجلى بعضهم عن ديارهم ثم جاء عمر فأخرج من بقي من اليهود في بلاد العرب .

أما مايتلى به الاسلام من تسلطهم على جزء من بلاد المسلمين فيكفيهم ذلا ان أحدا في قرارة نفسه لا يعترف بحقهم في اقامة هذه الدولة ولا يشك مسلم واحد ان اليوم الذي يسامون فيه سوء العذاب لا ريب فيه وقد تحقق ذلك اليوم في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الموافق العاشر من رمضان ١٣٩٣ وكان ما لحق بهم في ذلك اليوم دليل أكيد على أن خزي الله سيلاحقهم الى يوم يبعثون .

وأخيرا ينبغي أن يكون مفتاح كل حديث عن هؤلاء اليهود قوله تعالى « واياى فارهبون » فهم شعب يخاف ولا يعرف الحياء وهذا الامر لم يوجه في القرآن لاحد غيرهم .
والله من ورائهم محيط .

والخطاب هنا لليهود المدينة وانما أمتن الله عليهم بهذه النعم لان النعمة على الالباء نعمة على الابناء والمراد بالنعمة هنا هي نجاتهم من آل فرعون ثم جعل منهم أنبياء وملوكا ثم انزال المن السلوى عليهم وتنجير الماء من الحجر وفرق البحر بهم فنجوا وغرق اعداؤهم .

والمراد بالعهد كل ما عهد اليهم من اتباع الاوامر واجتناب النواهي ويدخل في العهد ماعهد اليهم في التوراة من الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وعهد الله اليهم هو أن يدخلهم الجنة ، ولكن من المعروف انهم كفروا باسم الله كما كفرها آباؤهم فلم يوفوا بعهد الله ولم يرموه ولم يؤمنوا بالقرآن ولا بمحمد كما قال تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وقد اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وخطوا الحق بالباطل وكتبوا الحق وهم يعلمون انه الحق .

ومن كفران آياتهم بالنعم ما دل عليه قوله تعالى « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وقد ذكر المفسرون ان بنى اسرائيل لما كانوا في التيه واشتد عليهم حر الشمس جعل الله عليهم السحاب الابيض كالظلة وقالوا لموسى من لنا بالطعام فأنزل الله عليهم المن والسلوى ولكنهم لم يقابلوا هذا بالشكر بدليل قوله تعالى « وما ظلمونا » أى بجحدهم هذه النعم ولكنهم ظلموا أنفسهم لان وراء كفران النعم اضرارا بالغة فلحق بهم على حد قوله تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

وهكذا ثبت أن بنى اسرائيل - الالباء والابناء قابلوا النعم بالجحود - والعصيان .

أما ابتلاؤهم بالسيئات والحسنات فلم يؤثر فيهم أيضا ولم يرجعوا عن عنادهم وتاريخهم في هذا الشأن طويل وحديث القرآن الكريم عنهم في أكثر من سورة يدلنا على أن أنبيائهم لقوا منهم عنتا كثيرا وقد بلغ عتوهم وطغيانهم أن قتلوا انبياءهم ولعل أشد آية عليهم قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا



التجارة الراجعة

فصل في فتح سمعهم وأصغافهم

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أنلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » صدق الله العظيم .

في هذه الآيات الكريمة ، ينادى الله تعالى عباده المؤمنين الذين تشرفوا ، بوصف الايمان ، وكان لهم عظيم الحظ بالانتساب اليه يناديهم الله تعالى مرغبا لهم ، على طريق الاستفهام في أسلوب بليغ حكيم يوضح فيه ثمرة اخلاصهم لربهم في هذا العقد الذي يتم بينهم وبينه ، وفي هذه التجارة التي لا يعرف الكساد أو البوار لها سبيلا ، لأنها تجارة ربحها اسمى ما يتناهى المؤمن الصادق ، ربحها يتم في الدنيا ، وفي الآخرة ففي الآخرة نجاة من العذاب الاليم ، وسرور بالنعيم المقيم ، وفي الرتبة نصر من الله وفتح قريب .

أما عقد هذه التجارة وهو أول شيء يتم بين الشاري والباع وأول ما يبرم بين المتعاقدين ، قبل التسليم والتسلم ، فهو « الايمان بالله وبرسوله » « تؤمنون بالله ورسوله » أي وبكل ما جاء به الله في القرآن ، وبكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة .

وليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل . فلا بد اذا مع هذا الايمان من تصديق العمل له ، فتصديق العمل دلالة على صحة الايمان ، ودلالة على اعتماده هذا العقد الذي تم بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى .

ولتأكيد هذا « العقد » ولأنه الأساس المتين الذي ستقوم على أسسه ، وينوده هذه التجارة ، ناداهم الله سبحانه وتعالى أولا بوصفه ، وصرح لهم بالايمان ومع هذا ، يامر سبحانه بالايمان بعد ذلك فيقول « تؤمنون بالله ورسوله » ، تأكيدا أو تحقيقا لأصوله ، وتتبع لمواطن الكمال فيه ، واستشعارا لأوصافه ، ومقتضياته التي تستلزم من العبد ، أن يسير في أطاره مخلصا خالص الوجهة لله سبحانه وتعالى .

وبعد بيان العقد وهو « الايمان » أو الجزء الأول الاساسي من التجارة عطف سبحانه ظاهرة التجارة

التي يتم فيها بيع أعز شيء ، وأثمن شيء ببيع النفس والمال ، ويشير سبحانه أن النفس والمال وإن كانا عزيزين فإن أعز منهما وإن خيرا منهما - لو علمنا - هو بذلها ، هو الجهاد بهما ذلك خير من البقاء والحفاظ والركون إلى الضعف والحرص على الحياة وعلى المال « ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وتبدأ أرباح هذه التجارة بالاتي :

أولا : غفران الذنوب ، وناهيك بمغفرة يخبرها الله سبحانه ، ويصرح بها واضحه ، وهو الغفور الرحيم ، غافر الذنب وقابل التوب ، وصاحب الرحمة الواسعة التي كتبها لعباده ، والتي رست كل شيء ، كما قال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » .

ثانيا : دخول الجنة ، وهذه أيضا صريخة لمن جاهد ، ولمن استشهد في سبيل الله تعالى .
ثالثا : رفعة درجات المجاهدين - فلهم مساكن طيبة في جنات عدن .

رابعا : وحيث أخلصوا في تجارتهم ، وكانوا أمتاء فيها فلم يخونوا الله ورسوله ، وماداموا ، قد نصرُوا دين ربهم وقرأنه وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يتم نصر الله تعالى لهم « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

وقد وضع الرسول صلوات الله وسلامه عليه أثر الجهاد في غفران الذنوب ، وسعادة الشهيد بركة له ، عن أبي هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس ، فذكر الايمان بالله ، والجهاد في سبيل الله ، من أفضل الاعمال عند الله ، قال ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، أريت أن قتلت في سبيل الله وأنا صابر محتسب مقبلا غير مدبر ، كفر الله عني خطاياي ؟ قال : نعم ، قال : فكيف قلت ؟ قال : فرد عليه القول كما قال ، قال : نعم ، قال : فكيف قلت ؟ قال : فرد عليه القول أيضا ، قال : يا رسول الله ، أريت أن قتلت في سبيل الله صائرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، كفر الله عني خطاياي ؟ قال : نعم ، قال : نعم ، الا الدين ، فإن جبريل عليه السلام سارني بذلك ، رواه أحمد في مسنده . وهكذا نقف على ما للشهادة في سبيل الله من أثر يذهب بكل الخطايا ، إلا ما كان من حقوق العباد وهو الدين ، فإنه يجب أدائه .

وكما بينت السنة الشريفة أثر الجهاد والاستشهاد في غفران الذنوب ، بينت كذلك أثرهما في نعيم الجنة ، بل وفي الحور العين حيث أن زوجتيه من الحور يتدبرانه ويحنوان عليه كما تحنو الناقة المروض على فصيلها ، روى الامام أحمد بسنده ، عن أبي هريرة ، أنه قال : ذكر الشهيد عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى يتدبره زوجاته كأنهما ظئران أظلتا - أو أضلتا - فصيليهما ببرحاء أي أرض متسعة لا زرع فيها ولا شجر [من الأرض ، بيد كل واحدة منهما حلة خير من الدنيا وما فيها .

كل هذا الفضل الوافر استحقه المجاهد ، الذي ربح في بيعه نفسه وماله لربه ، الذي وعد بكل هذا الربح ووعدده حق ، ومن أوفى بعهده من الله .

وفجأة ألقى بن جوريون قنبلة في الحاضرين
أعادتهم من أحلامهم البعيدة وجذبهم إلى أرض
الواقع .
قال لهم بن جوريون وهو ينظر إلى الانق البعيد
بعينيه الضيقتين ويتحدث كأنه نبي من أسفار العهد
القديم .

« دعونا بواجه الحقائق ، لقد هزمتنا العرب . ولكن
هل ينسون ذلك ؟ نحن لم نتنصر لأننا أتينا بعجائب بل
لأن الجيوش العربية لم تكن بحالة جيدة ، ماذا
سيحدث لنا لو ظهر مصطفى كمال عربي . ؟

على أن القنبلة التي أقسامها بن جوريون في جو
البهجة والاحساس المتضخم بالنصر لم تلبث أن هذا
غبارها وكانت قنبلة تراب أو دخان . ولكنها في
الحقيقة كانت دعوة لمستقبل اسرائيل كله .

وقبل أن نستطرد في شرح وتحليل تجدد العقيدة
الصهيونية قاننا نشير إلى أن مصطفى كمال أتاتورك
هو الزعيم الوطني التركي الذي أنقذ تركيا من تكاثر
الطامعين الذين حاولوا الإجهاد عليها بعد أن أجهزوا
على الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى . أن
مصطفى كمال عبأ الجيوش خاض معارك عديدة
وخارج منها ظافرا ولم يسمح لأوروبا أن تتنازل من
الاناضول أو من عاصمة تركيا في الأرض الأوروبية
الاستانة أو استانبول قبل أن تنقل العاصمة إلى
مقرها الحالي في أنقرة . وظهر مصطفى كمال في
التاريخ التركي كمنقذ وفي التاريخ العالمي كبطل قومي
طرد الغزاة وأجبرهم على احترام استقلال وسيادة
تركيا .

ونعود إلى بن جوريون وجهاسته .
ان الرؤية القريبة لما حدث في تركيا لم تفعل أكثر
من أنها أجرت على لسان زعيمهم نبذة قلق . . ولكنه
لفظها ونسيها وتناسى من هم العرب ثم راح يخطط
ويناور لمزيد من الأرض العربية ينهاها . . ومزيد من
الأموال يبتزها من الألمان والأمريكان ودول العالم
كلها ، ولمزيد من اليهود يهجرهم إلى اسرائيل .
ومعنى ذلك أنه راح يضخم في البناء حتى يكون صوت
الانهيار المحتوم قظيما مدويا .
ان نصائح بن جوريون قد ساعدت في تكوين ملامح
اسرائيل ، وفي نفس الوقت ساعدت في تعميق
المشكلة .

ويسمى بن جوريون نفسه « النبي المسلح » وهو
الذي أوحى إلى بعض الكتاب والصحفيين أن يشيعوا
غفه هذه التسمية لأنها تمنحه المجد الشخصي الذي
يحلم به والذي يجمع صفتين في شخصه ، صفة الدين
وصفة المحارب ولو كان نبيا حقا لما ساهم في خلق
عديد من المشكلات لاسرائيل لان الرائد لا يكذب أهله ،
ولكننا نستطيع أن نحصى مواقف كثيرة تصرف فيها
هذا النبي المسلح بدافع مصلحته الشخصية . وهذه
سمة أصيلة في التكوين اليهودي برزت من خلال
تاريخهم سواء في علاقتهم ببعض أو مع الشعوب التي
أقاموا معها .



في

احتفال صهيوني

كان الزعماء الاسرائيليون
يلتفون حول بن جوريون وهم في
نشوة النصر يتحدثون ويحلمون
بأفاق المستقبل . كان ذلك بعد
الجولة الأولى من الصراع العربي
الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ .

استاذ ابراهيم مهباع

جلبوا اليها من يهود المشرق والمغرب أخلاقاً وأمنياتاً
دون أن يحسبوا حساباً للانتقام أصحاب الأرض
الأصليين .

فهل يرى بن جوريون أو أحد ممن كانوا معه ليلة
المأدبة الشهيرة عام ١٩٤٨ حين أبدى مخاوفه .. هل
يرون أن البطل القومي العربي قد ظهر أم لم يظهر
بعد ؟

على أنه ليس يخفى على أحد أن الأمة العربية تسير
اليوم حسب خطة عاقلة حكيمة وشجاعة .. وأن كل
فرد في هذه الأمة يمثل جانباً من جوانب البطولة
القومية العربية .

كم من الأبطال قادوا طائراتهم في حرب أكتوبر
رمضان .. كم من الأبطال حاربوا من قلاع الصلب
المتحركة .. كم من الأبطال العرب وجهاً صواريخهم
بشبات وإيمان فأسقطوا إلى الجحيم الفانقوم والسكاي
هوك والميراج وغيرها ..

كم بطل قومي أطلق مدفع الثار والخلص .. كم
منهم سهر الليالي وخطط للعبور .. كم منهم درب
الاجسام الشابة وسقاها من خبرة القتال وروح
المعركة .. وأين تقدير بن جوريون الذي لم يعمل
بمقتضاه ، من هذه الاعداد الهائلة من الأبطال في
الجبهة المصرية والجبهة السورية ؟

ألم يروا الآن أن إسرائيل لم تكن تواجه شعب
فلسطين وحده وإنما البحر العربي الكبير ؟ !!

لقد بشر بن جوريون بالعمل على انقصار عرب
فلسطين وحرمانهم من أية فرصة اقتصادية ، ولكن
إسرائيل اليوم لا تواجه الاقتصاد الفلسطيني .. أنها
تواجه الاقتصاد العربي بأسره .. أن فلسطين التي
اغتصبوها لا تمثل أرضاً فقط .. أن فلسطين تمثل
فكرة لا يمكن أن تموت إلا إذا ماتت الضمائر العربية ،
والضمائر العربية لا يمكن أن تموت والقرآن يتلى
ويضىء الصدور بالحق ، والمؤذنون ينادون من كل
مكان الله أكبر .. ودعوة محمد بن عبد الله صلى
الله عليه وسلم قائمة ، وسيرة محمد صلى الله عليه
وسلم قائمة لا يخبو نورها ولا يذبل عطرها ولا ينتهي
أريجها الفواح .. وسيرة المجاهدين من أصحاب
النبي الكريم رضوان الله وسلامه عليهم قائمة بين
ظهورنا تحبل النور الاسنى والمثل العليا الرفيعة إلى
قلوبنا ..

ولكن قصر نظر الزعامات الاسرائيلية والصهيونية
هو الذي أرداها وجعلها تتخذ من فلسطين ثورة
العنوان والاعتصاب ، ثم تتخذ من القوة عجلاً تعبده
فصرح احدى الزعامات (جولدا مائير) بأن أمريكا
الهناء الذي لا اله لنا غيره . وهي تعلم أن القوة لم
تردع العرب أو تجعلهم يركعون طلباً للصالح
والاستغفار من إسرائيل ، بل أنهم استناروا بنور
القرآن الكريم وعملوا بقوله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا

البقية ص ٢٧

وأذا كان النبي المسلح بن جوريون قد توصل إلى
حقيقة هامة كذلك ، وأن من الممكن في القريب العاجل
أن يظهر قائد عربي ينتزع الانتصارات الاسرائيلية ..
فلماذا لم يتصرف من وحى هذا الاحتمال الذي يصل
إلى درجة الحقيقة ؟

حقاً أنه عرض الصلح بعد ١٩٤٨ . ولكن أي
صلح .. أنه ليس صلح التسليم بحقوق الآخرين
ولكنه صلح « إسرائيل من النيل إلى الفرات » ..

وحقاً أنه تحدث عن السلام .. ولكنه في ذات
الوقت كان يجهز لحيلة عسكرية أو لتجريدة بشن بها
غارة على قرية آمنة . أن زعماء إسرائيل وهذا أحد
كبارهم يتصرفون دائماً بوحى من موقفهم السياسى في
الأحزاب التي ينتهون إليها والخلافات الشخصية
بينهم والتنافس على الزعامات والمناصب ، بأكثر مما
يتصرفون من وحى طبيعة المشكلة والظروف المعقدة
التي تسببوا في خلقها .

وهل نسى أن بن جوريون هو الذي تأمر مع
بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٥٦ لكى يهاجموا أرض
مصر .. وتهدت له الدولتان بتقديم غطاء جوى
بالطيران حتى يهاجم سيناء .. فأى منطق للسلام !!؟

ولئن أدت هذه الحرب إلى سقوط زعامات كبيرة في
فرنسا وانجلترا فإنها أيضاً أوضحت بشكل قاطع
مسار الصراع العربي الاسرائيلي ..

أن الاسرائيليين تجمدوا عند نظرية معينة وهي
فرض ارادتهم بالقوة على العرب .. وراحوا يطورون
هذه النظرية في وسائل تطبيقها وليس في هدفها ،
متناسين أنهم قد اختاروا لانفسهم جزيرة في بحر
عربي متلاطم . جذبهم إليها غرور العقل اليهودى من
تيودور هرتزل إلى حاييم وايزمان إلى بن جوريون
وأشكول وجولدا مائير وديان وغيرهم من زعماء
الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية . ومنذ عام
١٩٣٩ أخذ بن جوريون يعلن في صفاقة أنه لن يكون
هناك سلام وفاق في فلسطين بين العرب واليهود في
ظل الانتداب وأنه يجب إقامة دولة يهودية « لتفرض »
التعاون على العرب . أن فرض التعاون هو التعبير
الساخر البديل « للسيطرة » .

وإن فكرة الصهيانة في إسرائيل منذ البداية وقعت
في خطأ الاستهانة بالعرب ، والنظر اليهم في منظور
زمنى ضيق .. وهذا ما جعل بن جوريون يوصى بعدم
اعطاء عرب فلسطين أى فرصة في النمو الاقتصادى
حتى يكونوا باستمرار في موقف الاضعف ويمكن
القضاء عليهم وتنفيذ أهداف الصهيونية وأطماعها .

والحقيقة أن بن جوريون ليس وحده نبى إسرائيل
الكاذب ، الذى يرى الحق ويتعمى عنه لسدوافع
مختلفة .. ولكنهم كثيرون تعاونوا فيما بينهم وبدافع
من الاطماع والرغبة فى السيطرة والشهرة والاضواء
على اغفال الاخطار التي يعرضون قومهم لها ..

وكلية « قوم » نستخدمها على سبيل المجاز
والتبسيط .. لأن سكان إسرائيل لا تجمع بينهم
الروابط التي يجب أن تتوافر لقومية معينة . وأول
هذه الروابط وجود الأرض . لقد اغتصبوا الأرض ثم

بواعث الانتصار والظفر في الجهاد والقتال

الدكتور زكي مشعل

والعدوان لذا فقد وجب وتحتم مقاتلتها ومقاومتها
فحفل التاريخ الاسلامي المجيد بنماذج في التضحية
والفداء مشرقة وصور من الابطال والبطولات الرائعة
في الماضي القريب والبعيد ، ووقائع التاريخ الحق
تشهد على ذلك ، ولقد جاءت السنة المطهرة على
صاحبها افضل الصلاة والسلام بذكر المعارك
والغزوات التي بينت كيف كان المجاهدون أكثر حرصا
على الاستشهاد في سبيل نصرته الحق والعدل
والسلم ، ولقد حرص أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على أن يكون لهم شرف الجهاد في اروع
صوره وأرفع درجاته وعلى أن ينالوا شرف
الاستشهاد إذا ما حمى الوطيس واحمر الحقد ، وقد
سجل لهم التاريخ من هذه البطولات ما يبهر النفس
ويحفز الهمم على التأسي بهم والسير على سنتهم ،
فعن أنس رضى الله عنه قال : غاب عمي أنس بن
النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول
قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين
لبرين الله ما صنع ، فلما كان يوم أحد انكشف
المسلمون . فقال : اللهم انى أعتذر اليك مما صنع
هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ اليك مما صنع
هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن
معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ، ورب النضر
انى أجد ريحها دون أحد قال سعد : فما استطعت يا
رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا
وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية
بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به ، فما عرفه أحد الا

لقد شاء العلى الحكيم أن يجعل الانسان مزودا
بوسائل ومميزات دون غيره من المخلوقات ليكون لذلك
الانسان التكريم والتفضيل والتشريف وكان اسما
هذه المزايا نعمة العقل على الانسان فيه استطاع أن
يميز بين الخير والشر والحق والباطل فجاهد دائما
ليظفر بما فيه سعادته ورفقه في مختلف الحياة في
شتى الميادين سياسية كانت أو اجتماعية أو علمية أو
دينية ثم تنوع الجهاد العقلى وظهرت آثاره المختلفة
تدل على أن ذلك الانسان المجاهد جدير بذلك التشريف
والتكريم والتفضيل وصدق الحق جل شأنه « ولقد
كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »
سورة الاسراء .

ومع هذا الجهاد الرائع القوى الاثر جمع ذلك
الانسان الى هذا الجهاد الاصيل في تكوينه ضروبا
كثيرة في الجهاد اضطر اليها ليؤمن حياته ويحفظ
سعادته ويحمى الحق ويأخذ حقوقه ، فحياته سلسلة
متصلة من كفاح الى كفاح ومن نضال الى نضال ومن
دفاع الى دفاع ومن حرب الى حرب ، سنة الله في
الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . وان
أعلى وأكرم وأعظم ضروب الجهاد وأنواعه ذلك
الجهاد في سبيل نصر الحق بالحق . وانما لهذا
الجهاد عوامل وأسباب يتحتم أخذها والاستمسك بها
ليتأتى الانتصار والفلاح وقد أدرك السابقون الاولون
الذين حملوا لواء الدعوة المحمدية أن الباطل وأعداءه
لا ينبغي أن يحدد آثارهما وقوتهما الممثلة في البغى

أخوته ببنايه ، قال أنس : كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه ونفى أشباهه « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » رواه البخارى .

واعلاء لشأن هؤلاء الذين يكلمون فى سبيل الله أو يقتلون ، واعلانا عن أن دماءهم هى أركى الدماء وأظهرها عند الله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم فى سبيله - الا جاء يوم القيامة اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » رواه البخارى ومسلم .

من أجل ذلك كان المقاتلون المجاهدون هم الفائزين بالسعادة والعزة والتكريم فى الدنيا والآخرة ، وليس المجاهد القاعد كالمجاهد المقاتل يقول سبحانه « وفصل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة » من سورة النساء . ولم يكن النبى محمد صلوات الله تعالى عليه وأصحابه الكرام من المجاهدين القاعدين فكانوا هم المثل الأعلى لمن جاء بعدهم المهتدين بهداهم فاتبعوا سبيلهم ففازوا مثلما فاز من سبقهم ، ولعل فى ذكر هذه الصورة الرائعة التى وعاما التاريخ فى الماضى القريب المشرق ما يظهرنا على اقتداء المجاهدين المقاتلين اقتداء حسنا بالسلف الصالح فلقدر روى التاريخ أن الملك المظفر ملك مصر سيف الدين قطز حين جاءه النبأ بأن التتار وصلوا إلى أطراف البلاد الشامية يومئذ لم يفرغه هذا النبأ بل دعا أمراءه بكل عزيمته وثبات ، واستشارهم فى دفع هؤلاء الغاصبين الظالمين ، فأجبعوا على وجوب الخروج اليهم وملاقاتهم وقتالهم أشد ما يكون القتال . ثم حدث أن هذا الملك الطاغية هولاء وجه تهديدا وإنذارا إلى مصر ولكن القائمين على الحكم والشعب والجيش كانوا متسلحين بقوة الايمان الذى جعلهم لا يابيهون ولا يهتمون لهذا التهديد ولا يقيمون وزنا لما تقوه به هذا الملك الطاغى . فما كان جواب هذا الملك العظيم المظفر على رسالة هولاء ، الا أن أمر بالنفير العام للغزو فى سبيل الله ، وخرج بعسكره فى أواخر شهر شعبان سنة ٦٥٨ هجرية (سنة ١٢٦٠ ميلادية) فوصل إلى الريدانية ثم وصل إلى الصالحية ، ثم جد فى السير حتى أتى (عين جالوت) بكنعان وعلى هذه الأرض دارت رحى القتال بين جند الله المؤيد بالحق وبين حزب الباطل حزب الشيطان ، فانتصر جند الحق وباء حزب الباطل بالهزيمة والخسران حزب هولاء ومن معه ، فتفرق جند التتار فى مختلف الاقطار ، وحصى الله من فسادهم مصر وبلاد الشام . وبعد عرضنا لهذه النماذج المشرفة المصيبة من البطولات الحية فى الماضى القريب المجيد والبعيد بها سمح به المقام نريد أن نبين عوامل انتصاراتهم والاسباب التى تمسكوا بها ففازوا بطيب الثناء فى الدنيا والنعيم المقيم فى الآخرة .

تلكم العناصر والاسباب وضعتها العناية الالهية ونظمتها وأمرت باتخاذها فأولها قوله

تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » اذا تم هذا بين الحكوميين والحاكمين كان عليهم أن يتخذوا اسباب الانتصار العملية وقد جمعت فى آية كريمة من آخر سورة آل عمران يقول الحق عز وجل قدرته « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » تلك الاوامر المكونة لصحة الجندية وللوقوة القتالية يجب أن تكون شعارا عمليا للمجاهد المقاتل فيها يتحقق الفلاح قطعاً والمظفر على الاعداء فى الداخل وفى الخارج أن والملاحظ فى هذا المقام البين أن نداء السماء فى الآية يستلزم أن يكون المقاتل المجاهد من المؤمنين ليستأهل نصر الله له ثم يتحلى ويلتزم وينفذ ما جاء من أوامر فى هذه الآية .

فان الصبر - هو أول القوى التى يعد بها المجاهدون المقاتلون فى سبيل الله أنفسهم للحصول على أقصى درجات الخير والفلاح ، والصبر قوة ايجابية بها يكافح المؤمن عوامل الضعف والهلع ، وبها يواصل السير بخطوات واسعة قوية فى إزالة ما يعترضه من عقبات . والامر الالهى الحكيم الثانى فى الآية هو المصابرة .

والمصابرة - هى مغالبة الشدائد التى تقع بينك وبين غيرك الى أن تخر صريعا فى صفوف القتال ، ثم عليك أن تكافح الظلم والعدوان ، وأن تحارب البغى والمنكر ، وأن تحارب الجمود وتدفع الافكار الضارة .

والامر الكريم السماوى الثالث هو المراقبة والمراقبة - هى الوقوف بايمان وحزم أمام منافذ الشر ، والعمل على احكام سدما فالاعداد للحرب لا وتدريب أبناء الأمة على الجهاد ، والتسلح بالعلم النافع والخلق الفاضل كل ذلك مرابطة فى سبيل الله .

وكان الامر الرابع العظيم من رب العزة هو التقوى .

فالتقوى - هى ملاك الامر كله فيها صوت النفس عما حرم الله من قول أو عمل ونفى هذا استنزاعا لرضا الله ونصره وتوقيفه واذا تم للمجاهد المقاتل المؤمن تلك العناصر الاربعة كانت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

ولقد رأينا فى أيامنا التى نعيشها ما يبين بحق أن نصر الحق قد حاللنا وأيدنا بالمظفر على أعدائنا حين أشرق اليوم المبارك يوم العاشر من رمضان وكنا متمسكين بتقوى الله صابرين وصائمين ومرابطين جاءنا عون السماء قالهم القائد الملهم ، القائد الاعلى للقوات المسلحة بأن قد حانت الساعة ساعة الخلاص من الباطل وأعوانه البغى والعدوان فاندفع جند الحق المؤمن جند مصر منفذين أوامر القائد المؤمن فصاهم رب العزة القوى العزيز فافتتحوا ذلك الخط المنيع الذى أقامته الشياطين وكان الانتصار تلو الانتصار وتحقق وعد الله أن نصر الله عباده المؤمنين وخذل عصبة الشياطين وما ذلك الا لان الأمة العربية أضحت أمة واحدة معتصمة بحبل الله جميعا .

من أخلاق
أهل الإيمان
في

الحرب وفي السلام

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجبوري

أولوا العزم من الرسل « الاحقاف ٣٥ - حتى اذا تفاقم اذى قريش ، وتظاهروا عدوانها وبلغ حدا بعيدا أصبح يشكل خطرا حقيقيا على الداعي وعلى الدعوة جميعا : اذن للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه بالقتال دفاعا عن النفس ، وردا للعدوان ، وتأمينا للدعوة .. وذلك قوله تبارك وتعالى : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » الحج ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

وهكذا اضطر الاسلام اضطارا الى ان يجابه العدوان بمثله ، والى ان يكبح جماح الظلم بما يوثقه عند حده ، وبالاسلوب الذي يفهمه ويحترمه المعتدون الظالمون تصديقا لقول القائل :

والشر ان تلقه بالخير ضقت به

ثرا وان تلقه بالشر ينحسم

والناه ان جحدوا البرهان واعتسفوا

فالحرب اجدى على الدنيا من السلم

نستطيع ان نؤكد - دون أدنى شك أو تردد - أنه لو ترك نبي الاسلام - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يدعون الى ربهم ويبلغون رسالته : بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن : كما هو المنهج الذي أمرهم ربهم بالسير على هديه والاستقامة على دربه : في قوله سبحانه « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .. دون أن يتعرض له أو لأصحابه أحد بأذى ، أو ينالهم منه عدوان - لظل الاسلام والسلام كلمتان تترادفان على معنى واحد الى يوم القيامة .. ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وما كل ما يشتهي يكون ، وما كل ما يرسم للدعوات من طريق تستطيع أن تسلكه دون عقبات أو عثرات ، أو عوائق أو سدود : فقد اقتضت حكمة الله تعالى دائما : أن تجيء الرياح بما لا تشتهي السفن .. اختبارا وابتلاء ، وامتحانا وتمحيصا لما في القلوب من ايمان ، وما وقر فيها من يقين .. « أم حسبكم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » آل عمران .

لقد مكث الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمكة ثلاث عشرة سنة : يدعو الناس الى ربهم بالحكمة ، والموعظة الحسنة اذاقته قريش فيها هو والمسلمون من أصحابه : كل صنوف الاذى وجييع ألوان العدوان ، فلم يكن منه الا ان صبر على أذاهم هو ومن معه استجابة لأمر ربه سبحانه في قوله « فاصبر كما صبر عيسى »

□ ٣٠ □

لكن الإسلام حين اضطر اضطرارا الى مجابهة العدوان بمثله فانما جعل ذلك ضرورة تتقدر بقدرها ، دون مبالغة في الرد ، أو تجاوز للحد ، مهما كانت العواطف والانفعالات ، ومهما كانت الدوافع والاسباب فما دام الشر قد انحسم ، وما دام العدو قد ارتدع ، وما دام الظلم قد كبح جماحه فقد استنفذ القتال أهدافه ، وانتهت الضرورة الى غايتها والى حددها الذي يجب أن تقف عنده وتلتزم بشرطه .. وبذلك يعود الاسلام الى طريقه الاول في السلم والمسالمة ان جنح العدو اليه ، وأعلن رضوخه لصوته .

غير ان من الجوانب الباهرة المضبوطة في الاسلام ما بقيت على الارض حياة : ما رسمه الاسلام من أخلاق لأهل الايمان بشريعته في الحرب وفي السلم .. وما بينه لهم من سلوك يجب أن يلتزموا به ولا يجيدوا عنه لانه وثيق الصلة بايمانهم ان لم يكن في ذاته بمثابة المرأة التي تعكس ما ورد في قلوبهم واستقر في ضمائرهم من يقين ، واسلام لله رب العالمين ..

من ذلك : هذا المبدأ التشريعي في الحرب ، الذي تظاهرت على اقراره وتبيناته النصوص من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة : وهو - المبدأ الذي يقضى بتحريم قتال غير المحاربين أو التعرض لهم بشيء من الاذى أو الضرر ، والذي أشار اليه الحق تبارك وتعالى في قوله « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

والذي أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم حين خرجوا في غزوة « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة : ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » .

فلقد أكدت - الآية الكريمة : أن (القتال في الاسلام انما هو في مقابلة القتال) دون تجاوز لذلك أو تخط لحدوده .. كما أكدت الآية الكريمة ، والحديث النبوي الشريف : أن الاسلام في حالة الحرب : يحرم على أتباعه المتلتزمين بشريعته المستقيمين على هديه : قتل من لم يحارب من الناس ، أو الحاق أي ضرر به ، أو اصابته بشيء من الاذى : فالاسلام لا يجيز : قتل المرأة ، ولا قتل الصبي والضعيف والشيخ ، ولا يجيز قتل المجزة ولا قتل من انقطعوا للعبادة أو العلم ، كما أن الاسلام : لا يجيز قتل المدنيين من أولئك الذين لم يشتركوا في القتال من تجار وزراع ، وعمال وصناع ، بل يعتبر ذلك ان حدث : ضربا من العدوان والظلم الذي يورث أصحابه غضب الله وبقته وبغضه وكراهيته ..

أما اذا اشترك أحد هؤلاء في القتال فانه يقتل لزوال السبب الذي من أجله حرم الاسلام قتله حتى أن الشيخ الهرم اذا كان في زمرة المقاتلين وفي صفوفهم يقاتل معهم ، أو يحرضهم ، أو كان ذا رأى ومكيدة يشير بها على الجيش المعتدى : فانه حينئذ يقتل كذلك لزوال السبب الذي من أجله حرم الاسلام على أتباعه قتله رعاية لضعفه وعجزه ، وعدم قدرته على القتال . ولذلك لم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من قتل (دريد بن الصمة) الذي كان في جيش (هوازن) للرأى والمشورة والمكيدة فقط ، وكان عمره يربو على مائة وعشرين سنة . وكذلك المرأة : حرم الاسلام على أتباعه قتلها ، الا في حالة واحدة : هي ما اذا جندت ، أو انتظمت في صفوف المقاتلين ، أو باشرت القتال ، أو قصدت اليه « فلقد روى أبو داود في المراسيل عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة مقتولة يوم حنين ، فقال صلى الله عليه وسلم : من قتل هذه ؟ فقال رجل أنا يا رسول الله .. غنمتها فأردفها خلفي .. فلما رأت الهزيمة قينا أموت الى قائم سيفي لتقتلني فقتلتها ، فلم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم » .

أما فيما عدا هاتين الحالتين : فان شريعة الحرب في الاسلام : تحرم تحريما قاطعا أي ضرر بأي انسان بعيد عن جبهات القتال ، لا يمارس القتال ، ولا يندرج تحت راية المحاربين ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مناسبة من أشد الناس حرصا على تأكيد هذا النمط من الخلق السامي ، والمسلك العالي الذي يليق بالاسلام وأهله في أي حرب يخوضها الاسلام وأهله اضطرارا ، ويلجأون اليها بعد طول صبر ، وبعد استنفاد كل وسائل المسالمة والمودعة ..

لقد كانت أوامره صلى الله عليه وسلم للجيش المسلمة واضحة صريحة يفوح منها عطر الاسلام وتبرز من خلالها أخلاق الايمان ..

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيوشه قال : اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله : ولا تغدروا ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الولدان ، ولا أصحاب الصنائع » .

وكان صلى الله عليه وسلم حريصا أشد الحرص على أن يذكر أصحابه وهم بسبيل قتال عدوهم بوجوب ان يتجنبوا قتل الضعيفين : النساء والولدان . فعن ابن كعب بن مالك عن عمه : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الى ابن أبي الحقيق بخيبر : نهى عن قتل النساء والصبيان » .

وروى الجماعة الا النسائي عن عمر رضي الله عنه قال « وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي

صلى الله عليه وسلم فنهى عن « قتل النسساء والصبيان » وانكر النبي على من فعل ذلك وقال مستاء « ما كانت هذه لتقاتل ! » ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه نهيا قاطعا عن أن يقتلوا الاطفال فى الحرب مهما كانت العلل والاسباب فقد روى الامام أحمد فى مسنده عن الاسود بن سريع قال : لا تقتلوا الذرية فى الحرب فقالوا يا رسول الله أو ليس هم أولاد المشركين ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أو ليس خياركم من أولاد المشركين ؟

ومن أخلاق الايمان التى يجب أن يلتزمها المحاربون من المسلمين : تجنب المثلة بجثث القتلى من الاعداء الا ان دعت الى ذلك ضرورة كمعاملة العدو بالمثل ، وعقابة بمثل ما اعتدى به ، حتى يرتدع ويرعوى ، ومع ذلك فقد حبيب الاسلام الى أتباعه ضبط النفس ، وكظم الغيظ ، وكبح جماح العواطف والانفعالات ، والقيام بجانب الصبر ، والاستعانة على ذلك كله بالله رب العالمين . . يدل ن ذلك ما روى « من أن المشركين فى غزوة أحد لما مثلوا بجثثان سيد الشهداء وأسد الله ورسوله (حمزة بن عبد المطلب) وغيره من الشهداء رضى الله عنهم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لئن أظفرننى الله بهم لأمتلن بضعفى ما مثلوا بنا » فأنزل الله تعالى قوله : « وأن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر

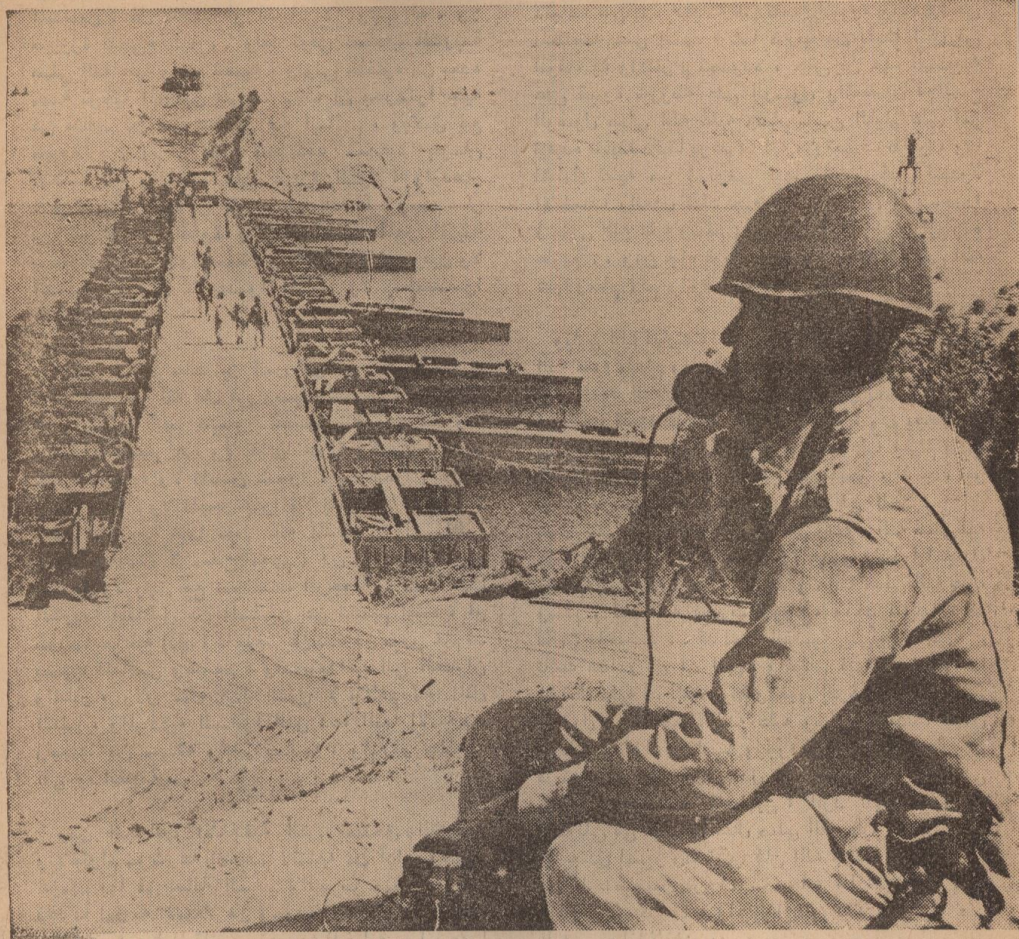
وما صبرك الا بالله » فقال عليه الصلاة والسلام : « بل نصيب » . ومن يومها وأصبح النهى عن المثلة بالقتلى منهجا تربويا نبويا يربى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه ، ويذكرهم به : كلما اتاحت له الفرصة . . فلقد روى أبو داود والنسائى عن عمران بن حصين قال : « ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة » .

وحرم الاسلام على أتباعه من المقاتلين : تحريق أحد بالنار حيا كان أو ميتا فلقد أخرج البخارى وأحمد وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث (فى جيش) فقال : ان وجدتم فلانا وفلانا (لرجلين) فأحرقوهما فى النار ثم قال حين اردنا الخروج « انى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وان النار لا يعذب بها الا الله . . فان وجدتموهما فاقتلوهما » أى دون حاجة الى التحريق والتعذيب بالنار . . وورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « لا تعذبوا عباد الله » .

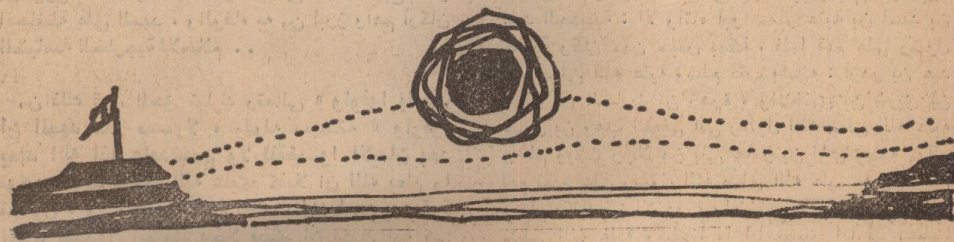
ومما يبهز الناظر فى الاسلام كدعاية من دعائم الحضارة التى تسود هذا الكون : تحريمه على المقاتلين من أتباعه قطع الشجر ، وهدم المنازل ، وتدمير المنشآت ، وإفساد الزروع واحراق الدور



أحد حصون خط باليف التى زعم المدو أنها لا تقهر . . بعد استيلاء الجيش المصرى عليها .



مستظل قصة عبور قوارنا المسلحة لقناة السويس حديث القادة والمسكرين في جميع أنحاء العالم... والصورة
تطل إحدى خطوات العبور



والامتنعة وتسميم المياه ، وتحريمه على المقاتلين المسلمين : كل ائتلاف أو افساد لا موجب له ، ولا ضرورة تلجئ اليه . . ولقد تولى صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وتولى خلفاؤه من بعده مهمة توجيه المقاتلين الى ما يجب أن يحرموا عليه في قتالهم من سلوك يتفق مع ايمانهم ، ويتسق مع طبيعة دعوتهم : التي تستهدف تدعيم بنيان الحضارة ، والحفاظ على عمارة الكون ، وازدهار الحياة . فلقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سار مع الجيش في غزوة (مؤتة) حتى ظاهر المدينة يوصيهم أن لا يقتلوا النساء والأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ، وأن لا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار . .

وروى الامام مالك بن انس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في وصيته للجيش : ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، ولا يقتلوا امرأة ولا صبيا ، ولا كبيرا هرما ، ولا تقطن شجرا ، ولا تخربن عامرا وفي رواية « ولا تذبحن بقرا ولا بعيرا الا للاكل » . ونهت الشريعة فيما نهت عنه المقاتلين : أن يقتلوا العزل (الذين لا سلاح معهم) لأن ذلك عمل تأباه المروءة ولا يتفق مع سمات الرجولة . كما نهت الشريعة المقاتلين من المسلمين عن تسميم المياه ، أو تلويثها بما فيه اذى : لما ينجم عن ذلك من ضرر عام قد يصيب المقاتلين وغيرهم ، وقد يتعداهم الى الحيوان والطير ، ولأن مثل هذا العمل لا يتلاءم مع المثل العليا ، والمبادئ السامية التي دعا اليها الاسلام ، وجعلها من سماته وأبرز تعاليمه ، وأسرار جاذبيته الى يوم القيامة . .

ومن الجوانب الاخلاقية التي تستحق التقدير والاحترام ما شرعه الاسلام لاتباعه من آداب وحدود ألزمهم بها في حالة السلام والحرب جميعا . . من ذلك ما أمر به الاسلام من وجوب المحافظة على العهد والوفاء بشروط الميثاق ، وتحريمه للخيانة سرا وجهرا تحريما مطلقا لا يس فيه ولا غموض . . ولقد جاءت الايات الكريمة في ذلك متعددة ومحكمة ، لا تدع مجالا لنقض العهد بالخيانة فيه وقت القوة ، وعده قصاصة من ورق عند ارادة الغدر ، حتى لقد أصبح أمر المحافظة على العهد ، والوفاء به من أبرز وأهم أركان السياسة الخارجية للاسلام . .

من ذلك قول الحق تبارك وتعالى « وأوفوا بالعهد أن العهد كان مسئولا » وقوله سبحانه « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون » ولا تكونوا كالتى نقضت عزمها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أرى من أمة أنها يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » .

□ ٢٤ □

ولقد أعطى الرسول - صلى الله عليه وسلم - لاتباعه الى يوم القيامة من نفسه القدوة والاسوة في المحافظة على العهد ، كما ضرب من نفسه المثل في الوفاء به والالتزام بحدوده . حتى أن عهد الحديبية على قسوة شروطه على الرسول والمسلمين لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم - من القيام على أمر تنفيذه تنفيذا دقيقا يرغم ما فيه من تسف واهوار ، وما اشتمل عليه من نصوص فيها تجاوز كبير لحدود الانصاف والعدل فلقد جاء فيه « انه من أتى محمدا (صلى الله عليه وسلم) من قريش بغير إذن وليه رده عليهم . . ومن جاء قريشا من جع محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يردوه عليه » . .

ويأبى الله تبارك وتعالى : الا أن يذوق النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه مرارة ما اشتمل عليه هذا العهد الجائر من تسف وتجاوز لحد الانصاف (وكتاب العهد لا تزال تسطر كلماته : ولم يحف بعد بداده) فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب كتاب عهد الحديبية هو وسهيل بن عمرو ، اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد [أى يمشى مشى المقيد] وقد انقلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما رأى سهيل بن عمرو ولده أبا جندل جاء مسلما وفارا بدينه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قام اليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبينه ، ثم قال : يا محمد . . قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا (أى أن العهد والميثاق فيما بيننا بكل ما اشتمل عليه قد انعقد وتم وانتهى أمره واصبح سارى المفعول) قال صلى الله عليه وسلم : صدقت فجعل سهيل ينتر ولده بتلبينه ويجره جرا قبيحا ليرده الى قريش ، وجعل أبو جندل بن سهيل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين : أزد الى المشركين يقتلوننى في ديني ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، أنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطينا على ذلك وأعطينا عهد الله . . وأنا لا نغدر بهم » .

ثم كان امتحان آخر من نفس ما سبق أن امتحن به المسلمون من قبل ومعهم نبينهم صلى الله عليه وسلم : فما أن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بعد عهد الحديبية : الا وآتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بشأنه : أزه بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة ، والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم وبعث رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم وسلم بكتابه : الازهر ، والاخنس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، لا يصح لنا فى ديننا الغدر ، ان الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين

فرجا ومخرجا ، فانطلق الى قومك قال : يا رسول الله اتردني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير اطلق ، فان الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما » (روى القصة ابن اسحق) .

من هذه النصوص يتأكد أن الوفاء بالعهد ليس من أخلاق الايمان فحسب ولكنه من فرائض الاسلام المحكمة الى يوم القيامة التي لا يجوز (تحت وطأة أية ظروف التحلل من قيودها ، أو التوصل من تبعاتها . على أن من شرط وجوب محافظة المسلمين على العهد والوفاء به بالضرورة محافظة العدو المعاهد بدوره على العهد الذي تم عقده معه ، بكل ما اشتمل عليه العهد من نص القول وفجواه ، فاذا نقص العدو شيئا من شروط العهد ، أو أدخل بغرض ما من أغراضه : عد ناقضا للعهد .. لان الله تعالى يقول « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » .

كما أنه اذا خيف من العدو المعاهد أن يخون في عهده ، وظهرت آية ذلك في قوله أو عمله : فان على من يتولون الامر في الامة : أن ينبذوا اليه عهده على طريق عادل وصريح لا خفاء فيه ولا غموض . عملا بقوله سبحانه وتعالى « وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

وقد سبق الاسلام بهذا المبدأ الخلقى العظيم المتعلق بأمر الحرب ووجوب اعلانها مع ذكر أسبابها كافة القوانين الوضعية التي غنيت بأمر قواعد الحرب ومنها ما تم اقراره في مؤتمر (لاهاي) بهذا الشأن والمنعقد سنة سبع وتسعمائة والف ، والذي أوجب أن لا تبدأ الحرب إلا بعد اخطار مسبب سابق لا لبس فيه . اما اذا انقض العدو المعاهد عهده ، وخان قضية الوفاء به ، فليس هناك حاجة الى نبذ العهد اليه أو اعلان الحرب عليه . بل انه يناجز الحرب دون ابطاء ، ان توافرت امكانياتها وأسبابها واكتملت عدتها وعددها . وذلك اقتداء بفعل الرسول صلى الله

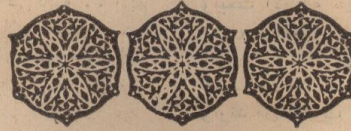
عليه وسلم وتأسيا به حين نقضت قريش من جانبها عهد الحديبية الجائر الذي تم بينه وبينهم (بظاهرة بكر على خراعة التي كانت حليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قتلوا منها أكثر من عشرين رجلا غدرا) فلم يكن منه صلى الله عليه وسلم : الا أن ناجزهم دون ابطاء بأن جهز جيشه العظيم لفتح مكة .

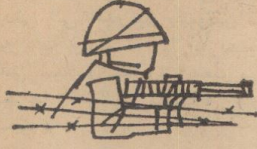
وهكذا أكد الاسلام في تاريخه العظيم : وجوب المحافظة على العهود وتنفيذها وبين عمليا أن من نكث فانما ينكث على نفسه ، كما شدد في النهي عن الغدر والخيانة ، وبين أن الغادر هو من شرار الخلق يوم القيامة ، له لواء يعرف بأنه غادر ، فضيحة له وتشهيرا به على رؤوس الاشهاد يوم يقوم الناس لرب العالمين ..

فعن ابن عمر رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان « رواه الاربعة . وفي رواية : « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به ، يقال : هذه غدرة فلان » .

وروى الامام البيهقي في شعب الايمان عن مجنون ابن مهران قال : « ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء : من عاهدته فوف بعهده مسلما كان أو كافرا فانما العهد لله ، ومن كانت بينك وبينه رخص فصلها مسلما كان أو كافرا ومن ائتمت على أمانة قادها اليه مسلما كان أو كافرا » .

وبعد : فان هذه الاخلاق والاداب العسالية والاحكام والمبادئ السامية ، التي سبق الاسلام بها ولم يسبق اليها ، والتي شرعها وحددها الحق تبارك وتعالى لعباده في الحرب وفي السلام قبل القتال ، وفي أثنائه ، وبعد انتهائه انما تستهدف الرغبة في تخفيف القتال وآثاره بما اشتملت عليه من نهى عن العدوان ، وتجاوز للحد في القتال ، وقرار لقواعد العدل ومبادئ الحق كما انها تستهدف الحفاظ على الصورة المثالية للمسلمين وتأكيد : أنهم في حريهم خير محاربين ، وفي سلمهم خير مسالمين .





مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ



فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

ذلك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه عليك
لم يقدرُوا على ذلك جفت الأقلام وطويت الصحف» .

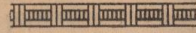
والناظر المدقق لاي الذكر الحكيم يجد ان الله جلّت
قدرته قد أبان وكشف عن ابتلاء الناس بالشدائد
وامتحانهم بالخطوب وتعرضهم للمحن والمصائب أمر
لا محيص عنه ولا مفر منه وذلك حتى تخضع نفوسهم
لها حين تنزل بهم ولا تذهلهم المفاجآت فيذلوا لها ولا
يضرعوا لوقوعها : « ولنبلوكنم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ولاشك ان الاسلام
يحمد لهؤلاء رباطة جاشهم وحسن يقينهم وجميل
صبرهم وقوة رجائهم في خالقهم وذلك سر قوله صلى
الله عليه وسلم : « اذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن
رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » والله
سيحانه من وراء كل ذلك محيط والنتيجة لهذا هو
الركون الى الله وترك الاستسلام للخطوب يثر الصبر
ويفتح الحيلة ويوسع آفاق الفكر ويشحذ العزيمة
ويبعث الارادة من مرقدها ويعبر بالانسان في طريق
الامل والنجاة ويباعد بينه وبين الارتطام بصخرة
اليأس ، والجزع والقنوط ويحدثنا التاريخ الصادق أن
خليفة رسول الله رضى الله عنه حين ولى الخلافة
وارتد من العرب عن دين الله من ارتد ومنع الزكاة من
منع عزم الصديق على قتالهم واعتمد على ربه في
محاربتهم وكان رأى عمر غير هذا لما يخشاه من
هزيمة المسلمين وتعرضهم للفتن والدسائس فصباح فيه
أبو بكر رضى الله عنه : « ثكلتك أمك يابن الخطاب

شيطان لا بد منهما ولا مندوحة عنهما لمن أراد أن
يحيا حياة طيبة ويعيش عيشة كريمة بعيدة عن اليأس
والقنوط والجزع والاستكانة بل أن الصبر والرجاء
عدة اليوم والغد وذخيرة الحاضر والمستقبل يتحمل
المراء في ظلهما المصائب الفادحة فلا يذل ويقلقى
الضربات المتخمة فلا يضعف .. وما ذاك الا انه مؤمن
له من روعة الايمان في نفسه وقوة اليقين في قلبه ما
يجعله محصنا من نواحيه كلها مرتفعا فوق الاحداث
والفتن شديد الثقة بالله قوى التوكل عليه فان من أحب
أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله بهذا نطق سيد
الخلق محمد صلى الله عليه وسلم

وإذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وماذا عسى يفعل الناس جميعا لو اجتمعوا على
قلب رجل واحد لامرئ اعتن بإيمانه وتوكل على الله
ولم يتوكل في صلته بربه واستقامته في دينه .. انهم
لو تألبوا عليه جميعا ما نالوا منه قليلا ولا كثيرا ، عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام :

« احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف
الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سألت فاسأل
الله واذا استعنت فاستعن بالله فان العباد لو اجتمعوا
على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدرُوا على



تعليمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون « صدق الله العظيم .

ان قوة مصر ذابت في قوة سوريا في قوة السعودية في قوة الجزائر والمغرب والكويت واليمن والخليج وغير ذلك من الارض العربية . ان اقتصاد مصر قد اختلط باقتصاد أخواتها وشقيقاتها ..

ان البطل القومي العربي الجديد مسلح بأحدث الاسلحة .. وامضاهما .. ومع ذلك فهذا السلاح نفسه هو اقدم الاسلحة .. انه سلاح الوحدة .. السلاح الذي خشيت منه اسرائيل دائما .. وتراءى لها على البعد ، ولكنها أغفلته ولم تعطه حقه في حساباتها للحاضر والمستقبل . بل ان سلاح الوحدة العربية يفوق مثيله في اية امة أخرى ، لانها الوحدة التي تقول بكل كيائها لا اله الا الله محمد رسول الله .. انها وحدة الايمان والاسلام .. شعارها « النصر » وطريق النصر الشهادة .. والشهادة طريق العزة في الدنيا والجنة في الآخرة ..

ان بن جوريون يكتب في مذكراته بعنوان « زعيم في تكرياته » ويؤكد أنه غارق في الخطأ والوهم الى رأسه .. اذ يرى أن الامل الوحيد في المستقبل هو في ظهور قائد عربي جديد شجاع يرى المصلحة العربية في الصلح مع اسرائيل والتسليم بتفوقها . ويرى أن باستطاعة اسرائيل مساعدة العرب بالخبرة الفنية والعلمية كما انها تستطيع تصدير البضائع المصنعة للعرب بينما تأخذ المنتجات العربية الزراعية ..

وحقا لقد ظهر الزعيم الشجاع .. الممثل في روح الامة العربية .. ولكنه لم يذهب الى ما ذهب اليه حكيم اسرائيل ولكنه رفع السلاح في وجه اسرائيل ونزع جلدها واسال دمها جزاء وفاقا .. أما التسليم بتفوق اسرائيل .. فواضح أن نظرة بن جوريون والهنود الحمر .. وحتى استخدام هذا الاسلوب الدعائي ، يمكن رصده كمظهر من مظاهر مجافاة الواقع تنقسم به عقلية اليهود الصهيونية وكذلك كمظهر لمعاداة الشعوب والحق من تقديرها وتفخيم شعب الله المختار وقصر الصفات الممتازة والقدرات المتقدمة عليه فقط .

ان تلميذ بن جوريون المخلص موسى ديان قد ناء بالبراث الملعون الذي تركه له مدرسه وأبوه الروحي .. فراح يعلن بذات العقلية التي لا ترى الا ما تحب « ان الحرب ليست لعبة العرب » فاذا بالعرب يثبتون أن العقل والمنطق والحكمة والادراك السليم لا تجتمع كلها أو بعضها لهذه العقلية اليهودية المتعصبة . ولهذا فانها تحكم على نفسها .. فهي الجاني وهي أيضا الجلاذ .



اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم حتى يؤدوه الى « بل قاله في نهجة الواثق بربه المتوكل عليه المظمن الى انجاز وعده : لاقتلهم بسيفي هذا وان لم يخرج معي احد من المسلمين » وهو يشير الى ما وعد الله به المسلمين من التمكين لهم في الارض في قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » . افرايت الى مبلغ قوة الصديق وكيف ان هذا المؤمن الذي نحت جسمه العبادة قد غدا عملاقا حين أحس بالوهن يوشك أن يقترب من نفوس المسيهين وأحس بالانتفاص في فرائضه واحكامه وتعال نظره اليه حينما انتقل محمد صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه وقد طارت نفوس المؤمنين شعاعا وهو ثابت كالطود راسخ كالجبل يحطب الصحابة بكلمات قصيرة يذكرهم فيها بسنة الله في خلقه ويقرأ قول الله تعالى : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . فاذا هو قد أيقظهم من غفلتهم وأعادهم الى صوابهم فوضع الحق وانبلج صبح اليقين ..

هذا وبالله التوفيق

وقفه مع الإمام الأفغانى

ع
الوحدة
الإسلامية

وهنا لابد من كلمة عن وحدة المسلمين ..

فقد جاء الإسلام ليوحد بين شعوبه ويدعو الى السلام وهذه حقيقة لا جدال فيها ..

ومن أجل الوحدة الاسلامية نزلت آيات كريمة تدعو بالامر بعدم التفرقة [واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ..] .

وآيات كثيرة تندد بمن يعمل على التفرقة بين المسلمين .. حتى ولو كان بإقامة مسجد لهم وذلك لان [ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربيكم مُعَبدون] وفى سبيل تحقيق هذا الهدف .. وضع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا قواعد ، وأسبابه ، ونهى عن الخروج عليه ..

فيقول عليه السلام « المسلمون كالجسد الواحد .. » .

ولهذا لا يجب أن يتفرقوا .. حتى [لا تفشلوا ..] [وتذهب ربحكم] ولكى تكون [عباد الله اخوانا] وبعد الوحدة .. فلا انفصام لها .. والا كما يعلمنا سيدنا رسول الله [من خرج على أمتي يضرب برما وفاجرهما ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذي عهد عهده فليس منى ولست منه ..] .

ومن هنا .. كان على خصوم الإسلام أن يضربوا وحدة المسلمين .. وفى أشكال مختلفة .. ككيفية نظام الحكم داخل الدولة الواحدة .. وارتباط الدول الاسلامية بعضها ببعض بعد أن تحولت الولايات الى دول مستقلة .. وانتهى بها الامر بعوامل صليبية بحثة الى الحروب بعضها البعض .. بل والعودة الى لغات محلية كانت قد بعثت عنها الى لغة القرآن الكريم ..

وقد حاول العديد من كبار الدعاة سد هذه الثغرات وعبر تاريخ الامة الاسلامية للوصول الى إبراز قوة المسلمين باتباع قول الحق وتعاليم سيد الخلق .. وحددوا معالم للوحدة الاسلامية وأشكال مختلفة لنظم

حرب رمضان .. وحدت بين شعوب العالم المسلمين .. هذه حقيقة .. ومن أجل ذلك ظهرت دعوات الى وحدة الصف الاسلامى .. والحفاظ عليه .. واستمراره .. فمعدت وتعقد اجتماعات ومؤتمرات على المستويات المختلفة لعالم المسلمين لهذا الغرض .

الأستاذ صلاح عزام

تجمع بين سيادة الدولة الواحدة ووحدة الأمة الواحدة ..

ومن هؤلاء الاعلام الامام جمال الدين الافغانى .. الذى وجه الى الأمة الاسلامية ومنذ قرابة تسعين عاما رسالتين واحدة بعنوان الوحدة الاسلامية والاخرى بعنوان الوحدة والسيادة ..

ونحن هنا نعيد نشر رسالة الوحدة والسيادة وفى منبر الاسلام بالذات لاسباب ثلاثة :

١ - أن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية هو أول هيئة فى مصر تخلد ذكرى الامام الافغانى بالاحتفال بذكره ونشر بعض الكتب عنه .. والمبني واحدة من أعمال المجلس الاعلى الجيدة .

٢ - أن العالم اليوم .. يشهد حركة تدعو الى وحدة الصف الاسلامي .. وما أوج مفكره الى أن تكون امامهم وثائق هذه الدعوة ولا أظن أن رسالة الامام الافغانى يمكن أن تحتل غير المكان الاول من هذه الوثائق .

٣ - أن الحكومة المصرية قررت البحث عن التراث الاسلامي واعادة إصداره .. وهذه من المهام التى قام بها المجلس خير قيام .. ورسالة الوحدة والسيادة للافغانى واحدة من أعظم التراث الحديث .

يقول جمال الدين الافغانى مصدرا رسالته بالحديث الشريف [المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا] .

امران خطيران تحمل عليهما تارة ويهدى اليهما الدين تارة أخرى وقد تفيدهما التربية وممارسة الآداب ، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه ، بل ويستلزمه وبهما عز الأسم وعظمتها ورفعتها واعتلاؤهما وهما الميل الى وحدة تجمع ، والكلف بسيادة لا توضع .

وإذا أراد الله بشعب أن يوجد ويبقى أبدا - يشبث ويقيم - الى أجل مسمى أودع فى ضمائمه - أصوله - هذين الوصفين الجليلين فأنشأه خلقا سويا ثم استبقى له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين الى منتهى أجله كل أمة لا تمد ساعدها لمغالبة سواها لتتال منها بالقلب ما تنمو به ويشد به بناؤها فلا بد يوما أن تقضم وتهضم وتضمحل ويمحى أثرها مسن بسط الأرض . أن التغلب فى الأمم كالتغذى فى الحياة الشخصية فإذا أهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو ثم ارتدت الى الذبول والنحول ثم أفضت الى الموت والهلاك وليس من الممكن لأمة أن تحفظ قوامها وتمول على من يليها لتحتل منه ما يكون مادة لنمائها الا أن تكون متفكة فى تحصيل ما تحتاج اليه هيئتها اذا أحسست من أمة ميلا الى الوحدة بنشرها بما اعد الله لها فى مكنون غيبه من السيادة العليا والسلطة على متفرقة الأمم .

إذا تصفحنا تاريخ كل جنس واستقرينا أحوال الشعوب فى وجودها وفنائها وجدنا هذه سنة الله فى الجمعيات البشرية حفظها من الوجود على قدر خطها

من الوحدة ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها فى القلب وما انحط شأن قوم وما هبطوا عن مكانتهم الا عند لهوهم بما فى ايديهم وقناعتهم بما تسنى لهم ووقوفهم على أبواب دنياهم ينظرون طارقهم بالسوء وما أهلك الله قبلا الا بعد ما رزقوا بالافتراق وابتلوا بالشقاق فأورثهم ذلا طويلا وعذابا وببلا ثم قنساء سرمديا .

الوفاق تواصل وتقارب يحدثه احساس كل فرد من افراد الأمة بهنافعها ومضارها وشعور جميع الاحاد فى جميع الطبقات بما تكسبه من مجد وسلطان فيلذ بهم كما يلذ أشهى مرغوب لديهم وبها تفقده من ذلك فيأملون كما يأملون لأعظم رزء يصابون به .

وهذا الاحساس هو ما يبعث كل واحد على التفكير فى احوال امته فيجعل جزءا من زمنه للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسؤدد وما يدفع عنها طوارق الشر والغيبة ولا يكون همه بالفكر فى هذا أقل من همه بالنظر فى احواله الخاصة ثم لا يكون نظرا عميقا حائرا بين جدران المخيلة دائرا على أطراف السنة بل يكون استبصارا تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر على استكمالها بما يمكن من السعة وتحتمله القدرة على نحو ما يكون فى استحصال مواد المعيشة بلا فرق بل تجد الانفس ان شأن الأمة فى المكان الاول من النظر والدرجة الاولى من الاعتبار ..

ثم يقول الامام الافغانى [وفى امره الصريح ايجاب التعاون على البر والتقوى ولا بر أحق بالتعاون عليه من تعزيز كلمة الحق وإعلاء منار الأمة وأخبر الصادق صلى الله عليه وسلم : « أن يد الله مع الجماعة » وكفى بالقدرة الإلهية عونا اذا صح الاجتماع وصدقت اللفة وقد بلغت مكانة الاتفاق فى الشريعة الاسلامية اسمى درجة فى الرعاية الدينية حتى جعل اجماع الأمة واتفاقها على امر من الامور كاشفا عن حكم الله وما فى علمه وأوجب الشرع الاخذ به على عموم المسلمين وعد جوده موقفا من الدين وانسلاخا عن الايمان] .

ثم يقول الافغانى (وإما السعى لإعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا نجد آية من آيات القرآن الشريف الا وهى داعية اليه جاهرة بمطالبة المسلمين بالجهد فيه حاضرة عليهم ان يناوئوا فى أداء المفروض منه ..) .

ويختتم الافغانى كلامه بقوله [ان المخلصين فى ايمانهم الواثقين بوعده الله من نصر الى نصر من نصر الله الثابت فى قوله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » لا يتخلفون عن بذل أموالهم وبيع أرواحهم والحق دأع ، والله حاكم والضرورة قاضية فأتين المخر ؟] .

وما أروع ما ذكره الافغانى .. مهما كان طويلا .. والحمد لله .. الذى تشهد نوره فى قلوب المؤمنين .. فيوجدون الصوف .. ويمبرون السدود .. نحو نصر الله .. وأرض الله .

الحرب حريان !

فخى تايخه الأسم واليوم



أن الحرب فى واقعه حريان .. فحرب سمته
العدوان وهدفه التخريب ، وآخر صفته التحرير
وهدفه السلام .. تلك هى الحقيقة التى سطرته يد
الزمن فى سفر التاريخ منذ بدأت هذه اليد تجرى
بتسجيلها ما قد مر على وادى النيل من أحداث ومن
عهود حتى هذا العهد الذى نعيش فيه ونعيش ما
يجرى فيه من أحداث .. فاما الاول فقد عرفته مصر
القديمة فى حملات الهكسوس والميتانيين والحيثيين
وتعرفه مصر الحديثة اليوم بإسرائيل ، وأما الآخر فقد
عرفه الوادى فى عهد «أحمس !» و«تحتمس !»
و«رمسيس» ويعرفه اليوم فى عهد «السادات» .

منذ عهد موغل فى القدم أدرك الوادى أن الخطر
يحدث به ويكل رفاع الشرق الأدنى إذا ما تمكن هذا
الخطر من أن يجثو فى أرض فلسطين وأن سلامه وإن
كان مرتبطا بقدرته على صيانة معابر الشرق فى
سيناء والبحر الأحمر ، وهى أبوابه التى تفتح على
الشرق الأدنى القديم ، إلا أن سلامه هذا كان يعنى
سلاما فى المنطقة بأسرها ! . فليس هو بسلام لمصر
فحسب ولا هو بسلام لسوريا وفلسطين فحسب وإنما
هو السلام لكل شعوب الشرق الأدنى .. ومع هذا
السلام كانت الحضارة المصرية أبدا فى ازدهار تعطى
للعالم ما إليه العالم فى حاجة !

الاستاذة

ابكار السقاف

من تاريخ مصر القديمة تدلف الينا هذه الحقيقة
عبر أحداث ثلاثة :

أولا - حملات الهكسوس

لا جدال في أن دخول الهكسوس الى مصر كان نازله المت بالوادي في عهد دولته الوسيطة ! فلقد اقتحم العدو أرض الوادي وأقام حامياته العسكرية من حول حصون منف ، بل وتوغل في قلب الوادي حتى طيبة حيث نشر الحرائق والخرائب في أرجائها . واذن ، فحملات الهكسوس كانت حرب عدوان وتخريب ! . وأما عندما هب الوادي مدافعا عن حماه وتحت قيادة « أحمس » شن على الهكسوس حربا تهيأت له القدرة على تحرير البلاد رفرف السلام على الوادي وعلى كل مناطق الشرق الأدنى وأثرت خلاله حضارة الدولة الحديثة أزهى عصورها . واذن ، فالحرب التي قام بها « أحمس » كانت حرب تحرير وسلام ! .

ثانيا - جحافل ميتاني

لقد مرت السنون وبعد عهد « أحمس » جاءت عهود ، ومرة أخرى جاء الخطر يتهدد الوادي زاحفا بقبائل الرعاة الجبليين التي كانت تقطن هضبة الاناضول وجبال أرمينيا ثم هبطت من فوق سفوح جبالها بلغزو شرقى الفرات حيث أقامت على حافة النهر هناك دولة أثارت القلاقل ونشرت القلق في مدن وإمارات الشرق الأدنى بينما رنت بعيونها الى النيل ، وكادت يدها تمتد لتطول دلتاه وواديه ! . وهنا ظهر الفهم الخاص لقتضيات السلام أبان الفترة التي حكم فيها « تحوتمس الثالث » فشن حربا تمكن به من طرد الميتانيين وبهذه الحرب تهيأ لمصر ولربوع الشرق الأدنى قرنا كاملا من السلام . واذن ، فالحرب التي قام بها « تحوتمس » كانت درءا للعدوان وضدا للتخريب واقرارا للسلام ! .

ثالثا - موجات الحيثيين

مرة أخرى مرت السنون وبعد عهد « تحوتمس » جاءت عهود أخرى جاء الخطر يتهدد فيها النيل ووادييه بظهور دولة فتية أخرى في المنطقة هي دولة الحيثيين التي هيمنت بدكتاتورية طاغية واحتلال عسكري قوى على المنطقة التي تشمل سوريا وغرب نهر الفرات ، بل وتمكنت يدها من أن تطول بالخطر أطراف الوادي حتى غدت مصر محصورة وراء معابرها الشرقية تتهدها موجات الحيثيين المتدفقة وقوتهم المتزايدة وكان ذلك في مطلع حكم « رمسيس الثاني » صاحب هذه الشخصية التي ظهر بها الإدراك الكامل لحقيقة السلام المصرى وارتباطه الشديد ليس فقط بآمن الأبواب الشرقية لمصر وإنما أيضا بآمن

سوريا وفلسطين .. ولثلاث سنوات راح « رمسيس » يعد جيشه للقضاء على هذا الخطر وتستغرق حملاته لازاحة هذا البلاء مدى خمسة عشر عاما ، عرض الحيثيون في نهايتها على « رمسيس » الصلح وعقد معاهدة لانهاء حالة الحرب وكان ذلك نتيجة لذلك الصراع الذي انفجر داخل دولة الحيثيين من أثر هذه الحملات التي شنها « رمسيس » وتكن بها من تطهير أراضي سوريا من الخطر الحيثي .. وفي العام الواحد والعشرين من حكم « رمسيس » ثم توقيع المعاهدة « الحيثية - المصرية » التي سجلت لمصر انتصارا استقر به السلام وازدهرت خلاله لمصر حضارة ومجدا لم تزل قائمة في أرجاء الوادي أمجادها » .

ذلك كان التاريخ الحربى لوادي النيل في أمسه .
ماقام الوادي أبدا بحرب عدوان وتخريب ، وإنما قام بحرب لمحق العدوان وسحق التخريب ، وشأنه بالامس شأنه اليوم ..

اليوم ؟ !

حقا ما أشبه اليوم بالامس ! فالرواية هي الرواية تؤدي بشخصيات جديدة على مسرح التاريخ الحديث !

اليوم ، وعدو يجثو في أرض فلسطين تمكن في غفوة من التاريخ أن يفتعل من محض أسطورة « دولة » له فيها ، تجابه وادينا نفس المشكلة التي جابهته بالامس ! . عدونا هذا الذي يسمى نفسه « إسرائيل » ويتخذ اللغة العبرية كوسيلة نحو نحر التكتل لا يقف عند المدى الذي مكته من افتعال هذه الدولة في فلسطين وإنما هو يتمادي بأطماعه الى الاستيلاء على الشرق الاوسط بأجمعه متناسليا بأنه لا صلة له بـ « إسرائيل » قط وأن العبرية ليست له لغة على الاطلاق وأن « دولته هذه لم تقم الا من عقدة نفسية حاكت في مخيلته عقيدة لا قدسية لها ولا مدد لها الا الوهم المحض ! .

كيف ؟

الجواب عن هذا السؤال يحتم علينا أن نفرق بين [العبريين] وبين [الاسرائيليين] وبين « اليهود » ومن هنا نرانا نقسائل : من هم « العبريون » ومن هم « الاسرائيليون » ومن هم « اليهود » .

فأما « العبريون » فاسم لعشيرة من العشائر البابلية التي كانت تسكن « أرض البحر » عند الفرات الأدنى .. لم تكن هناك قبيلة أو موجة بشرية تسمى بهذا الاسم وإنما هو اسم أطلق على هذه العشيرة نسبة الى رئيسها « عابر » وهو الذي ينتهى اليه

مع هذا التباكي يجنح بالبرؤوس اليهودية ويشكل من الوهم بدعة هي التي دفعت بالأيدي منهم الى أن تنشر القراطيس وتجرى عليها الاقلام ولكي يصبغوا غايتهم بالصيغة الشرعية نسبوا الى موسى .. هذه الاقلام اليهودية التي جرت في المنفى البابلي تعد العدة لاعادة « مملكة يهوذا » هي التي جاءت بهذه التوراة المتداولة بين يهود اليوم والتي نسبوا افقارها الى موسى وحملوها زورا « عقيدة الارض الموعودة » ، او هذه العقدة النفسية التي عقدها الاسر البابلي في صدر أعضاء « بيت يهوذا » ، هؤلاء الذين جلسوا على شاطئ الفرات يتباكون على حال لهم تساوى في نظرهم بحال آباء لهم وأجداد عاشوا ، زمن ، ايضا مستعبدين في مصر فهذر الصدر بحمم النقمة على النيل معا والفرات وجرت الاقلام في اليد المحمومة تسطر بأملاء من خيال جانح بدعة « الارض الموعودة » ومن الفرات الى النيل ! .

على اساس من هذا الوهم تمكن يهود اليوم من افتعال « دولة » لهم في فلسطين دعوية النسب الى اسرائيل ! . ومن هم يهود اليوم ؟

يهود اليوم ينتمون الى جنسايت مختلفة اعتنق اسلافها الدين اليهودي والقسم الاكبر منهم سلالة انحدرت من قبائل « الخزر » المنغولية التي كانت تسكن شرق أوروبا وتكلم اللغة « اللبديّة » .. هؤلاء هم الصهاينة الذين لا تربطهم بفلسطين صلة قومية او تاريخية ولا تصلهم بأهلها صلة وطنية او لغوية على الاطلاق ولا تصلهم بالمعبريين صلات قرابة ولا باسرائيل ولا بأبناء اسرائيل أوشاج قرابة يسمون أنفسهم عبريين تارة واسرائيليين تارة أخرى ويدعون أن فلسطين وطن موروث لهم عن آباء لهم وأجداد جاء بها « الوعد » لهم على لسان هؤلاء الاسلاف ، بينما تمتد أطماعهم الى الاستيلاء على الشرق الاوسط بأجمعه ومن الفرات الى النيل ! .

اذن ، حقا ما أشبه اليوم بالأمس ! .

اليوم وعدو يجثو في أرض فلسطين ينشر القلاقل ويشير القلق ويشن علينا الآونة بعد الاخرى حرب عدوان فحاربه يحرب هدفه السلام تمتد يد الزمن وكما سجلت ، قديما ، لوادينا تاريخا بأحس وتحتمس ورسميس تسجل به « السادات » سيادة السلام ! .

نسب « خليل إبراهيم » والنبي « لوط » ، وأما من تفرع عن هذه العشيرة من خلف فقد عرف تحت اسماء أخرى كالمهونيين والموابيين من نسل عمون وموآب ابني لوط .. هؤلاء مع المعبريين قد ذابوا ، تاريخيا ، في تيار الزمن وكافراد طوتهم لجة الشعوب ولم يعد لهم في واقع التاريخ الحاضر وجود وهذا مما يجعل كلمة « المعبريون » التي يطلقها يهود اليوم على أنفسهم كلمة لا تنطبق عليهم بأي حال .

وأما « بنو اسرائيل » فنعت لابناء يعقوب عندما تغير اسمه الى « اسرائيل » . ثم أن النسل من هؤلاء الابناء ، وهو الذي تكونت به « بيوت اسرائيل » من بعد ، قد اضاف الى اسم بيته المشتق من اسم ابيه هذا الاسم .. هؤلاء قد ذابوا ، تاريخيا ، في تيار الزمن وطوتهم لجة الاجيال كبيوت متفرقة بين الشعوب .. فلقد بدأ نوب بني اسرائيل في التيار الزمني عندما تسرب عنصر الفناء في كيانهم عقب وفاة سليمان وانقسم مملكته الى مملكتين قامت الاولى في الشمال بمن تحدر من نسل الاسباط العشرة واطلقت على نفسها اسم « اسرائيل » وقامت الاخرى في الجنوب بمن تحدر من سبطي يهوذا وبنيامين ، ولما كان « بيت يهوذا » هو القائم على عرش هذه المملكة ، فقد عرفت تحت اسم « مملكة يهوذا » او « مملكة اليهودية » ومن هنا انبثق اسم « اليهود » .

ولكن ، لفترة من الزمن قصيرة عقب هذا الانقسام جاء الاشوريون فاحتلوا عام ٧٢١ ق . م . مملكة اسرائيل ، ثم سارت الايام حتى عام ٧٠١ حينما عزم اشور على محو أبناء اسرائيل من صفحة الوجود وكان لاشور ما أرادت حيث هوت عليهم بسيوف الفناء وأحلت محلهم قبائل عربية جديدة جاءت بهم من سورية وشبه الجزيرة العربية ومن العراق ، وبهذا محيت « مملكة اسرائيل » من صفحة الوجود .. ومن ثم فإن « بني اسرائيل » من نسل الاسباط العشرة شيء ليس له اليوم في ضوء الواقع التاريخي وجود .

وكما حدث في الشمال حدث في الجنوب ! .. جاء البابليون فاحتلوا عام ٥٦٧ ق . م . اليهودية ، ومعتزمين حل المشكلة اليهودية حلا حاسما ، استباحوها لجندهم بينما قادوا ملكهم « صدقيا » وعددا من رجالهم أسرى الى بابل حيث لم يمس « أبناء يهوذا » هناك الا الجلوس على ضفة الفرات والتباكي على مملكتهم الضائعة وليبدأ الخيال

العلاقات العامة في حروب الإسلام

أريستان فاصف سليم

خاض جيشنا المقاتل معركة بطولية رائعة في العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، وحاولت أجهزة الاعلام أن تنقل من أرض المعركة الصورة الفدائية لجند مصر أثناء المعركة الإنسانية التي تمثل فيها بأجل معنى صراع الحق والباطل . وغلبة الحق هذه المرة على باطل الأعداء وادعاءاتهم .

● العلاقات العامة هي « أولا » العملية المستمرة للسياسات العليا والخدمات والأفعال من أجل مصالح أولئك الأفراد وتلك الجماعات التي يقدر الفرد أو المؤسسة ثققتها ونيتها الطيبة ، وهي « ثانيا » تفسير هذه السياسات والخدمات والأفعال لتأكيد الفهم والتقدير الكاملين .

- ويقول : « ركس هارلو » أن العلاقات العامة علم وفن يستند إلى أسس علم الاجتماع الإنساني ويسعى إلى تحسين العلاقات بين الناس .. لا في حياتهم الخاصة وإنما في حياتهم العامة .

- ويلخصها البعض في قوله : العلاقات العامة هي في مسابرة الناس ومجاراتهم .

● وأنسب تعريف للعلاقات العامة ما جاء على لسان هوارد يونهام نائب رئيس هيئة الصليب الأحمر الأمريكية حيث يقول :

« العلاقات العامة هي في التعامل والتفاهم مع الجماهير بطريقة أفضل لتحقيق أكبر قدر من ثققتهم وتأييدهم إزاء المنظمة . »

وإذا كانت كل التعريفات قد ركزت على أن من أهم ما تهدف إليه العلاقات العامة هو تحقيق أفضل السبل للتعامل مع الناس على اختلاف ميولهم ونزعاتهم ، فإنني أميل إلى رأي الأستاذ جلال محمد عبد الوهاب المتخصص في هذا الفن حينما استشهد بآيات من القرآن الكريم في أحد كتبه الرياضية مستدلا بها على أنها قواعد أساسية لفن العلاقات العامة وأسلوب التعامل مع الناس ، مثل قوله مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام :

حاولت أجهزة الاعلام أن تعرض هذه الصورة النادرة التي سجلها التاريخ ، ولكن بعد قرار وقف إطلاق النار .. ومهما حاولت الاقلام والصور أن تعبر ، فإنها لن تصل إلى أعماق الواقع ، لأنها لن تنقل لنا على أي حال تحرك البطل المصري الذي ضحى بنفسه من أجل نجاة أخوانه ، أو ذلك الذي قفز فوق دبابة العدو لينسفها نسفا وهو فوقها .. ومعها ، ليمنع من داخلها قذيفة توجه إلى صدور زملائه ..

كانت صورا حية ، عجزنا .. بل عجز ٣٠٠ صحفي أجنبي وعالم أن يسجلوها على نفس مستواها البطولي والفدائي ..

ومن هنا اشتدت حاجتنا خلال المعركة إلى نوع من العلاقات العامة الناجحة . تتمكن به من اطلاع العالم على حقيقة شعبنا ، وعلى أثر العقيدة في نفوس أبطالنا ، والدوافع الحقيقية لخوض المعركة وحمل السلاح ..

وهذا هو ما أشار إليه الرئيس محمد أنور السادات في خطابه التاريخي عقب قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال ..

ولقد أردت أن أبحث عن دور العلاقات العامة في حروب الإسلام المجيدة ، فعثرت عليه دون عناء ..

كان الإسلام قبل أن يحارب وأثناء الحرب يقوم بهذا الدور دور « العلاقات العامة » قبل أن تظهر كعلم وفن حضاري قائم بذاته ومدرّوس .

ونستطيع أن نتأكد من ذلك إذا ما تعرضنا للتعريف المصري والعلمي للعلاقات العامة .. يقول أمرسون رك « الأستاذ بجامعة كولنجا بأمريكا عنها :

« فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك »

● وقوله تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن . ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين »

ولما كان فن العلاقات العامة يعتمد على الكلمة الطيبة التي تقرب بين المفاهيم وتؤلف بين القلوب ، فاننا نجد المثل الاعلى لذلك في قوله تعالى :

« الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ، يثبت الله الذين امنوا بهدول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .

وكان من الطبيعي أن نجد في كتاب الله ما يعيننا على النجاح في معاملة الناس في مختلف العصور ، وعرض فكرنا وقضايانا على المعارضين قبل المؤيدين ، فالقرآن معجزة وكتاب هداية ورسالته على الارض لا تقف عند حد معين ولا زمن معين .

وننقل بعد ذلك الى مجال التطبيق العملي لنجد العلاقات العامة « كفن » مطبقة في كل معارك الاسلام ، بالاسلوب الذي اوضحته الايات الكريمة .

واذا كانت معارك الاسلام مع الباطل قد بدأت بالكلمة وبشر الدعوة ، فاننا نجد في كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلوب الفريد من نوعه في تطبيق العلاقات العامة ، ونرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه عبد الرحمن بن عائد :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث بعثا قال : « تالفا للناس ، وتائبا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الارض من اهل بيت ، من مدر ولا وبر ، الا ان تاتوني بهم مسلمين ، احب الى من ان تاتوني باينائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

كان الاسلام ينهج اسلوب الاقتناع ، وعرض وجهة نظره بالاسلوب الذي لا اكراه فيه ، ولا جبر فيه على الفكر والعقل ، ولذلك نراه يقول لعلى بن ابي طالب في احدى مغاراته :

« والله لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

وبعد أن يعرض وجهة نظر الاسلام ، ويعلن أهدافه صريحة واضحة ، لا يأمر بالقتال الا اذا اعتدى على رجاله . وكانت مهمة قادة الجيوش أن يعلنوا ذلك ، وأن يطبقوا عمليا قوله تعالى :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

وبهذا الاسلوب العلمي ، كان الذين دخلوا في الاسلام بالكلمة الطيبة اللينة ، وبالاقتناع واعمال الفكر أضعاف أضعاف من دخلوه بعد احتدام المعارك والانتصار عليهم .. وهذا يؤكد أهمية العلاقات

العامة في عصر لم تكن لها من وسيلة الا الخطب القصيرة والشعر يذاع ويشاع .. والتعاليم تلقى موجزة ..

فاذا كانت الاجهزة العلمية اليوم تنقل الكلمة من أقصى الارض الى أقصاها في ثوان ، فاولى أن تكون للكلمة أثر أبعد وأعمق .

ومع أن وسائل الاتصال بين العالم كانت محدودة قبل حروب العصر الحديث ، فاننا نجد جيوش المسلمين لم تهمل دور العلاقات العامة ، تلك التي كان قادة الجيوش يستخدمونها في الاعلان عن قواعد الحرب في الاسلام .. تلك القواعد التي اشتهرت في أرجاء الارض قبل اتفاقية جنيف عام ١٨٦٤ التي تقرر حماية المرضى والجرحى في المعارك من القتل .

وكان تطبيق صلاح الدين الايوبي لهذه القواعد عمليا ، وابرازه لدور العلاقات العامة واضحا . مما أكسبه احترام الخصوم وجعبتهم يعترفون بفضله ، ولقد كانوا يحاربونه وهم بفضلهم معترفون .. وأضرب لذلك مثالا واحدا لتطبيقه فن العلاقات العامة في الحرب :

« ذلك ان امرأة من الاعداء الصليبيين فقدت طفلها الرضيع ولم تقف له على أثر ، فباتت بشر حال تدعو ياويل والثبور طوال الليل حتى وصل خبرها الى ملوكهم فقالوا لها :

ان صلاح الدين رجل عادل رحيم القلب ، وقد آذنا لك في الخروج اليه ولقائه ، وطلب مساعدته حتى يرد اليك طفلك .

فخرجت المرأة حتى وصلت الى الحرس .. واستغاثت بهم مما نزل بها ، فأطلقوها وأنفذوها الى السلطان ، فلقيته وهو راكب في خدمته خلق عظيم فبكاء شديدا واستغاثت به ، ولما علم بقصتها غضب غضبا شديدا ورق لها ودمعت عيناه .

ثم أمر بالبحث عن ولدها واحضاره اليه حتى يسلمه لها ، فظهر أنه قد أخذ في غارة من الغارات ، وأنه بيع في السوق كما يباع الدقيق ، فأمر باسترداده ممن اشتراه ، ولم يزل واقفا حتى أحضر الطفل وتسلمته أمه الوالدة الباكية .. فأرضعته ساعة ثم أمر السلطان فحملت على فرس الى معسكر قومها مع طفلها !!

هكذا هو الاسلام في مجال التطبيق العملي ، وأثر تعاليمه في العلاقة .. الانسانية .. بين الشعوب وبين الجيوش المحاربة ، ولعل دور العلاقات العامة هنا قد ابرز معنى جليا هو ان الاسلام حين يتحدث عن حقه ومبادئه انما يعنيه منها بالدرجة .. القصوى التطبيق والعمل .. ولكن متى يفهم أعداؤنا والعالم هذه الحقيقة عنا . اذا لم نحسن الفعل في مجال العلاقات العامة بالاسلوب الحضاري الذي اهتدى اليه قادة المسلمين بإرشاد من رسول الله الامين .. وصدقت كلمة ربى :

« وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما »

دراسات قرآنية

□ ٤٥ □



سورة البقرة

الآيات من
٢٧ - ٢٩

- الحاقة
دليل البعث .
- كل ما في الكون
مسخر لخدمته
- الإنسان
الدين هو أعظم
- ما يعلى من
كرامة الإنسان

الأستاذ
أحمد حسين

□ ٤٦ □

بسم الله الرحمن الرحيم

- كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ● هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ●
واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ●
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ●

الموت كأحد صور الوجود :

أحدى خصائص القرآن التي انفرد بها هو عرضه لادق أسرار الوجود فيبسطها ويقربها للعقل وتصول الفلسفة والعلوم وتجول وتشرق وتغرب وتفرق في التفاصيل والتفريعات والتخصصات فإذا هي كلها تترد إلى الحقيقة البسيطة المضيئة والتي عبر عنها القرآن في كلمات قلائل كما هو الشأن في هذه الآية الكريمة ، فهو يوجه الحديث إلى كل من يكفر بوجود الله في أي عصر أو مكان ويحاصر هذا الكافر الملحد بما لا فكاك منه إلا أن يكون أعمى القلب والعقل فحق عليه الشقاء .

الموت مرتان فلا بد أن تكون الحياة مرتين كذلك

أنه يسائل الكفرة والملاحدة والذين يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بانحطاط العلمية فيقول :

- الستم تسلمون بأن الإنسان خان له وجود من نوع ما سابق على وجوده بصورته الانسانية الكاملة المألوفة والمتعارف عليها . هذا الوجود الاول في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، أو كون الإنسان من تراب أو ماء وطين ، أيا كانت الصورة الاولى التي نشأت منها الحياة فتلك هي الحالة الاولى التي يعبر عنها القرآن بالموت « وكنتم أمواتا » .

فأحياكم : وكما أن الخطوة الاولى في الوجود هي أمر مسلم به ، فكذلك الخطوة الثانية ، وهي الحياة بصورتها التي نمارسها .

ثم يميتكم : ثم تأتي الخطوة الثالثة ، وهي انقطاع صورة الحياة المألوفة بالموت .

ثم يحييكم : فليس إلا كافر ملحد أعمى القلب والعقل من ينكر عودة هذا الإنسان مرة أخرى إلى الحياة بعد أن رأينا أنه كان ميتا ثم حيى ، ثم مات فهاتان ميقتان فلزم أن يقابلها حياتان ، حيث يقوم بناء الطبيعة كله على التقابل والتوازن وهو ما أشار إليه القرآن بصريح النص في أكثر من آية :

« ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين »
ثم إليه ترجعون :

هذه هي قضية البعث ، تكاد تلمس باليد لمسا .
فما دمننا سلطنا أننا أصبحنا على صورتنا الحالية حيث

لا حدود للعلم والمعرفة

وطالما نبهنا الى أن هذه الآيات وأمثالها هي التي ارتفعت بالعرب في قرن واحد من الزمان من جاهليتهم وأميتهم الى أن أصبحوا هم الحفظة على تراث الانسانية العلمية ممثلاً في علوم الاغريق التي نقلوها الى اللغة العربية ثم لم يلبثوا أن حسسوها وأكملوها وأضافوا بل واخترعوا علوماً لا جهد للبشرية بها كعلم الجبر الذي يحتفظ باسمه العربي في كل لغات العالم والذي هو القاعدة والاساس في كل المباحث الرياضية العليا التي هي سبيل التقدم في العصر الحديث هذا الاعجاز العربي في استيعاب العلوم والمعارف دفع اليه العرب دفعا يمثل هذه الالية التي تقول لهم أن كل شيء في هذه الدنيا قد خلق من أجل الانسان فليصعد الانسان الى القمر وبقية الكواكب الاخرى ، فهو من أجل ذلك خلق فسعر الله له كل ما في السموات والارض ليزيده ذلك كلبه ايمانا بالله وعزمنا بقدرته ووحدانيته ، وتكون الكارثة التي تصيب الانسان هو أن يعلم الانسان من اسرار الكون ما يعلم ولا يتوَج ذلك بالهدف النهائي من العلم الذي تدعونا اليه هذه الآيات وهو الايمان بالله الخالق .

— ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات مفردات :

جاء في تفسير الوسيط « ثم استوى الى السماء » تعلقت ارادته تعالى بتسوية السماء ، والسماء هي كل ماسما وعلا فوق سطح الارض ويشمل أيضا الغلاف الهوائي المحيط بالارض .»

فسواهن : أي جعلهن سويات لا نقص فيهن . وجاء في معجم الفاظ القرآن الذي أصدره المجمع اللغوي

« ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » أي قصد اليها بتدبيره .
وسوى الشيء يسويه تسوية :
عدله وجعله لا عوج فيه

« فسواهن سبع سموات » أي أكملهن
أحدى المتشابهات

وهذه الالية وأمثالها في القرآن معا يشيرون الى الاستواء ، وهل خلقت الارض قبل السماء أم أن الذي حدث هو العكس كما قد يستفاد من آيات أخرى وقد حفلت التفسيرات القديمة باسرائيليات كثيرة ، سنعرض لها ان شاء الله في مناسبة أخرى ، ونكتفي الان بالمعنى العام المفهوم من الالية وهو أن الله سبحانه وتعالى بعد أن لفت الانتظار الى الحياة والموت ، فهو يلفت الانتظار بعد ذلك الى الكون وما فيه من المخلوقات سواء في الارض أو في السموات

لم تكن كذلك ، وما دمتا مسلمين أن حياتنا على صورتها تنتهي وتعود الى ما كنا عليه من حيث عدم الوجود الظاهري ، فأى عقل يجرؤ بعد ذلك أن ينكر ، أن الحياة ستكون مرة أخرى والقدرة المطلقة التي لأحييت الانسان بعد أن كان ميتا والتي أماتته بعد أن كان حيا ، هي قادرة على احيائه مرة أخرى بعد موته لحاسبته على ما قدمت يداه .

— هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

الانسان والكون

ومن تأمل الانسان وأحواله الى تأمل الكون بأحداثه فكل منهما يؤدي الى معرفة الخالق وتوحيده ، وتشير الى ماسوف تحدثنا عنه الالية التالية بصريح اللفظ من أن الانسان هو خليفة الله على الارض ، وسرف نتحدث بالتفصيل على هذه الخلافة في حينها والمهم في هذه الالية التي نحن بصدها فهو يظهرنا على بعض خصائص هذه الخلافة وهو أن كل ماسوى الانسان في هذا الكون قد خلقه الله من أجل الانسان « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » أي أن كل ما في الكون من عوالم وأكوان وجمادات ونباتات وحيوانات وما هو منظور وما هو غير منظور ، ما عرفناه حتى الان منها وما لم نعرف كل ذلك قد خلقه الله من أجل الانسان ، أي لنفعه ، وقد تساءل بعض السذج في القديم على ما جاء في القرطبي : « أى نفع في المقارب والحيات .»

وقد وصفنا المتسائلين بمثل هذا السؤال وأمثاله بالسذاجة لانه من المحقق أن كل شيء موجود في الطبيعة انما هو لتحقيق غرض من الاغراض ان خفيت معرفته على الانسان في وقت ما فلا تلبث أن تتكشف له ولو لم يكن في وجودها الا مجرد حفز الانسان على ازدياد معرفته بها ، لكان ذلك هدفا من حيث تعليمه التفريق بين ما هو ضار وما هو نافع ، وهي في كل الأحوال مبعث للمبرة والعظة وسبيل على الاستدلال على عظمة الخالق من خلال التعرف على مخلوقاته .»

كل ما في الارض والسماء

واذا كانت هذه الالية تحدثنا عن أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل ما في الارض من أجل الانسان ، فشمه آيات أخرى تضيف ما في السموات على ما في الارض ، وذلك من مثل قوله تعالى : « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه » .
والتسخير بمعنى جعله تحت سلطان الانسان للانتفاع به بشتى صفوف الانتفاع المادى والمعنوى بالايجاب والسلبي .»

جاء في تفسير الوسيط لأشياخنا : -

« وبعد أن سقنا مارآه المتقدمون في المراد بالسموات وعددها . نقول : لعلهم يرون أن القرآن الكريم اقتصر على عدد السبع في السموات لأن ذلك كان مفهوم العرب فيها ، فعبر القرآن عن عددها كما يفهمون ، حتى لا يكذبون الله ورسوله ، ولذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نخاطب الناس بما يعقلون حتى لا يكذبون الله ورسوله فيما يجهلون » [انتهى] .

ونحن من ناحيتنا نرجو أن يأذن لنا أشياخنا أن نقف عند نص القرآن من أنه سبع سموات .

وهو بكل شيء عليم

أى بما خلق وهو خالق كل شيء جاء في التنزيل « ألا يعلم من خلق » فهو العالم والعليم بكل شيء .

- واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال 'بى اعلم ما لا تعلمون' .

مفردات

خليفة : جاء في معجم الفاظ القرآن للجمع اللغوي : فسرت بأنه ينوب عن الله تعالى في اجراء احكامه وتنفيذ ارادته في عمارة الكون وسياسته والاصل في الكلمة خلف فلان فلانا ، أى قام بالامر بعده .

وجاء في تفسير الوسيط لأشياخنا :

« الخليفة من يخلف غيره وينوب عنه والمراد به آدم وبنوه » .

الملائكة : جاء في معجم الجمع اللغوي « الملائكة جنس من خلق الله تعالى ذوو أجسام لطيفة نورانية يستطيعون أن يتشكلوا فيما يشاءون من الصور ومنهم الرسل الى الانبياء بالوحي ، ومنهم من ينفذ من الامور في هذا العالم ما يؤمر به ، ومنهم من تخصص للعبادة » .

وقال أشياخنا في تفسير الوسيط :

« الملائكة جمع ملك وهم ذوات نورانية خلقوا لطاعة الله فيما يأمرهم به ، لهم قدرة التشكل بالاشكال الحسنة المختلفة ولهذا كان الرسل يرونهم وهذا مذهب أكثر المتكلمين .

وقال الحكماء هم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة بالحقيقة .

ويسفك الدماء : أى يريقها والسفك مختص بالدم . نسبح بحمدك : نعبده عنك ما لا يليق بك اعتقادا أو قولاً وعملاً متلبسين بحمدك .

ونقدس لك : أى ننزهك عما يليق بك من أجل ذاتك . انتهى

□ ٤٨ □

لعل المعنى الذى يستخلص من هذه الآية وما سوف يتبناها من آيات هو الرد الذى يفتق عيون الملحدين ، ويقطع السنة المتخربين الذين يزعمون أن الاديان هي سر تخلف الشعوب المتدنية في العصر الحديث ويروجون يتشدقون بأن نظرياتهم هي التي تولى من شأن الانسان ودوره في هذا الوجود مع أن الانسان لا يرخص وتستباح حرمانه ، ولا نزيد قيمته عن الحيوان ، الا في ظل المجتمعات التي خلت من الدين ، أو تعطل فيها حكم الدين نصا وروحا لسبب من الاسباب ولفترة طارئة ، وما عليك الا أن تستوعب هذه الآية التي نحن بصدها لثري أى كرامة يضيفها الله على الانسان [جنس الانسان] وأى آفاق يفتحها أمامه ، وأى سلطان يزوده به عندما يصنفه بأنه خليفة على الارض .

فبعد أن يقوم ايمان المؤمن على قدرة الله التي لا حد لها وعلى علمه النهائي ، يخبره [كما سنرى في آية مقبلة] أنه قد أودع في الانسان نفحة ربانية « ونفخت فيه من روحي » .

وأنة بهذه النفحة الربانية قد أصبح أسمى كائن في هذا الوجود واستحق أن تسجد له الملائكة فأى كرامة للانسان تعلو هذه الكرامة ، وأى تنبيه للانسان على قدرته وما أودع الله فيه من طاقات عليه أن يستخدمها في كل ما يعود عليه بالنفع ولكل من حوله من انسان وحيوان بل ومن نبات وجماد ، أكثر من أن يقال له أنه خليفة الله في الارض .

الخلافة كنظام للحكم

وقد استفاض القرطبي في تفسيره في موضوع الخلافة كنظام للحكم الاسلامي باعتباره أن هذه الآية على حسب ناس تعبيره « هذه الآية اصل في نصب [أى تنصيب] امام وخليفة يسبح له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به احكام الخليفة ولا خلاف في وجوب ذلك بين الامة الا ما روى عن الاصم حيث كان عن الشريعة أصم وكذلك كل من قال بقوله ... الخ] .

ويمضى القرطبي في مناقشته المستفيضة ، ويحدد شروط الخليفة ، ومن منهاجنا أن لا نخوض في مباحث فقهية ، ومما لا شك فيه أن المجتمع البشرى لا يقوم أول ما يقوم الا على نظام الحكم وسيادة الشريعة [مما نسميه الان سيادة القانون] وبغير ذلك لا يقوم مجتمع بشري صالح فضلا عن مدنية وحضارة ولكن في معرض التفسير لهذا اللفظ [الخلافة] وفى هذا الموضع بالذات لا يمكن قصره على ان المقصود به هو الخلافة الاسلامية فالحديث يجرى هنا حول آدم وقد سبق آدم ونسله من بعده الاسلام بدهور لا يعلم مداها الا الله فوجب أن تفسر كلمة الخلافة هنا بمعناها العام

البقية ص ٦٩

إِنَّا
نَحْنُ
نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ
وَابْنَا
لَهُ
لِحَافِظُونَ



أيام ..
جعلها الله أعياداً
فلا تجعلوها ماتم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

●● الاسلام دين لا يعرف الله الصارخ ، لان الله الصارخ عبت ، ولا يعرف العبوس والقنوط ، لان العبوس والقنوط يأس من روح الله ، وانما هو دين وسط بين الافراط والتفريط ، فهو يحترم عقل الانسان المسلم ووجدانه ، ويربى فيه الاثنين معا ، بحيث يكون سلوكه نابعا من وجدان مؤمن ، ومن عقل رشيد لا ينحدر الى أسفل سافلين ، وفي الوقت ذاته لا يتعلق بالنجوم ، لا يتسفل فينخرط في سلك الحيوانية ، ويعزل نفسه داخل أسوار المادية الرهيبة ، ولا يتفالى فيحبس ذاته في سجن الكهنوت حيث « لا كهنوت في الاسلام » .

●● من أجل ذلك كان وصفا القرآن لاتباع الاسلام « أمة وسطا » تأمر بالمعروف الذي يتمشى مع الفطرة والعقل ، ونهى عن المنكر الذي تاباه الفطرة والعقل .

ومن هنا كانت أعياد الاسلام مثلا لوسطيته .

صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام :
دعهما ، فان لكل قوم عيدا . وهذا عيدنا .

وفي ذلك ، كما يقول ابن حجر في فتح الباري ، تعليل الامر بتركهما ، وإيضاح خلاف ما ظنه الصديق من انهما فعلتا ذلك بغير علمه ، صلى الله عليه وسلم ، لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه ، فانكر ذلك على ابنته ، فأوضح له النبي ، عليه الصلاة والسلام ،

●● والسيدة عائشة ، رضى الله عنها ، تحدثنا عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه البخاري ، فتقول :

● دخل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في يوم عيد ، وعندي جاريتان تغنيان ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، جهة الحائط ، وجاء أبو بكر فانتهرني ، وقال : أمزمار الشيطان عند رسول الله ،

الخالّ مترونا ببيان الحكمة بأنه يوم عيد ، أى يوم سرور شرعى فلا ينكر فيه مثل هذا كما لا ينكر فى الاعراس [١] .

● وروى البخارى ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قدم المدينة ، ولاهلها فى الجاهلية يومان يلعبون فيهما ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« قد أبدلكم الله بهما يومين خيرا منهما ، يوم الفطر ويوم الاضحى » .

● كما روى البخارى ومسلم وغيرهما أن الحبشة دخلوا المسجد يوم عيد يلعبون بالدرق والحراب ، ويرقصون ، ويقفون بكلامهم فرحا برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والنبى ، صلوات الله عليه ، ينظر اليهم ، فسأله : ماذا يقولون : فقال : يقولون : محمد عبد صالح .. ثم جاء عمر فنهرهم ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« دعهم يا عمر ، لتعلم يهود ان فى ديننا فسحة ، وانى بعثت بحقيقة سمحة » .

● وهكذا كان ، صلى الله عليه وسلم قدوة فى استقبال اعياد الاسلام ، وكان كل هدفه ادخال السرور والبهجة على أتباعه ، وليكون ذلك سنة حسنة تسير عليها الاجيال المسلمة من بعده ..

ففى عيد الفطر : امر ، صلى الله عليه وسلم ، بركة الفطر ، شكرا لله على اتمام فريضة الصوم ، ومشاركة فى ادخال السرور على الفقراء ، حيث قال عليه الصلاة والسلام :

● « اغنوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم » . وذلك ليلبس أبناء الفقراء الجديد من الثياب كما يفعل أبناء الاثرياء .

وفى عيد الاضحى : امر ، صلى الله عليه وسلم ، بذبح الاضاحى ، وبذل الكثير منها للفقراء ، حتى انه لما حصل جفاف فى البادية هلكت بسببه كثير من دوابهم ، ولما كان يوم عيد الاضحى ، وكانوا يعلمون ان المسلمين يضجون بكثير من الابل والبقر والغنم يوم العيد ، وغد كثير من اهل البادية على المدينة لينالوا من تلك اللحوم ،

ولما كانت عادة اهل المدينة انهم بعد التصديق بشيء

من اضحياتهم يقددون [أى يحفون] كثيرا من اللحم ويدخرونه ليأكلوه فيما بعد ، لذلك امر صلى الله عليه وسلم يوم العيد من ذلك العام ألا يدخر مسلما شيئا من لحوم الضحايا فوق ثلاثة أيام .

ومعنى ذلك انه صار اكل شيء من لحوم الضحايا حراما بعد اليوم الثالث ، وعنفذ علم المسلمون جميعا الا فائدة من ادخار اللحوم ، فبادروا بنوزيعها على الفقراء .

ولما جاء العام الثانى ، ولم يكن هناك جفاف ، خطب ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

● كنت نهيتكم عن ادخار لحم الاضاحى لان اهل البادية كانوا قد وفدوا على المدينة ، وفى هذا العام اخضبت البادية فكلوا واخروا .

وفى خلافة على ، رضى الله عنه ، حصلت هذه الازمة للبادية ، واقبل عيد الاضحى ، فامرهم بما كان قد امر به النبى ، صلى الله عليه وسلم ، من عدم الادخار من الضحايا .

●● اين هذه السنة الحسنة مما نفعله اليوم فى اعيادنا من بدع تباعد بنا عن فطرة الاسلام وسماحته ويسره ؟

فبينما الاطفال بهلبسهم الجديدة الزاهية ، وبلعبهم التى يأتسون اليها ، يرتعون ويمرحون فى الشوارع والمتنزهات ، وتتعالى أصواتهم الودودة الحبيبة بالغناء والضحكات .. اذ باعينهم تقع على ذويهم فنفجا بعيون دامعة ، ووجوه عابسة ، وأجسام مجللة بالسواد .. وبدل ان يشاركوا اطفالهم فرحتهم بالعيد ، يفعلون ذلك ويذهبون الى المقابر فى جو كئيب حزين ..

فهل يستطيع احد ان يصور ما يجول بنفوس هؤلاء الاطفال فى هذه اللحظة ؟ .. وخاصة اذا أضفنا الى ذلك انهم اما ان يتركوا اطفالهم ويذهبوا الى المقابر ، او يصحبهم معهم ، وكلا الامرين مر .

● وبعد ان علم المسلمون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الاعياد ، فهل تنبأ احد لسبب هذا الموافد المظلم الذى هجم على سنة رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، وعلى تعاليم ديننا حتى شوهتها ؟

نقول ، والاسى يمزق قلوبنا : ان رسول

[١] هذه الوقائع حدثت فى ظروف ليس فيها ما يخشى منه فليس هناك فييات متبرجات مختلطات بالفيان فمحل جواز ذلك : أمن

« **الحالقة** » هي التي تحلق شعر رأسها عند المصيبة ، وبهذا تظهر المرأة في أقيح صورة ، تشعر بأنها كرهت الدنيا ومن فيها .. « **الشاقة** » هي المتقدمة في [شق الجيوب] التي تشق ثوبها من فتحة العليا الى آخره .

ومنه كذلك ما رواه البخاري عن التعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول :

● « **الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه » .**

والمعنى : ان كل ما يحتاجه الناس ، وعليه قوام حياتهم ، فحله بين لكل أحد لتوفر الأدلة القاطعة بحله وكل فعل من الأفعال الضارة بالشخص أو بالمجتمع المعلوم ضررها بالنص واضح لكل أحد ، وبين هذين أمور تنازعها طواهر أدلة الحلال والحرام فاشتبهت على كثير من الناس ، أمن الحلال هي أم من الحرام ، فمن اتقى الشبهات فقد طلب البراءة لدينه من النقص وعرضه من الطعن .

وفيه دليل على ان من لم يتق الشبهات في كسبه ومعايشه ، فقد عرض نفسه للطعن ، ومروعة للخدش ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى بماشيته حول مكان محمي ليس ملكا له ألا وإن حمى الله محارمه ، أي معاصيه من ترك الواجب أو فعل محرم .

يقول الشيخ محمد العدوي في شرحه لجوهرة التوحيد :

●● ان كل خير في اتباع سلف الأمة في أمور الدين ، منهم يؤخذ ، ومن طريقهم يعرف ، لأن القرآن نزل على الرسول وهو بين ظهرائهم ، فهم أدري الناس بحلاله وحرامه وعقائده وعباداته ومعاملاته ، فأمور الدين في جملتها وتفصيلها تتلقى عنهم ، فما كان من القرب في عهد الصحابة والتابعين فهو قربة وما لم يكن كذلك فليس من القرب في شيء ، وإن تقرب به جميع الناس ، وما كان من العقائد عندهم فهو أصل الدين وأساسه ، وما حدث بعدهم فليس من العقائد بحال ، ويجب أن يكون الرسول وأصحابه هم المرجع في أمور الدين كلها .

وكذلك يجب أن تتلقى عنهم العبادات ، كما كانت في عهد رسول الله ، وعهد أصحابه ، لا يزداد عليها ولا ينقص ، فالذي يخترع عبادة لم تكن في عهدهم ،

□ ٥١ □

الله ، صلى الله عليه وسلم ، حذر من أهمال هذا النوع من الوافد الخفيف مرارا وتكرارا ، وبصور مختلفة ..

من ذلك قوله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري :

● « **لنتبعن سنن من قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتهمه » .**

« **لنتبعن** » بتائين مفتوحتين ، وباء مكسورة ، وعين مضمومة ، ونون مشددة .. « **سنن** » بفتح السين أي طريق .. **قال عياض :** الشبر ، والذراع ، والطريق ، ودخول الجحر ، كل ذلك تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى عنه الشرع وذمه .. **وقال ابن بطل :** أعلم ، صلى الله عليه وسلم ، أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم .. [**جحر**] ، بضم الجيم وسكون الحاء [**ضب**] بفتح الضاد وتشديد الباء : دويبة معروفة .. **قال الحافظ ابن حجر :** والذي يظهر أن تخصيص جحر الضب لشدة ضيقه ورداعته ، ومع ذلك فإنهم لاقتنائهم آثارهم ، واتباعهم طريقهم ، لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لاتبعوه . ومن ذلك أيضا ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر أنه ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

● « **ليس منا من اطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .**

« **ليس منا** » قال الحافظ ابن حجر ، قال الزبير ابن المنير : المراد ان الواقع في ذلك يكون قد عرض نفسه لأن يهجره الناس ولا يختلط بجماعة السنة تاديبا له على استصحابه حالة الجاهلية التي قبجها الاسلام .

« **شق الجيوب** » الجيب هو فتحة في أعلى الثوب ليدخل منها الإنسان رأسه ليتمكن من لبس الثوب ، والمراد بشقه كمال فتحه الى آخره وهو من أظهر علامات السخط .

« **دعا بدعوى الجاهلية** » أي بعبارات أهل الجاهلية عند موت عزيز ، كأن يقول : وامصيتاه ، واجملاه ، واغارساه ، ومن لنا بعدك .. الخ . ومنه أيضا ما رواه البخاري قال : حدثني أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قال : مرض أبو موسى مرضا شديدا حتى غشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال :

● « **اني برىء مما برىء منه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برىء من الصالفة ، والخالقة ، والشاقة » .**

الامة العربية والاسلامية بتحطيم اقوى مسور في تاريخ الحروب ، واحباطه الرعابة الاسرائيلية بأنه هو سد ذى القرنين ، فلن يستطيع العرب ان يظهروه ، ولا يستطيعون له نقبا ..

اذا علمنا ذلك .. اليس تحطيم هذا السد على ايدي مقاتلينا البواسل ، اولى بان يكون عبدا مضموما الى العبد الاكبر ، فيقتضي منا ان نباعد عن كل ما حدث في الدين مما نهى عنه الله ورسوله ، كما تقدم في الاحاديث الصحيحة ؟

• • •
• • •
واننا نضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يوفق المسلمين الى اتباع سنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وان يزيد القائد المؤمن الرئيس محمد انور السادات ، الذى ذكر سور ذى القرنين الاسرائيلي ، وجعل حديث اليهود عنه اضحوكة العالم اجمع ، نضرع الى الله ان يزيده توفيقا لترفع اعلام النصر على يديه ، ويعم الرخاء ، وتتوحد كلمة العرب والمسلمين كما راينا ذلك جليسا في معركة العائش في رمضان ، وحتى تكون كلمة الله هي العليا .

للحديث بقية

او شكلا للعبادة لم يكن لها في ذلك العهد ، فهو مبتدع في دين الله ، لان السادات بذاتها وشكلها وحدودها واوقاتها وازمنتها تتلقى عنهم ، وهذا ما اشار اليه صاحب الجوهره في قوله :

فكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداء من خلف
وفى حديث مسلم مرفوعا :
• « خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشي الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » .

وفى الصحيح من حديث عائشة :
• « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد »
اي مردود باطل ، والمراد به امر الدين ، وذلك هو المراد من حديث اصحاب السنن مرفوعا :
• « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » .
• • •
واذا علم ان الرسول ، صلى الله عليه وسلم واصحابه لم يزر احد منهم القصور في يوم عيد ، لانه يوم عيد ، فمن اين جاءت هذه البدع الشوهاء التي غيرت وجه الشريعة البيضاء ؟
ثم بعد كل ذلك .. اذا علمنا الان ان هذا العيد الاضحى الذى يظلمنا جاء عقب ما تفضل الله به على

الجهاد في سبيل الله

جعل الله اجر الجهاد عظيما اذ قال في كتابه العزيز
« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » . وقال « سبحانه »
« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما : درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما »
وقال عز من قائل
« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون : يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم » .
وعن النبی « صلى الله عليه وسلم » : « ضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وایمان به وتصديق برسله ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا مائلا من اجر او غنيمة » .
وعنه « صلاة الله وسلامه عليه » ايضا : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .
وعنه « صلوات الله وتسليماته عليه » ايضا : « من اعان مجاهدا في سبيل الله اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » .
وقال « عليه الصلاة والسلام » : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، والروحة يروحها العبد او الغدوة خير من الدنيا وما فيها » .

ورد لفظ (الايمان) في القرآن الكريم ، وما اشتق منه من أفعال وصفات ، في نحو أربعمئة موضع ، ولم يرد لفظ آخر بهذا العدد سوى لفظ الجلالة الذي جاء في الذكر الحكيم في قرابة الفين وخمسمائة موضع .

وهذا أمر تفرضه البديهة ، فالاسلام عقيدة ، وحيداً نزل القرآن الكريم بها على قلب الرسول الامين ، كانت دعوة جديدة . وما من دعوة جديدة ، الا وهي نسخ لعقيدة قائمة وازالة لنظام سائد ، وتغيير لايوضاع مستقرة ، ولقد جبل الناس على التشبث بما يعرفون ولو كان باليا « انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مهتدون » ويكرهون الجديد ولو كان خيراً لهم « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير » فالذين يخرجون على المجتمع الذي ينتمون اليه ، لا بد أن يكونوا أقذاً يمتازون عن سائر قومهم ، بإدراك سليم ، وإرادة قوية ، وبصيرة نافذة ، وشجاعة ملهمة ، هؤلاء هم المؤمنون . هؤلاء هم الذين خاطبهم الاسلام ، ودعاهم الى شريعته ، وأسلمهم رأيتهم ، واتمهم على دعوته ، وهؤلاء هم رواد كل فكر جديد ، وطلّاع كل ثورة نافعة ، والسابقون الى كل جديد هادم لانقراض الافكار الخربة ، وحمله لواء كل تغيير مزيل لخرائب العقائد العفنة .

الايان

الاستاذ فتحي ضوان

من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله »
والايان باتفاق هو التصديق الكامل والاذعان النفسي والتسليم القلبي لكل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولكن هذا التعريف يحتاج الى تفصيل فالايان في حقيقة الامر ، هو حالة نفسية وعقلية معا ، يصبح معها الانسان أشبه بالاناء الذي امتلأ الى حافته ، أو حانة الغليان للسوائل ، أو حالة الاشتعال للجسام . فليس الايمان هو التصديق الكامل ولا الاعتقاد الذي لا تشوبه شائبة تضعفه ، والذي لا يلابسه شرط ، أو يقتدر بأجل . فهذا التعريف ينطبق على المرحلة السابقة على الايمان والمؤدية اليه وهي مرحلة الاقتناع العقلي ، ولكن للايمان عناصر أخرى غير الاقتناع العقلي إذ لا بد أن ينضم اليه انفعال الوجدان وامتلاء النفس حتى تصبح جميع قوى الانسان العقلية والعاطفية الواعية وغير الواعية متجهة اتجاهاً واحداً ، نحو موضوع الايمان ، لا تملك الانصراف عنه ، أو الانشغال بشيء معه ، فهي أقرب ما تكون الى حالة هيام العشاق ، أو هي على حد قول قائل ، ان الايمان هو جنون العقلاء . وعندما يصل الانسان الى هذه الدرجة تتضاعف قواه عشرة

ولو لم يكن القرآن داعياً الى ايمان ، لما قبل أحد دعوته ، ولا أخذت أمة بعقيدته ، ولا احتمل انسان أذى في سبيله ، ولا دارت حرب لتأييده . ولو لم يتجج القرآن في أضطعا طراز من المؤمنين ، وارتفع به ايمانهم الى الذروة بذلاً وابتكاراً ، وإبداعاً ، لكان عقيدة قلة لا يؤبه بها ولا يلتفت اليها .
فالدين والعقيدة يوزن كل منهما بقدر ما يحركان من ايمان المؤمنين ، وبقدر عظيمة هؤلاء المؤمنين وسمو نفوسهم .

لذلك حق علينا أن نعرف الايمان في الاسلام وماذا يكون . والايان في مطلق الدعوات ، وكيف يعمل .
عن عمرو بن عتبة ، سئل رسول الله : يا رسول الله ، ما الاسلام قال : أن تسلم قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال فأى الاسلام أفضل . قال الايمان . قال وما الايمان : قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال فأى الايمان أفضل ؟ قال الهجرة ؟ قال وما الهجرة قال ان تهجر السوء قال : فأى الهجرة أفضل قال : الجهاد قال وما الجهاد ؟ قال ان تقاتل الكفار اذا لقيتهم قال فأى الجهاد أفضل ؟ قال من عقر جواده وأهريق دمه . قال فالايمان في الاسلام موضوعه الله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر : « آمن الرسول بما أنزل اليه

أضعاف ، وقد نص القرآن على ذلك اذ قال الله تعالى
فى سورة الانفال : « ان يكن منكم عشرون صابرون
يعذبوا مائتين وان يكن منكم مائة يعذبوا الفا من الذين
كفروا » فسر عليه المؤمنين ، ايمانهم .

وتضاعف قوة الانسان بعد ايمانه ، يمكن تفسيره
ماديا وعلميا ففى جسم الانسان غدة أكثر اغراضها فى
حالات الخطر والغضب ، ومن شأن هذه المادة ان تزيد
عضلات الجسم صلابة وتقوى احتماله ، وتقل شعوره
بالآلم ، وتكسو وجهه بسمات تخيف العدو . فى حين
تصمم أذنيه هو عن سماع تحذير الاصدقاء . ومثل هذا
التغير يحدث فى الحيوان الصغير والكبير على
السواء ، فالهرة التى تحس بالخطر ، يحدق بها
تتحول الى نمر مفترس ، والدجاجة التى ترى الثعبان
يقرب من فراخها تصبح نسرا كاسرا ولا تزال تهاجم
عدوها ، وتدميه ، على الرغم من قوتها وضعفها ،
حتى تقتله ان لم يفر نجاة بنفسه .

هذه القوة غير العادية التى يمنحها للكائن الحى ،
الغضب أو التصدى لحالة الخطر ، هى القوى التى
يمنحها الايمان للمؤمنين ، اذ يصفهم فى حالة غضب
مستمر على كل ما ومن ينافى عقيدتهم ، أو يقف فى
سبيلها . الا ان الايمان يمنح المؤمنين قوة من طبيعته
أخرى ، هى القوة التى يبعثها الحب المشتعل للمحبين
فيزيد من اتقاد وجدانهم ، ومن لطف احساسهم ، ومن
فنائهم فيمن يحبونه . فيصبح كل ما يأتى بسببه جميلا
ومحبوبا ، ولو كان عند غيرهم مؤلما أو قاسيا ،
فالتضحية من أجل اسعاده سعادة لهم ، وتحقيرا
لوجودهم ، ويبلغ بهم الاستهتار فى الحب ، والانقطاع
له ، والفرح به ، بحيث لا يطيقون ان يسمعوا فى ذلك
لوما « يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون نومة
لائم » .

وفى القرآن الكريم اشارات الى مراحل تكون
الاقتناع ثم تكامله ، ثم نشوء الايمان وظهور آثاره ،
ويملى مواقف الناس المتباينة من الصدوف عن الدعوة
الى الايمان ، والتردد فى قبولها ، والرفض البات
لها .
والمثل الواضح ، لفترة تكون الاقتناع ، والتهيو
لتحمل تبعات الايمان ، واردة فيما دار بين موسى عليه
السلام وربّه قال الله تعالى :

« واذا نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين ، قوم
فرعون الا يتقون ، قال رب انى أخاف ان يكذبون ،
ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ، فأرسل الى هرون ،
ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلون ، قال : كلا . فاذهبا
بأياتنا انا معكم مستمعون » .

ولكن لا يزال موسى فى حاجة الى تثبيت من ربه ،
فى سورة طه (طه) قال الله :

« اذهب الى فرعون انه طغى ، قال رب اشرح لى
صدرى ، ويسر لى امرى ، واحلل عقدة من لسانى ،
يقفها فولى ، واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون اخى
أشدد به أزرى ، وأشركه فى امرى ، كى نسبحك

□ ٥٤ □

كثيرا ، ونذكرك كثيرا : قال : قد أوتيت سؤلك يا
موسى .
وفى موضع آخر ، من سورة طه بقية لهذا
الحوار .

« قال ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا أو ان يطغى ،
قال : لا يحصا اننى معكما اسمع وارى » .

وفى الوسخ ان يرى الانسان ، قارىء هذه الايات
البيبات ، كيف يحسب الانسان ، ودعوة الايمان فى
أعنى مراتبها ، يفرض عليه . كل حساب ، للامور التى
يفرض العقل ، وتقديرها ، والنظر فى عواقبها ، عذا
حمل الرسالة ، انطلق يلوى على شعب ، وقد استحال
الصعب أمامه سهلا ، والبعيد قريبا ، أو آمن أنه
سيذلل العقبات ، وسييسر ما يبدو من المستحيلات .
وفى القرآن الكريم مثل آخر ، لمرحلة ما قبل اكتمال
التهيو بدبيبه دعوة الايمان :

« واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى ، قال أو
لم قومن . قال بلى ، ولكن ليصطن قلبى » والقلب هنا من
العقل ، الذى لا يزال فى حاجة الى ما يقنعه ، لتكون
الجوارح كلها ، فى خدمة العقيدة الجديدة ، وفى
خدمة النهوض بالرسالة القائمة على هذه العقيدة .
وفى القرآن أمثلة للمؤمنين الذين لا يخفهم الفرع ،
ولا يفت فى عضدهم التهديد بالموت ، ولا بما هو فى مثل
الموت ، قدفا للرعب فى القلوب ومن هذه الامثلة ،
ايمان المصريين من سحرة فرعون ، قال الله تعالى
عنهم :

« قال آمنتم له قبل ان آذن لكم . انه لكبيركم الذى
عليكم السحر ، فلاقطعن أيديكم ، وأرجلكم من
خلاف ، ولاصليبتكم فى جذوع النخل . ولتعلمن ايننا
أسد عذابا وأبقى . قالوا لن نؤثر لك على ما جاعا من
البيبات والذى عطرا ، فأقض ما أنت قاض ، انما
نفصى هذه الحياة الدنيا ، انا آمنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا » .

وفى سورة (يوسف) تهدد (يوسف) امرأة
العزير التى هو فى بيتها ، بالسجن ، وبما يصحب
السجن من حرمان وهوان ، ان لم يلب ما تدعوه اليه ،
وتحسنه له من معصية ، قال الله تعالى :

« ولقد راودته عن نفسه فاستعصم . ولئن لم يفعل ،
ما امره ليسجنن وليكونن من الصاغر ، قال : رب
السجن أحب الى مما يدعوننى اليه » .

ثم حدثنا القرآن عن طوائف من الناس ، تباينت
مواقفهم من الايمان والدعوة اليه ، كما تباينت
مواقفهم فى نطاق الايمان ذاته .

فمن طائفة الذين لبوا دعوة الايمان ، وأدوا
ضرائبه ، وتكاليفه قال الله تعالى :

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا
بربكم هانئا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزننا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ، فاستجاب
لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو
أنثى ، بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من

زَاغَتِ الْإِبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا . . . الْحَزَابُ .
 « وَيَوْمَ حُتِّينَ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ » .

وقد يقوم في وهم البعض منا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أمام المؤمنين وهاديتهم وذبي الله وصفية ، فدخلت حياته من شداثد المحن ، التي يعرفها غيره من المؤمنين ، ممن لم يشرفه الله برسالاته ، ولم يؤيدهم بوحيه ، ولكن القرآن الكريم ، يورد لنا تعريضاً وتصريحاً ، في الآيات ، ما يؤكد لنا ، أن الإيمان ، ولو كان إيمان الرسل ، هو امتحان من الله تعالى لرسله وعباده ، وأول إشارة إلى هذا في سورة الضحى ، عند انقطاع الوحى : « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » .

ثم هذه الآيات :

« لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا » الكهف .
 « فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ » هود .
 « مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدَهُ مَا يَغِثُ » الحج .
 « وَإِنْ كَانَ كَبِيرٌ عَلَيْكَ أَعْرَاضُهُمْ هَا أَنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُبْتَغَىٰ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ، فَتَأْتِيَهُمْ بَآيَةٌ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ » الأنعام .

ولعل هذا يؤدى بنا - مادامنا قد تحدثنا عن إيمان أمام المؤمنين ، صلى الله عليه وسلم - أن نقف أمام الآية الثانية والخمسين من سورة الشورى .

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مَا تَمُرُّنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ »

فقد اختلف المفسرون على ما يقول - القرطبي - فيما يريد به الله عز وجل بهذه الآية عظامهم ، كما يقول القرطبي يدل على أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ما كان متصفاً بالإيمان قبل الوحى ، في حين أن أكثر العلماء على الرأى القائل بأن الله ما بعث نبيا الا وكان مؤمنا قبل البعثة ، أما القاضى أبو الفضل عياض ، فيرى أن الصواب هو كون الانبياء معصومين قبل النبوة من الجهل بالله وبصفاتهِ والتشكك في شيء من ذلك ، وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على اشراق أنوار المعارف ، وفسر هؤلاء قول الله تعالى عن يحيى : « وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » . أن الله اعطاه العلم بكتاب الله في حال صباه ، بل قالوا انه صدق بعيسى . وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم أم المسيح (وهما بنات خاله) انى أجد ما في بطنى يسجد لما في بطنك تحية له . ثم قال القاضى عياض ولم ينقل أحد من أهل الاخبار أن أحداً نبىء واصطفى بما عرف بكفر

ديارهم وأوذوا في سبيلى ، وقاتلوا وقتلوا لا كفرون عنهم سيناتهم ولا دخلنهم جنات تجرئ من تحتها الابهار نوابيا من عند الله » .

وعن طائفة الذين يحكمون على الايمان بظواهر آياته ، قال القرآن الحكيم :

« قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا » الحجرات . أما الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فقال عنهم التنزيل :

« وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا ، بِاللّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ، يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ » البقرة .

ومن هؤلاء من يتخذ من دعوة الايمان تجارة وسياسة ، فيقول عنهم الذكر :

« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » البقرة .

ومن الناس من يرجو الايمان ، ولكن لا يقوى على قطع صلفه بالكفر وأهله ، فيبقى خيران :

« قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ، وَبَرِّدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ خَيْرَانِ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْإِهْدَىٰ » الأنعام . « مَذْبُوبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ » النساء .

ومن الناس ، من يحسب الايمان ، ضمانا للكسب والجاه والعافية في الدنيا ، وأنه لا يتقاضى المؤمنين ، جهداً وبذلاً ، فقال عنهم الله تعالى :

« وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ اِنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ » الحج .

فالإيمان هو في واقع الامر - كما كررنا - هو دعوة مستمرة ومتصلة لمواجهة الاخطار ، والصمود لها :

« وَكَأَيُّ مَنْ ذِي قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » .

غنى آية واحدة تتابعت ألفاظ الوهن ، والضعف والاستكانة ، لينفيها الله عن المؤمنين ، ثم تمضى حياة المؤمنين امتحاناً مستمراً ، وكانهم الجنود فى الجيش ، لا ينقطع تدريبهم . حتى في وقت السلم ، وبغير هذا الامتحان ، يمكن أن يخلد المؤمن الى الراحة ، ويستدرجه لين العيش ، فيحسب أن الخطر على عقيدته قد زال ، وأن في وسعه أن يلقي السلاح ، وعن هذه الامتحانات المستمرة يقول الله تعالى :

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءَ وَالضَّرَاءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، هَتَّى نَصَرَ اللَّهُ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » البقرة .

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ » آل عمران .

ويحدثنا القرآن عن مواقف امتحن الله فيها قلوب المؤمنين وفيهم رسول الله :

« إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذَا

أولا لا يبين القرآن ما آمن به المؤمنون في خطابه الموجه « يا أيها الذين آمنوا » كما لم يبين الصالحات التي قاموا بها في وصفهم « وعملوا الصالحات »

ثانيا - يرد في القرآن آيات تدل على أن إيمان المؤمنين يزيد وينقص . فكيف يزيد الإيمان ، وهو حاله الاقتناع الكامل ، والاذعان التام ، والتصديق الذي لا يعلوه تصديق وفي المسألة الأولى يقول الأستاذ محمد رشيد رضا : قال تعالى : **وبشر الذين آمنوا ، ولم يذنبوا ما ذنبوا آمنوا لأن متعلق الإيمان كان معروفا عند المخاطبين وهو الله وصفاته التي ورد بها النقل الصريح وأثبتها العقل الصحيح ، والوحي ومن جاء به ، والبعث والجزاء ، فهذه الأصول التي كان يدعو إليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن صدقهم فيها كان مؤمنا ويصدق بما يتبع ذلك من التفصيل هذا وإن إطلاق الإيمان وذكر المؤمنين وما أعد لهم من غير وصله بذكر متعلقاته معهود في القرآن لأن المتعلق معلوم للمسامعين كما قلنا ، وهو بالنسبة لمن لم يؤمنوا مادعاهم إليه النبي صلى الله عليه وسلم أجمالا من الأصول ، أما المؤمنون فقد عرفوه مفصلا تفصيلا » .**

ثم وصف المؤمنين الذين يستحقون البشارة بقوله (**وعملوا الصالحات**) وأطلق في هذا أيضا كما أطلق في كثير من الآيات لأن العمل الصالح معروف عند الناس بالأجمال وذلك كاف في الترغيب وجعله تابعا للإيمان متصلا به ، ولازما من لوازمه ، وبين الأعمال الصالحة بالتفصيل في آيات كثيرة كقوله تعالى : (**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**) .. الخ ، وكالآيات فسي أول سورة (المؤمنون) وآخرها وأخر سورة الفرقان ، وأول سورة المعارج ، وغير ذلك كان الله تعالى يقول : أن العمل الصالح معروف عند الناس لأنه أودع في نفوسهم ما يميزون به بين الخير والشر ، ولكن بعضهم يضل بانحراف يطرأ على نفسه فيخرجها عن الاعتدال الفطري ثم يضل بضلاله آخرين ، فتكون التقاليد والعادات الناشئة عن هذا الضلال هي الميزان عند الضالين في معرفة الصلاح والفساد ، والخير والشر ، لا أصل الهداية الفطرية ولذلك قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، يعني أن الإنسان لو ترك ونفسه لاهتدى إلى الحق مادام بعيدا عن العادات والتقاليد** » .

وما يقوله الأستاذ رشيد رضا ، صحيح فسي جملة ، ويمكن أن نضيف إليه ، أن من يقرأ القرآن ويعتبر نفسه مخاطبا بآياته ، سيعرف حتما الإيمان الذي يدعو إليه هذا الكتاب الكريم ، وأركان هذه الدعوة ، بل وتفاصيلها ، كما سيعلم من هم المؤمنون الذي يعينهم بالنداء الموجه بعبارة « **يا أيها الذين آمنوا** » وبذلك تتنقى كل شبهة ويزل كل لبس ، وهذا ما اقتضى عدم تعريف المؤمنين وعدم تحديد الأعمال الصالحة ، التي يقومون بها ، لأنها واردة كذلك في

واشراك ، قبل ذلك ، وأن قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته ، وغير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها وما اختلفته ، ولم تجد في شيء من ذلك تعبيراً لواحد منهم برفضه ألهمهم وتقريبه بدمه بترك ما كان قد وافقهم عليه (بالتعب لهذه الآية) .

ثم انتقل القرطبي بعد ذلك إلى تفسير الآية : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، فقال الثعالبي الإيمان هنا شرائع الإيمان ومعامله ، وقال القشيري تفاصيل هذا الشرع أي كنت غافلا عن هذه التفاصيل ، ويجوز إطلاق لفظ الإيمان على تفاصيل الشرع ، وقال أبو العالية : ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان . وقال بكر القاضي : ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام ، وقال ابن خزيمة : عني بالإيمان « الصلاة » لقوله تعالى : « **وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس** » بعد تحويل القبلة إلى الكعبة - وقال أبو الفضل ما كنت تدري ما الكتاب ولا أهل الإيمان . وهو من باب حذف المضاف ، وقال علي بن عيسى أنه يعني أن الرسول لم يكن يعلم شيئا (عن الإيمان) حتى البلوغ .

والثابت من القرآن أن رسول الله قال عن نفسه « **سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** » فهو قبل الرسالة وبعدها ، واحد من البشر ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وقال عن نفسه كذلك أنه يتزوج النساء ، ويقوم وينام ، ويصوم ويفطر ، ولكل نبوة أرمصاصات ، بل لكل عظمة بشرية مقدماتها ، فكبار المفكرين ، والقادة ، دع عنك الأنبياء والرسل ، يتميزون منذ صباهم وأحيانا منذ طفولتهم بمخايل النجابة ، والصدق والصراحة والتأني عن الدنيا ، وحب الكرم ، والتفوق على الأقران ، ولا شك أن هذا كله كان ظاهرا غاية الظهور في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته ، وقد استطاع بلا شبهة قبل البعثة ، أن يرى ما في عبادة الأوثان من سخف تنفر منه الطبيعة السليمة ، ولا شك في أنه كان يفكر في أصول العبادة ، وفي النظام السليم الذي يجب أن يسير عليه الناس ، ولكن كل هذا شيء والإيمان بمعناه القرآني والإسلامي ، شيء آخر ، فأوانه لم يحن إلا عند نزول الوحي ، واتصاله بقلب الرسول الأمين . ولو قلنا أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم قبل البعثة الإيمان على الوجه الذي بينه له في كتابه الكريم ، لعكسنا قصد الآية ، وذهبنا إلى عكس الغاية منها ، لأن الغاية منها أن القرآن وحى من عند الله ، وهو من صنعه ونظمه لأن الرسول الذي أعلنه للناس ، لم يكن يعرف ما نزل فيه ، قبل نزوله . ولا يتصور أن يكون في مقدور من يجهل نظاما محكما ، كالنظام الذي دعى إليه القرآن ، أن يمنح القدرة فجأة ، فيصنعه ويعرضه على الناس ، بلا عون من الله وتأييد .

وفي الآيات القرآنية عن الإيمان والدعوة إليه ، ثلاثة حقائق تدعو إلى القائل والتدبر :

القرآن ، وقد طالبتهم آياته التي يتلون بها أو يسمعونها ليل نهار . بادأها ، وحذرتهم من إهمال النهوض وحبيت لهم الأسراع بالقيام بها ومداومة ذلك ، ووعدتهم لقاء الطاعة ، حسن الثواب . ولكن هذا لا يمنع أن القرآن ، قد عني إلى توجيه الخطاب مع المؤمنين بما نزل فيه من أحكام ومبادئ ، وأوامر ونواهي . وأمر المؤمنين بكل دعوة خير أخرى غير الإسلام ، تأتي بها الأيام بعده ، وقد لا تكون داخلة في مضمونه العام وإن كانت لا تتعارض معه ، ولا تعطل أحكامه ، وليس حتماً أن تكون هذه الدعوة دعوة دينية بل قد تكون دعوة اجتماعية أو فكرية ، مما تنشأ دواعيه بعد عهد نزول القرآن ، وجهاد الرسول وصحابته ، كتحرير الأوطان ، أو تحرير الطبقات المضطهدة ، أو الوقوف في وجه حركات الاغلال ، والمذاهب التي تفقد المجتمعات الإنسانية بسببها وحدتها وأمنها ، وحوافز تقدمها ، وإن كانت هذه الحركات يحتويها المفهوم العام للإسلام ، لأنه يدعو إلى إقامة العدل ، وتحريم الظلم ، وإكرام الانسيان كنسيان ، ومنع أساءة معاملة ، أو حرمانه من حقوقه ، أو تحقيره . والمؤمنون مهما كان موضوع إيمانهم ، قوم صالحون في المجتمع الذي ينتمون إليه ، بدلالة أن ما يحركهم ويوجه نشاطهم هو إيمان بفكرة عامة لا بمصلحة ذاتية ، فإذا اقترن إيمانهم هذا بعمل صالح ، أي بعمل يراه المجتمع صالحاً ، كانوا أختياراً بلا شبهة ، إذ لم يحدث أن توافقت جماعة على اعتبار عمل ضار ، عملاً صالحاً ، إلا في النادر الذي لا يحسب حسابه ، فالتناس كلما اجتمعوا ، غلبت عليهم خير صفاتهم ، وسادتهم أحسن بواعثهم .

أما اقتران الإيمان في القرآن بالعمل الصالح ، فهو اقتران الشيء بما يتبعه بالضرورة لا اقتران الفعل بشرط أو ركن وجوده أو انعدامه كما يقوون القانونيون ، بمعنى أن الإيمان يمكن تصوره ، قائماً بذاته ، مستقلاً عن العمل الصالح الذي سيترتب عليه ، أو يدعو إليه . فالإيمان يوجد أولاً في النفس ، ولا يقترن عند ميلاده بعمل ، صالحاً كان أو فاسد . والإنسان يؤمن أولاً ، وقد يمضي وقت قبل أن تقوم دواعي العمل ، وتتهيأ ظروفه ، وإذا تصورنا مؤمناً ، قد فقد القدرة على الحركة والنطق ، فقد تصورنا حالة الإيمان المجردة غير المقتربة بالعمل . والقرآن نفسه ، فرق بين المؤمنين القادرين على الجهاد ، والمؤمنين العاجزين عنه ، فميز الذين جاهدوا منهم على المؤمنين (غير أولى الضرر) ، إذ أن العاجزين ، لا يسألون عن عجزهم المكتوب عليهم بغير تقصير منهم . بل إنهم أحسن الشهادة في حق الذين يطلبون أن يجاهدوا فلم يجد الرسول ما يحملهم عليه ، فعداوا إلى بيوتهم وعبودتهم تفيض من الدمع إذ حرموا شرف الجهاد .

ولكن القرآن قرن الجهاد بالعمل الصالح لأسباب منها :

أولاً - أن غاية الإيمان هي العمل الصالح فلا يدعى الناس للإيمان بالإسلام مثلاً ، لمجرد اقتناعهم بأنه دين صالح أو بأنه خير الأديان ، ثم يبقى كل شيء على حاله ، بل المقصود من هذه الدعوة أن يغيروا حياتهم ، ويضعوا حداً للسوء من عاداتهم ، وأن يستبدلوا بالتقديم البالي من تقاليدهم ونظراتهم إلى غيرهم من الناس وعلاقاتهم ، بالجديد من هذه التقاليد والنظرات التي ينصح بها الدين الإسلامي . وهذا كله لا يتم إلا بأعمال ، بل بجهاد متصل مضمّن ، ومن هنا كان ترادف الإيمان والعمل الصالح ، تنبيهاً إلى هذا العمل ، واستحثاً للمهم للقيام به . واقناعاً للناس بأن هذا الإيمان الجديد ، سيعطيهم لهم عملاً سينفعهم ، وسيحقق لهم خيراً .

ثانياً - أن الإيمان ، بطبيعته ، لا يدع مؤمناً في حالة سكون مطلقاً . فما يكاد المؤمن يكتمل إيمانه ، حتى يرى نفسه مدفوعاً إلى العمل ، ولو أراد أن يهدأ أو يؤجل سعيه أو يقلل من نشاطه لما استطاع ، وقد يلقي المؤمن من هذا السعي الدائب ، غناء ويشقى به شقاء كبيراً ، فيعقد العزم على أن يخفف من حركته ، ولكن ما يكاد يطلع عليه نهار اليوم التالي ، حتى يرى نفسه وقد نسي كل شيء ، وبدأ يومه أكثر نشاطاً .

ثالثاً - أن الإيمان هو حركة باطنية لا يراها الناس ، ولا سبيل إلى قيامها ، ولا نصيب صاحبها من الصدق ، ولو صدقنا كل من يدعى بأنه مؤمن ، لفتحنا الباب لكل مدع ، أما العمل الصالح ، فهو الذي يميز الصادقين من الادعياء والكاذبين ، وإذا كان الله تعالى عرف خبيثة نفس الأعراب الذين قالوا أنهم آمنوا ، فقال لهم أنهم أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ، فليس للبشر من المعايير الإلهية شيء ، إلا العمل الصالح الذي لا يكاد يخطئه أصحاب الفطرة السليمة .

قلت أن الإيمان ، هو مرتبة تعلو كمال التصديق ، والاقتناع ، لأن التصديق والاقتناع عمليتان عقليتان ، والإيمان موق كونه ثمرة تدبر وتفكير ، إلا أن الانفعال يدخل في تكوينه ، فيكون للعاطفة والشعور ، دور في تكوينه . فهو حالة تجيش لها النفس ، وتجتمع لها كل القوى العاقلة والمدركة ، والشاعرة عند الإنسان ، تعلو به على التقديرات المادية ، وعلى قيود الواقع الملموس وتمنحه قوة تعينه على تحمل الحرمان ، والتبات أمام المصاعب والمصائب : (ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين) . فهي حالة لا زياده فيها لمستزيد ، لأن النقص الذي يشوبها يهبط بها إلى حالة أخرى قريبة من الإيمان ، ولكنها ليست هو . ولكن القرآن الكريم ورد في كثير من آياته مثل (فزادهم إيماناً) ولكي يزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، فكيف تفسر ذلك ؟

يقول القرطبي : وقد اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال ، والعقيدة في هذا على أن نفس الإيمان الذي هو تاج واحد ، وتصديق واحد

منشئها من النفس وهو الاذعان الذي يقوى ويضعف بالتبع للايمان . وهذا عين قبول الزيادة والنقصان .

« ونحن هذا نفهم معنى ادخال السلف الصالح في الاعمال مفهوم الايمان في كل اعتقاد اثر في النفس يتبعه عمل من الاعمال فهي سلسلة مؤلفة من ثلاث حلقات يحرك بعضها بعضا ، والامام الغزالي ، يعبر عنها بالعلم والحال والعمل ، فيقول : ان العلم بان كذا يرضى الله تعالى او كذا يسخطه مثلا يحدث في النفس حالا يترقب عليها فعل ما يرضيه ويقتضى مقبوته . وترك ما يسخطه ويقتضى عقوبته . ويقول : ان ترقب بعضها على بعض واجب ، وعبارته ان العالم يوجب الحال والحال يوجب العلم » .

« وأما زيادة الايمان بزيادة متعلقاته وهي المسائل التي يؤمن بها المؤمن التي يعبر عنها بشعب الايمان فهي ظاهرة لا تحتاج في بيانها الى شرح طويل ، فان هذه المسائل لا يمكن ان تتلقى الا بالتدرج فكما تلقى المؤمن مسألة منها ازداد ايمانا » .

واقول ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وانما يوجد وينعدم واليقين وعين اليقين وحق اليقين التي يقول عنها السيد رشيد رضا ، كلها درجات وتطورات سابقة على الايمان متصلة به ومؤدية اليه ، ولكنها ليست الايمان ذاتا ، لان الايمان - كما قلنا - حركة عقلية وشعورية ووجدانية ، يتصافر فيها القوى الواعية ، وغير الواعية ، من ملكات الانسان العقليه والعاطفيه ، واليقين والتثبت حركة عقلية بحثة ، ورب انسان يوقت بأن التماس العلاج عند الطبيب ضرورة عاجلة ، ونفع حال لا ريب فيه ، ومع ذلك لا يجد في نفسه القدرة على تقرير طلب هذا العلاج ، والسعي اليه ، والخروج من الجمود الى الحركة . والوفد من الناس يمارسون رذائل يعرفون هم قبل غيرهم ، وبال عاقبتها ، وسوء مغبتها وانما توردهم موارد التهلكة ، ومع ذلك يواصلون ممارستها مغلوبين على امرهم ، وقد يعزم الواحد منهم في الليل على ان ينفذ عن نفسه عار هذه الرذيلة ، فاذا أصبح الصباح نسي ما قال ، واستأنف حياته على العهد بها . ولكن انظر الى هؤلاء ، وقد شملتهم حركة عامة ، وايمان شامل ، ضمتهم في غمارهم مع غيرهم من ابناء قومهم ، صالحين وطالحين ، فانك لتراهم ، وقد خلقوا خلقا جديدا ، ضلابة عزم ، ونفاذ ارادة ، واهتداء بالحق ، ودعاة وهداة اليه ولعلك واجد خير مثل ، او أوضح برهان على ما نقول ، فيما تركه الاسلام من اثر على ابطال الاسلام الاوائل الصناديد من أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ، وعمر بن العاص الذين نفروا من دعوة ابن عمومته محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وحاربوا دينه ، واضطهدوا أنصاره ، ثم آمنوا ، فاشرفت نفوسهم ، والتمعت مواهبهم ، وكبرت شخصياتهم ، وأغلب الظن أنهم لو

بشيء ما ، انما هو معنى مرة لا يدخل معه زيادة اذا حصل ، ولا يبقى منه شيء اذا زال فلم يبق الا ان تكون الزيادة والنقصان في متعلقاته دون ذاته فذهب جمع من العلماء الى أنه يزيد وينقص من حيث الاعمال الصادرة عنه . لا سيما أن كثيرا من العلماء يوقعون اسم الايمان على الطاعات ، لقوله صلى الله عليه وسلم (الايمان بضع وسبعون بابا ، فأعلاها قوله : لا اله الا الله ، وأدناها إماطة الاذى عن الطريق) وزاد مسلم « والحياء شعيرة من الايمان » . وفي حديث على رضي الله عنه : ان الايمان ليبدو لمظة بيضاء في القلب ، كلما ازداد الايمان ، ازدادت اللمظة . واللمظة مثل النكتة أو النقطة ونحوها من البياض . وفي كلام على رضي الله عنه حجة على من أنكر أن يكون الايمان يزيد وينقص ألا تراه يقول : كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة حتى يبيض القلب كله » .

« ومنهم من قال : ان الايمان عرضي ، وهو لا يثبت زمانين ، فهو للنبي صلى الله عليه وسلم ، متعاقب ، فيزيد باعتباره توالي أمثاله على قلب المؤمن ، وباعتبار دوام حضوره ، وينقص بتوالي الغفلات على قلب المؤمن » .

« وذهب قوم من العلماء الى أن زيادة الايمان ونقصه انما هو من طريق الأدلة فتزيد الأدلة عند واحد فيقال في ذلك أنها زيادة في الايمان وبهذا المعنى - على أحد الأقوال - فضل الانبياء على الخلق ، فانهم علموه من وجوه كثيرة أكثر من الوجوه التي علمها الخلق بها . وذهب قوم الى أن الزيادة في الايمان انما هي بنزول الفرائض والاخبار في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي المعرفة بها بعد الجهل غابر الدهر » .

انتهى كلام القرطبي بشيء من التصرف .
ويقول السيد رشيد رضا : قالوا ان التصديق لا يعتد به ، ويكون ايمانا صحيحا الا اذا وصل الى درجة اليقين ، فاذا نزل عن مرتبة اليقين كان ظنا أو شكاً ، وليس الظن ايمانا يعتد به ، والشك كفر صريح . هذا وإن لليقين مراتب ، يعلو بعضها بعضا ، وحصرها بعضهم في ثلاث : علم اليقين ، وحق اليقين ، وعين اليقين ، فالارتقاء من درجة الى أخرى زيادة . ويرى عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه انه قال : لو كشف الغطاء ما ازدادت يقينا . وهذا القول بنى على أن اليقين بقبل الزيادة في نفسه . ثم ان فائدة الايمان انما تكون باذعان النفس الذي يحرك فيها الخوف والرجاء وغيرهما من وجدانات الدين التي يترتب عليها ترك المنكر المنهى عنه وفعل المعروف المأمور به ، ولولا ذلك لم يكن للدين فائدة في اصلاح حال البشر وهل يقول عاقل ان الاذعان والخوف والرجاء من الامور التي لا تقبل الزيادة والنقصان ؟ أما انه لو كان اذعان جميع المؤمنين في درجة واحدة لتساووا في الاعمال ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً كما هو ثابت بالمشاهدة فثبت أنهم متفاوتون في

لم يدخل الايمان قلوبهم اى لم يتح لهم الاسلام فرص العظيمة الحقيقية ، لراحوا أفرادا ، كسائر أعضاء قبيلة قريش وبطونها وأقصادا ، يشاركون فى الصغير النافه من معارك العرب الداخلية ، والضئيل الحقيق ، من شواغلهم وخلافاتهم .

والواقع أن الايمان أشبه شئ بالكهرباء ، فالمصباح لا يضىء بفعلها الا بعد أن تصل الاسلاك فى اللمبة الى درجة الاشتعال ، كذلك الايمان ، فايما الجاهل كايما العالم ، وايمان الغنى كايما الفقير من حيث الطبيعة والأثر ، ولكن الاختلاف واقع فى اختلاف وظيفة كل من هؤلاء فى المجتمع ، ومواهبه الشخصية ، فايما العسكرى يدفعه الى القتال ، وايمان الشاعر والخطيب ، يدفع الى القول والمنافحة بالحجة والبيان . ولكنهم جميعا ، يؤثرون على أنفسهم ، ويبدلون أقصى الجهد ، ويسفكون الدم ، ويطيعون القائد منهم . ولو كان عبدا حبشيا . الايمان أيضا كالكهرباء ، تسلط على المصباح الصغير فيضيئه ، ثم على المصباح الكبير فتضيئه ، وعلى الآلة الصغيرة فتديرها ، وعلى الآلة الضخمة فتديرها ، وهى فى جميع الاحوال هى لا تتغير ، وإنما تتغير المظاهر التى تبدو بها ، والاشكال التى تظهر فيها . وهى لا تزيد ان تسطع فى الثريا ، ولا تنقص حينما تظهر فى الجهاز الصغير . انما الذى يزيد وينقص طاقة الجهاز على استيعابها ، والانتفاع بها . أو لعل الايمان هو الماء ، يملأ الاناء حتى حافته ، ولا يمكن الا أن يكون ملء الاناء تماما ، ولكن الاناء هو الذى يتغير ، فيكبر ويصغر ، ويطول ويقصر ، ويتسع ويضيق ، ويصبح يوما أبيض اللون ، شفافه ، وآخر ، أسود اللون ، داكنه . والماء هو الماء ، بشرط واحد ، هو أن يمتلىء الاناء به ، حتى لا ينقص عن سعة الاناء قطرة واحدة ، فلا يتسع لسائل اخر ، ولا لاي شئ سوى الماء الذى شغله كله .

وما دمننا قد مر بنا أن الايمان من الاجسام والاشخاص كالماء فى الاواني ، فيمكن أن نتصور أن سعة الاناء يمكن أن تزيد ، وبذلك تزيد كمية الماء التى

يستوعبها هذا الاناء ، فالانسان يمكن أن تنمو شخصيته ، وتزداد طاقاته ، وتعلو ملكاته ، فيصبح بايمانه أكثر نفعا ، ويصبح ايمانه أكثر سطوعا ، ولعل لنا فيما أورد فى سورة الفتح ، ما يعين على زيادة قصور كون الايمان لا يزيد ولا ينقص ، فقد قال الله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » . فالمتغير هنا لم يطرأ على الايمان ، وإنما طرأ أولا على نفوس المؤمنين ، فقد كانوا فى حالة من الضيق والشك فى النصر ، والاضطراب ، فأصابهم من ذلك ، ما يشبه التقلص الذى تضيق وتلتوى له الاجسام ، فإذا ما سكنت النفس ، زادت استيعابا لهذه الطاقة التى لا تعلوها طاقه فى الدفع والاثارة ، والخلق والابداع ، والتحدى والصمود . وهى الطاقة التى غيرت الامم ، وألهمت القادة والهداة ، والتى كانت عدة المؤمنين أتباع الرسل والنبيين ، والتى بها تتفاوت الشعوب ، كما ينفوا الأفراد .

وبعض الناس ، يخفى عليه أن الايمان بالله ، هو أعلى صور الايمان ، ولكنه ليس الصورة الوحيدة له ، فالنعيماء والمصلحون ، والفلاسفة والمفكرون ، والمكتشفون والمخترعون ، كل أولئك ، فى حاجة الى الايمان ، بل انهم وأعمالهم ، ثمرة الايمان ، لولاه لما خطوا حرفا ، ولا غيروا غردا ، ولا أضافوا جديدا ، ولا واجهوا خطرا . فالذين يحسبون الايمان ، مرادفا للخزعبدات والاذواء ، وتسلط الدجاجة والمشعوذين ، هم من الجهل فى قمته ، فالايمن عدو الجهل ، وعدو الظلم ، وعدو التخلف ، وعدو القوضى ، وعدو أكاذيب المتجرين بضغف الناس ، والمتفيعين بفقرهم وفترقهم . فالايمن هو النور الذى صاحب خطى الانسان من الغابة والكهف الى المدينة والجامعة ، ومن النقش على الرمل ، الى النقش على الصخر ، الى الكتابة بأقلام ، ومن الذبالة التى تراقص فى مهب الهواء الى المصباح الكهربائى الساطع الباهر ، الذى لا يطفيه الرياح .

فالايمن بقدر ما هو مبعث القوة ، ومصدر الطاقة ، هو مصدر العلم ، ومبعث النور .



أيها
الذبيح

اسماعيل

أم

اسماعيل

١٤

الدكتور أحمد الحرفي

[ثالثا]

وأما التوراة فتتص على أن اسماعيل ولد لإبراهيم من زوجته هاجر قبل أن يولد إسحاق من زوجته سارة بثلاثة عشر عاما ونيف .

وذلك أن إبراهيم لم يكن له نسل ، فقال : « أيها السيد الرب ، ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ، ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي ؟ وقال إبراهيم أيضا : أنك لم تعطيني نسلا ، وهوذا ابن بيتي وارث لي . فإذا كلام الرب إليه قائلا : لا يرثك هذا ، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه الى خارج وقال : انظر الى السماء ، وعد النجوم أن استطعت أن تعدها ، وقال له : هكذا يكون نسلك » . [سفر التكوين ١٥ - ٦ . ابن بيتي المراد : قريب لي] .

□ ١٠ □

وبعد هذا ولد لإبراهيم اسماعيل « وأما ساراي امرأة إبراهيم فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراي لإبراهيم : هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلني أرزق منها بنين ، فسمع إبراهيم لقول ساراي . فدخل على هاجر ، فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها . فاذلتها ساراي ، فهربت من وجهها . . فقام لها ملاك الرب : ها أنت حبلتي فتلدن ابنا وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك . . فولدت هاجر لإبراهيم ابنا ، ودعا إبراهيم اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل ، وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل » . [سفر التكوين ١٦ - ١ - ١٦] ويجيء في التوراة نص آخر يوضح أن إسحاق ولد لإبراهيم من سارة بعد مولد اسماعيل من هاجر بثلاث عشرة سنة ونيف : « ولما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبراهيم وقال له : أنا الله القدير . . لا يدعى اسمك إبراهيم ، بل يكون اسمك إبراهيم ، وساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارة ، وإباركها واعطيك أيضا منها ابنا ، فسقط إبراهيم على وجهه ، وضحك ، وقال في قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟

وقال إبراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش امامك ، فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعوه إسحاق ، وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده ، وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثني عشر رئيس يلد ، وأجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية . وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة ، وكان اسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة » سفر التكوين ١٧ - ١ - ٢٧ وكذلك في سفر التكوين ١٨ - ١١ - ١٤ وفي سفر التكوين ٢١ - ١٣ .

وليس يصح أن يفوتنا من هذا النص أنه يجهر بأن اسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة ونيف ، لأن إسحاق ولد بعد البشارة بتسعة أشهر . وأنه يسجل أن الله تعالى وعد إبراهيم أن يبارك نسل اسماعيل ويجعل منه أمة كبيرة ، ومعنى هذا بدها أن فداه من الذبيح كان قد حدث قبل ذلك وهو غلام . كذلك لا يفوتنا أن الله تعالى وعد إبراهيم وهو يبشره بإسحاق أن يقيم معه ومع نسله عهدا أبديا ، وقد سبق في القرآن الكريم التبشير بأنه سيكون نبيا من الصالحين ، ويستحيل أن يأمره الله بذبحه بعد هذا الوعد ، أو ذاك العهد .

(رابعا)

وأنه ليسترعى الانتباه أن الله سبحانه وتعالى وصف اسماعيل بصدق الوعد ، فقد وعد أباه أن يحتل الذبيح راضيا ووفى بوعده ، ووصفه بالحلم والصبر ، إذ صبر على الذبيح واستسلم لأمر ربه ولعزيمة أبيه ، قال تعالى : « واذكر في الكتاب

اسماعيل انه كان صادق الوعد ، وكان رسولاً نبيا .
وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مرضيا .

وقال سبحانه : « واسماعيل وابراهيم ذوا الكفل كل من «صابرين» . وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين » . ذو الكفل : نبي من انبياء بني اسرائيل ولم يجرى في القرآن الكريم وصف اسحاق بالنصير أو بالحلم ، بل جاء وصفه بالعلم في قوله تعالى : « ويسروه بخلاف علمهم » .

وجاء وصفه بالامناء في قوله سبحانه : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا » .

وجاء وصفه بالصالح - كما وصف اسماعيل بالصالح - في قوله تعالى : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافله وكلا جعلنا صالحين » وفي قوله سبحانه : « وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » .

(خامسا)

ماذا بقي لاستيفاء لموضوع ؟

بقي الكشف عن التناقض العجيب في قول التوراة « حدث بعد هذه الامور ان الله امتحن ابراهيم سدا له : يا ابراهيم خذ ابنت وحيدك الذي تحبه اسحاق ، واذهب ابي ارض المريا ، واصعدك هناك محرقة على احد الجبيل . فبكر ابراهيم صباها ، وشد على حماله ، واخذ اثنين من غنائه واسحاق ابنه ، وشتم حطب محرقة . وذهب ابي الموضع الذي قال له الله . ثم مد ابراهيم يده ، واخذ السكين ليذبح ابنه ، فقال له الرب : لا تمت يدك الى الغلام ، لاني الان علمت انك خائف الله . فلم تمسك ابنك وحيدك عنى ، فرفع ابراهيم عينيه . ونظر ، واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه ، فذهب ابراهيم ، واخذ الكبش واصعدك محرقة عوضا عن ابنه » . [سفر التكوين ٢٢ - ١ - ١٤] ما من شك في ان اليهود اقحموا في هذا النص اسم اسحاق ليزعموا انهم نسل الذبيح الذي فداه الله ، ولم يكن اسحاق في يوم ما وحيدا لابيه ، فقد كررت التوراة نفسها ان اسماعيل اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة ، فكيف غفل المحرفون للتوراة عن هذه الحقيقة ؟

ان الولد الذي كان وحيد ابيه طوال ثلاث عشرة سنة هو اسماعيل . فهو اذن الابن المحبوب الذي امر الله اياه بديحه ، وهذا هو الامتحان الشديد القاسي الذي لا يعدله ولا يقارنه امتحان ، لان الابناء اعز على الاباء من انفسهم ، فاذا كان الابن وحيدا ، وجاء لابيه على كبره كما هي حال ابراهيم واسماعيل كان الابتلاء اشد واقسى ، ولهذا قال القرآن الكريم : « ان هذا لهو البلاء المبين » .

(سادسا)

وبعد هذا قد يتساءل بعضنا عن آراء المفسرين للقرآن الكريم في اسم الذبيح . وللإجابة على هذا التسؤل اذكر انهم مختلفون ، فمنهم من أيقن أنه اسماعيل كابن كثير ، ومنهم من

رجح أنه اسماعيل كالزمخشري ، ومنهم من استصوب انه اسحاق كالقرطبي .

١ - أما ابن كثير فإنه قال : ان الذبيح هو اسماعيل ، وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى أنه اسحق . وحكى ذلك عن طائفة من السلف ، حتى من عن بعض الصحابة رضي الله عنهم . وليس ذلك عن خلف ولا عنه ، وما اظن ذلك بقي الا عن احبار من الخلف ، واخذ ذلك مسبقا من غير حجة ، وهذا خدب الله سمعهم ومرشد الى ان الذبيح اسماعيل .

ثم قال : والقول بأنه اسحاق مأخوذ عن كتب الاحبار ، فإنه لما أسلم في عهد عمر بن الخطاب حين يحدث عمر عن كتبه قديما وحديثا ، فربما استمع له عمر رضي الله عنه ، فترخص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا عنه الغث والسمين ، وليس لهذه الأمة حاجة الى حرف واحد مما عنده . [تفسير ابن كثير ١٧ - ٤]

٢ - وأما ابن جرير الطبري فقد سرد روايات شتى ، بعضها يفيد ان الذبيح هو اسحاق ، وبعضها الآخر يفيد ان اسماعيل ، ثم استصوب هو أنه اسحاق ومن السهل ان نلاحظ تعارض هذه الروايات وتضاربها ، وحسبنا ان احداها تذكر عن عبد الله بن عباس ان الذبيح اسحاق ، وان أخرى تذكر عنه أيضا انه اسماعيل .

ثم عاد الطبري فذكر في رواية تنتهي الى ابن عباس ان الذبيح كان بمنى ، وذكر رواية عن الحسن ان الفداء كان بمكة ، ولم يكن بها اسحاق ، وانما كان بها اسماعيل . [تفسير الطبري ٢٢ - ٤٨ - ٥٥]

٣ - وأما القرطبي فقد سلك مسلك الطبري ، فذكر روايات كثيرة بعضها يعين ان الذبيح اسحاق ، وبعضها يعين أنه اسماعيل ، وهي روايات متضاربة متناقضة ، ويكفي لبيان تناقضها ان تنسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والشعبي ومجاهد وعلقمة ما يدل حينا على ان اسحاق هو الذبيح وما يدل حينا آخر على ان اسماعيل هو الذبيح .

ويظهر ان القرطبي لم يطمئن الى ترجيحه ان الذبيح هو اسحاق . شروى عن الزجاج قوله : الله أعلم بهما الذبيح ، وعقب عليه بقوله : وهذا مذهب ثالث [تفسير القرطبي ١٥ - ١٠٠ - ١١٢] .

(سابعا)

أما بعد :

فأنتى - استجابة لما يرشد اليه هذا البحث - مطمئن ، لا مطمئن كله الى ان الذبيح المقدى هو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، اسماعيل جد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وجد العرب .

ولست في هذا متجئنا على الحق ، ولا ظالما لاسحق عليه السلام ، ولا مقتصعا لشرف الفداء ، بل أدنين بما يهدى اليه البحث المجرد ، والفهم المتدبر ، والحياد المنصف .

النور هو ذلك الشيء الذى يظهر
بذاته وبه يظهر غيره وجاء لفظ النور
فى آيات كثيرة فى الذكر الحكيم . وقد
يراد به غير المعنى المتقدم ذكره كما فى
قوله تعالى :

« فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى
أنزلنا »

ويراد بالنور هنا (القرآن)

وكما فى قوله تعالى :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون » أى
يريدون طمس (دينه) بما يفترونه من
الكذب .

وكما فى قوله تعالى : « قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين »

ويراد هنا بالنور (الرسول) (صلى
الله عليه وسلم)



نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

الدكتور عبد العزيز غزvam

فالوجود هو أصل الظهور والموجد هو الله الحى
القيوم (القائم بذاته) .

فلا ظهور لشيء إلا بنور الله مبدع الوجود ومبدع
كل ما فى السموات والارض .. (الله نور السموات
والارض) .

والله تعالى هو الذى أظهر بنوره الكائنات الحية
وغير الحية ولو شاء ما ظهر منها شيء بل لظلت غيبا
مجهولا فى عالم الطاقة أو عالم الغيب .

فسبحانه - أنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن
فيكون - وإذا شاء محاما ظهر من الوجود . « بمحو
الله ما يشاء ويثبت » .

« ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن
زالتا ان أوسعهما من أحد من بعده » .

لا أحد يستطيع ذلك غير الذى أنشأهما أول مرة -
بالكيفية التى يعلمها هو وحده .. فقال تعالى : « الله نور
السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
المصباح فى زجاجة الزجاج كانهما كوكب درى يوقد
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد
زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار . نور على نور .
يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس
والله بكل شيء عليم » .

وقس ابن عباس رضى الله عنهما (النور) فى قوله
تعالى (الله نور السموات والارض) . هادى
السموات والارض -

ويقول البيضاوى فى تفسيره :

- أصل الظهور هو الوجود . كما أصل الخفاء هو
العدم والله سبحانه وتعالى .

- موجود بذاته . موجد « لما عداه » .

قاله سبحانه وتعالى هو نور الوجود كله لانه
موجده من العدم ومظهره من الغيب والواقع الذى لا
ريب فيه هو أنه ليس هناك شيء يمكن أن يرى بالعين
المجردة أو بالالة - قبل أن يكتبل تكوينه - فإذا تم
تكوينه وتركيبه من أجزائه أمكن أن يظهر - للعين
المجردة أو بالالة (اذا كان دقيقا لا يرى الا بها)

وان الذرات الاولى . لا تظهر حتى يكتبل تركيبها
من مكوناتها الثلاث (- البروتونات -
والنيوترونات - والاليكترونات -) وعند ذلك تظهر فى
عالم الوجود . وان لم تظهر للعين المجردة .

ومن هذا النوع من الذرات يتكون كل ما فى الكون
من أجرام سماوية ومخلوقات أرضية حية كانت أو
غير حية .

والنطف التى هى أصل الحيوان - هى أيضا من
هذه الذرات .. والنطفة لا تظهر بصورتها حتى يكتبل
تركيبها من الذرات (التى تتجمع بأمر الله) ..
والتي مصدرها غذاء الحيوان .

فكل مخلوق سواء كان حجمه فى حجم الشمس .
أو حجمه فى حجم الذرة . لا يظهر حتى يتم ابداعه
وتركيبه بالصورة التى يظهر بها فى عالم الوجود .

« واذ قال ربك للملائكة ائني جاسعاً في الارض خليفة » .
 « وعلم آدم الاسماء كلها » - فضلا منه ونعمة . .
 وجعل في ذريته الكتاب والحكم والنبوة .

فالعلم نور من أنوار الحق تستضيء به الانسانية في كشف قوانين الطبيعة وطبيعة الاجسام لتسخرها كما اقتضاه حكمه وحكمته ورحمته بالناس ونعمته منه . لا ينقص زمنها ، ولا يحرم منها أى مخلوق فى أى مكان » ونور النبوة . هو من نور الله . الذى اختص به قلوب من اصطفاهم من خلقه ليكونوا مصابيح الدنيا ومداة البشر .

وهؤلاء يرون بنور النبوة . قبل أن يرى الناس . نور الحق . ويشاهدون الدليل عليه قائما فى نفوسهم قبل أن يقوم فى نفوس الناس .

وأن تعجب فحجب أن يذكر الناس على هؤلاء . وهم الذى يسمي بين أيديهم وعن إيمانهم وعن شمالكهم . يقول تعالى : « وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله »

وأى نور للعقول أفضل من نور القرآن يبصرهم بطريق سعادتهم فى الدنيا والاخرة . وأى نور أفضل من نور القرآن يعرف الانسان بخلقه ومنشئه من عدم وجاعله خليفة فى الارض .

وأى نور أنفع للناس من هذا النور الذى يجنبهم مواضع الزلل والضعف ومنازل الفساد ومواقع الهلاك والخطر . أى نور أفضل من ذلك الذى يخرج الناس من ورطة عبادة غير الله من الاوثان والمادة ويرفعهم الى عبادة الرحمن والى الاستشهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ونصرة الضعيف والمظلوم .

والقرآن بيان لطريق الله المستقيم ولدينه الحنيف دين ابراهيم وموسى وعيسى والنبيين من قبل ومن بعد دين الله الحق دين الاسلام وأساسه التوحيد . والقرآن يهدي الناس بنوره الى الحياة الراضية المطننة وما أشر الحياة واتعسها مهما كانت ألوانها اذا خلت من خصلة الرضا بفعل الله .

وما أحلاها على بساطتها مع الرضا . . ومن أراد الهدى فالقرآن يهديه . والقرآن حجة الله البالغة على الناس فمن قرأه أو بلغه فقد لزمته الحجة .

والراغب فيه راغب فى الحق . والراغب عنه راغب فى الباطل .

والجاحد بأنواره لن يرى أى نور ولو كان بين يديه نور مصباح قوته ألف شمعة - لانه لا يبصر ولن

[البقية صفحة ٧٥]

والمراد بالمثل المذكور فى الآية ككل الامثال هو الايضاح أو لتوصيل العقل الى ادراك ما لا يستطيع ادراك حقيقة بغير المثل . كما فى قوله تعالى : (لبيان عظمة علم الله الذى وسع كل شىء -) « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » .

وضرب الامثال عادة فى الناس . وما اكثر الامثال فى كلام العرب .

والقرآن الكريم وهو ذروة البلاغة والبيان العربى - يذكر الامثال فى آياته البينات كقوله تعالى : لبيان استحالة الجنة على المكذبين بآياته : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » وكذلك نجرى المجرمين . وقوله فى بوار عمل الكافر :

« والذين كفروا اعمالهم كسراب يتقىعه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » .

فعمل الكافر لا ينفعه كما لا ينفع السراب الظمان فى الصحراء . . وكقوله تعالى لليهود الذين لم ينتفعوا بما جاءهم من التوراة :

« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ينس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين » .

لم ينتفعوا بالتوراة مع ما فيها من (هدى ونور) كما لم ينتفع الحمار بما يحمل من أسفار (كتب علم) على ظهره .

والمصباح المذكور فى الآية الكريمة هو فى (مشكاة) - أى فى كوة - والكوة هى الفتحة فى جدار غير نافذة - يوضع فيها المصباح فينعكس الضوء الى داخل العرفة فيكشف للعين ما كان يخفيه الظلام .

ويعد المثل مصادر النور . . فمنها نور القنديل - ونور الزجاجة (الزجاجة كأنها كوكب درى) - ونور الزيت (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) .

« نور على نور » . وأنوار الحق تعالى متعددة المظاهر تجلى فى جميع الكائنات . . وبها تظهر الخلائق وبسورها تنطس وتزول .

« ومن لم يجعل الله له نورا فعالة من نور » . وهو منور الابصار . . ومنور الحواس - ومنور العقول ومنور القلوب وبذلك الانوار يسخر الانسان ما فى السماء والارض ويستفيد من تركيب الجديد من الاشياء - فيظهر - وفى تحليل الموجود من الاشياء فيخفى ويحول .

فهو بما أنعم الله عليه من نور العلم جعیه خفيفة الله فى الارض .

مت معاني القراءات وأسرارها

فضيلة الشيخ
عبد الفتاح القاضى

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .
اختلف القراء فى قراءة
الكلمات الثلاث . رفث ، فسوق ،
جدال ، فقرأ بعضهم ببناء كل منها
على الفتح من غير تنوين ، وقرأ
بعضهم برفع كل منها مع التنوين ،
وقرأ بعضهم الكلمتين الاوليين
بالرفع مع التنوين ، والكلمة الثالثة
بالبناء على الفتح بلا تنوين ، فاما
القراءة الاولى فوجهت بأن « لا »
لنفي الجنس : تعمل عمل ان .
فتنصب الاسم لفظا أو محلا ،
وترفع الخبر ، ورفث اسمها مبنى
على الفتح فى محل نصب ، ولا
الثانية مكررة لتوكيد النفي ،
وفسوق عطف على رفث ، ولا
الثالثة مكررة لتوكيد النفي أيضا ،
وجدال عطف على رفث كذلك :
والجار والمجرور فى قوله تعالى
« فى الحج » متعلق بمحذوف خير
لا . والجملة خبرية ، فتفيد أن
شيئا من الرفث والفسوق والجدال
لا يقع فى خلال الحج .

عن الثالث ، وحذف الاول والثانى لدلالة خبر الثالث
عليهما .

التخريج الثانى : ان لا هى العاملة عمل ليس ورفث
اسمها ، ولا الثانية مكررة للتوكيد ، وفسوق معطوف
على رفث ، ولا الثالثة مكررة للتوكيد أيضا ، وجدال
معطوف على رفث ، وقوله فى الحج متعلق بمحذوف
منصوب على أنه خبر لا الاولى ، وعلى هذا يكون
الكلام جملة واحدة ، ويحتمل أن يكون قوله فى الحج
خبر لا الاولى . وحذف خبر الثانية والثالثة لدلالة
خبر الاولى عليهما ، ويحتمل أن يكون فى الحج خبرا
عن الثالثة ويكون خبر الاولى والثانية محذوف لدلالة
خبر الثالثة عليهما ، وعلى هذين الاحتمالين يكون
الكلام مشتملا على ثلاث جمل وقد ورد فى كلام العرب
ما يدل على أن لا تعمل عمل ليس كما تعمل عمل ان
ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

تعز فلا شيء على الارض باقيا
ولا وزر مما قضى الله واقيا
وقول الآخر :
وحلت سواد الطلاب لا انا باغيا
سواها ولا عن حبها مقراخيا
وقول الآخر :
أنكرتها بعد أعوام مضين لها
لا الدار دارا ولا الجيران جيرانا

ولكن لما كان ابقاؤها على ظاهرها يستلزم الخلف
فى خبر الله تعالى لان هذه الاشياء كثيرا ما تقع فى
خدر الحج - قال العلماء : ان المراد بها النهى ، فهى
جملة خبرية مستعملة فى النهى . وأما أخرجت على
صورة الخبر مبالغة فى وجوب الانتهاء عن هذه
الاشياء ، ودلالة على ان الرفث والفسوق والجدال
مما لا ينبغى أن يتحقق شئ منها فى الخارج أصلا ،
وانها جديرة بأن يخبر عنها اخبارا صادقا بعدم
وقوعها أبدا ، فان ما كان منكرا مستقبلا فى نفسه
ففى شأنا الحج يكون أشد قبحا ، واعظم شناعة كلبس
الحرير فى الصلاة ، والتطريب فى قراءة القرآن
تطريبا يخرج عن التلاوة الصحيحة ، والاداء
المستقيم . وحينئذ يكون الخبر فى هذا المقام أبلغ من
النهى الصريح .

وأما القراءة الثانية فلها تخريجان

الاول : أن « لا » نافية مهيمنة ، ورفث مرفوع على
الابتداء . وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة دلالتة على
العموم ، لانه اسم نكرة وقع فى حيز النفي ، والنكرة
الواقعة فى حيز النفي تفيد العموم .
وقوله تعالى « ولا فسوق » معطوف على فلا رفث ،
وقوله لا جدال معطوف على فلا رفث أيضا .
وقوله تعالى « فى الحج » خبر عن الجميع ، ويصح
أن يكون خبرا عن المبتدأ الاول ، وحذف خبر الثانى
والثالث لدلالة خبر الاول عليهما ويصح ان يكون خبرا

فسوق ، ويحتل أن تكون ناقصة ويكون خبرها محذوفاً تقديره في الحج .

ثم أخبر سبحانه وتعالى بانتفاء الجدل والخلاف في الحج ، وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام ، وسائر العرب يقفون بعرفة . وكانوا يقدمون الحج سنة ، ويؤخرونه أخرى وهو النسيء ، فرد إلى وقت واحد ، ورد الوقوف إلى عرفه ، وبعد أن أمر الجميع بالوقوف بعرفة ارتفع الخلاف فأخبر الله تعالى عنه فهو أخبار محض ، وربما يستدل على أن المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدل بقوله صلى الله عليه وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه » فاشتراط في الحديث عدم الرفث والفسوق ولم يذكر الجدل ، فدل هذا على أن سياق الجدل في الآية المعنى آخر غير ما سبق له الرفث والفسوق ، وهو ما ذكرناه . وعلى هذا يكون سر التغير على القراءة الثالثة أن الأولين منهي عنهما وأن أتيا بلفظ الخبر ، وأما الثالث فالمراد به الأخبار المحض بزوال الخلاف بين قريش وسائر العرب .

ثم بين النيسابوري سر التغير على وجه آخر فقال : « وقيل الاهتمام بنفى الجدل أشد من الاهتمام بنفى الرفث والفسوق ، فلذلك قرئ برفع رفث وفسوق مع التنوين ويفتح جدال من غير تنوين .

أما الأول فلأن الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لأن المجادل يشتبه تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة أمر الله ، والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الإيذاء المؤدى إلى العداوة والبغضاء ، فدل على أن القراءة تفيد ذلك فلأن الفتح يقتضى نفى الماهية وانتفاءها يوجب انتفاء جميع أفرادها وأما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع أفراد الماهية بل يجوز أن يكون الفتح أدل على عموم النفي . انتهى .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » قرئ بلفظ السلم بقراءتين وهما فتح السين وكسرهما ، والفتح والكسر لغتان بمعنى واحد وهو الإسلام ، والاستسلام ، والمصالحة . ولفظ السلم على كلتا القراءتين يجوز تذكره وتانيته .

ومن شواهد تأنيثه قوله تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » وقوله في هذه الآية « كافة » على بعض الأعراب .

« هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر » في لفظ « والملائكة » قراءتان ، رفع التاء وكسرهما ، ووجه الأولى العطف على لفظ

[البقية ص ٧٨]

ويقال في هذه القراءة ما قيل في القراءة الأولى من أن الكلام على صورة الخبر والمراد منه النهى وفيه إشارة إلى أن هذه الأمور المنفية مما لا ينبغي وقوعها في الخارج أصلا بل هي حقيقة بأن يخبر عنها أخبارا صادقا بعدم وقوعها أبدا ، وحينئذ تكون صيغة الخبر أبلغ من النهى الصريح في هذا المقام .

والإمام أبو بكر بن العربي ينفي أن يكون هناك خبر يراد به النهى ، ويؤول الشواهد التي استدلت بها العلماء على وجوده ومنها هذه الآية [فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج] فيقول ليس المراد نفى وجود الرفث والفسوق والجدال في الحج ، فأننا نجد ذلك كله ونشاهده ، وخبر الله تعالى لا يخالف الحقيقة والواقع ، وإنما المراد نفى مشروعية ذلك ويقول في قوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) [معناه يتربصن شرعا لا حسا فأننا نجد بعض النسوة لا يتربصن المدة المقررة عليهن فحينئذ يعود النفي إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي .

فالقصود من الآية نفى وجود الرفث والفسوق والجدال شرعا يعنى أنه سبحانه لم يشرع شيئا منها فإذا وجد شيء منها فأنها يوجد على أنه غير مشروع . ويقول في قوله تعالى [لا يمسه الا المطهرون] معناه لا يمسه أحد شرعا فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الله تعالى وشرعه . انتهى

وفي نظري أن هذه الجملة [فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج] خبرية لفظا ومعنى والمراد بيان أن الحج ليس موضعا للرفث والفسوق والجدال وهذا لا يمنع وقوع شيء من هذا فيه كقوله تعالى [ذلك الكتاب لا ريب فيه إغان المراد أن الكتاب ليس محلا للريب وهذا لا يناقض ارتياب بعض الناس فيه .

كما أرى أن لا على قراءة الرفع وهى القراءة الثانية تكون نافية للجنس أيضا بمعونة المقام وفحوى السياق لأن لا التي تعمل عمل ليس تكون نافية للوحدة نصا وللجنس احتمالا ، وعند قيام القرينة من المقام والسياق تكون دالة على نفى الجنس فحينئذ تتحد القراءتان الأولى والثانية .

ووجه القراءة الثالثة أن لا فى « فلا رفث » مهمله ، وما بعدها مبتدأ ، أو عاملة عمل ليس وما بعدها اسمها على ما تقدم من تخريجى القراءة الثانية . ويقال فى ولا فسوق ما قيل فيه على القراءة الثانية والخبر محذوف تقديره فى الحج دل عليه المذكور .

وقوله : ولا جدال فى الحج لا نافية للجنس وجدال اسمها مبنى على الفتح فى محل نصب وفى الحج متعلق بمحذوف خبرها .

قال العلامة النيسابوري : ومن قرأ برفع الأولين وفتح الثالث فقول : لأن الأولين محمولان على معنى النهى كأنه قيل فلا يكون رفث ولا فسوق . وقوله يكونن مضارع كان التامة أى فلا يوجد رفث ولا

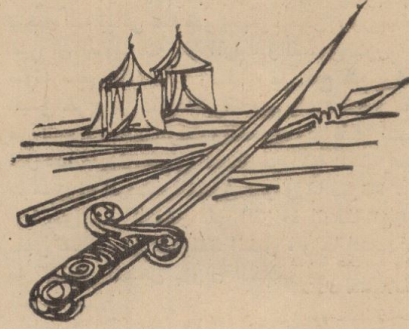
قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم . وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . وتظنون بالله الظنونا .. هناك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالا شديدا » .

١ - تتحدث هذه الآيات والآيات التي تليها إلى تمام تسع عشرة آية عن غزوة الأحزاب . وهي ما تسمى غزوة الخندق - وهذه الغزوة من أعجب ما نصر الله به المسلمين على عهد النبي بقيادته الرشيدة - صلى الله عليه وسلم وفي أحداثها تتجلى معجزة عسكرية حقيقية صنعها الله للنبي والذين آمنوا معه . مما يسمح لنا بالقول بأن هذه المعجزة أو ما يقرب من مادتها مما لا يمكن حدوثه إلا من الله إنما كان يصنعه الله للمسلمين الأولين - لا باعتبار ذواتهم المخصوصة . وإنما كان يصنعها لهم بساعتبارهم موصوفين بالاسلام الكامل ، فأينما تحقق وصف الاسلام الكامل في جيل من الاجيال كان مؤهلا لأن يصنع الله له مثل هذه المعجزة ، لأن المقصود - في هذا المقام - إنما هو تثبيت دعائم الاسلام وصيانيته عن الزوال ، وهو مراد الله في كل عصر وجيل ..

كان أصل هذه الغزوة . كيد اليهود للمسلمين وصنع الدسيسة ضدهم عند قريش وقبائل أخرى من العرب : وذلك أن بعض زعماء اليهود سعوا عند قريش . وغطفان لاستئصال المسلمين في المدينة ، واقتنعوا بني قريظة - وكانوا يهودا يجاورون النبي - ولهم معه عهد ودية بالانضمام لهم - فخرجت قريش وغطفان وغيرهما في عشرة آلاف مقاتل واستعد لهم النبي في ثلاثة آلاف مقاتل ، وحفر بينه وبينهم خندقا بأشارة سليمان الفارسي فمكثوا أعين قريشا وحلفاءهم وراء الخندق شهرا لا يتقدمونه ثم انصرفوا عنه مخذولين .. يتعشرون في اذيال الخيبة والهوان .

٢ - يصف القرآن تفاصيل هذه الغزوة - وكان المشركون - وعدتهم عشرة آلاف مقاتل ، كما ذكرنا - قد نزلوا بموضعين من المدينة طائفة أعلاها وطائفة أخرى أسفلها ، فعملوا عليها شبه تطويق ، بينما كان اليهود الذين نقضوا عهدهم مع النبي - عليه السلام - يتحركون في مكان آخر على مشارف المدينة : ولم يكن جيش النبي - كما قلنا - يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، ينقصهم التجهيز العسكري الكامل .

انقل الى خيالك صورة هذا الوضع الرهيب المفزع الذي فرضته معركة غير متكافئة على المسلمين . وأنهم ليحتمون من أعدائهم بالخندق يتمنون حمايته لهم هل كان من الممكن أن يفلت من تحطيم قبضته المسلمون وهل كان لدى مشركي العرب فرصة أخرى لبلوغ أملهم الملح في استئصال المسلمين مساوية لهذه الفرصة ؟ لقد ظل هؤلاء المشركون شهرا - وهم مجبردون عن اقتحام الخندق وفي استطاعتهم اقتحامه بل اقتحمه بعضهم ثم قتل ، أو ارتد عنه ووقف الأمر عند ذلك لماذا ؟ لأن الله صنع المعجزة لاوليائه . فأرسل على المشركين جنودا غير منظورة أوقعت في قلوبهم الوهن



عرض القرآن لغزوة الأحزاب

والدروس
المستفادة منها

فضيلة الدكتور محمد سعاد محمد

والشبل عن الحركة وأرسل عليهم ريحا عاصفة في ليلة شامية ، أطفأت نيرانهم ، وأكفأت قسودهم ، وطمعت طنب خيامهم ، وأذعرت خيلهم فهاجت وماجت في بعضها حتى قال طلحة بن خويلد الاسدي : النجاء النجاء . فقد جاءكم محمد بسحره وما هو بالسحر ولكنها الملائكة وبأس الله جميعا .

٢ - يواصل القرآن ذكر تفاصيل الأحوال والمغاز التي واجهها المسلمون في غزوة الأحزاب هذه ، ويقدم في تسجيل ذلك صورة مشحونة التعبير تنقل لأذهاننا خيالا ملتها عن هذه التفاصيل . فالمسلمون في ذلك اليوم الراعب ، قد زاعغ أبصارهم فلا تستقيم على رؤية الأشياء لفرط انزعاج نفوسهم ، وهم قد بلغت أرواحهم حناجرهم توشك أن تخرج من أجسامهم عجزا عن احتمال الهلع المنصب عليهم من حولهم وصار هؤلاء المخاطبون باسم الايمان يظنون بالله ظنونا مختلفة :

الموقف المتعاصب الذي يعانونه على أنه غمرة ثم تنجلي وابتلاء ينحسر عن الانتصار وأما من كان فيهم من أهل النفاق وضعف الايمان فهؤلاء قد ظنوا بالله ظن السوء ، واتهموا ايمانهم بالله ورسوله وقالوا كما قال معتب بن قشير ، لما رأى كثرة الأحزاب « لقد كان محمد يعرفنا أن تفتح بلاد كسرى وقبصر ، ونحن الآن لا نستطيع أحدا أن يخرج إلى التبرز . ماذا الا وعد غرور » . والمقصود من عناية القرآن بإعطاء هذه الصورة المثيرة عن المعركة انما هو تثبيت من يكون بعدهم من المسلمين في مثل ظروفهم بمعنى أنه مهما كثرت الأحزاب المقاتلة للمسلمين ومهما صادفهم من العقبات - فانه بفضل ايمانهم بالله وصدق جهادهم في سبيله منتصرون - كما انتصر النبي والمؤمنون معه على جيوش الأحزاب .

قال تعالى : « واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذا قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة أن يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا .

٤ - المراد بـ « المنافقون » من يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام [والمراد بالذين في قلوبهم مرض] هم ضعفة الايمان الذين لا يثبت ايمانهم على اختبار المحن والشدائد .

هؤلاء وهؤلاء حين عاينوا كثرة الأحزاب الغازية للمدينة وظنوا أن كفتهم في الحرب هي الراجحة على كفة النبي : صرحوا بها كان يعتلج في نفوسهم من نفاق ومرض - وقالوا - كما قال (معتب بن قشير) المذكور سابقا . لقد كان محمد بعدنا أن تفتح بلاد كسرى وقبصر ونحن الآن لا نستطيع أحدا أن يخرج إلى التبرز ما هذا الا وعد غرور) .

وتبادوا في الشك وخيانة الرسول - فغدت منهم

طائفة أخرى تحذل المسلمين عن البقاء في صف القتال (كعبد الله بن أبي بن سلول) يقولون لهم : يا اهل يثرب (وهي المدينة - لا مقام لكم فوق أرض المعركة مع الرسول في حرب غير متكافئة القوى بينه وبين اعدائه مقضى عليكم فيها بالهزيمة والفشل فأرجعوا عن القتال الى مدينتكم :

هذا العمل الانهزامي الواقع من قبل أولئك المنافقين والذين في قلوبهم مرض الذي ندد به القرآن هو شر ما يصيب الامم في مواقفها التاريخية الحاسمة فان الامة اذا اجتمعت أروها على موقف وبخلت فعلا في قلب هذا الموقف تباشر تبعاته وتحمل نتائجها فقد بطل بعد ذلك اجتهد الرأي في التراجع عن هذا الموقف وصارت دعوة التراجع عنه نفاقا ومرضا في القلوب ، وسعيا وراء الهزيمة والاندحار .

٥ - رأينا في الفقرة السابقة سيادة الروح الانهزامية عند المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، وأنهم ليحرضون المجاهدين على رفض الجهاد فقد أمتد حبل هذه الخيانة وبرز أثرها ، حتى أن فريقا من هؤلاء يستأذنون النبي في ترك الجهاد سعيا للخلاص ، بأعذار ملفقة : يقولون أن في بيوتهم خلا ونقص حماية يعرضها لاقتحام العدو عليها وسطو اللصوص ، فهم مضطرون للعودة لحمايتها رجوعا عن الحرب .

يقول القرآن في تكذيبهم :

« وما هي بعورة أن يريدون الا فرارا » فالروح الانهزامية الغالبة عليهم هي وحدها التي تقودهم الى شق الصف ، وكسر الوحدة ، بأعذار ملفقة - لعدم تمكن الايمان في قلوبهم بدلالة ان العدو المتحزب لو اقتحم عليهم المدينة من أقطارها - أي من جانبيها ، ثم سألهم الفتنة ، وهي الارتداد عن الاسلام الى الكفر ، لما وجدوا في أنفسهم ممانعة له ولاجابه لما سألهم آياه - لا يلبثون - أي لا يترددون في قبول الكفر المستول منهم الا أقل الزمان لكي ينهزم ايمانهم ، ويفرطوا في عقيدتهم لضعف ايمانهم أو يكون المعنى : وما استقروا بالمدينة - بعد قبولهم الردة المستولة منهم بلسان العدو المتسلط عليهم بالظلم والتضييق ، الا زمنا قليلا يضطرون لان يخرجوا بعده من المدينة

قال تعالى في تكذيبهم والرد عليهم (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الاذيار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل : واذا لا تمتنعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا] .

٦ - قد علمت - في الفقرة السابقة . . أن بعض من كانوا مع النبي في مواجهة جيوش الأحزاب ، قد احتالوا للفرار من الصف والرجوع للمدينة يزعمون انهم راجعون لحمايتها ويستأذنون النبي في ذلك مصانعة له . فجاءت الآية تقرعهم على هذا العمل الذي يعد فرارا . وتذكرهم بسبق عهدهم مع الله

ورسوله على ترك الفرار ، وهم ناس من المسلمين اعطوا من انفسهم العهد بذلك يوم « أحد » بعد أن نزل من القرآن في تلويح الفارين يوم أحد ما نزل . وتوخز نفوسهم بأن عهدهم مع الله عهد مسئول منهم . بمعنى أنه مطلوب المقتضى والمنعول ، لا يجوز أن يهدره أحد أو يتجاهله أحد ممن قطعوه على انفسهم .

ان تجاهل مثل هذا العهد من المعاهدين الله عليه ، لا يعطل في تصورهم الا بخوفهم من الموت أو القتل . اذا هم باثروا اسباب القتال وقد نقض الله عليهم هذا الاحتياط بأعلامهم بأن الفرار لا ينجيهم من الموت ، أو القتل المقدور عليهم لو أنهم فروا ، حتى - ولو أمكن فرضا أن ينفعهم الفرار بزيادة في آجالهم - وهو ما لا يكون أبدا ، فانهم لن يتمتعوا بالبقاء في الدنيا بعده الا قليلا من المتاع ، بالإضافة الى متاع الآخرة الدائم ، فهم بهذا الفرار خاسرون لقضيتهم على كل وجه .

٧ - قل من ذا الذي يعصمكم من الله أن أراد بكم سوءا . أو أراد بكم رحمة . تقدير الكلام في هذه الآية « قل من ذا الذي يعصمكم من الله أن أراد بكم سوءا أو يصيبكم سوءا أن أراد بكم رحمة ويتعين في الآية مثل هذا التقدير لان العصمة من السوء معقولة ولكن لا يعقل أن تكون العصمة والحماية من الرحمة المطلوبة لكل أحد .

وقد أوردت الآية ردا ثانيا على المبتغين للفرار من المعركة : ان كان الرد الاول ان الفرار الكائن بفعل انفسهم تقديرا لا ينجيهم من الموت . او القتل لان آجالهم مقدره . لا يقطعها قتال ولا يؤجلها فرار . فجاءت هذه الآية تثبت ما هو أعمق من هذا المعنى في كشف جهالتهم بنوع الاحتياط المنبني على الفرار الذي يتخذونه لانفسهم درعا وهو أن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا أصلا .

واذن فما كانوا يصيبون بالقتال سوءا من الناس ، ولا بالفرار رحمة من قبل عزذ انفسهم - لان الامر كله لله واحتياطهم في غير موضعه .

وقد أذرهم الله بكشفهم واقتضاحهم ومقتهم فقال « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هم البنا ، ولا يأتون الناس الا قليلا ، أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخبر أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا »

« المعوقين » المثبطين والمخذلين « سلقوكم » سلطوا عليكم السنتهم

٨ - كان المنافقون الموجودون مع المسلمين

يثبطونهم عن القتال ويشيعون في نفوسهم الوهن والخذلان يقولون لهم : « ما أنتم الا أكلة رأس . ولو كففتم لحما لأكلهم أبو سفيان » . ومعنى « أكلة رأس » أنهم قلة قليلة يكفيهم لأكلهم رأس ذبيحة وكانوا بدعوتهم لترك القتال والعود معهم للمدينة وإذا استعلنت داعية القتال ، لا يشاركون فيه الا بصورة جزئية ، بقدر ما يراءون المؤمنين ، ويسترون عنهم نفاقهم ، فأعلم الله في هذه الآيات أنه يعلم دخيله نفوسهم وأنه كاشف عورتهم والمقصود من هذا الاعلام ، الاعلام بأن الله معاقبهم على خيانتهم ونفاقهم ، وتخذيلهم للمؤمنين وبذلك يطعننا القرآن على الخصائص التي يتميز بها اسلوب العمل عند الانهزاميين المترددين ، وهي ثلاث عناصر (عدم الإيمان بالنصر ثم التخويف . والتهويل بقوة العدو وكثرة جنده ، ثم دعوة المجاهدين الى ترك الجهاد .

٩ - يعود القرآن لوصف باطن المنافقين ، وخصائصهم النفسية بعد أن كشف عن ظاهر عملهم في خيانة المؤمنين ، وتبدير الكيد لهم فيقول . . أشحة عليكم - الآية .

ففي هذه الآية يقرر أن هؤلاء المنافقين أشحة على المؤمنين ببذل أنواع الخير - أي خير فضلا عن مشاركتهم في قتال عدوهم ، فلذلك اذا جاء الخوف ، واضطروا لمشاركة المسلمين في قتال عدوهم ، جزعت لذلك انفسهم وتحيروا في الاقدام عليه لعدم اقتناعهم في باطنهم بالاقدام عليه . فعندئذ ينعكس معنى الجزع والخوف على نواتهم فتضطرب نظراتهم كالذي يعالج سكرات الموت فاذا ذهب الخوف - والمراد به القتال وانتصر المسلمون وحازوا الغنائم بسط هؤلاء المنافقون السنتهم في المؤمنين بالقول الحاد . والجدل المبعث في المطالبة بقسمهم من الغنيمة أي مع شحهم بنصرة المؤمنين هم « أشحة على الخير » . . حراص على الاخذ من مال الغنيمة معهم لان همهم الدنيا . فأولئك لم يؤمنوا ايمانا حقيقيا يعصم نفوسهم من خيانة الله ورسوله وان كان لهم من شيء من عمل صالح فعلوه رياء فقد أحبطه الله عليهم وأذهب عنهم ثوابه وكان ذلك على الله يسيرا - هينا . .

قال تعالى اخبارا عن جبنهم | يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا او أنهم يأتون في الاعراب يسألون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا .

لا يزال القرآن ينوع في ذكر أحوال اتصاف المنافقين هؤلاء لهم يحسبون الاحزاب لم يذهبوا عن المدينة أي لم ينهزموا - وان كانوا قد انهزموا فعلا . لكنهم يتخيلون عدم ذهابهم لشدة رعب نفوسهم منهم ، فهم لذلك ينلقبون الى المدينة منصرفين عن الوقوف في الصف وراء الخندق ، ولا يزال هذا الرعب بالحقهم ويعتمل في نفوسهم لفرط جبنهم - حتى لو فرض من أمر هذه الاحزاب . أنها دخلت المدينة على أهلها

لتمنى هؤلاء لانفسهم أن يكونوا خارجها بادين في الاعراب - أى - هاربين في البداية بين الاعراب يتحسسون انباءكم في قتال العدو ، هل كانت الدائرة لكم عليه أم كانت الدائرة له عليكم : يفعلون ذلك استهوا ل قوة العدو وكثرته وشكا في أن يكون المسلمون هم الغالبون :

ثم قال القرآن بمعنى من التفسير : (ولا يحزنكم أيها المسلمون - صنيع هؤلاء المنافقين المتطوى على الجبن والشك والخذلان للصف ، تحسبون أن متهم غناء أو دفعا لو كانوا معكم وقت قتال كلا ، فليس فيهم

غناء ولا دفع لكم قلو كانوا معكم في صفوفكم ما أقدموا على قتال أعدائكم إلا قتالا قليلا نافها بقدر ما يمنع عنهم ملاحظة اجهامهم عن العدو وانكشاف ثقاتهم : فليس لكم أن تعاندوا - إذن - بفرارهم من صفوفكم ورجوعهم الى المدينة لعدم الفائدة من وجودهم في صفوفكم أن لم تكن منهم مضرة وشي لكم .
(ثم بين القرآن الصورة التي تحكم الموقف والمثل المحذرى فقال « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ! » .

للبحث صلة

بقية مقال «سورة البقرة»

وفق ما نقلناه عن التفسير الوسيط ومعجم الفاظ القرآن والله تعالى أعلم .

- قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .

يجمع جمهوره المفسرين من قدامى ومحدثين على أن هذه الآية الكريمة لا ينبغي أن تؤخذ على ظاهرها ، وإنما تؤخذ المعاني المستفادة منها ومن بقية الآيات التالية وسيكون لنا رأى باذن الله سوف نسوقه جريا على منهاجنا ولكن في ختام قصة خلق آدم كلها ، وبعد ايراد آراء الفقهاء الاعلام .

وقد أجمع المنسرون على أن قول الملائكة « اتجعل فيها - الآية ، لم يكن على سبيل الاعتراض ، وإنما على سبيل السؤال للتعلم ، وأن ذلك قد تم باذن من الله سبحانه وتعالى .

كما دار التساؤل بين المفسرين عن مصدر علم الملائكة بأن هذا الخليفة الذي سيستخلفه الله في الارض سيكون من نسله من يفسد في الارض ويسفك الدماء ، فذهب البعض الى أنهم علموا بذلك من اللوح المحفوظ ، وقال آخرون ، إنما قالوا ذلك قياسا على ما فعله الجن في الارض وقد حاثوا يسكنون الارض قبل خلق الانسان .

التفسير الوسيط

وقد أحسن التفسير الوسيط في طرحه جانبا كل هذه الاحاديث المستفيضة ، ولذلك فأننا نقل عبارته بنصها لأنها تلخص وبالتالي تغني عن كل ما قيل في هذا الموضوع بغير مقتضى واليك النص :

« والاستفهام ظاهرة تعجب الملائكة من أنه تعالى سيجعل في الأرض من يفسد فيها ، أو الاعتراض على ذلك رائكاره ، ولكن هذا الظاهر غير مراد ، لأن الملائكة كما قال تعالى « عباد مكرمون لا يسبقونه

بالقول وهم يأمرهم يعملون » بل هو استفهام تعجب ، قالوه استكشافا لما خفى عليهم من الحكم في خلق من يفسدون في الارض ، واستخبارا عما يزيح شبهتهم ، ويرشددهم الى معرفة ما في آدم من الفضائل التي جعلته أصلا للخلافة هو وذريته ، كسؤال المتعلم أستاذه مما ينقدح في ذهنه ، ليعلم الجواب فيستريح » انتهى .

- انى أعلم ما لا تعلمون

أى أعلم ما لا تعلمون مما كان ويكون ومما هو كائن وقد حاول بعض المفسرين أن يخصصوا علم الله بواقعة محددة مثل الذى كان يضمه إبليس في نفسه من التمرد والعصيان وذلك ردا على قول الملائكة « ونحن نسيح بحمدك ونقدس لك » ولكن هذه كلها اجتهادات لا سند لها ، والاحجى هو ابقاء العام على عموميته ، وذلك أن الله عز وجل هو الاعلم بمراحده .

يتبع

اعتذار وتهنئة

نرجو أن يعذرنا السادة القراء على ما يروونه من اقتصار التفسير على آيتين أو ثلاثة ، فإن الاحداث التي بدأت تجرى حولنا ابتداء من ٦ أكتوبر والتي بدلت ظلام حياتنا نورا وحولت ياسنا الى رجاء وذلك بأن نصرنا على القوم الظالمين وما تبع ذلك من بقطعة العرب واتحادهم وازدياد المسلمين في مشارق الدنيا ومغاربها ايمانا على ايمانهم مما سيجعل ما هو آت من الايام خير مما سبق أقول كان لهذه الحوادث المجيدة ما جعلنى مستغرقا « الى حين » فسى متابعتة ، فالقرآن لا يفسر الآن بالكلمات ، ولكنه يفسر في ساحة المعركة تضحية وفداء ونصرا وعزا فليقبل المسلمون عذري وتهنئتي بهذا النصر المبين وما النصر الا من عند الله .

صور من البيان القرآني

قال تعالى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

أجمل الله سبحانه في الآية السابقة أجر الانفاق في قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) ثم فصل في هذه الآية الاضعاف ، وللتفصيل بعد الاجمال وقعه في النفوس حين تتشوف بعد سماع الآية الاولى الى صورة مضاعفة أجر المنفق ، فتظنها المثل او المثلين او أكثر فزيلا أو كثيرا من ذلك ، ثم يطالعها الكريم القادر على الإثابة والجزاء بذلك المثل المحسوس (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل الخ) والمثل من الواقع المشاهد وطالما شهد الزراع من ذلك صورا عجيبة تدل على واسع قدرته وعطائه سبحانه وقد أراد الله بهذا المثل إثارة الهمم الى البذل ، وترغيبها في الجهاد والتضحية بكل ما وسعها من نفس ومال لاعلاء كلمته ونصرة دينه .

الدكتور محمد خليفة

والانفاق في سبيل الله يسمع الانفاق في الجهاد وفي جميع وجوه البر الواجب والانفاق على النفس وعلى الغير وعلى المجتمع وعلى الصالح العام ، كل ذلك يتضمنه الانفاق الذي ساق له المثل ، وفي الآية تقدير احد مضافين اولهما : مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة ، وثانيهما : مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع حبة وأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة .

أي أخرجت تلك الحبة ساقا ، ثم تشعبت الساق الى سبع شعوب في كل شعبة سنبلة وفي كل سنبلة مائة حبة .

فإذا علم طلاب الاجر ان اجر صدقاتهم يزيد الى سبعمائة مثل حرصوا على الانفاق الذي يضاعف عليه ثوابهم وفي ذلك اغراء للمنفقين بالبذل . واسناد الانبات الى الحبة اسناد مجازي ، وقد صور التمثيل الاضعاف كأنها هي حاضرة بين أيديهم مشاهدة بعيونهم . (والله يضاعف لمن يشاء) .

أي يضاعف المضاعفة التي بينها في المثل او فوقها لمن أراد ان يضاعف له حسب اخلاص المنفق في نفقته او تعب ، او حاجته الى ما ينفقه .

(والله واسع) القدرة على المجازاة على الصدقات لا يضيق على فضله ما يتفضل به من المضاعفة (عليم) بنوايا النفوس وطواياها من اخلاص وحب للبر وبعد عن الرياء ، ورغبة فيما عند الله .

وفي التنزيل الذي ساقه في قوله : والله واسع عليم) ترغيب وترهيب ووعد وتنبية وضعه أمام المنفقين نورا على الطريق وتحذيرا من المثرات التي قد تنزل في نفوسهم من الرياء الماحق ، والغرور الساحق .

(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أدى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

بين الله في الآية السابقة أجر الانفاق فيما ساق من مثل ثم قدم في هذه الآية بيانا للانفاق الذي فضله . فشرط ان لا يتبعه المن والاذي ، وأبرز بذلك صورة الانفاق الكريم وقد انتفت عنه شائبة (المن) الذي يجرح نفوس المحرومين (والاذي) الذي يدمر كرامة المحتاجين . وبهذا يحرص الله على سلامة نفوس الفقراء وكرامتهم قبل ان تمتد اليهم أيدي الاغنياء بما يرد عنهم غوائل المسغبة .

(والمن) ان يعتد المحسن باحسانه على من أحسن اليه . ويرى أنه طوقه ، بل استعبد بهذا الاحسان . (والاذي) ان يتناول عليه بسبب انعامه ، وليس الاذى مقصورا على الكلمة ينهر بها السائل بل يتجاوزها الى النظرة التي قد تحمل من الإيذاء أكثر مما تحمله الكلمة كما يتجاوزها الى العبوس او الاشاحة بالوجه عن السائلين في كل ذلك إيذاء يجرح ويدمى نفوسا تهصرها الفاقة فلا ينبغي ان يضيف القادر على العطاء الى آلامهم آلاما . ونكر المن والاذي للتحقير والتقليل للإشارة الى أن أي (من)

وأى (أذى) يحدث من المتصدق يضع عليه الاجر
الاجزى الذى قد يرجوه .
وأولئك الذين لم يتبعوا انفاقهم منا ولا أذى لهم
أجرهم) الذى وعدهم به الله فى التمثيل السابق ،
وفى تقديم الجار والمجرور اختصاص يشير الى أن
الاجر مقصور عليهم وقيد الاجر بقوله (عند ربهم)
للتأكيد والتشريف ، وجملة (لهم أجرهم) خبر
للموصول ، ولم تذكر فى الخبر الفاء المفيدة للسببية
للاشارة الى أن ترتب الاجر على الانفاق الذى لم يتبعه
المن ولا الأذى أمر لا يحتاج الى التصريح بالسببية .
(ولا خوف عليهم) فى الدنيا والاخرة من المكارة ،
ونكر الخوف : للتقليل

(ولا هم يحزنون) فيهما على فوات ما كانوا
يرجون ، وغير بالمضارع فى قوله (ولا هم يحزنون)
ليشير الى نفي استمرار الحزن عنهم ونفي تجده .
وهكذا منحهم الله ثلاث منح : الاجر الذى كتبه لهم
عنده وعدم الخوف فى الدارين وعدم الحزن . وقد
نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن
عوف ، حيث جهز الاول جيش العسرة فى غزوة تبوك
بذبح بعير وألف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يديه يقول : يارب رضىيت عن عثمان فارض
عنه ، وتصدق الثانى بنصف ماله وكان أربعة آلاف
دينار وفيهما نزلت تلك الآية :

وقد ذم الله المن والأذى لانهما يضيفان الى انكسار
قلب الفقير الذى يأخذ الصدقة انكسارا آخر بذلك المن
او الأذى فهما اساءة تقع بعد الإحسان فتحطم نفس
الفقير . وخلقى بالمتصدق أن يشكر الله الذى أنعم
عليه فجعل يده اليد العليا ، وخلقى به كذلك أن يعلم
أن المال مال الله وأن المعطى هو الله الذى أجرى على
يده ذلك العطاء ، وإذا علم ذلك فلا وجه (للمن) بمال
ابتلاه الله به ثم يحاسبه على ثوابه فى الانفاق .
(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله
غنى حليم) .

القول المعروف : هو ما تقبله نفس الفقير من الكلمة
الطيبة او الرد الجميل او العدة الحسنة التى تفتح
أبواب الامل وتطرد حيرة اليأس ، وسوغ الابتداء
بالنكرة اختصاصها بالوصف (ومغفرة) اما على
تقدير مضاف بمعنى ونيل مغفرة بسبب الرد الجميل ،
واما أن يراد بها ستر حاجة الفقير وسؤاله (وسوغ
الابتداء بالنكرة العطف او الصفة المقدرة على معنى
ومغفرة كائنه من المسئول فالقول المعروف والمغفرة
خير عند الله وعند الفقير من الصدقة التى يتبعها المن
او الأذى والخيرية : خيرية فى الجملة مع بطلانها ،
ونكر (خير) للتعظيم .
(والله غنى) عن صدقة العباد فلا يحوج الفقراء
الى تحمل المن أو الأذى
(حليم) حيث لم يعجل بعقوبة من يمس من يؤذى
المحتاج بصدقته

وهذا التذييل يحمل نسخا الله ووعدته .
والآيات تدل على نوعين من الانفاق : أحدهما الذى
يتبعه المن والأذى وثانيهما : الذى لا يتبعه المن والأذى
وضرب الله لكل منهما مثلا : فالاول منهما وهو الذى
يتبع صدقته المن أو الأذى أشار اليه فى قوله تعالى :
يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
كالتى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر فمثلته كمثل صفوان عليه قراب فاصابه وابل
فتزكه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا
يهدى القوم الكافرين)

والمراد من ابطال الصدقة : ابطال أجرها بالمن
والأذى ، وساق لأبطال الصدقة مثلين

الاول : أن مثل من يبطل أجر صدقته بالمن والأذى
كمثل من ينفق ماله رياء الناس وهو مع هذا كافر لا
يؤمن بالله واليوم الآخر ، فالمرأى الكافر لا أجر له
على نفقته وكذلك المتصدق الذى يتبع صدقته المن
والأذى (والفاء لربط ما يعلها بما قبلها والمثل
الثانى : أن من يبطل صدقته بالمن والأذى يشبه
الصفوان (الحجر الأمس) الذى وقع عليه غبار ، ثم
انصب عليه المطر المنهمر فأزال ما عليه من غبار
فالكافر كالصفوان والغراب كالانفاق والوايل كالكفر
الذى يبطل عمل الكافر : والمن والأذى يبطلان أجر
المنفق فكما أزال الوايل الغراب يزيل المن والأذى أجر
المنفق بعد حصول الانفاق .

وبهذا ساق الله مثلين للمتصدق الذى يمن ويؤذى
المحتاج بعد صدقته فشيبهه أولا بالمرأى الكافر وشيبهه
ثانيا بالمان والمؤذى بالانفاق ثم شبه الانفاق بالحجر
فقال : كمثل صفوان .

(لا يقدرون على شيء مما كسبوا) هذا استثناء
وقع جوابا لسؤال ، كأنه قيل : ماذا يكون حالهم
حينئذ فأجيب : لا يقدرون على شيء مما كسبوا .

ثم ساق التذييل : والله لا يهدى القوم الكافرين)
على معنى أنه سلب الإيمان عنهم أو أضلهم عن الثواب
وطريق الجنة لسوء اختياراتهم .
والتذييل مقرر لمضمون ما قبله ، وفيه تعريض بان
الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار ، وفيه حث
للمؤمنين على اجتناب تلك الرذائل .



أما القسم الثانى وهم أولئك الذين لم يتبعوا
صدقاتهم المن والأذى فاليهم أشار بقوله
تعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
الله وثباتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت
أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما
تعملون بصير)

وقدم للجنة ثلاثة أوصاف :

الأول : أنها من نخيل وأعناب ، وخصهما بالذكر لأنهما أشرف الفواكه وأحسنها منظرا

الثاني : أنها تجرى من تحتها الأنهار [على تقدير مضاف أى : من تحت أشجارها

الثالث : أن فيها من كل الثمرات

(وأصابه الكبر) المراد كبر السن الذى يشير إلى شدة الحاجة إلى منافعها

(وله ذرية ضعفاء) فقد حال ضعفهم بينهم وبين الكسب

(فأصابها اعصار) ربح شديدة تستدير فى الأرض ، ثم تنطلق إلى السماء على هيئة عمود (فيه نار) ونكر النار للتعظيم (فاحترقت) أى الجنة

والمراد من هذا المثل : الكشف عما يحدث من الفهم والحسرة لذلك الذى فقد كل ما يعتمد عليه وهو فى أشد الحاجة وأشد العجز وحوله ضعفاء عاجزون تنقطع نفسه حسرات عليهم حينما تحترق تلك الجنة وكذلك من قدم أعمالا حسنة ثم أصابها لأنه لم يقصد بها وجه الله بل أتبعها بما ضيعها .

وقد بلغ البيان القرآنى الغاية فى تصوير الجنة وما فيها وتصوير الشيخ الفانى فى كبره فليس له من عمره ما يستطيع معه إعادة الجنة بعد احترقتها ، وتصوير ما يحمله من هموم قاتلة حينما يترك ذرية ضعفاء تلوكهم أنياب المستقبل بعد أن أتى الاعصار على كل ألهم فصدقاته التى كانت تنفعه وتنفع بنيه من بعده أذهبها المن وأضاعها الأذى فلم يبق له فى دنياه غير حسرة يلعب به اعصارها (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) .

(كذلك) البيان الواضح المحسوس (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فيما تحمل تلك الآيات من العبر فتتجه نفوسكم إلى العمل الخالص والانفاق الذى لا تشوبه شائبة حتى يحسن الله جزاءكم (والله لا يضيع أجر من أحسن عملا)

تلك صور من الانفاق قصها البيان القرآنى وفيها توجيه للمنفيقين ودرس ينتفع به المخلصون حتى لا وعواصف الأذى فلا يجد المنفق يوم الحساب غير تضيق نفقاتهم هباء وتعصف بأمرها رياح المن حسرة لا تجدى وندم لا ينفع .

والى اللقاء مع صور أخرى من البيان القرآنى إن شاء الله .

أولئك هم الذين يبتغون بصدقاتهم رضات الله ، ويوطنون أنفسهم على صيانة هذه الطاعة أو هم الذين صدق إيمانهم وأخلصوا قلوبهم لوجه الله ، وثبتوا أنفسهم على الإيمان والطاعة ومن بذل المال لله فقد ثبت بعض نفسه ، ومن بذل المال والروح فقد ثبت نفسه كلها ومثل هؤلاء [كمثال جنة ربوة] ونكر الجنة والربوة للتعظيم والمراد بالربوة الأرض الطينية التى اذا نزل عليها المطر انتفخت وربت ونمت (أصابها وابل) والمراد بالوابل : المطر الغزير الذى يهيم على تلك الربوة (فأنت أكلها ضعفين) أى : أنت ثمرتها ضعفين ، أى : مثلين (فان لم يصبها وابل فطل) فان لم ينزل عليها الوابل أصابها الطل فتعطى ثمرها دون ما يعطيه الوابل فهى على الحالين لا تخلو من ثمر والمعنى : أن نفقات هؤلاء نامية عند الله لا تضيع ، وإن تفاوتت باعتبار ما يقارنها من الأحوال .

ويصح أن يكون التمثيل باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما أصابها من المطر الكثير أو القليل فكما أن الوابل والطل يضعف ثمرتها فكذلك النفقة التى قصد بها وجه الله تنمو عند الله قلت أو كثرت ثم ساق التذليل (والله بما تعملون بصير) والمعنى أنه عالم بكميات النفقات وكيفية البواعث عليها ثم هو مجاز على حسب كل ذلك وفى ذلك ترغيب فى الاخلاص مع تحذير من الرياء (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل اشمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)

● ● ●

بهذه الآية ساق الله مثلا آخر لذلك الذى يتبع نفقته المن والذى فأبرزه فى صورة من له جنة بلغت غاية الحسن والنفع ، وقد بلغ هو غاية العجز عن الكسب ، واشتدت حاجته إلى تلك الجنة لأن له ذرية فى شدة الحاجة والعجز ، ثم احترقت تلك الجنة فى لحظة فحمرته ومحنته لا تحتملها طاقته حيث أصبح رهين الحاجة والضعف واليأس وزاد فى آلامه احساسه حاجة أولاده الضعفاء .

فمن أنفق ماله لله رجاء الجنة كان كالعاجز الذى يعتمد كل اعتماد على تلك الجنة التى تنفعه وتنفع أولاده ثمارها وأما اذا أعقب الانفاق المن والذى كان منه وإبداؤه كالأعصار الذى يحرق الجنة ويعقبه الحسرة والندامة .

والاستفهام فى قوله : أيود للانكار وعبر بقوله : أيود ، ولم يعبر هو بكلمة (أريد) مثلا لأن المودة هى المحبة التامة .

□ ٧٢ □

طبيعة الاختلاف بين الناس كما يتحدث عنها القراء

الدكتور عبد الفتى الرامى

ومن طبيعة الانسان أنه يجب أن يفضى الى غيره بما فى نفسه ليجذبه ويشده الى رأيه ومعتقده ، كأنه يرى أنه يهديه الى الخير والفلاح ، وأنه لا يريد أن يكون أنانيا يستأثر بالخير لنفسه ، ومن جانب آخر ، يرى أن بقاء مذهبه ورأيه ، وانتصاره وشيوعه بين الناس ، مرتبط بأن يعرضه عليهم ، ويعرفهم به ، ويظهر محاسنه لهم ، ويدفع الشبهة والاعتراضات الموجهة اليه ، ويشرح السؤالات التى تسأل عنه وفيه . ومن هنا قالوا : ان الدعوة هى روح الفكرة بمعنى أن حياة الفكرة وانتعاشها وبقاءها ، يكون ذلك كله فى الدعوة اليها والدعاية لها والترويج .

ومن هنا نشأت الدعوة والدعايات ، وجذب الانظار وشد الناس بكافة الطرق والوسائل ، مع التنوع والتفنن فى وسائل الدعايات وتكرارها ، يفعل ذلك ارباب المذاهب الاقتصادية ، وأصحاب البيوتات التجارية ، والمؤسسات الصناعية ، وأصحاب الاتجاهات السياسية ، وأصحاب المثل والنحل ، والمذاهب والمعتقدات الدينية ، يقع ذلك على مستوى الفرد ومستوى الجماعة ، ومستوى الأمة والدولة ، فى اضييق الحدود أحيانا ، وفى أوسعها أحيانا أخرى ، بطريقة سرية تارة ، وعلمية تارة أخرى ، على حسب ضخامة وخطورة ، وظروف المذهب والمعتقد ، التى تكون لها الدعوة وعلى حسب ظروف الداعى والمدعوى . وقد أخذت الدول والامم ، كبيرها وصغيرها ، تتجه هذا الاتجاه ، وتهتم بالدعاية والدعاة الى درجة أن تجعل لها وزارة خاصة بذلك ، كما كان جوبلز وزيرا للدعاية فى عهد النازية الهتلرية ، ووزارة الاعلام فى بعض الدول ووسائل

لكل فكر ورأى . دعوة ودعاة .
فانه لما تعددت المذاهب والمعتقدات ، دينية ودنيوية ، على ما سبق بيانه فى مقالات سابقة ، تعددا تكونت منه حلقات التاريخ الانسانى بسلمه وحربه ، بخيره وشره ، وكان من طبيعة الانسان التعصب لرأيه ومعتقده ، ومذهبه الذى يذهب اليه فى الدين او فى الدنيا ، كان لابد له من أن يتقدم الى الامام خطوة ايجابية ، فيدعو غيره الى اعتناق رأيه ومذهبه . لا سيما وأنه يرى أنه على حق وغيره على باطل ، مهما كان الباطل فى رأيه ومذهبه .

الإعلام ، مكتوبة ومسموعة ومظورة ، ما هي الألوان من ألوان الدعوة والدعاية ، لنشر الوعي وتبصير الناس بما يجري حولهم ، وبما ينبغي أن يفعلوه في شتى المجالات ، سياسية وحربية ، ودينية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وصحية وغير ذلك . وفي أكبر دولتين في العالم اليوم ، الروسية الشرقية ، والأمريكية الغربية ، تصرف وتبذل أموال طائلة جدا في هذا المجال ، بواسطة السفارات والمراكز الثقافية ، والمؤسسات المادية حربية وغير حربية ، كل نظام من هذين النظامين ، الشيوعي والرأسمالي ، يدافع عن نفسه ، ويبين محاسنه ، ويجذب الانتظار اليه ، مهاجما للنظام الآخر ، ويلفت الانتظار الى فشله وتهافته ، ويتبناه بالفناء والهلاك .

أما الدعوة على الصعيد الديني ، فإن الملل والنحل ، والمذاهب الدينية ، والاديان الباطلة على الصعيد العالمي كثيرة جدا ، انقرض بعضها وولى الى غير رجعة ، وبعضها الآخر في طريق الانقراض والزوال ، وبعضها الآخر يتشبث بالحياة والوجود ، ويطلب المسألة وعدم الاعتداء عليه ، وكثير من اتباعه يتسللون الى الديانة الحق ، اذا تهيأت لهم الفرصة لمعرفة الحق واعتناقه .

أما الديانات السماوية الثلاثة الكبرى ، على الصعيد العالمي ، والاختلاف بينها ، وحركة الدعوة اليها ، فإن الحديث عن ذلك له جانبان :

الجانب الاول : - نقرر فيه كمسلمين ، ان الديانات الثلاثة في أصل حقيقتها ، ونزولها من عند الله على موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، بينها ثلاثتها وفاق تام ، فكلها حق منزل من عند الله ، والتوراة والانجيل الحقيقيان لا يختلفان مع القرآن في شيء ، بل انهما يشهدان للاسلام ، ويبرهان بخاتم المرسلين كما يقول القرآن عن نبي الاسلام « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » سورة البقرة ويقول فيه « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » البقرة ويقول فيه « النبي الامي الذي يصدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين

□ ٧٤ □

آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » . الاعراف . وكثيرا ما يذكر القرآن الكريم عن التوراة والانجيل انها منزلان من عند الله . ففي أول سورة آل عمران « الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام » ويذكر القرآن في مواطن كثيرة عن اليهود ، انهم حرقوا التوراة وبدلوا ، وحرقوا النصوص التي تبشر بالاسلام ، وغيروا أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويذكر القرآن الكريم في سورة الصف عن عيسى ابن مريم أنه قال لبني اسرائيل « اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد قلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » والقرآن يأمر المسلمين بأن يقولوا « آمنا بالله وما أنزل اليه وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » سورة البقرة فدين الله الحق واحد متحد متوافق على طول العصور ، والله يقول للمسلمين « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » سورة الشورى . أما مسألة النسخ بين الاديان فاتها هو في الفروع الشرعية التي تختلف في دين عنها في آخر لاختلاف الظروف والاحوال والمناسبات كما يقول تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » سورة المائدة ويقول « ولكل أمة جعلنا منسكا ليسذكروا اسم الله » سورة الحج . ويقول « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر » سورة الحج .

الجانب الثاني : نقرر فيه أن اليهود طعنوا في المسيح ونبيه ، وكفروا بالمسيحية ودين الاسلام ، ويقول في تقييم موقف كل من الطائفتين بالنسبة للاسلام والمسلمين « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكذبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فانابهم الله

بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين « سورة المائدة » .

مهما يكن من شيء فقد تبلورت المسألة بعد ظهور الإسلام في الديانات السماوية الثلاثة على الصعيد العالمي كله، اليهودية، والمسيحية، والإسلام، فماذا كان موقف كل طائفة وملة من الدعوة إلى دينها ومذمبيها بصرف النظر عن حقيقته، بطلانه؟ هذا ما سوف نجيب عنه في مقال قادم إذا أعان الله .

لكنني قبل أن أفعل ذلك يطيب لي زيادة في بيان الإحصاءات الدينية بين الناس أن أذكر أنني وفعت في إحدى المجلات على إحصائية رسمية صادرة عن هيئة بريطانية يتضح منها أن الوثنيين في العالم يساويون في العدد أهل الديانات، وأن أهل الديانات في العالم كالتى : المسيحيون بجميع طوائفهم تسعماية مليون ونصف تقريبا واليهود أربعة عشر مليوناً تقريبا، والمسلمون خمسمائة مليون تقريبا، وأكثر من عدد الديانات الثلاثة مجتمعة وثنيون لا يدينون بدين سماوى .

بقية مقال « الله نور السموات »

« ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت أن الذي أحياها لمحيى الموتى .. »

وقوله سبحانه وتعالى :
« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسئلهم أمثالهم لخيبتهم لا يستفتونهم منه ضعف الطالب والمطلوب .. »

وقوله تعالى : « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب »

وقوله : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي . أفلا يؤمنون » وقوله :

« وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فزود دعاء عريض . قل أرايتم أن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد . سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بترك أنه على كل شيء شهيد .. » (فصلت) .

وقال :
« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم .

وتال تعالى : « أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها »

« أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها »

هدانا الله من فضله إلى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والامتداء بهدى كتابه .

« فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .. »

يسمع بعد ندائه أى نداء ولو كان صوته صوت الرعد . لأن في أذنيه صمما ..

ولقد كان لنور هذه الآيات البينات أعظم الأثر في نفوس من عاشروا الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضوان الله عليهم وقد عرفوه صبييا . وياقما . وكهلا . أميا لا يقرأ ولا يكتب - أمينا صادقا وفيلا لا يكذب - عرفوا قدرته وقدره .. وإذا به بين عشية وضحاها يطق بالحق الذى نطق به الأنبياء . وبعبارة لا يقولها أبلغ البلغاء . وأحكم الحكماء . وعلم لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه - مهما تطاول عليه الزمن وطال على علوم الناس العفشاء والبلاء .

ويجادل أهل الكتاب والوثان بالتى هى أحسن . ويدفع عن كل ما نزل من السماء الريب والشكوك والأوهام . ويسند إلى رسل الله جميعا كل طهر . وفضل .

ولا يبغي على عمله أجرا . الا المودة في القربى .

وقريش مع كل هذا - (حبا في السيطرة . وحرصا على نظام فاسد . قام على ضلال قديم . واثان حول الكعبة . تستدر بها كثيرا من المنفعة) . تعاونت مع حلفائها لكي تقاوم بكل سلاح - نور الله - لتطفئه - ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون - هدانا الله بفضل - إلى نور القرآن وإلى تدبر آياته . الباقيات الصالحات . الخالدات ..

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ويكفيني في هذا المقام الإشارة عن طول العبارة فاذكر بعض تلك الآيات النيرات من الذكر الحكيم الخالد ولعل في ذكر القليل عذر عن التقصير .

فيتدبر جوهره كل باحث مدقق وعالم محقق من عشاق الحق وطلاب الخير للناس .. ومن ذلك قوله تعالى :

من أخلاق القرآن

التسليم لله تعالى

مادة «سلم» فيها معنى الخلو، والأمان، والنجاة، والخلو من العوارض والموانع، والقلب السليم هو الخالي من دغل الشرك والذنوب، ومنه قول الله في سورة الصافات عن إبراهيم: «أذ جاء ربه بقلب سليم». والتسليم هو الانقياد والأذعان. ولفظ الإسلام يدل على الانقياد، وعلى الإخلاص، وعلى الدخول في دين الإسلام.

«والتسليم» فضيلة أخلاقية قرآنية، تدل على الخضوع لله، والتسوكل على الله والقائه القياد إلى الله وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفضيلة حينما قال في سورة النساء مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليماً». أي لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً أو شكاً، وينقادوا لامر في القضاء والحكم، ويسلموا لحكمك تسليماً لا يكون معه شك أو ارتياب.

الدكتور أحمد الشرايبي

وهذا الأذعان الذي تشير إليه الآية الكريمة إنما يتحقق - كما في تفسير المنار - بثلاثة أمور: الأول أن يحكموا الرسول في القضايا التي يختصون فيها ويستجرون، والأمر الثاني أن تدعن نفوسهم لقضاء الله جل جلاله، الذي ينطق به الرسول من أول وهلة، لعلمه أنه الحق، «والمؤمن الكامل الإيمان ينشرح صدره لحكم الرسول من أول وهلة، لعلمه أنه الحق، وإن الخير له فيه، والسعادة في الأذعان له، فإذا كان في إيمانه ضعف ما ضاق صدره عند الصدمة الأولى، ثم يعود على نفسه بالذكى، وينحى عليها باللوم، حتى تخشع وتشرح بنور الإيمان، وإيثار الحق الذي حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم على الهوى».

والأمر الثالث التسليم والانقياد بالفعل، وما كل من يعتقد حقيقة الحكم، ولا يجد في نفسه ضيقاً منه، ينقاد له فعلاً، وينفذه طوعاً.

ويصور الإمام محمد عبده معنى الآية السابقة بقوله: «لا وربك لا يكونون مؤمنين حتى يكونوا موقنين في قلوبهم، مذعنين في باطنهم، ولا يكونون كذلك حتى يحكموك فيما شجر واختلط بينهم من الحقوق». ثم بعد أن تحكم بينهم لا يجدوا في أنفسهم الضيق الذي يحصل للمحكوم عليه، إذا لم يكن خاضعاً للحكم في قلبه، فإن الحرج إنما يلزم قلب من لم يخضع، ذلك بأن المؤمن لا ينازع أحداً في شيء إلا بما عنده من شبهة الحق، فإذا كان كل من الخصمين يرضى بالحق متى عرفه، وزالت الشبهة عنه كما هو شأن المؤمن، فحكم الرسول يرضيها ظاهراً وباطناً، لأنه أعدل من يحكم بالحق».

وكان الأستاذ الإمام قد نظر في كلامه هذا إلى ما ذكره الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين» من أن التسليم في الآية الكريمة هو تسليم المؤمنين العارفين، وهو تسليم لحكم الله الديني الأمرى، حيث يقوم على ثلاث دعائم هي: التحكيم، وسعة الصدر بانتفاء الحرج، ثم التسليم بلا ضيق ولا تردد.

وهناك التسليم لحكم الله الكوني، أي الرضا بقضاء الله جل جلالته حكمته، والرضا بالقضاء الديني الشرعي هو - كما في المدارج - هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فعلى العبد أن يكون راضياً به دون حرج ولا منازعة، ولا معارضة ولا اعتراض، قال الله تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً».

فأقسم سبحانه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليماً، وهذه حقيقة الرضى بحكمه، فالتحكيم في مقام «الإسلام»، وانتفاء الحرج في مقام «الإيمان»، والتسليم في مقام «الإحسان».

ومتى خالطت القلب بشاشة الايمان ، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحى بروح الوحى ، وتهتدت طبيعته ، وصارت النفس الامارة نفسها مطمئنة راضية وادعة ، وتلقى احكام الله تعالى بصدر واسع منشرح مسلم ، فقد رضى كل الرضى بهذا القضاء الدينى المحبوب لله وللرسول .

والرضى بالقضاء الكونى القدرى ، الموافق لمحبة العبد وادارته ورضاه — من الصحة والغنى والعافية واللذة — أمر لازم بمقتضى الطبيعة ، لانه ملازم للعبد محبوب له ، فليس فى الرضى به عبودية ، بل العبودية فى مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة ، ووضع النعمة مواضعها التى يحب الله ان توضع فيها ، وان لا يعصى المنعم بها ، وان يرى التقصير فى جميع ذلك .

والرضى بالقضاء الكونى القدرى ، الجارى على خلاف مراد العبد ومحبهه — مما لا يلائمه ، ولا يدخل تحت اختياره — مستحب ، وهو من مقامات اهل الايمان .

وينهض التسليم لله على ثلاث دعائم : الاولى تسليم الغيب لله ، وعدم تحكيم العقل فى كل الامور ، فالعقل يعجز امام الكثير من هذه الامور ، والثانية الاذعان لتصرف الله فى الخلق وفى حظوظ الناس . والثالثة الاقدام على جلائل الامور ، لا يخاف اقتحام المخاطر والاهوال ، لان قوة تسليمه تحميه من خطرهما .

• • •

وجوهر التسليم هو الرضى بقضاء الله ، وهذا الرضى هو ثمرة التوكل ، لان العبد اذا توكل على الله حق التوكل رضى بما يفعله ربه ، ويقول الامام ابن القيم :

« وكان شيخنا رضى الله عنه يقول : المقدور يكتنفه امران : التوكل قبله ، والرضى بعده ، فمن توكل على الله قبل الفعل ، ورضى بالمقتضى له بعد الفعل ، فقد قام بالعبودية ، او معنى هذا .

قلت : وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعاء الاستخارة : « اللهم انى استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، واسالك من فضلك العظيم » فهذا توكل وتفويض .

ثم قال : « فانك تعلم ولا اعلم ، وتقدر ولا اقدر ، وانت علام الغيوب » . فهذا تبرؤ الى الله من العلم والحول والقوة ، وتوسل اليه سبحانه بصفاته التى هى احب ما توسل اليه بها المتوسلون .

ثم سأل ربه ان يقضى له ذلك الامر ، ان كان فيه مصلحته عاجلا أو آجلا ، وان يصرفه عنه ان كان فيه ضررته عاجلا أو آجلا ، فهذا هو حاجته التى سألها ، فلم يبق عليه الا الرضى بما يقضيه له ، فقال : « واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » .

فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الالهية والحقائق الايمانية ، التى من جعلتها التوكل والتفويض قبل وقوع المقدور ، والرضى بعده وهو ثمرة التوكل ، التفويض علامة صحته ، فان لم يرض بما قضى له فتفويضه معلول فاسد .

وهؤلاء هم السابقون الاولون من المؤمنين ، تقبل عليهم الاحزاب بخيلها ورجلها ، وعدوانها وطفيلاتها ، فلا يزدادون الا ايمانا واثقالا على الله وتسليما له . وبذلك كانوا صادقين اوفياء ، فذلك حيث يقول الله جل جلاله فى سورة الاحزاب : « وما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا ايمانا وتسليما » ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ، ان الله كان عفورا رحيمًا .

ويقدر ابن القيم ان التسليم لله يتحقق بخلاص الانسان من الشبهة التى تعارض الخير الصحيح ، ومن الشهوة التى تعارض الامر الالهى الحكيم ، ومن ارادة النفس التى تعارض الاخلاص لله ، ومن الاعتراض على احكام الشرع ، ومتى تطلى الانسان بهذا التخلص أصبح صاحب القلب السليم الذى ينجو صاحبه يوم القيامة . « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » .

ولذلك يجب على الانسان ان يتخلص من الشبهات والشهوات وارادة الذات والاعتراض ، وبذلك يبلغ أجل مقامات الايمان . وعلة التسليم هي عدم اكتمال الرضى : « وليس فى التسليم الا علة واحدة » ، وهى ان لا يكون تسليمه صادرا عن محض الرضى والاختيار ، بل يشوبه كره وانقباض ، فيسلم على نوع اغماض ، فهذه علة التسليم المؤثرة ، فاجتهد فى الخلاص منها .

• • •

وفى صدق الاسلام معنى التسليم ، لان الاسلام انقياد لله ، وخضوع لما وضعه من الشرائع والاحكام ، مع التوجه الكلى الى الله ، ولعل هذا هو ما عبر عنه القرآن الكريم بسلام الوجه . وقد وردت فى كتاب الله تعالى يظهر فيها هذا المعنى ، كقول الله جل جلاله فى سورة البقرة : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وفى سورة آل عمران : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » . وفى سورة النساء : « ومن احسن ديننا حينئذ » ، واتخذ الله ابراهيم خليلًا . وفى سورة لقمان : « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور » .

وكلمة « السلام » فى القرآن المجيد غير بعيدة فى مفهومها وظلالها من معنى « التسليم » لان

اليه ، فهذا هو الزهرى مثلا يقول : « من الله عز وجل الرسالة ، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ ، وعلى التسليم . »
ويرينا الحارث المحاسبى الصورة الرائعة للتسليم فيقول : « التسليم هو الثبات عند نزول البلاء ، من غير تغير منه في الظاهر والباطن » . ومن هنا نفهم أن التسليم ليس استسلاما أو خنوعا ، وليس تواكلا وتبطلا ، وليس تركا للأسباب أو العمل ، وانها هو اتجاه الى الله ، واعتصام بحمائه واستعانة بهداه ، واستنفاد الوسع والطاقة في السعى والحركة وتحقيق ما يرضى الله .

ومن تكلموا في « التسليم » بشر بن الحارث الحافى ، وقد روي عنه أنه كان في مجلسه يتحدث عن التسليم والرضى . فقال له بعض من حضر : يا أبا نصر ، انقبضت عن أخذ البر من يد الخلق لانامة الجاه ، فان كنت متحققا بالزهد ، منصرفا عن الدنيا ، فخذ من أيديهم ، لينمحي جباهك عندهم ، وأخرج ما يعطونك الى الفقراء ، وكنت بعقد التوكل ، تأخذ قوتك من الغيب .

فقال بشر : اسمع أيها الرجل الجواب : الفقراء ثلاثة : فقير لايسأل ، وان أعطى لا يأخذ ، فذاك من الروحانيين ، اذا سأل الله أعطاه ، وان أقسم على الله أبر قسمه .

وفقير لا يسأل ، وان عطى قبل ، فذاك من وسط القوم ، عقده التوكل والسكون الى الله تعالى ، وهو ممن توضع له الموائد في حظيرة القدس .

وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت ، فاذا طرقت الحاجة خرج الى عبيد الله ، وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة مسأله صدقه في السؤال .
فقال السائل لبشر : رضيت ، رضى الله عنك والله نسأل أن يجعلنا من أهل التسليم والسلام والاسلام .

السلام أمان وخلص ؟ والتسليم انقياد لله يورث الاطمئنان والرضى ، ونستطيع أن نلاحظ هذا حين نتدبر قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » . وقوله في سورة الانعام : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » وقوله في سورة يونس : « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرمق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

• • •

وتقبل السنة المطهرة لتحديثنا عن « فضيلة التسليم » فنجد رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » معناه ان تكون ارادة الانسان تابعة لامر الله ، خاضعة له ، راضية به ، فلا يكون للانسان أمر بجوار أمر الله ، ولا ارادة بجوار ارادة الله ، ولا شهوة في غير أمر الله ، وهذا هو التسليم حق التسليم .

ولقد كان سيدنا رسول الله خير من تحقق بالتسليم لربه ، ولذلك كان يقول عند النوم - كما يروي البخارى - « اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك » أى استسلمت وانقدت ، وجعلت نفسي خاضعة لك ، تابعة لحكمك ، لا تدرى لى على تدبيرها ، ولا على جلب ما ينفعها اليها ، ولا على دفع ما يضرها عنها ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يدعو ربه فيقول : اللهم أنت ربي ومليكى والهى ، لا اله الا أنت ، اليك وجهت وجهي . وكان يردد في تهجده بالليل : « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت » .
ولقد عرف البصراء من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام مكانة التسليم لله ، فنوهوا به ووجهوا

بقية مقال « من معاني القراءات وأسرارها »

[ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه] قرئ لفظ ليحكم حيث ورد في القرآن الكريم بقراءتين الاولى بفتح الياء وضم الكاف على البناء للفاعل وهو الله تعالى أو الكتاب أو النبى المنزل عليه واسناد الحكم الى الله تعالى حقيقة ، والى غيره مجاز كاسناد النطق الى الكتاب في قوله تعالى [هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق] وقرئ بضم الياء وفتح الكاف على البناء للمفعول حذف فاعله لارادة عموم الحكم من كل حاكم سواء كان هو الله عز وجل ، أو الرسول ، أو الكتاب والظرف في قوله « بينهم » نائب عن الفاعل . والله أعلم .

الجلالة ، أى وتأتيهم الملائكة ، كقوله تعالى « هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة » فان الملائكة سفراء بين الله تعالى وبين عباده في ابلاغ شرائعه اليهم ، وقال الطبرى في قراءة الرفع والمعنى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظل من الغمام .

ووجه القراءة الثانية العطف على ظل أى الا أن يأتيهم الله فى ظل وفى الملائكة ، أو العطف على الغمام أى فى ظل من الغمام وفى ظل من الملائكة وعلى هذا توصف الملائكة بأنها ظل على التشبيه والمقصود فى جماعة من الملائكة مثل الظلل .

التقوى بين المادة والمعنى والفعل

أعظم المفارقات جميعاً ، المفارقة بين
الحدود الحقيقية التي تحيط بالإنسان
من حيث هو كائن حي تحيط به الأبعاد
من كل صوب ، وبين ما تحاوله
شطحيات الخيال من أخراج الإنسان من
حقيقته ، حين تتصور أن المادة أو
الطبيعة أو العقل أو الحس ، هي كلها
فراش أو مجتمعة ، أصل الحياة !
وذلك لأن هذه المفارقة ، قائمة على
تكلف الكذب تكلفاً مؤقتاً دون تحقيق
أى نتيجة لتغيير موقع الإنسان ، من
حدوده التي أرادها الله تعالى ، له ،
في محيط الحياة .
أن نظريات العالم كلها ، لن تستطيع
أن تغير شيئاً من موقع الإنسان في
الحياة ، ومكانه من الوجود .

الأستاذ محمد العتيقي

للمادة ، يعمل في مجال الايجاب ، او فعل آخر يعمل
في مجال السلب ، ولا بد من معرفة الصلة بين ذلك كله
وبين الإنسان .

ان الحركة والسكون في المادة والطبيعة
والإنسان ، يسيران على نحو ، له هدف ، وفيه
تطابق .

فأما السير ذاته ، فهو الشيء الذي لا يمكن أن يدعى
مدح ، أنه سير ذاتي ، من خصائص المادة في ذاتها .
واذا حدث ذلك على سبيل المروق من الحق واتباع
الباطل فلا بد من التساؤل .

فماذا عن التطابق ، وماذا عن الهدف ، انهم
يقولون ان الانسان ، مادة من المادة ، أعاده اللحم
والدم والعظم !

فليتدخل الانسان في أسلوب الحركة ، وأسلوب
السكون ، اللذين يحتكما هضم نعمة واحدة يأكلها
من قهار الأرض ، ليغير هذين الأسلوبين ،
وليغير الهدف الذي من أجله أكل ما أكل .

فإذا استطاع - ولن يستطيع - حق له أن يتبعج
بما شاء من الآراء .

ولقد علم الناس أن العجز عن مثل ذلك حقيقة ثابتة
لا شك فيها .

يحدثنا القرآن الكريم عن هذا العجز الذي تجبره
نعمة الله ، وعن أمثال هذا التطابق الذي تنظم فيه
التقوى ، بين أجزاء المادة ، الحركة التي تسكن ،

ودلك سبب بسيط ، هو أن هذا الموقع ، وهذا
المكان ، هما حقيقتان راسختان ، نعرفهما معسوفة
تجريبية لا شك فيها .

أما النظريات المتعارضة مع الدين فليس لها أى
سند يخضع للتجربة العملية .

ذلك لأن الذي يقول ، أن المادة أو الطبيعة هما أصل
الحياة ، عليه أن يغير الموقع ، الذي حدده الله
للإنسان ، بين المادة ، وفي رحاب الطبيعة ، أن أراد
أن يأتي بجديد . يعرض به الدين .
وما إلى ذلك من سبيل .

ثم ان عليه أن يجعل ، من القيم الكامنة في أساليب
حركة المادة والطبيعة ، والمتفكة في الوقت نفسه ، مع
حركة الانسان على نحو مطابق لمسيرة الكون ، ومتفق
معه في الهدف والقيمة ، شيئاً آخر غير حقيقتها .

ان فلسفة القيم في القرآن الكريم ، تقدم لنا معادلاً
موضوعياً ، دقيقاً للوجود كله ، وللهدف منه ، حيث
تعلمنا أن هناك قيماً ، دقيقة الصلة بين ذرات الكون
جميعاً ، وبين الوجود الذي لا بد أن ينتهي اليه ، بحكم
الحقيقة الكونية ، الخاضعة للتجربة العملية .

أما ما عدا ذلك ، من محاولات التمرد على
الحقيقة ، فهو الهذيان عينه ، والكذب المستحق
للزئ !

« والتقوى » هذه القيمة القرآنية الكبرى ، لا بد من
اطلاعها على أدق تفصيلات التطابق . بين كل فعل

والسكون الذى يتحرك فى آيات كثيرة من آيات الكتاب الكريم .

ولكننا نريد ان نواجه مثلا واحدا من أمثال التطابق بين هذا النظام المحكم ، وبين التقوى وهى تعمل بارادة الله ، فى تصميمات المادة وخصائصها فلنقرأ اذن قوله تعالى فى سورة النحل :

[والله جعل لكم مما خلق ظللا ، وجعل لكم من الجبال أكنا ، وجعل لكم سراويل تقيكم الحر ، وسراويل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون] .

ان التقوى فى المادة والطبيعة نظامان رائعان للحركة والسكون ، ولتشخيص خصائص الاشياء .

أما التقوى فى الانسان فهى فعل ارادى من جهة الارادة الحرة ، اننى اختص الله الانسان بها .

والتقوى أيضا حقيقة داخله فى نظام الخلق ، من جهة السيرة الخاصة لفطرة الخلق ، فى جسد الانسان .

لذلك فان التقوى فى مجال الفعل الانسانى ، متفقة مع قوله تعالى فى سورة التغابن .

[فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] .

هكذا نعرف التقوى فى حالتها معا وأولاهما : التقوى على اطاعتها وهى نظام من فطرة الخلق ، وأساس فى نظام الكون .

وثانيهما : التقوى فى مجال الفعل الانسانى وهى مقترنة بضعف الانسان أو قصوره ، كما هى مقترنة بقدرة على التفوق والابداع .

ولن يقصر الانسان عن تحقيق « التقوى » فى فعله دون ضرر يحق به ، لانه اذ ذاك سيتناقض مع حقيقة الحياة ، وفطرة الوجود ، سيفسد علاقته مع العلاقات الصحيحة التى اقام الله عليها دعائم الحياة .

وعلى النقيض من ذلك فان الانسان اذا حقق التقوى فى فعله ، وتوفق فى هذا المضمار فقد التقى حقيقة الحياة ، فى أعيق أسرارها وأدق معانيها .

وهكذا نرى حكمة الله تعالى ، فى ربط التقوى فى مجال الفعل الانسانى ، بالاستطاعة ثم ربطها بالسمع ، وبه يتحقق اللقاء مع المعنى الشامل للكون ، ولا معنى له بغير الحقيقة التى تمكننا من معرفة ، خلق الله تعالى لكل شئ فيه .

أما الذى نراه من حكمة الله فى هذا السياق أيضا ، فهو ربط الطاعة بالسمع ، باعتبارها النتيجة الصحيحة والايجابية ، لما يسمع الانسان من الكلام المحتوى للحق .

والذى يتبع ذلك ، هو الانفاق والانفاق على اطلاقه حيث تقول الآية الكريمة « **وانفقوا خيرا لأنفسكم** » .

□ ٨٠ □

والشح بعد ذلك هو أس البلاء فى تعطيل « التقوى » اذا ارتبطت بالفعل الانسانى .

تجمع ذلك كله الآية الكريمة التى قرأناها منذ قليل .

[فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] .

وفى الحقيقة . . . انه لا توجد قضية فى العالم تنتصر بإمكاناتها الذاتية كما تنتصر بمجموع أجزاء الهجوم الذى يشنه عليها أعداؤها ، كما تنتصر قضية اليقين على قضية الشك .

وأقصد باليقين ، اليقين بوجود الخالق سبحانه ، وهو أظهر من كل محاولة لظهاره .

ولكن موقف عتاة الانحاد ، يدفع كل مفكر دفعا لا هوادة فيه ، الى كشف زيفهم ، والضرب بأقدام الضياء فى تيه ظلامهم وزيفهم !

ان قضية الايمان بالله تعالى ، ثابتة بما جاء به الرسل صلوات الله عليهم ، وبمحكم كتاب الله تعالى .

والكتاب من الوجهة القرآنية هو كتب الله جميعا فى نسختها الصحيحة ، ووجهتها القويمة .

وفى القرآن الكريم كتاب الله كله ، بما سبق منه من كتب سماوية سابقة ، وما يلحق من مكتشفات العلم فى كل ما يأتى به الزمن ، وتحديث جهود الانسان فى اكتشاف حقائق الحياة ، واجتلاء صفحات الكون .

وهذا موضوع يدرسه ما يتعلق من قيمة التقوى فى القرآن الكريم ، بالعلم الذى تعتبر التقوى وسيلة من أهم وسائله ، هى الوقت نفسه الذى يعتبر فيه العلم ذريعة لتحقيق التقوى ، وتثبيتها فى نفوس الافراد والجماعات ، والوان سلوكهم ومجالات عملهم .

ولقد وضع القرآن الكريم الابعاد العملية التى تقودها اعلامه وتفسح مداها آياته ، فى كل زمان ومكان فقال الله تعالى فى سورة فصلت :

[سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد] .

هذا هو شان الايمان فى كتاب الله على اطلاق حقيقة الايمان ، حيث يتسع هذا الاطلاق للكتب السماوية جميعا بنص القرآن الكريم .

وعلى اجمال هذه الحقيقة فى القرآن نفسه ، لا على مستوى النص القرآنى وحسب ، ولكن على مدى الحقيقة الكونية فى وجودها المادى ، الذى لا نرى فيه من تفاوت ، ولا ينقطع هذا الوجود لحظة واحدة عن اثبات وجود خالقه سبحانه ، والتسبيح بحمده ، والسير على مقتضى حكمته ، وراعته وفضله !

هذه الحقيقة الكونية ، التى يتعدى القرآن حقيقتها الذاتية ، ليربطها بمكتشفات الانسان ، فيما يأتى من الزمن .

وقوله تعالى :

[سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد] .

هذا القول التحريم فيه احاطة بالذات والموضوع ، والكون كله ، وفيه بيان لسبب هذه الاحاطة ، وضرورتها الموضوعية ، مع رد ذلك الى وجود الله تعالى ، الواجب الوجود .

وفيه كذلك ربط محكم بين القرآن الكريم باعتباره نصا ، تراه ابصارنا وتردده افواهنا ، وبين التغيرات الكونية وعلاقات الانسان بها .

اما مذهب الفكر الانسانى فلم تستطع أبدا ، أن تحقق شيئا من هذا الشمول القرآنى .

وهذا يذكرنا بما يتحدث به أصحاب المذهب البراجماتى ، عن نظرتهم المرتبطة بالمستقبل .

وعن أصحاب المذهب المادى الجدلى عن نظرتهم القاسية دائما لحلف خطى الماضى .

لا ينتهى الامر عند فلسفة كل منهما ، باعتبارها جزءا من المحاولات الفكرية الانسانية لتقديم بعض الاجابات ، لمعضلات الفكر الانسانى .

ولكن يتخذ من ذلك التباين ، فى هذا الفكر او ذات ، من جهة ، وباحتواء اسطرة القرآنية لازمنه جميعا أى لعلاقتنا البشرية بالزمن من جهة أخرى ، لسبب من ذلك كله ، دليلا على شمول بقرآن الكريم ، واحاطته ، وعجز العقل البشرى ، حتى ولو مثلته أكبر الافكار وأكثرها رواجاً ، فى سوق الفكر البشرى ، عن الثبات امام المعجزة القرآنية ، فى مواجهة متطلبات الانسان ، الذى يعيش فى التاريخ والفكر والواقع ، فى الماضى والحاضر والمستقبل جميعا ، ولا يمكن أن تفى بهذه المتطلبات أفكار يحاصرهما ، الماضى وحده ، ويفتح عليها سبيل التقدم ، أو أفكار تنقطع عن كل شيء الا ما تتطلع اليه فى المستقبل .

بل ن ما احناه الان من التفرق بين هذين المذهبين الفكرين ، فى الحقل الذى يعمل فيها كل منهما من التاريخ ، أو حركة التطور ليدلنا على حقيقة أعظم خطورة من ذلك كله .

هذه الحقيقة هى نفسها المعادل الموضوعى ، لما سبق فى هذا الحديث ، من أن قضية الايمان هى القضية الوحيدة فى العالم ، التى تنتصر بإمكاناتها الذاتية ، كما تنتصر بمجموع اجزاء الهجوم ، الذى يشبه عليها أعداؤها .

وليس البراجماتيون ضمن أعداء فكرة الايمان أو غير الايمان .

ان البراجماتية وسيلة للتفكير قد نجد فى رحابها من البرجماتيين الجدد من يقول للتجريبين المفكرين لكل حقيقة فكرية ، وراء التجارب الحسية ، وهو يحاورهم .

ولكن المعرفة النابعة من التفكير ، هى واقع تجربى أيضا ، لانها لم تكن لتوجد ، ما لم تنتج من واقع

عملى ، فى علاقة الانسان بالمادة !

ذلك هو « جون ديوى » .

وذلك هو شأن البراجماتية ونحن نتحدث معا عن تفرق اجزاء الحقيقة بين أيدي المفكرين جميعا .

اما أن تجتمع الحقيقة كاملة شاملة فى فكر بشرى ، لم يهتد بنور القرآن الكريم ، فهذا شئ لم يكن أبدا ، ولن يكون أبدا !

والذى تقدم على وجه التحديد ، هو أن قضية الايمان ، تجد محتواها الكامل فى كيانها الذاتى ، فى الوقت نفسه ، الذى تجد هذا المحتوى ذاته ، فى مجموع ما تفرق بأبدي النظريات الاحادية ، وما اجترأ به كل منها ، ودار فى دواماته ، لينتهى من زيد الوهم الى قاع الصياع .

وهذا ينتهي الانتصار لقضية الايمان وينتهى الهزيمة لأعداء هذه القضية .

والسبب فى ذلك بسيط ، وهو ان الحقيقة شاملة للانسان ، ضمن ما تشمله ، من تداخل الماديات والمعنويات فى حقيقة خلق الله سبحانه لكل شئ .

فهما يجترئ الفكر المعاند للحقيقة بأى شئ ، من أى شئ ، ان يخرج من نطاق الحقيقة أبدا ، لانه محاط بها دائما ولا يملك شيئا غيرها ، حتى هذا الذى يجترئ به ويطنه الباطل ، هو جزء من الحق ، وانما الذى جعله باطلا هو تحريفه عن مواضعه ، والبعد به عن صلاته الكبيرة فى شمولها الحقيقى .

والفرق الوحيد هو الفرق بين من يسبح الى الشاطئ ومن يسبح الى الهاوية .

ولقد بررنا بمش المادية الجدلية فى هذا السياق ، واستنبينا معا البراجماتية من آفة الشك .

وهاك ايها القراء الاعزاء مثلا اخر غيب نعلمه من توسط « كانت » بين العقليين الذين ردوا الحقيقة الى صور فطرية فى العقل والتجريبين الذين لم يؤمنوا بأى حقيقة فكرية وراء التجربة الحسية .

ان توسط كانت بين العقليين والتجريبين واهتداءه الى تمزق الحقيقة بينهما معالم بهذه الى النتيجة الحتمية لهذا التوسط وهى الايمان الواضح العميق كما جاء به القرآن العظيم .

ويطول الكلام لو أسرفنا فى تقديم الأدلة على تمزق الحقيقة ، فى أبدي طالبيها من أصحاب المذاهب والانكار أو أصحاب الأهواء والاهوام .

ولكن هذه الأدلة آتية جملة وتفصيلا فى ثنايا الكلام عن القيم القرآنية .

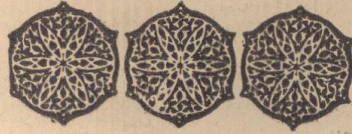
والتقوى هى القيمة القرآنية التى بدانا بها فى نطاق الدراسة التطبيقية لفلسفة القيم فى القرآن العظيم .

ان القرآن يحدثنا عن القضايا الفكرية للناس جميعا ، وعن القرآن نفسه وعن التقوى ، بمفهومها السابق .

فاذا هو آخذ بأيدينا الى فهم ، التقوى ، على أساس كونها قيمة عملية ، تنظم سلوكنا فى الحياة وفهمنا

[واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا أثم عليه ومن تأخر فلا أثم عليه لمن اتقى ، واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون]
هنا يجتمع الفعل الانساني ويصاحبه القصور عن النهج الامثل الذي اراده الله من الانسان .
فهناك التفاوت والتغير والتناقض والوان المعجز .
وهناك الضعف والتردد
ويرحم الله تعالى خضعف الانسان ويقوم مثله ، فيطيننا انه لا اثم على الانسان في ضعفه وقصوره « لمن اتقى »
ونتساءل جميعا وما التقوى التي اشترطها الله على الانسان هذا الاشتراط الحاسم .
ونجيب انها زاد للمعرفة اشبه ما يكون بالشمعة في الظلام .
ومعرفة للزاد ، اشبه ما تكون بالعينين للرؤية .
واخلاص في طلب الحقيقة ، اشبه ما يكون بمواصلة السير اليها ، ولو على وخز الجراح .
فما عرف الحقيقة قط ، من لم يعرف خالقه ورازقه وما عرف كيف يعرف قط ، من سمل عينيه أو نسيهما في ظلام سوء القصد ، وخبث الطوية ، وما كان شيء من ذلك ليكون قط بغير اخلاص في الصدق ، وصدق في الاخلاص .
وننعم النظر في كلمات الله تعالى ، في ربوع هذه الآية الكريمة ، فاذا التقوى على اطلاقها واضحة المعالم في قوله تعالى [لمن اتقى] .
واذا ذلك متبوع بقوله تعالى [واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون] .
فاذا رعبنا ان التقوى قد ذكرت مرتين متتابعتين « فهنا ان الاولى مختصة بالتقوى على اطلاقها ، ونحن نمارس الحياة الواقعية على وجهها الصحيح ، في المجتمع الانساني ، او مجتمع الافكار والبحوث والتطبيقات ، او مجتمع الاعمال في أشكال الانتاج المختلفة .
اما الثانية فهي الارتقاء من ذلك كله الى ذروة التقوى ، وهي تقوى الله .
والى لقاء آخر يعون الله مع فلسفة القيم في القرآن الكريم .»

لحقيقة الكون ، وارتقاءنا من ذلك كله الى تقوى الله أى معرفته والايان به .
نفهم ذلك ونحن نقرأ آيات قصارا متتابعة نختم بها سورة البدر .
[كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره] .
[وما ينكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة] .
ان التقوى عطاء الله تعالى يمنحه للناس جميعا .
وهذا العطاء ليس معنى مجردا ، يوجهه الله تعالى الى عقل الانسان وحسب ، ولكنه الى ذلك نظام في صميم الكون ، وواقع خاضع لاي جربة عملية في الوقت نفسه .
والجديد هنا هو تحليل التقوى باعتبارها قيمة لا يمكن ان يخلقها الانسان لنفسه لان الانسان لم يخلق العالم الخارجى المحيط به ، ولم يخلق نفسه ، وانما خلقهما الله تعالى ، وعقد بينهما رفيهما من علاقات الاتصال والانفصال والاستمرار والانقطاع ، ما يقوم به النظام وتتصل الحياة ، او تتصل المعاني تفصيلا واجمالا ، في حدود الحياة المحدودة ، أو الحياة الدائمة الصالحة .
أن ما يواجها في هذه الآية الكريمة من قوله تعالى :
« هو اهل التقوى واهل المغفرة » .
هو رحمة الله تعالى للانسان .
وتحقيقا اعجز الانسان وقصوره عن فعل شيء الا اذا كان امتدادا بنا يسره الله له ، من سبل الفعل المحدود ، فمثل الله تعالى كما هو [اهل التقوى] أى خالق النظام ومبتدع الكون ، ومسبب أسبابه وميسر أحواله ، هو كذلك سبحانه وتعالى اهل المغفرة ، لان الانسان لن يستنيع أبدا أن يصل الى مرتبة الكمال ، في فهم الحقيقة الشاملة أو مرحلة الكمال في الفعل الانساني ، المتفق معها والموافق لارادة الله تعالى في اسياد الانسان وتجنبيه مهاوى الشر في قصوره الانساني وضعفه البشري .
وتبين لنا هذه الحقيقة اكمل ما تكون في مثل قوله تعالى :





أضواء من كتاب الله

فضيلة الشيخ حسن صالح

الله [قال :] وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمدن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم [أما يعبدونني لا يشركون بي شيئا] أنا أنصر رسننا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد [وضرب على هؤلاء الذلة والمسكنة وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، وفزعهم - مهما حسدوا وأعدوا من أسلحة - بالهزيمة ولو ساندتهم وانحاز اليهم أعتى جبابرة الأرض [لن يضروكم الا أذى وان يقاتلكم يولوكم الاديبار ثم لا ينصرون] .

فلتددهم أمريكا بكل ما في ترساناتها من عتاد الحرب وأسلحة الدمار وليكن منهم المائلون لهم ومؤازروهم ومن غفلوا من البشرية عما حاكت لهم من قديم العصور وحديثها فان مددنا من السماء وان جند الله هم الغالبون [وما يعلم جنود ربك الا هو] وهذه هي المعركة انشائية التي لا ثالث لها ولن يعودوا بعدها أبدا [واذا تدين ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم] وقطعناهم في الأرض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالחסنات والسيئات لعلهم يرجعون] .

وانظر يا أخى الى ما تحدث به كتاب الحق واستمع بأذنك وقلبك لأكليات الله في شأن هؤلاء الذين تمردوا على الله ورسالاته فحاربوها بكل وسيلة وكادوا للمؤمنين بها في كل العصور منذ نشأت الفكرة العنصرية الاستعلائية عندهم وقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه فعانوا في الأرض فسادا وأججوا الحروب

معركة المصير

[فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفرقا] .

لاهر ما اراده الله تبارك وتعالى ان يتنارى هؤلاء للتجمع والحشر هنا في أرض الميعاد كما يقولون لتحقيق أحلامهم وما يؤملون من إقامة دولة يهودية لحما ودما وحدودها في أساطيرهم وأسفارهم ونحدثوا في تلمودهم وبروتوكولاتهم عن الوسائل للوصول بهم الى غاياتهم وأهدافهم للقضاء على البابوية والإسلام معا وإحلال الحضارة اليهودية المزعومة محل الحضارتين المسيحية والإسلامية ومحو القومية العربية وامتلاك البشرية وحكمها كملوك لها يتصرفون فيها كما يشاءون باعتبارهم شعب الله المختار يمتاز على شعوب الأرض طرا فقد خلقوا بما صور لهم خيالهم من روح الله وخلق الناس من الأرواح النجسة الخبيثة .

ولقد حدثنا الحق جل شأنه عن الحكمة في حشرهم هنا فقال وقوله الحق : [فاذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عنوا تنبيرا] . عسى ربكم ان يرحمكم [من هذا العناد الذي أشقاكم والخيال الذي أرقم عبر القرون فشفيعكم به وأشقيتم البشرية معكم ولن تنالوا مأربا وانما هو سراب خادع وأحلام يفضة عشتم بها دهورا وصاحبكم حقا وتكفل الله بالدفاع عن رسالات السماء وأهلها ومهادها ومنازل الوحي فيها ومنبت الانبياء ورسل الله فقال : [ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور] . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا

تكراره وعرضه في وصى من الدعوات وكانت في فترة الغفوة تضع أيديها على منابع المال والثروة في العالم حتى كان لبطل فعلا أعوان وجند وكانت أكثر فقيرا فلما تخيلوا أن دولة الحق قد ولت ونصروا أنه لا يمكن إعادة مدها ، وبعث ضياء الهدى من جديد هجموا بمعونة الاستعمار والإمبريالية والمضللين ممن خدعوا بدعاياتها المسمومة وأساليبها المكرة الخبيثة وانطبت عليهم حيلها ووقعوا في سراكها بعد أن احكمت قبضتها عليهم وأوثقتهم في قيودها وأغللها فصاروا في ركابها طوعا أو كرها وتحسبوا لاقامة دولتها وتعسروا بحمايتها وامتدادها بمقومات حياتها وتنادى اليهود بالهجرة إلى الجنة الموعودة وتجمعوا لتحقيق الفصل الأخير في قصة الفساد في الأرض ولا تزال منظره تتوالى .

والآن وقد نبه العالم العربي كله والعالم الإسلامي في أثره والبشرية والرأى العام العالى والأمم المتحدة في جمعيتها وفي مجلس الأمن إلى حقيقتها وانكشفت أطماعها في اتوسع بالعدوان على حصون العقيدة وعرين الأسود من أبناء يعرب وأبطال الوغى فكانت إشارة البدء في معركة المصير وحدد القائد الملهم المظفر ساعة الصفر فعبير الكماة الأشاوس في فدائية منقطعة النظير ذهلت لها عقول جبابرة العالم في الفنون العسكرية فتغيرت استراتيجيات القتال وقواعد الكر والفر ومعامير الحرب الحديثة وانقلبت خططهم رأسا على عقب في لحظات وعون من الله وتأييده لجنده فماذا بعد ؟

بقي أن نعلم أن العدو ماكر خبيث كعهدنا به في كل جولتنا معه وأنه إنما سعى إلى وقف القتال بكل ما يملك من طاقة ليلتقط أنفاسه ونحن بطبيعة ديننا وخلقنا ندعاة سلام نسعى إلى أمن البشرية كلها من حرب ضروس نريد السلام لها جمعاء القائم على العدل والمساواة وحق الحياة في ظل لكل شعب وأمة لا السلام المفروض أو الذى هو لصالح الأقوياء والأغنياء والكبار عملا بقوله تعالى : [وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وأن يريدوا أن يخذعوك فإن حسبك الله هو الذى يديك ينصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم] .

فإن انصداع إلى ما تعهد به مجلس الأمن وقرره العالم وانسحاب انسحابا كاملا من كل الاراضى العربية ورد الحقوق المغتصبة لآخواننا وأهلنا ومن نفتديهم بدمائنا فيها والا فقد دوى النفير وحانت ساعة الخلاص في معركة الشرف والكرامة وعلينا الالتزام الكامل بكل أعبائها ونحن والحمد لله أهل لها بمعونه وتأييده فانه نعم المولى ونعم النصير .

وأوقعوا بين الأمم وهكذا تحكى الآيات الكريمة في أكثر من موضع قصصهم مع رسل الله وأفاعيلهم بالبشرية وكيدهم لعقيدتها وتضليلهم أياها عن هدى الله وتحريفهم لما أنزل الله ولكن الله جل شأنه تكفل بالدفاع عن الحق وأهله وأظهارهم عليهم ورد كيدهم في نحورهم بأعراء العداوة بينهم [كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين] وتأييد المؤمنين بنصرهم وبقذف الرعب فى قلوبهم وإنك لترى فيما تحكيه قصة أفسادهم فى الأرض مرتين واستعلائهم على البشرية أن عباد الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا الديار زمن عمر رضى الله عنه من غير حرب ولا طعان فجاسروا خلالها وتسلموا مقدسات الاسلام فيها وآثار عيسى عليه السلام واثارت الانسانية ومجالات ابراهيم ومهاد الانبياء وحافظوا عليها واقتدوها بدمائهم حينما تساللت اليهودية وتسربت بوشاح الصليبية فى حروبها لتحقيق غاياتها فى فلسطين وفى ركاب الاستعمار بعد تحطيم الخلافة العثمانية وانهاكها ثم تقسيم شظاياها وأسلانها وتوزيعها على الطامعين توطئة إلى ابتلاعها بعد التمزيق وسهولة ازديادها ولقد وعى التاريخ وسجل الاحداث فى المشرق والمغرب محاولاتهم لتهديم المسيحية وتقويت مجتمعاتها بالفتنة بين اليعقوبيين والموكانيين ثم التفريق بين الكنائس مع أن الدين واحد ومنبعه من ندى عيسى عليه السلام الانجيل الذى أنزله الله عليه ثم ألقائهم إلى أمم الاسلام لفصم وحدتهم وتوهين عروة الله الوثقى بينهم وتسليط الباطنية المدمرة والدعوات الدخيلة على المحيط الاسلامى والفكر النقى المؤمن الموحد .

وقد كان أفسادهم فى الأرض فى الحقبة التى سبقت بعثة رسول الهدى بنفى الرسالات وتكذيب رسلها وتقنينهم وتحريف كتبها أو اخفائها وتضليل الناس عنها واستبدالها بالادنى مما كتبوا وقالوا هذا من عند الله .

إلى أن جاء الحق من عند الله ونزل كتابه على قلب رسول الله باللسان العربى المبين وكشف الله به زيفهم وضلالهم وترهاتهم ودحفا فابطل سعرهم وما افتقروا فيه على الله ورسالاته وتكونت أمة الهدى ودولة الحق وأظلت فيما أظلت مطمع أنظارهم ومحط آمالهم [البلاد المقدسة] جن جنونهم وطاشت أحلامهم فديروا وتآمروا عليها نحينا بتقويت الوحدة الاسلامية وأحيانا بالأساطير والخرافة يدسونها فى كتب التفاسير وبالأحاديث المختلفة والموضوعة عمدا للنيل من العقيدة وطمس معالم الحق ثم ببسليط وإغراء الصليبيين بديار العروبة ومهاد الرسالات متعاونة فى خفاء ومستعينة بعوامل الهدم فى داخل المحيط الاسلامى حتى خدرت أمم الأرض بزعاف سمها وتأثروا بها وضمت على مر القرون ودأبت على



الأستاذ محمد رشيد

ف ضوء القرآن الكريم

يعتمد الإسلام اعتماداً كبيراً في تطبيق نظامه على الضمير المؤمن الذي يستشعر رقابة الله وتقواه ، فعالم الضمير هو الميدان الأول الذي يوجه الإسلام إليه عنايته مصداقاً لقول الله تعالى ، « أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ومن هنا كانت حكمة القرآن الكريم في التشريع ، وكان منهج سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في التطبيق يهدفان أولاً إلى التربية ، إلى صياغة الإنسان المسلم صياغة قرآنية كاملة ، وكأنها يقيمان المجتمع والدولة أولاً في ضمير المؤمن ، حتى إذا تكونت القاعدة المؤمنة التي تصبح في اعتقادها وأخلاقها وسلوكها ترجمة عملية لمبادئ القرآن ، يأتي دور المجتمع والدولة وتطبيق التشريع وإقامة الحدود .

منهج سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمح ولا يبيح أن تفرض مبادئ الإسلام وحدوده قسراً بقوة التشريع ، إنما لابد أولاً من إيجاد المناسخ الإيماني ، والقاعدة المؤمنة ، حيث تكون طاعة التشريع والاستجابة لأوامر الله تعالى عبادة ، وحيث يكون تعامل المؤمن أساساً مع الله ، وحيث يحكم المؤمن ضميره وتقواه قبل أن تحكمه خشية القانون .

وفي قصة الغامدية يرتفع الضمير البشري إلى قمة عالية وتبلغ التوبة مداها ، وهي قد ألت بذنب في لحظة ضعف ، ولم يرها أحد ، وهي في منأى من العقاب ، ولكن ضميرها يثور عليها ، وبالرغم من أنها تعرف عاقبة اعترافها بذنبها فقد ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معترفة بذنبها وتطلب منه أن يطهرها باتابة الحد عليها اعترفت بذنبها اعتراف الفاهم المدرك لحكمة التشريع الذي

لا يريد أن يلقي الله بذنبه قبل أن يظهر منه في الحياة الدنيا بالحد .

روى مسلم في كتاب الحدود قال :

« جاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله اني قد زينت فطهرني ، فردها ، فلما كان القد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ فوالله اني لحبلى .. قال : فاذمبي حتى تلدى . قال : فلما ولدت آتته بالصبي في خرقة وقالت : هذا قد ولدته ، قال فاذمبي فأرضعني حتى تطعمني ، فلما فطمته آتته بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام .

« فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ، ثم أمر فحفر لها الى صدرها ، وأمر الناس فرجسوها ، فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضج منه الدم على وجهه فسبها ، فسمع نبي الله سبه اياها فقال : مهلا يا خالد ، فوالذي نفسي بيده لقد تابيت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت » .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها قالت :

جاء رجلان من الانصار يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث بينهما قد درست - محبت - ليس عندهما بينة ، فقال :

انكم تختصمون الى ، وانما انا بشر ، ولعل بعضكم ان يكون الحق بحجة من بعض ، وانما أقضي بينكم بما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه : فانما اقطع له قطعة من النار ياتي بها انتظاما في عتقه يوم القيامة .

فيكي الرجلان وقال كل منهما ، حقى لآخى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما اذ قتلتما فاذها فانتقسما ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه .

وروى البخارى ومسلم عن حكيم بن حزام قال :

« سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني . ثم سألته فأعطاني . ثم قال : يا حكيم ، هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .

فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ احدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يأخذ منه شيئا .

ثم ان عمر بن الخطاب دعاه ليعطيه فأبى ، فقال : يا معشر المسلمين ، أشهدكم على حكيم ، اني اعرض عليه حقه الذى قسم الله له في هذا الكفى فيأبى أن يأخذه ولم يأخذ حكيم شيئا من أحد من الناس حتى توفى » .

□ ٨٦ □

وروى انه فى فتح مصر وقف عمرو بن العاص بجيشه طويلا فى حصار أحد حصون الرومان ، وفى جوف الليل اذا رجل ملثم من الجيش يقول : سأسعد فوق الحصن ، فاذا صعدت وفتحت لكم باب الحصن وكبرت فادخلوا ، وصعد الرجل وفتح الباب واقتحم المسلمون الحصن فى غفلة من الرومان . وتم لهم النصر .

ونودى فى الجيش : ان عمرو بن العاص يريد المثل الذى فتح الله على يديه ، فلم يتقدم احد ولم يعرفوه .

فكان عمرو بن العاص يقول فى دعائه : اللهم أحشرنى مع صاحب اللثام .

وحدث الطبرى فى تاريخه تال :

ما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الإقباض ، أقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الإقباض ، فقال والذين معه : ما راينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فمعرفوا ان للرجل شأنا فقالوا : من انت ؟ قال لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم فيقرظوني ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه .

فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس .

وذكر ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد عن شداد ابن الهاد قال :

جاء رجل من الاعراب الى النبی صلى الله عليه وسلم فأتى به واتبه فقال أهاجر معك ، فأوصى به بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر ، غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقسمه ، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهريهم ، فلما جاء دفعوه اليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فجاء به الى النبی الكريم فقال : ما هذا يا رسول الله ؟ قال قسم قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار الى حلقه بسهم فأموت فادخل الجنة . فقال : ان تصدق الله يصدقك .

ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به الى النبی صلى الله عليه وسلم وهو مقتول . فقال : أهو هو ؟ قال : نعم قال : صدق الله فصدقك فكفنه النبی فى جيبته ثم قدم فصلى عليه وكان من دعائه له : اللهم هذا عبد خرج مهاجرا فى سبيلك قتل شهيدا .

لقد بلغ الايمان وبلغت التربية بالرعيل المؤمن الاول مبلغا لم يقف عند حد الطاعة الراضية لامر الله ، ولكنهم تجاوزوا هذا المقام ، حتى أصبحت الشهادة فى سبيل الله هى الامنية التى يتناها ويسعى جاهدا اليها .

ذكر ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد قال :

[البقية ص ٩٦]



لقد انتهينا في مقالنا السابق من بيان فروق الطلاق والفسخ البني وسوف على القضاء والني لا يوجب على القضاء ، كما بينا اقسام اطلاق من ناحية دلالة اللفظ على معناه واحتياجه الى النية أو عدم احتياجه (أى الصريح والكنائية) . كما أوضحنا تقسيمه من ناحية الرجعي والبائن .

وسنعرض في مقالنا هذا الى فيه من احكام كتابات الطلاق ، وبيان رأى الفقهاء فى وقوعه بالكتابة أو الاشارة مع ايضاح احكام الطلاق الرجعى وابائنه وما جاء بقوانين الاحوال الشخصية فى ذلك ، والمذاهب الفقهية التى استمدت احكامها منها واليك البيان .

من أحكام الشرعية الإسلامية وأركانها فى الطلاق

فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

الوحيدة للتعبير عن ارادته وقصده . أما اذا كان قادرا على الكتابة فالرأى الراجح فى فقه الحنفية أن طلاقه يكون بالكتابة لا بالاشارة المهمة لان الكتابة أدل على المقصود من الاشارة فلا يعدل عنها عند امكانها .

هذا ولا يقع الطلاق بمجرد نية الطلاق اذا لم يدل على ذلك لفظ أو كتابة أو اشارة لان الشارع جعل الإنعاض وما يقوم مقامها علامات على المقاصد فاذا لم يوجد ما يدل على النية من قول أو فعل فلا عبرة بهذه النية المجردة فى وقوع الطلاق ولا فى انشاء أى تصرف من التصرفات .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لامتى عما حدثت بها أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم) .

وينقسم الطلاق بالنظر الى الاثر المترتب عليه الى طلاق رجعى وطلاق بائن . والطلاق البائن نوعان : بائن بينونة صغرى ، وبائن بينونة كبرى .

والطلاق الرجعى هو الذى يرفع قيد الزواج الصحيح فى المآل لا فى الحال . أى أنه لا يغير شيئاً من أحكام الزوجية مادامت الزوجة فى العدة وليس له من أثر الا نقص عدد الطلقات التى يملكها الزوج على زوجته ، فيملك الزوج بعد ايقاعه الطلاق الرجعى أن يراجع مطلقته مادامت فى العدة ومادام لم يستنفذ عدد الطلقات . يعيدها الى عصمته بالقول أو الفعل من غير حاجة الى مهر وعقد جديدين وبدون رضاها . والرجعة حق للزوج مادامت مطلقته رجعياً فى العدة لتقول الله تعالى بعد قوله : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » . (ويعولتهن أحق بردهن فى ذلك) . أى أزواجهن أحق بإرجاعهن الى عصمتهم فى

قد يختلف الزوجان فى أن الزوج نوى الطلاق باللفظ الكنائى الذى صدر منه أو لم ينوه . فاذا ادعت الزوجة أمام القضاء أن زوجها طلقها بلفظ من ألفاظ الكناية وأنه نوى به الطلاق ، فإن اعترف الزوج بالدعوى وأنه نوى باللفظ الكنائى طلاقاً حقيقة قضى لها بالطلاق . أما اذا اعترف الزوج بصدور اللفظ منه لكنه أنكر أنه نوى الطلاق به ، فإن حلف أنه لم ينو الطلاق باللفظ الكنائى الذى صدر منه ترفض دعواه ، وإن نكل عن اليمين حكم لها بطلاقها منه لما هو مقرر فقها من أن النكول عن اليمين إقرار بالدعوى . كما قرر فقهاء الحنفية أيضاً أنه قد يقع الطلاق بالكتابة ولو كان الزوج قادراً على التلفظ بما يفيد الطلاق ، فإن كانت الكتابة مستتبينة (أى واضحة ظاهرة) بحيث تقرأ فى صحيفة وغيرها . ومرسومة (أى معنونة باسم الزوجة) قامت هذه الكتابة المستتبينة المرسومة مقام اللفظ الصريح ووقع بها الطلاق من غير توقف على نية الطلاق . فاذا كتب الزوج كتاباً الى زوجته بعنوانها قائلاً فيه بعد الديباجة (أنت طالق) وقع الطلاق بمجرد الكتابة . أما اذا علق الطلاق على وصول الكتاب اليها . كما اذا قال اذا وصلك كتابى هذا غائت طالق ، يقع الطلاق بمجرد وصوله اليها سواء قرأت الكتاب أو لم تقرأه ولا يقع قبل ذلك .

أما الكتابة المستتبينة غير المرسومة فإنها تقوم مقام اللفظ الكنائى ، فإن نوى بها الطلاق وقع والا فلا يقع . والكتابة غير المستتبينة وهى التى لا يبين لها أثر كاتبتها فى الهواء أو على الماء ، لا عبرة بها ولا يقع بها طلاق . وإذا كان الزوج أخرس أو معتقل اللسان لا يعرف الكتابة والقراءة يكون طلاقه بإشارته المعهودة لان الاشارة فى هذه الحالة هى الطريقة



ذلك الوقت الذي تربصته (وسنشرح أحكام الرجعة
القولية والفعلية بعد الانتهاء من بيان أحكام الطلاق
الرجعي والبائن) .

كما أن مؤخر الصداق لا يحل بمجرد الطلاق
الرجعي وإنما يحل بالبينونة التي تكون بانقضاء
العدة وترث المطلقة رجعيًا مطلقًا إذا مات وهي في
العدة من هذا الطلاق . كما يرثها هو أيضا إذا ماتت
وهي في العدة .

أما الطلاق البائن فهو الذي يرفع قيد الزواج في
الحال أي يزيل الملك وهو نوعان كما قلنا :

١ - بائن بينونة صغرى . وهو طلاق الزوج
لزوجته قبل الدخول الحقيقي بها أو طلاقه إياها في
مقابل مال تفقدى به نفسها ولم يكن مسبقًا بطلقة
أصلًا أو كان مسبقًا بطلقة واحدة ، وحكمه سواء
أكان أول الطلقات أم ثانيًا أنه يترتب عليه نقص عدد
الطلقات وإزالة قيد الزوجية في الحال أي أنه بمجرد
صدوره يزيل ملك الاستمتاع الذي كان ثابتًا بالزواج
ولا يعود هذا الملك إلا بعقد ومهر جديدين بتراضي
الزوجين سواء في العدة أو بعد العدة . لكنه لا يزيل
الحل بمعنى أن المطلقة بينونة صغرى يحل لمطلقها أن
يعقد عليها في العدة وبعد العدة بدون حاجة إلى زوج
آخر يحلها له لأنها بالبينونة الصغرى لم يحم بها سبب
من أسباب التحريم المؤبدة أو المؤقتة .

وإذا كان البائن بينونة صغرى حكمه كما ذكرنا
يزيل الملك في الحال ولا يزيل الحل بمعنى أنه يصح
العقد عليها من جديد دون أن تتزوج بزواج آخر فلا
يحل لأحد الزوجين في هذا الطلاق الاستمتاع بالآخر
ولا الخلوة به وتكون منه بمنزلة الأجنبية وإن مات
أحدهما في العدة أو بعدها فلا توارث بينهما بسبب
الزوجية إذ قد انقطع بالطلاق البائن سواء كان
الطلاق في حال الصحة أو في حال المرض إلا إذا كان
المريض مريض الموت قد قصد بطلاقه لزوجته وهو في
هذه الحالة حرمانها من أن ترث منه وتوافرت الشروط
لاعتبار الزوج قارًا فإنه في هذه الحالة يعامل هذا
الفار بضد ما قصده فترث منه هذه المطلقة ولو كانت
هي التي توفيت لا يرث منها وسنفصل أحكام الفار
ونبين مرض الموت في مقال آخر .

أما النوع الثاني من الطلاق البائن وهو البائن
بينونة كبرى : فهو ما كان مكملًا للثلاث أي أن الزوج قد
استنفذ به كل ما يملكه على المطلقة من الطلقات .
وحكمه أنه يزيل الملك والحل معًا في الحال فتحرم
المطلقة على مطلقها تحريمًا مؤقتًا ولا يحل له أن
يتزوجها مرة أخرى إلا بعد أن تتزوج غيره زواجًا
صحيحًا نافذًا ويدخل بها دخولًا حقيقيًا ثم تحدث
الفرقة بينها وبين الزوج الثاني لأي سبب من الأسباب
كان يطلقها أو يموت عنها وتنقضي عدتها منه وبعد ذلك

كله يمكن لزوجها الأول أن يتزوجها مرة أخرى إذا
أراد . ومن أحكام هذا الطلاق أيضًا أنه لا توارث
بينهما على النحو المفصل في البينونة الصغرى ،
ويحل بالطلاق البائن بنوعية ما يكون مؤجلًا من
صداق الزوجة لأقرب الإجلين (الطلاق أو الموت) .

وإن قد أوضحنا أحكام كل من الطلاق الرجعي
والبائن كان من الضروري أن نبين متى يكون الطلاق
رجعيًا ومتى يكون بائنًا في قانون الأحوال الشخصية
الذي يجري عليه العمل في جمهورية مصر العربية مع
بيان المذاهب الفقهية التي استمد القانون أحكامه
منها .

لقد نصت المادة الخامسة من القانون رقم ٢٥ لسنة
١٩٢٩ على الآتي : « كل طلاق يقع رجعيًا إلا المكمل
لثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال وما
نص على كونه بائنًا في هذا القانون . والقانون رقم
٢٥ لسنة ١٩٢٠ » .

والواضح من هذه المادة أنها حددت الحالات التي
يقع فيها الطلاق بائنًا . وفيما عداها يكون الطلاق
رجعيًا ، وجاء بالمذكورة الإيضاحية لهذا القانون أنه
أخذ بمذهب الإمام مالك والإمام الشافعي فيما جاء
بهذه المادة على النحو المذكور ، وسننقل أحكام
الحالات الواردة بها بالنسبة للطلاق البائن فيما يلي :

الطلاق قبل الدخول : إذا طلق الزوج زوجته قبل
الدخول الحقيقي سواء اختلى بها خلوة صحيحة قبل
أن يطلقها أو لم يختل بها كان الطلاق بائنًا . إلا أن
المطلقة قبل الدخول بها وقبل الخلوة لا عدة عليها
أصلًا أما المطلقة قبل الدخول الحقيقي وبعد الخلوة
تجب عليها العدة للاحتياط محافظة على الأنساب لا
لمراجعتها لأن الطلاق قبل الدخول الحقيقي يكون بائنًا
في جميع الصور وفي ذلك يقول الله جل
شانه : « يأيها الذين آمنوا إذا تكلمتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لهن عليهن من عدة
تعتدونها فمتعهوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا » .

فقد دلت الآية الكريمة صراحة على أن المطلقة قبل
الدخول لا عدة عليها فلا يجوز مراجعتها لأن المراجعة
إنما تكون في العدة فيكون الطلاق قبل الدخول بائنًا
لا رجعيًا . كما يبين من قوله جل شأنه « فمتعهوهن
وسرحوهن » أن الواجب في هذه الحالة هو التسريح
فلا يكون المطلق مخيرًا بين الإمساك بالمراجعة وبين
الترك بدون مراجعة بل هي قد بانت بطلاقها على النحو
الموضح .

هذا . وفي مقالنا التالي إن شاء الله سنبين باقي
حالات الطلاق البائن المشار إليها بقانون الأحوال
الشخصية كما سنوضح باقي أحكام الطلاق .

المرحلة الثانية :

وبعد أن رأى الصحابة مضار الخمر بالعقل والمال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فنزل قول الله تعالى في سورة البقرة « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » .

وبعد نزول تلك الآية لم يكف البعض عن الشرب ، وكانوا يشربون ويقولون : نشربها للمنفعة لا للآثم ! .

المرحلة الثالثة :

نهى المشرع عن شرب الخمر قبل الصلاة فقال تعالى في سورة النساء « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

قال الترمذي عن علي بن أبي طالب قال « وضع عبد الرحمن بن عوف طعاما ، فدعانا وسقانا من الخمر ، فآخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت « قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون » ونحن نعبد ما تعبدون » قال : فأنزل الله تعالى الآية السابقة ، وهذه الآية ضيق نطق الشرب وأحاطته الى جانب القيود السابقة بأشواك أخرى ، إذ معلوم أن الصلاة تتكرر خمس مرات في اليوم والليلة وقد يضيق الوقت ، فلا يتمكن الشارب من الشرب والافاقة قبل أن تدركه الصلاة وتقبل ساعتها ، ولذلك بدأت منابع الخمر تجف ، وبدأ شرب المسلمين لها يقل ، وبدأت تفقد مكانتها في القلوب والعقول .

المرحلة الرابعة :

وبعد نزول الآية السابقة قال عمر : « اللهم ، أنزل علينا في الخمر بيانا شافيا فنزلت آيات النهي المطلق عن شرب الخمر إذ قال تعالى في سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متجهون » .

وما أن نزلت هذه الآية الكريمة حتى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أن الخمر قد حرمت » .

وكل هذه النصوص تدل على أن شرب الخمر كان مباحا وإن السكر كان هو المحرم ، ثم حرم الشرب ذاته بعد ذلك .

وقد أجمع الفقهاء على أن شرب الخمر دون إكراه محرم قليلا أو كثيرا أسكر أم لم يسكر .

المسكرات من غير الخمر :

وقد اختلف الفقهاء في المسكرات من غير الخمر ، أي في الأنواع الأخرى التي تسكر وليست خمرا :

فقال البعض « فقهاء الحجاز » حكمها حكم الخمر في التحريم القليل أو الكثير أسكر أم لم يسكر . وقال البعض الآخر « أهل العراق » المسكر منها هو المحرم .



في التشريع الإسلامي



وقف المشرع الإسلامي موقفا حازما من شرب الخمر ، ولكنه تدرج في التشريع لهذا الأمر ، إذ كان العرب يكثر من شربها ويتفنون بها في أشعارهم ويفتنون في وصفها ، وكانت عادة متصلة لديهم ، ولم يكن من السهل تحريمها عليهم دفعة واحدة ، ولذلك سلك المشرع الإسلامي مسلك التدرج في التشريع حتى لا يشق الأمر على الناس ، فلم يشرع الله سبحانه وتعالى التحريم كلية ابتداء بل كان ذلك على مراحل مختلفة .

المرحلة الأولى :

تحدث القرآن أولا عن الخمر في عبارة وصفية ففرق بين الرزق الحسن وغير الحسن ، فقال تعالى في سورة النحل (آية ٦٧) « ومن ثمرات النخيل والإعناب تتخذون منه سكرا وزقا حسنا أن في ذلك لآية لقوم يعقلون » .

المستشار أحمد محمود خليل

ويرى الفريق الأول ، أن قليل الانبذة وكثيرها المسكر منها أو غير المسكر حرام ، ويستدلون على ذلك بدليلين :

الأول : ما رواه مالك عن ابن شهاب عن ابن سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتغ وعن نبيذ العسل فقال :

« كل شراب أسكر فهو حرام » وقال « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » وقال « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

الأخر : أن الثابت في اللغة أن الخمر سميت خمرًا لمخامرها العقل ، ولذلك يجب أن يطلق اسم الخمر لغة على من ما خامر العقل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن من لعب خمرًا وأن من العسل خمرًا وأن من الزبيب خمرًا ومن الحنطة خمرًا وأنا أنهاكم عن كل مسكر » . ويرى الفريق الآخر :

أن المحرم من غير الخمر وهو المسكر فقط وادلتهم في ذلك :

١ - أن الخمر اسم النبيء من ماء العنب وتسمية غيرها حرامًا مجاز وأنها سميت خمرًا لمخامرتها العقل بل لتخمرها .

٢ - أن الله تعالى قال في سورة النحل آية ٦ : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » .

وقد قطع الإمام أبو حنيفة هذا الخلاف بقوله : « لو أعطيت الدنيا بحذافيرها ما شربته لانه لا ضرورة فيه » .

وبخرج من هذا إلى أن اتفاق الفقهاء مجمع على تحريم الخمر كثيره أو قليله أسكر أم لم يسكر . شراب البيرة والبطوة والهوب هوب :

وقد اشاع بعض المغرضين المفسدين في مجتمعنا أن شراب البيرة حلال بعكس المشروبات الأخرى كالويسكي والكونيك والنبيذ مما أدى إلى انتشار هذا الشراب بصورة شائعة في المحال العامة والأندية والشوارع ، وكذلك بعض الأنواع الأخرى كالبوطه والهوب هوب التي انتشرت بالاحياء الشعبية بصورة تستمر منها النفوس الكريمة .

حكم الشريعة : ولنا أن نتساءل : ما حكم الشريعة بالنسبة لهذه المشروبات ؟

والجواب : أن هذا الشراب أي البيرة كان يستعمل قديما ويسمى شراب « المذر » وهو من الأذرة والشعير ، وقد سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« كل مسكر حرام ، وكل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وما أسكر كثيره فقليله حرام » .

والحكم واحد بالنسبة للبطوة والهوب هوب (ويصنع حاليا بالاحياء الشعبية من العسل والكحول)

ومواد أخرى محترقة) أي أن شرب هذه المشروبات حرام لأنها مسكرات من غير الخمر وكما قلنا : أن الاجماع على تحريم الخمر قليله أم كثيره أسكر أم لم يسكر ، وأن النبي صلوات الله عليه قال : « أنا أنهاكم عن كل مسكر » .

يطهر الثوب بالبول : وزعم البعض أن شرب البيرة يسد مباحي النقص ويعوض عن المخدرات ، وبذلك يترك جريمه ليرتكب أبشع مذهبها ، وهو في هذا الزعم ضمن يطهر الثوب بالبول ليصلي .

عقوبة شارب الخمر ، لم يرد نص في عقوبة شارب الخمر ، وكانت العقوبة توقع اجتهدا . الضرب بالجريد والنعال والجلد ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ضرب في الخمر بالجريد والنعال ، وروى أن أبا بكر ضرب شارب خمر أربعين جلدة . وكذلك سيدنا عمر بن الخطاب .

القتل ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاقتلوه في الثالثة أو الرابعة » . فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورمع القتل .

وعقوبة شرب الخمر لم يرد بها نص ولم تكن مقدرة أيام «رسول صلى الله عليه وسلم » .

وبرغم عدم ورود نص لعقوبة شرب الخمر فكل النصوص تشير إلى إيفاء العقاب في الدنيا وآخر (وهو عذاب الهوى) لشارب الخمر :

معصية : والشرع الاسلامي جعل شرب الخمر معصية ، وأوضح أن الخمر أم الخبائث والكبائر وأنها تهين صاحبها عند الله والناس ، وأنها تيسر للنبيذ سبيل الفساد . وأنها لا تتفق مع الإيمان ، وأن المعصي توجد في القلب ظلمة حقيقية يشعر بها العاصي أن كان له ضمير . وقال النبي صلوات الله وسلامه عليه « من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الرجل قميصه من رأسه » وقال : من شرب الخمر فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا ، فإن مات دخل النار .

وروى عنه أنه لعن الخمر وعاصرها ومعصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساتريها ومسقامها وأكل ثمنها .

وقال أيضا : [من] ثلاثة لا يدخلون الجنة مدام خمر (وكان الرسول ينفر من كل شارب خمر ، ولم يجلس منذ طفولته في مجلس به شارب خمر . وكان العرب يزدرون شارب الخمر الذي يظهر أمام الناس مخمورا ، ولا يؤخذ له رأى وتلصق به صفة المجنون .

الزجر : وزجرا لشاربي الخمر قال النبي : إذا مرض مدام الخمر فلا تعودوه ، وإذا مات فلا تصلوا عليه .

والله ولي التوفيق

من شروط صحة الصلاة

الدكتور محمد عبد المنعم المصطفى

١ - القبلة :

قال تعالى : [ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره] ..

من المعلوم أن آثار الله في كل مكان . وأنه سبحانه ليس له مكان يحدده . ورفع الأيدي في الدعاء وتوجه الوجه نحو السماء - يعني ذلك أنها قبلة الداعين . وكما أن للدعاء قبلة ، فإن للمصلين قبلة ، يجب عليهم الاتجاه إليها - رمزا لوحدة وجهتهم ، واتحاد قلوبهم وغاياتهم ..

فإذا كان المصلي يمكنه أن يرى البيت الحرام - وجب عليه استقباله .. وأما إذا غابت الكعبة عن الأبصار - فاختلفوا من ذلك في موضعين : أحدهما : هل الغرض هو استقبال عين الكعبة ، أو يكفي استقبال جهتها ؟ .. أما **الموضع الثاني** الذي اختلفوا فيه - هو - هل تجب الإصابة أو يكفي الاجتهاد ، وتصح الصلاة أن حصل خطأ في استقبال القبلة بعد الاجتهاد ؟ ..

فعلی القول الأول : من أخطأ في استقبال القبلة - بطلت صلاته .. **وعلى القول الثاني :** ما دام قد استفرغ جهده - صححت صلاته وإن تبين له بعد خطؤه في استقبال القبلة .. والسبب في اختلافهم بالنسبة للموضع الأول - هو - هل في قوله تعالى : [**فول وجهك شطر المسجد الحرام**] محذوف لأبد من تقديره - أي جهة شطر المسجد الحرام . وعليه فيكون في الآية مجاز بالحذف . أو أن النظم الكريم لا يحتاج إلى تقدير محذوف ؟ ..

فمن ذهب إلى تقدير المحذوف - قال - الغرض هو استقبال الجهة .. ومن ذهب إلى أنه لا حذف - قال - الغرض هو استقبال عين الكعبة .. والذي نميل إليه هو استقبال جهتها ، توسعة على الناس ، وتمشياً مع رفع الحرج الذي هو من مقاصد الدين في قوله تعالى : [**وما جعل عليكم في الدين من حرج**] .. وقد يقال إن الدليل على تقدير هذا المحذوف قوله عليه

□ ٩٢ □

الصلاة والسلام : [ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجه نحو البيت] ..

وإذا قيل إن حمل الكلام على الحقيقة أولى من حملها على المجاز . وأن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير - قلنا إن كلمة [شطر] تعني الجهة . فكان استقبال الجهة لا يخرج الكلام عن حمله على الحقيقة . وتقدير المحذوف إنما هو لزيادة الإيضاح ..

وأما الموضع الثاني - فأننا نميل إلى كفاية الاجتهاد في استقبال القبلة . قال تعالى : [لا يكلف الله نفساً إلا وسعها] وقال تعالى : [**ولله المشرق والمغرب فأبصاراً تولوا**] فثم وجه الله [. ولا أقل من إبقاء الآية محكمة غير منسوخة في حق المجتهد في استقبال القبلة . ويمكن أن يستأنس لذلك بحديث عامر ابن ربيعة قال : [**كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ليلة ظلماء ، في سفر ، فخفيت علينا القبلة ، فصلى كل واحد منا إلى وجهه ، وعلماً . فلما أصبحنا ، فإذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة . فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مضت صلاتكم ، ونزلت : « والله المشرق والمغرب فأبصاراً تولوا فثم وجه الله »**] ..

[أما من يشترط الإصابة وأن المخطئ في استقبال القبلة - تجب عليه الإعادة - فإنه يقول بنسخ هذه الآية ونسخ الحديث ، أو التشكك في صحته . ثم ينتقل لتدعيم رأيه بقياس ، حاصله أن الخطأ في استقبال القبلة كالخطأ في الصلاة قبل وقتها ، وكل منهما توقيت . وإن كان دخول وقت الصلاة توقيتاً زمنياً ، فإن القبلة توقيت مكانى . ونحن لا نسلم بهذا القياس ، لأن بدخول الوقت يثبت الوجوب ، ولا كذلك بالنسبة لاستقبال القبلة . على أن إبقاء الآية يعمل بها في بعض الأحوال أولى من القول بنسخها ..

واختلفوا في جواز الصلاة داخل الكعبة . فمنهم من أجاز . ومنهم من منع . ومنهم من فرق بين صلاة [البقية صفحة ٩٥]

جريمة السرقة بين الإسلام والقانون الوضعي

المستشار الدكتور محمد الرمشي

تعتبر جريمة السرقة في الإسلام من جرائم الحدود التي لها عقوبة مقدرة في كتاب الله العزيز ، فيقول الحق تبارك وتعالى : **؟ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم .** وعن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لعن الله السارق يسرق البيضة ، فقطع يده ، ويسرق الحبل فقطع يده »** وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبیب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم رسول الله فقال : **« أشفع في حد من حدود الله »** ثم قام فخطب فقال : **« يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »** .

وقد اتفق علماء الإسلام على تعريف السرقة بأنها أخذ الشيء على وجه الاستخفاء ، وأضاف الفقهاء إلى هذا التعريف أن يكون الشيء الذي أخذ في حرز مثله . وقالوا أن الأخذ على سبيل الاستخفاء هو ركن في جريمة السرقة ، وأما وجوده في حرز مثله فلا يعدو أن يكون شرطاً . ولقد جاء في البدائع أنه ركن السرقة هو الأخذ على سبيل الاستخفاء ، وقيل أن الأخذ من الحرز ولو لم ينتقل منه يعتبر سرقة . وبناء على ذلك فإن من دخل مخزناً للحبوب وأخذ قدراً منه وأراد الخروج به يعد سارقاً له وإن لم يخرج فعلاً ، غير أن جهه العلماء اشترطوا الأخذ والخروج لكي تتحقق السرقة . وانتهوا إلى أنه لا بد أن تثبت الجريمة متكاملة بتحقيق الأخذ والنقل من الحرز ، فإذا لم تتكامل الجريمة على الوجه المتقدم كانت العقوبة غير الكاملة هي الواجب انزالها بالجاني وهي التعزير . ويجب أن يكون محل السرقة مالا متقوما لا شبهة فيه بحيث يستعمله الناس في أغراضهم المشروعة ويتنافسون في طلبه ويحرصون عليه . والشيء الذي لا يعتبر مالا متقوماً أو يعتبر مالا ولكنه تافه في نظر الناس لا يستوجب أنزال حد السرقة فيمن سرقه . غير أنه لا مانع من تعزيره ، ذلك أن سقوط الحد لعدم توافر شرائطه لا يقتضي سقوط التعزير ، إذ أن معنى الجريمة لا زان قائماً وإن زال وصف السرقة الموجبة

للحد . وقد روى عن عائشة أم المؤمنين أنه كان لا يقطع في الأشياء التافهة في نظر الناس . وينشدد فقهاء الإسلام في ضرورة أن يكون الشيء المسروق مالا متقوماً كاملاً ، وحجتهم في ذلك أنه إذا كان الحد كاملاً في العقاب ، فينبغي أن يكون سبب هذا الحد كاملاً في كافة نواحيه .

وأشترط أن يكون محل السرقة مالا متقوماً يقتضي بالضرورة أن يكون هذا المال غير محرم الانتفاع به . وعلى ذلك لا تقطع اليد في الخمر والخنزير . واتفقت كلمة الفقهاء على أن سرقة آلات اللهو أو الطرب لا تستوجب قطع اليد لأنها آلات للمعاصي عند من يحرمون اللهو أو الطرب بجميع صنوفه .

وينبغي أن يكون المال المسروق المستوجب لانزال حد السرقة مملوكاً للغير ملكية كاملة . وتفريماً عن ذلك لا ينزل الحد بقطع اليد في مال مباح لم يسبق احرازه قبل الاستيلاء عليه .

وقال بعض الفقهاء أنه لو سرق المسمم من بيت المال فلا تقطع يده . وفي هذا المقام يقول ابن قدامة « لا قطع على من سرق من بيت المال إذا كان مسلماً » وروى ذلك عن عمر وعلى رضي الله عنهما . وقال مالك : **« تقطع اليد بظاهر الكتاب »** . وروى أن عبداً من رقيق الخمس المتخصص لبيت المال من الغنائم قد سرق من الخمر ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقطع يده . وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه كان يقول : **« ليس على من سرق من بيت المال القطع لأن له في المال حقاً تتوافر به شبهة بما يسقط معها الحد »** . وينتهي القائلون بهذا الرأي بأن بيت المال لا يعتبر مالكا ، إنما الملكية لجميع المسلمين .

ويذهب أكثر العلماء المسلمين إلى أن الوالد لا تقطع يده إذا سرق من مال ولده ، ذلك أن له شركة في هذا المال أثبتتها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : **« أنت ومالك لأبيك »** . ولا شك أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثبت ملكية لأب في مال ولده .

كذلك لا تقطع يد الولد إن سرق من مال والده أو جده ، وهذا قول الحنفية والشافعية والحنابلة لأن بين المجنى عليه والجاني قرابة وصلة دم تجعل لأحدهما حقاً في مال الآخر ويصبح في المال شبهة تسقط الحد .

وإذا سرق أحد الزوجين الآخر ، فقد اتفق الفقهاء على أنه إذا كان الشيء غير محرر عنه فلا تقطع اليد . وأن كان محرراً عنه فيقول أبو حنيفة وأحمد والشافعية أنه لا قطع لوجود نوع من الشركة المالية بين الزوجين وأن لم تكن موجبة للملك ، ولأن الأحرار بالنسبة للزوجة أو للزوج ومهما يكن لا يمكن أن يكون كاملاً . ويقول بعض المالكية أنه إذا سرق الزوج زوجته من مال في حرز مثله تقطع يده ، وإذا سرقت هي أي الزوجة فلا تقطع يدها . والواقع أن هذه التفرقة ليس لها أساس على وفقى . ومن المقرر أن للعبد في جريمة السرقة حقاً إلى

والسرقة من الجرائم التي يعاقب على الشروع فيها في جميع الاحوال وقد عرفت المادة ٤٥ من القانون الجنائي المصري الشروع بأنه: **بعد في تنفيذ فعل بعصد ارتكاب جنائية أو جنحة إذا أوقف أو خاب أثره بسبب لا يدخل لأرادة الفاعل فيه** .

وبالنسبة للركن الثاني في جريمة السرقة وهو أن يكون محل الاختلاس مالا منقولاً مملوكاً لغير السارق ، فالأمر قانوناً هو كل شيء قابل للملك الخاص وله قيمة مهما كانت ضالتها أو قدرها . وكافة الأشياء المادية القابلة للانتقال تكون محلاً للسرقة سواء أكانت من الأجسام الصلبة أو السائلة أو الغازية .

وينبغي كما تقدم أن يكون محل السرقة مملوكاً لغير فالسرقة جريمة من جرائم الاعتداء على المال تستهدف تملك هذا المال ، وبالتالي فإنه لا يتصور حصولها من مالك له . وتفريعا على ذلك فإن من يختلس ماله لا يكون سارقاً ولو كان سيء النية ، بمعنى أنه كان يعتقد وقت اختلاسه للمال أنه مملوك له .

على أنه لا يكفي لاعتبار الشخص سارقاً أن يكون الشيء المختلس غير مملوك له ، وإنما يجب فضلاً عن ذلك أن يكون هذا الشيء مملوكاً لشخص آخر وقت حصول الاختلاس . وبناءً على ذلك فإن الأشياء التي لا مالك لها لا تعتبر محلاً للسرقة وهي الأموال المباحة ، أي الأموال التي لا مالك لها ، ومثلها الحيوانات والطيور التي لا مالك لها . على أنه إذا وضع شخص يده على هذه الأشياء ترتب له عليها حق ملكية فتصبح محلاً للسرقة .

ويجب التفرقة بين الأموال المباحة وأموال الدولة ، فأموال الدولة مملوكة للحكومة ملكية عامة أو ملكية خاصة . وعلى ذلك فكل من يستولى على أي شيء منها يعد سارقاً له .

والأشياء المتروكة كذلك لا تكون محلاً للسرقة . وتعني الأشياء التي يستغنى عنها صاحبها بإسقاط حيازته لها ويقصد إنهاء ما كان له عليها من ملكية .

بقيت الأشياء المفقودة أو الضائعة وحكمها يختلف عن الأشياء المباحة أو المتروكة ، فضياع الشيء أو فقدته لا يخرجها عن ملك صاحبه وإن لم يعد له المظهر المادي . ولما له حق استرداده ممن عثر عليه أو اشتراه حتى ولو كان المشتري حسن النية . وإذا عثر شخص على شيء ضائع واحتبسه لنفسه بنية تملكه بطريق الغش اعتبر في حكم السارق واستحق العقاب المقرر في القانون .

والركن الثالث في جريمة السرقة هو القصد الجنائي ، فيشترط أن يتوافر لدى السارق ، ذلك أن السرقة من الجرائم العمدية . ولا يكفي القانون بالقصد العام وإنما يتطلب فضلاً عن ذلك توافر نية خاصة وهي نية الغش . ومتى توافر القصد الجنائي على هذا النحو فلا عبرة بالبائع على السرقة أو الغاية التي يستهدفها الجاني من وراء ارتكابها . فيستوى أن يكون البائع هو الجوع أو الطمع أو مجرد الانتقام .

جانب حق الله تعالى وجل . ويرى الكاسائي وبعض فقهاء الإسلام أن حد السرقة حق حلال لله العلي القدير وذلك بعد أن يدعى العبد المجنى عليه ، فكان حق العبد في جريمة السرقة قاصر على الدعوى ، فإن رفعت وشئت انتهى حق العبد فيها نهائياً ، وصار العقاب على الجريمة حقاً خالصاً لله سبحانه وتعالى أعد الحاكمين ولا يستطيع أن يسقطه العبد . وقد روى أن جماعة اختصموا شخصاً للسرقة وقعت منه وجاءوا به إلى عثمان رضي الله عنه فتلقاهم الزبير فشفع فيه ، فقالوا إذا رفع إلى عثمان فاشفع فيه ، فقال : « إذا بلغت الحدود السلطان ظعن الله الشافع والمشفع » .

هذان جرمين السرقة في الإسلام ، وأما عن أحكامهما في القانون الوضعي ، فقد عرف هذا القانون السرقة بأنها اختلاس منقول مملوك للغير . وهذا هو التعريف الذي جاءت به المادة ٣١١ من القانون الجنائي المصري . ومن هنا يتضح أن أركان جريمة السرقة ثلاثة : أولها فعل الاختلاس وثانيها أن يكون محل الاختلاس شيئاً منقولاً مملوكاً لغير السارق وثالثها القصد الجنائي لدى السارق .

ويتحقق الركن الأول في السرقة وهو ركن الاختلاس إذا قام الجاني بفعل الشيء إلى حيازته بآلية وسيلة من الوسائل . وكل ما يهم في هذا الخصوص أن يتم الامتلاء على الشيء بفعل الجاني . غير أنه ليس بشرط أن يكون هذا الاستيلاء بيد الجاني . ولذلك يعتبر سارقاً في صحيح القانون الشخص الذي يدرب قرداً على النشل ويحصل منه على الشيء الذي التقطه أو حصل عليه من غير صاحبه . ويكفي أن يهيب الجاني أسباب نقل الحيازة إليه . ولا يلزم أن يستبقى الجاني الشيء في حيازته ، إذ قد يتخلى عن هذه الحيازة ، وقد يستهلك الشيء عقب اختلاسه له مباشرة كما لو كان الشيء المختلس طعناً فتناوله أو شراياً فشره .

وتفريعا على ما تقدم فإن الاختلاس لا يتوافر إذا كان الشيء المختلس في حوزة الجاني ابتداءً ، وأنه إذا امتنع عن رده إلى مالكه أو إلى حائزه وأراد أن يحتبسه لنفسه فلا يعتبر سارقاً .

وتسليم الشيء إلى الجاني يمنع توافر ركن الاختلاس ، سواء كان تسليمه حراً أو أنبى على غش أو خطأ ، ذلك أن تسليم الشيء يقتضي وفكرة نزع الحيازة . غير أنه يشترط أن يكون التسليم حاصلًا من شخص له صفة على الشيء المسلم وأن يكون صادراً عن إدراك واختيار ، وأن يكون التسليم بقصد نقل الحيازة الكاملة ، أي الحيازة الناهية . أما مجرد التسليم المادي الذي لا ينقل حيازة ما وتكون به يد المسلم على الشيء يدا عارضة فإن هذا التسليم لا ينفي الاختلاس .

ولا يكفي لتوافر الاختلاس أن تخرج الحيازة من صاحب اليد إلى الشيء ، وإنما يشترط أن يقع ذلك على غير إرادة المجنى عليه .

بإيراد هذا النص المحافظة على مصلحة الأسرة ولم يشأ أن يخول النيابة العامة السير في الدعوى الجنائية رغم إرادة المجنى عليه .
وبعد فقد بينا فيما تقدم أحكام جريمة السرقة في الاسلام وفي القانون الوضعي .

واننا نلاحظ أن عقوبة السرقة في الاسلام لم يراع فيها المساواة بينها وبين المال المسروق ، ذلك لأن الجريمة في واقع الامر ليست في المال الذي سرقه الجاني وإنما في الفزع والترويع الذي يسببه الجاني للمجنى عليه ومن يعيشون معه وكذلك الجيران المحيطين بهم ، وكثيرا ما تقع السرقة في ظلام الليل ، ومن أشخاص مدحجين بالسلاح وقد نزع الرحمة من قلوبهم . ولو كان الاسلام يعاقب على السرقة بحد قطع اليد لمجرد مال اختلس من مالكه لانزل الاسلام هذا الحد فبين نصب أو يبدد الامانة أو غش غيره ، وهذه كلها جرائم تعزيرية يقدر عقوبتها الحاكم العادل بما يتناسب والاثم المرتكب .

واننا ندعو الى تطبيق أحكام الاسلام بحيث يكون حد قطع اليد في جريمة السرقة فيما أجمع عليه الفقهاء . وأنه اذا كان هؤلاء الفقهاء قد ضيقوا فعلا من نطاق السرقات التي تقطع فيها الايدي صيانة لجسم الانسان من التشويه ، فإن مجرد تقرير هذه العقوبة من شأنه ترويع السارقين وعلى الاخص المعتادين على ارتكابها والذين يعمرون صفو الامن والجماعة في البلاد .
والله ولي التوفيق .

وقد تكون جريمة السرقة من الجرائم الصغرى أو من الجرائم الكبرى طبقا لتشريعات بعض الدول مثل التشريع السوداني وفي مصر قد تكون جريمة السرقة جنحة وقد تكون جنائية . فيعاقب القانون الجنائي المصري على السرقة التي تعتبر من قبيل الجنح بالحبس مع الشغل مدة لا تتجاوز سنتين مادامت هذه السرقات لم تقتدرن بطرف من الظروف المشددة - المادة ٣١٨ عقوبات - ويجوز ابدال عقوبة الحبس بعقوبة الغرامة التي لا تتجاوز جنهين مصريين ، اذا كان المصروق غلالا أو محصولات أخرى لم تكن منفصلة وكانت قبيلتها لا تزيد على خمسة وعشرين قرشا .

ومن السرقات التي تعتبر من قبيل الجنائيات تلك المصوص عليها في المادة ٣١٤ من القانون الجنائي المصري والتي تعاقب بالاشغال الشاقة المؤقتة من ارتكب سرقة باكره ، فاذا ترك الاكره أثر جروح تكون العقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة .

وتتضمن بعض القوانين الوضعية أحكاما خاصة بالنسبة للسرقات التي تحدث بين الاصول والفروع والازواج . وكان القانون الجنائي المصري القديم لا يعاقب على مثل هذه السرقات ثم جاء القانون الجنائي المعمول به حاليا بنص المادة ٢١٢ مقررته أنه « لا يجوز محاكمة من يرتكب سرقة اضرارا بزوجه أو زوجته أو اصوله أو فروعها الا بناء على طلب المجنى عليه ، وللمجنى عليه ان يتنازل عن دعواه في أية حالة كانت عليها الدعوى ، كما له ان يقف تنفيذ الحكم النهائي على الجاني في أي وقت شاء » . ولقد رأى المشرع

بقية مقال « من الفقه المقارن »

النفل - فاجازها - ومنع صلاة الفرض .. وسبب الخلاف في ذلك هو - أن المصلي داخل الكعبة - يكون مستقبلا لبعض حيطانها - مستقبلا للبعض الآخر .. فهل يعد بهذا الاستقبال مستقبلا كالذي يستقبل بعض جدرانها من الخارج ؟ .. الامر محتمل .. وقد ورد في ذلك حديثان متعارضان ، كلاهما ثابت . أحدهما حديث ابن عباس قال : [لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، البيت ، دعا في نواحيه كلها ، ولم يصل حتى خرج ، فلما خرج - ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال : هذه القبلة] ... والثاني حديث عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح ، فأغلقها عليه ، ومكث فيها . فسالت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. فقال : جعل عمودا عن يساره ، وعمودا عن يمينه ، وثلاثة أعمدة وراءه ، ثم صلى] ..

فمن ذهب مذهب الترجيح أو النسخ ، قال اما بمنع الصلاة مطلقا أن رجح حديث ابن عباس ، وأما باجازتها مطلقا أن رجح حديث ابن عمر .. ومن ذهب مذهب الجمع بينهما حمل حديث ابن عباس على منع صلاة الفرض ، وحديث ابن عمر على جواز صلاة

.. النفل

ومن القواعد المقررة أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، داخل الكعبة - لا تعنى جواز صلاة فرض أو نفل بالنسبة للامة ، حتى تعلم نوعية الصلاة التي صلاها صلى الله عليه وسلم . وحمل صلاته داخل الكعبة على النفل فقط - مردود بأن الركعتين اللتين صلاهما قبل الكعبة في حديث ابن عباس - كانت الصلاة نقلا ، فما منعه أن يصليهما داخل البيت ؟ ..
والاقرب الى الفقه أن الصلاة داخل الكعبة لا تجوز . لأن المصلي سيكون فيها مستقبلا مستقبلا .. ويمكن أن تحمل الصلاة في حديث ابن عمر ، على الدعاء . وأن حديث ابن عباس - هو المعمول عليه في ذلك حيث كان صلى الله عليه وسلم ، في داخل الكعبة ، ثم خرج منها وصلى ، لتقدي به أمته ..

واذا كان الشارع قد أمر باستقبال القبلة . فانه أمر المصلي أن يتخذ لنفسه سترة ، تمنع مرور المارين بين يديه وهو في الصلاة ، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : [اذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا ، فاذا لم يكن فليصحب عصا ، فان لم تكن معه عصا فليخط خطا ، ولا يضره من مر بين يديه] ..

وصلى الله على معلم الناس الخير ..

لقد فشل التشريع وفشلت العقوبات القاسية في تطهير مجتمعات المدينة الحديثة حين عز فيها الإيمان واختفى وأزع الضمير وانعدمت التربية . هناك موازنة بين مجتمعين : مجتمع حديث كمجتمع الولايات المتحدة الأمريكية الذي يعتبر قمة المدنية الحديثة ، ومجتمع المدينة الذي كونه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في حالة واحدة هي تحريم الخمر .

منعت حكومة أمريكا الخمر وطارتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحديثة لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها ، ويقدر بها أنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ستين مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على عشرة ملايين صفحة ، وما تحمته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً ما لا يقل عن مائتين وخمسين مليون جنيه وقد اعدم فيها ثلاثمائة نفس ، وسجن أكثر من نصف مليون ، وبلغت الغرامات ستة عشر مليون جنيه ، وضادرت من الأملاك ما يبلغ أربع مائة مليون جنيه . ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر وعناداً في تعاطيها ، حتى اضطرت الحكومة عام ١٩٣٣ إلى سحب هذا القانون وإباحة الخمر إباحة مطلقة .

ولم يكن غرام العربي بالخمر يقل عن غرام الأمريكي في العصر الحديث ، ولم تتكلف دولة المدينة بعد نزول آية تحريم الخمر أكثر من منادى في المدينة ، إلا أن الخمر قد حُرمت ، فامتلات طرقات المدينة بالخمر التي أراقها المسلمون روى ابن جرير يسنده عن بريدة عن أبيه قال : « بيننا نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر ، اذ قمت حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر : » يا أيها الذين آمنوا آمنوا أنها الخمر والميسر والآنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . أنها يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ؟ » المائدة :

فجئت أصحابي فقرأتها عليهم ، قال : وبعض القوم شربته في يده ، شرب بعضاً وبقي بعض في الإناء ، فأراقوا ما في كؤوسهم ، ثم صبوا ما في باطيتهم وقالوا : انتهينا ربنا ، انتهينا ربنا . وما تكونت عصابات للتهريب ، ولا لجأت الدولة إلى أحكام الإعدام والسجن ومصادرة الأموال والأملاك ، ولكنها المبادرة إلى التنفيذ فسي يسر ومطاعة أمثالاً لأم القرآن الكريم .

قال خيثمة ، وكان ابنه استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : لقد أخطأتني وقعة بدر وكنت والله عليها حريصاً حتى ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمي ، فزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول : الحق بنا تراءفنا في الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً . وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ورق عظمي وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقتل بأحد شهيداً .

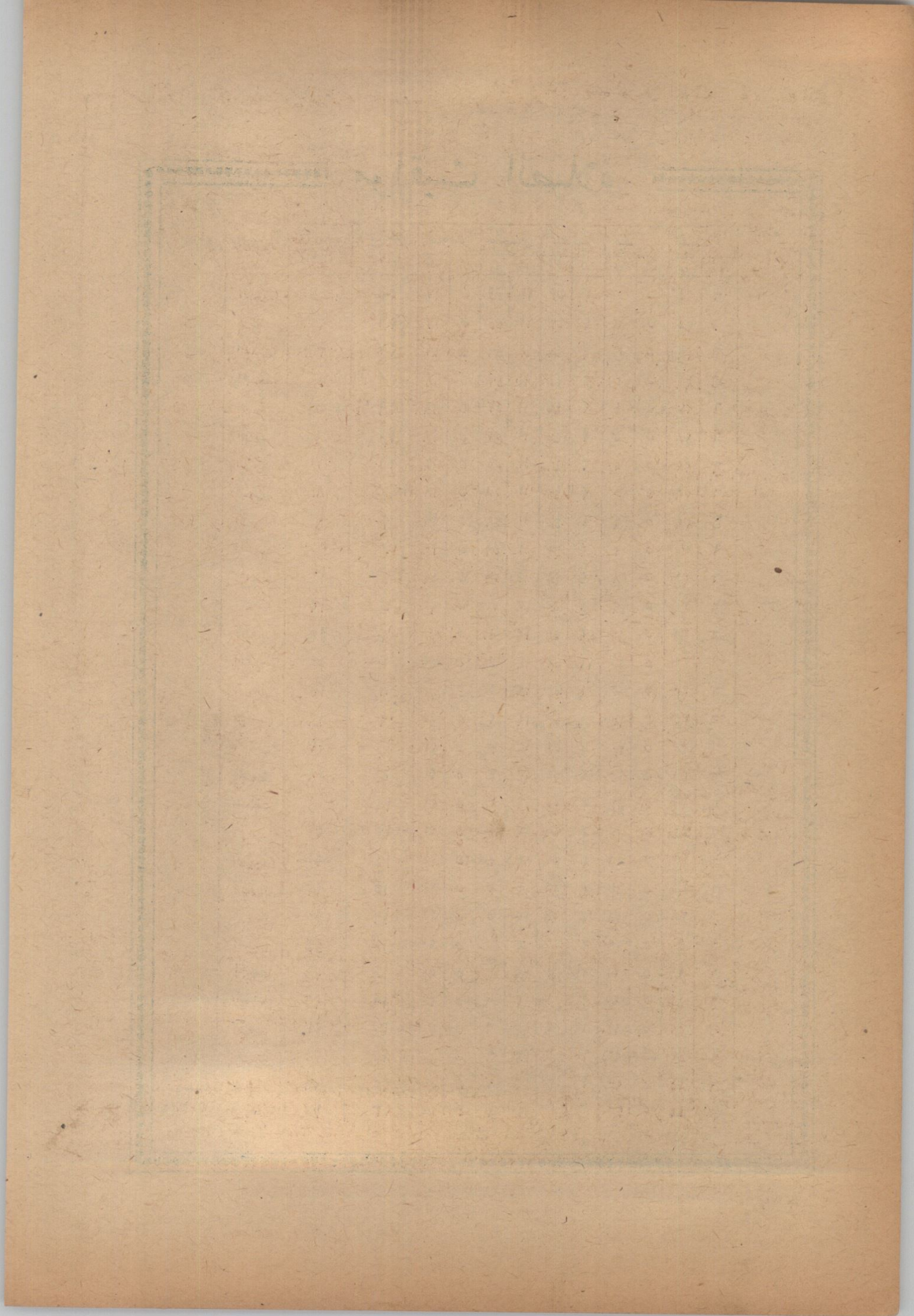
وكان عمرو بن الجوح اعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقتل له بنوه : أن الله قد جعل لك رخصة فلو تعدت ونحن نكتفيك وقد وضع الله عنك الجهاد . فأتى عمرو بن الجوح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أن بنى هؤلاء يسمعون أن أخرج معك ، ووالله أني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة . فمأس به رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد ، وقال لبنيه وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة . فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم أحد شهيداً .

هذه مثل من واقع حياة الرعيل المؤمن الأول ، يتضح منها مدى ما يصنعه الإيمان ومدى ما تصنعه التربية في النفوس ، حتى كاد مجتمع المدينة أن يحكم بغير حاجة إلى شرطة ولا محاكم ولا قضاء ، أنها يحكمه إيمانه وتقواه . وإنما يرجع ذلك إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بالتربية لتكوين جيل مسلم جديد ، فمكث ثلاثة عشر عاماً في العهد المكي ، كون فيها جماعته المؤمنة ، وصبر نفسه معهم يرببهم بالقرآن ويسكب في قلوبهم الإيمان ، ولما هاجر المؤمنون إلى الحبشة بعث معهم جعفر بن أبي طالب أميراً ومريباً ، ولما أسلم بعض أهل يثرب - المدينة - بعث إليهم مصعب بن عمير فقام فيها بدور الدعوة والتربية حتى تمت الهجرة .

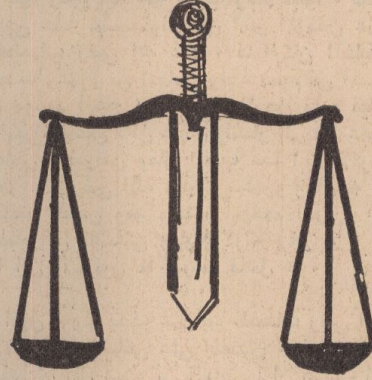
أن أبرز ما يلهمه التأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هو التربية ، ففي العهد المكي كانت التربية هي مهمته الأولى ، فلما تمت الهجرة إلى المدينة لم يتوقف عن هذه التربية ولم يشغله عنها أعباء مجتمعه الجديد ودولته الناشئة ، فكان مريباً في كل موقف وعلى كل حال حتى في ميدان القتال .

مواقيت الصلاة

اليوم	ذوالحجة ١٣٩٣	ديسمبر ١٩٧٣	فجر	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			ت	ت	ت	ت	ت
الثلاثاء	أول	٢٥	١٧ ٥	١١ ٥٥	٤ ٤٣	١ ٥	٦ ٢٤
الأربعاء	٢	٢٦	١٧ ٥	١١ ٥٥	٤ ٤٣	٢ ٥	٦ ٢٥
الخميس	٣	٢٧	١٨ ٥	١١ ٥٦	٤ ٤٤	٣ ٥	٦ ٢٦
الجمعة	٤	٢٨	١٨ ٥	١١ ٥٧	٤ ٤٤	٣ ٥	٦ ٢٦
السبت	٥	٢٩	١٨ ٥	١١ ٥٧	٤ ٤٥	٤ ٥	٦ ٢٧
الأحد	٦	٣٠	١٨ ٥	١١ ٥٧	٤ ٤٥	٥ ٥	٦ ٢٨
الاثنين	٧	٣١	١٨ ٥	١١ ٥٨	٤ ٤٦	٥ ٥	٦ ٢٨
الثلاثاء	٨	أول يناير ١٩٧٤	١٨ ٥	١١ ٥٨	٤ ٤٧	٥ ٥	٦ ٢٩
الأربعاء	٩	٢	١٩ ٥	١١ ٥٩	٤ ٤٨	٦ ٥	٦ ٢٩
الخميس	١٠	٣	١٩ ٥	١١ ٥٩	٤ ٤٩	٧ ٥	٦ ٣٠
الجمعة	١١	٤	١٩ ٥	١١ ٥٩	٤ ٤٩	٨ ٥	٦ ٣١
السبت	١٢	٥	٢٠ ٥	١٢ ٠٠	٤ ٥٠	٩ ٥	٦ ٣١
الأحد	١٣	٦	٢٠ ٥	١٢ ١	٤ ٥١	١٠ ٥	٦ ٣١
الاثنين	١٤	٧	٢٠ ٥	١٢ ١	٤ ٥٢	١٠ ٥	٦ ٣٢
الثلاثاء	١٥	٨	٢٠ ٥	١٢ ١	٤ ٥٢	١١ ٥	٦ ٣٣
الأربعاء	١٦	٩	٢٠ ٥	١٢ ٢	٤ ٥٣	١٢ ٥	٦ ٣٤
الخميس	١٧	١٠	٢١ ٥	١٢ ٣	٤ ٥٤	١٣ ٥	٦ ٣٥
الجمعة	١٨	١١	٢١ ٥	١٢ ٣	٤ ٥٥	١٤ ٥	٦ ٣٦
السبت	١٩	١٢	٢١ ٥	١٢ ٣	٤ ٥٥	١٤ ٥	٦ ٣٦
الأحد	٢٠	١٣	٢١ ٥	١٢ ٤	٤ ٥٦	١٥ ٥	٦ ٣٧
الاثنين	٢١	١٤	٢١ ٥	١٢ ٤	٤ ٥٧	١٦ ٥	٦ ٣٨
الثلاثاء	٢٢	١٥	٢١ ٥	١٢ ٥	٤ ٥٨	١٧ ٥	٦ ٣٩
الأربعاء	٢٣	١٦	٢١ ٥	١٢ ٥	٤ ٥٩	١٨ ٥	٦ ٣٩
الخميس	٢٤	١٧	٢٠ ٥	١٢ ٥	٤ ٠٠	١٩ ٥	٦ ٤٠
الجمعة	٢٥	١٨	٢٠ ٥	١٢ ٦	٤ ١	٢٠ ٥	٦ ٤١
السبت	٢٦	١٩	٢٠ ٥	١٢ ٦	٤ ١	٢٠ ٥	٦ ٤١
الأحد	٢٧	٢٠	٢٠ ٥	١٢ ٦	٤ ١	٢١ ٥	٦ ٤٢
الاثنين	٢٨	٢١	٢٠ ٥	١٢ ٦	٤ ١	٢١ ٥	٦ ٤٣
الثلاثاء	٢٩	٢٢	٢٠ ٥	١٢ ٧	٤ ١	٢٢ ٥	٦ ٤٤
الأربعاء	٣٠	٢٣	٢٠ ٥	١٢ ٧	٤ ١	٢٣ ٥	٦ ٤٤



العدل



الأستاذ مبشر الطرازي الحسني

كما أن كل مسلم من المسلمين يؤمن بهذه العدالة ويراعيها في حياته المشتركة مع أخوته المؤمنين ، بل مع مواطنيه في المجتمع الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية .

نعم : أن الإسلام يدعو أبناءه في العالم الإسلامي ، وفي أي ناحية من نواحي العالم إلى هذا العدل نفسه ويراعيه التشريع الإسلامي في جميع أركانه الأربعة ، وهي الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس .

فمن نصوص كتاب الإسلام « القرآن المجيد » ما جاء فيه من الآية ٩٠ من سورة النحل : « أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »

ومنها قوله تعالى « أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، أن الله نعمًا يعظكم به أن الله كان سميعًا بصيرًا » الآية ٨ النساء .

ومنها قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون » الآية ٨ المائدة .

ومما يجب التنبيه عليه :

أن هذه الآية تنهى عن ترك العدالة بشأن قوم [أو فرد] بسبب العداوة الشخصية . مما ثبت حرص الإسلام على تطبيق العدالة في شأنون الحياة الاجتماعية بدون أي استثناء أو اعتبار .

ومن نصوص السنة في باب العدل :

مارواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن » عز وجل .

ولا يخفى ما في هذا الحديث النبوي من التنويه بمقام المقسطين ، وهم الذين يعدلون بين الناس إذا حكموا ، وبينون حكمهم على أساس المساواة في الحكم ، وأن هذا التنويه يحرص حكام المسلمين على تنفيذ العدالة التي يدعوا إليها الدين الإسلامي المبين .

أن مما اتفق عليه الرأي العالمي أن العدل [العدالة] في الحكم بين الناس [ومراعاته بين أفراد المجتمع] بدون تفرقة بين الحقيق والرفيع ، وبين الفنى والفقير ، وبدون تمييز بين العنصر والعنصر ، وبين الجنس والجنس ، وبين الطبقة والطبقة أساس متين اجتماعي يبنى عليه المساواة في الحقوق وشئون الحياة الاجتماعية : وأن العدل لما يسود في شأنون الأفراد يسود [نتيجة له] في المجتمع الأمن والانس والتحاب والتضامن والتعاون والحياة الهادئة .

ولهذا فإن الإسلام يدعو أبناء المسلمين في كتابه وسنة رسوله ، إلى هذا العدل نفسه الذي يربح ضمير العالم الانساني ، وبهذا يؤسس شريعة عالمية يجد العالم في تعاليمها ما ينشده من العدالة الحققة ، التي لا يقومها حق الفرد ولا يضيع في ظلاله حق للمجتمع .

عدالة تقوم بتنفيذها الدولة الإسلامية العادلة وتحافظ عليها وتحميها من الاخلال بأي تصرف من أي حاكم أو شخص [تسول نفسه بالانحراف عن طريقها .

أقول :

يريد على بن أبي طالب رضي الله عنه ان التكبير تعظيم يخالف العدالة امام القضاء ، وكان على عمر رضي الله عنه ان يناديه باسمه لا بكنيته .

ومنها : ان ولدا لعمرو بن العاص فاتح مصر وواليتها رضي الله عنه ضرب رجلا ظلما ، فاقسم المجنى عليه ليشكونه الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما كان الخليفة مع خاصته وعمرو بن العاص وابنه معهم في المسجد في موسم الحج ، اذا بهذا الرجل يقوم فيقول : يا امير المؤمنين : ان هذا [وانشار الى ابن عمرو بن العاص] ضربني وقال اذهب فانا ابن الاكرمين ! فنظر عمر رضي الله عنه الى عمرو وقال له « متى امتلكتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » ثم التفت الى الشاكى ونأوله دتره وقال : « اضرِب بها ابن الاكرمين لما ضربك ففعل » .

أقول : ولم يكف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالاقتصار للشاكى على المعتدى ، بل وجه خطابه ألتهدى الى عمرو بن العاص [ان صحت الرواية بهذا النص] لان عليه مسئوليته في تربية ابنه .

ثانيا : ولعل الرواية فيها اختصار حيث لم يذكر فيها اثبات الدعوى بالشهود ، والله اعلم .

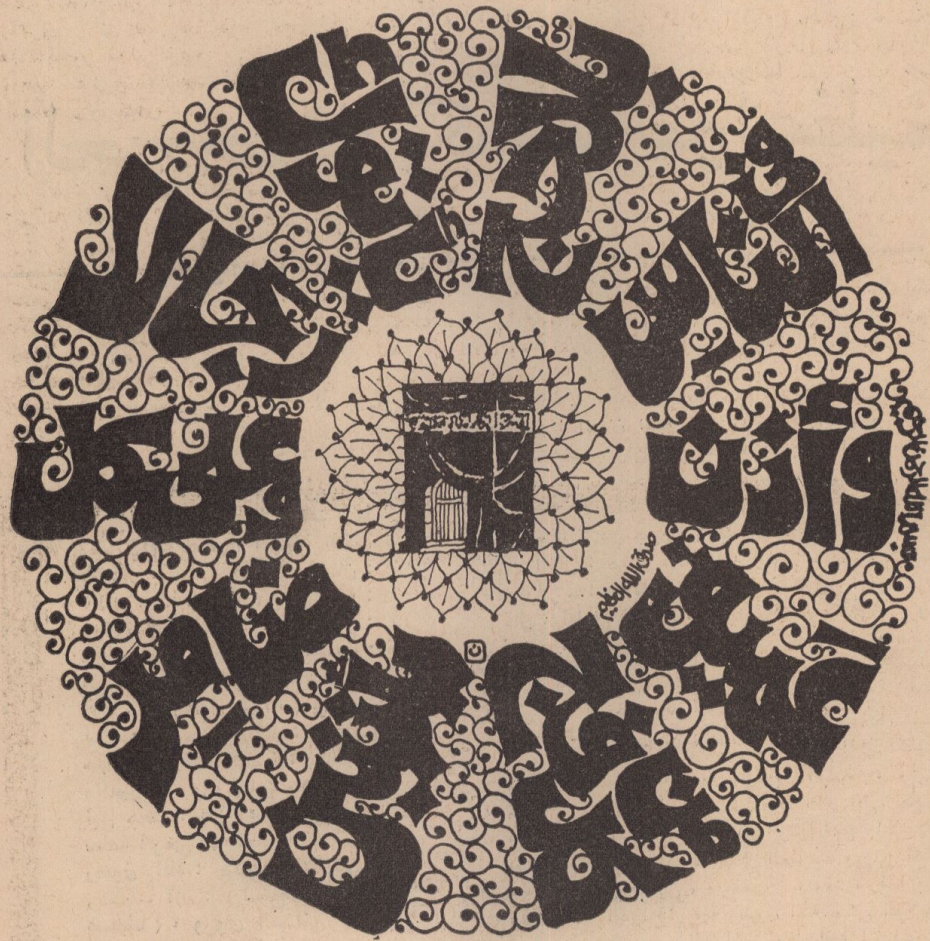
ويضاهى هذا الحديث ما أخرجه الامام الترمذى عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل ، وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر » .

ولقد تمسك المسلمون وعلى رأسهم السلف الصالحون بمبدأ العدالة في الحكم بين الناس ، بدون تمييز وتفرق ، الى حد ربما يظنه بعض من يعيش في هذا العصر شيئا غريبا ، ولكنه كان حقيقة واقعة سجلها التاريخ في صفحات التقدير والتعجيد من الوقائع التاريخية .

منها : ان يهوديا شكى على بن أبي طالب الى عمر بن الخطاب في عهد خلافته ، فلما احضر على كرم الله وجهه ومثل بين يدي امير المؤمنين عمر رضي الله عنه نظر اليه ، وقال له : « يا ابا الحسن اجلس » ! فظهرت آثار الغضب على وجهه على ، فقال له عمر : « أكرهت يا على ان يكون خصمك يهوديا ، وان تمثل معه امام القضاء ؟ [هكذا ظن عمر في هذه الظاهرة] فقال على لا ! ولكنى غضبت لانك لم تسو بينى وبينه بان كنيته فقلت يا ابا الحسن » .

دفاع في قضية

خاصمت أبا الاسود امراته الى زياد في ولدها ؟
فقال : انه يريد في تسوة ان يغلبني على ولدى
وقد كان بطنى له وعاء ، وتدي له
سقاء ، وحجرى له قناء .
فقال : بهذا تريدان ان تغلبني على ابني ؟ .
فوالله لقد حبلته قبل ان تحبله ،
ووضعت قبل ان تضعه .
فقال : وليسا سواء : انك حبلته خفيفا ،
وحبلته ثقيللا . ووضعت شهوة
ووضعت كرها .
فقال له زياد : انها امرأة عاتلة يا ابا الاسود ؟
فادفع اليها ابنها فأخلق ان تحسن أدبه .





الحج جهاد يكسب خيراً عظيماً

فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

وبهذا البيان النبوي - استبان ان الحج المبرور جهاد عظيم ، وأن الحاج - أجره كريم : إذا برحجه ، وفى بيان ير الحج - روى أحمد ، والطبراني : فى معجمه الاوسط ، وابن خزيمة : فى صحيحه ، والبيهقى : عن جابر بن عبد الله : رضى الله عنهما - أن النبى : صلى الله عليه وسلم - قال : (الحج المبرور - ليس له جزاء الا الجنة : قيل : وما بره ؟ قال : اطعام الطعام ، وطيب الكلام) ، وفى رواية لاحمد ، والبيهقى : (اطعام الطعام ، وأفشاء السلام) .

ولمنافع الحج ، وكريم مزاياه ، ولما يحصل المسلم عليه : من عظيم الفوائد - بزيارة الحرم المكى المطهر ، وتآدية شعائر الله حول الكعبة المشرفة ، وفيما جاورها : من المواطن المتصلة بها ، أو التى تقع فى ظواهر مكة المكرمة - يستعذب اولوا الالباب الجهاد بتآدية الحج للفوز بذلك الخير العظيم ، ويرون المشقة متعة ، وهم يحجون ، ويعتمررون ، وقد شرفوا بأنهم وفد الله ، الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحجاج ، والعمار - وفد الله ان دعوه - أجابهم ، وان استغفروه - غفر لهم) رواه النسائي ، وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ومن المقررات المشهورة - أن الحج - فرض عين مرة فى العمر على كل مستطيع ، قادر عليه ، سواء أكان رجلاً أم امرأة ، ففرضية الحج - عامة ، يمتوى

قالت عائشة ، أم المؤمنين : رضى الله تعالى عنها : قلت : يا رسول الله . نرى الجهاد أفضل الأعمال ، أفلا نجاهم ؟ فقال : (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) : روى - هذا الحديث - البخارى : فى صحيحه ، ورواه ابن خزيمة : فى صحيحه : يلفظ : قالت عائشة : قلت : يا رسول الله . هل على النساء من جهاد ؟ قال : (عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة) ، وروى ابن ماجه : عن أبى جعفر : عن أم المؤمنين ، أم سلمة : رضى الله تعالى عنها - أن رسول الله : صلى الله عليه وسلم - قال : (الحج جهاد كل ضعيف) ، وروى النسائي : عن أبى هريرة : رضى الله تعالى عنه : عن رسول الله : صلى الله عليه وسلم : قال : (جهاد الكبير ، والضعيف ، والمرأة - الحج ، والعمرة) .

هو من أمر الله ؟ ثم ما لقيه إبراهيم عليه السلام من البلاء العظيم ، وأمره بذبح ولده ، إسماعيل عليه السلام ، وما كان من محاولة الشيطان معه لثلاً ينفذ أمر الله ، ومقاومته عليه السلام - لتلك المحاولة الخبيثة - بقوة الصبر ، والالتجاء الى الله تعالى ، وما كان من تسليم ذلك الابن لامره جل شأنه ، حتى كانت منة الله ، وفضله ، وكان ذلك الفداء العظيم . . .

والله تبارك ، وتعالى - يقول : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) أى وقت الحج - أشهر معروفة ، وهى شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، كله عند مالك ، وعشر منه عند أبى حنيفة ، وتسع منه عند الشافعى ، وقد تضمنت الآية الشريفة منهاج الخير ، الذى يجب أن ينهجه الحاج ، ويجاهد نفسه ، حتى تسير عليه ، فيبعد عن الرفث ، والفسوق ، والخروج عن حدود الشرع ، ولا يرتكب سيئات ، ولا محظورات كما يدع الجدل مع الرفقة ، والخدم ، ومن يعامله : وهو يؤدى عبادة الحج ، فان ذلك حقيق ألا يكون من الحاج حيث لا يليق أن يكون منه غير الطهر ، والوقوف عند حدود الشرع ، وقول الخير ، والمعروف ، وما يكون به الإثلاف ، وهو فى مهبط الوحى ، وساحات الرضا حيث بيت الله الحرام ، الذى قال الله تعالى فيه : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) أى قائماً معظمها يأمن الناس فيه ، ويتجهون اليه فى صلاتهم . ويحجون اليه ليكونوا فى ضيافة الله تعالى وليعلموا على جمع شملهم ، ويكونوا يداً واحدة أقوياء بالاتحاد .

وان الحاج ، الذى استمسك بهذه الآية الشريفة ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، ولم يخرج عن حدود الشرع ، وتجمل بالتقوى ، وفعل الخير . وترك الشر مرضياً ربه . فأنار لبه - لهو الحاج ، الذى نوى أحد النسكين الحج أو العمرة - أو نواهما معا ، وقد راعى آداب احرامه ، ولم يأت - فى احرامه بمحظور كاقتراف معصية ، أو مخالصة رفيق ، وغيره ، أو جماع ، وكذلك لم يأت بشئ من دواعيه كالقبيل ، واللمس بشهوة ، أو نحو ذلك .

وان الحاج - وقد جاهد نفسه ، حتى استمسكت بأحكام الشرع ، وآدابه ، وحج حجا صحيحا ، مبرورا - لحرى بوصف المجاهد ، الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل) رواه ابن حبان فى صحيحه عن فضالة ابن عبيد رضى الله عنه .

ومن الجهاد فى الحج - التجرد من متع الدنيا وزخرفها ، والتبرؤ من لهوها وفتنتها - بلباس

فيها الرجال ، والنساء كما يستوون فى سائر أركان الاسلام ، التى ضمها قوله عليه الصلاة والسلام (بئى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) رواه البخارى ، ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

وكان الحج معروفا قبل أن يجيء رسولنا صلى الله عليه وسلم - بالاسلام ، ويبلغ قوله تبارك وتعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ، وقد نزل ذلك القول الكريم فى السنة التاسعة من الهجرة ، وهو يدل على وجوب الحج ، وفرضيته ، وروى أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما - أن الاقرع بن حابس - سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . الحج فى كل سنة ، أو مرة واحدة ؟ قال : (بل مرة واحدة ، فمن زاد - فهو تطوع) فمشرعية الحج كذلك - دليل على يسر الدين ، وأن الله تبارك وتعالى - يريد بعباده اليسر ، لا العسر ، ولكن العزم الفتى فى النفوس ، العامرة بالايامان ، المريدة للآخرة ، الحريصة على مزيد القرب من بارئها تبارك وتعالى - تسعى للآخرة سعيها ، فلا تضع فرصة تكسب بها ثواب الله . ورضاه لذلك - تحرص على التطوع بالحج ، فتفوز بفضل جهاده ، وحسن الحال به ، وحسن المال روى البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق - رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) والرفث - يطلق ، ويراد به الجماع ، ويطلق ، ويراد به الفحش ، ويطلق ، ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع ، وقد نقل فى معنى الحديث - كل واحد من هذه الثلاثة عن جماعة من العلماء .

وقد جاءت مناسك الحج جميعها ، وشعائره كلها لحكم ، وأسرار ، فهى منزهة عن اللهو ، والعبث فيها خير للناس كثير ، ونفع مرموق ، وصلاح وفلاح كما أن تلك المناسك - تكسب الحاج شرف الجهاد فى الله ، وأنه - لشرف عظيم ، يحرص عليه المسلم .

فشعائر الحج ، ومناسكه - فى جملتها ، وتفصيلها - تزكية للنفوس ، وتطهير للقلوب ، وتقوية للارواح ، وعمل على النصر على الشيطان ، والهوى ، وجند الشر بالحرص على الفضيلة . والبعد عن الرذيلة ، واليقظة للاستقامة على الدوام كما أن بها تذكير الحاج بوقائع ، وأحداث رائعة من تاريخ أبى الاسلام ، إبراهيم عليه السلام . وما كان من هجرته بزوجه ، هاجر ، وابنها ، إسماعيل عليه السلام - الى وادى مكة ، وأرض الكعبة ، وما لاقت هذه الزوجة الكريمة من الجهد . والمشقة . فى ذلك الوادى الجذب ، الذى لا ماء به ، ولا زرع ، وما تجملت به تلك المؤمنة من الصبر ، والجلد طاعة لأم زوجها ، الذى

الأحرام الخاص : حيث يتجرد الحاج من الثياب المخيطة المحيطة ، التي يلبسها في العادة ، ويلبس ثوبي الإحرام ، وهما رداء يلف النصف الأعلى من البدن ، دون الرأس ، وازار يلف به النصف الأسفل منه : روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، بعد ما ترجل ، وأدهن ، ولبس أزاره ، وراءه هو وأصحابه)

ومظهر الحاج في لباس الإحرام يمثل البعث في الحياة الآخرة ، ويكشف عن أن الدنيا الزائلة ، الفانية - لا يليق أن تصرف بمفاتن العاقل ، المؤمن - عن الاستعداد بالعمل الصالح للحياة الباقية السعيدة ، والاستمتاع برضا الله فيها .

فالحجاج في لباس الإحرام - أشبه بالموتى ، وقد انتقلوا إلى غير ديارهم ، وفارقوا أموالهم وأهلهم متجردين من زينة الحياة الدنيا ، وهم في الأزار والرداء كمن في الأكفان .

آلا أنه - مظهر يوحى برقة القلوب ، وتحس النفوس الواعية به أن زخرف الدنيا باطل ، وأنه لا يليق الاستعلاء بهال ، ولا جاه ، ولا التجبر ، ولا التكبر ، ولا التحاسد ، ولا التحاقد ، ولا الطغيان ، ولا العدوان ، وأن الكل - عند الله تعالى سواء ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بخالص تقواه تعالى قال سبحانه (أن أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير)

والجهاد في الحج بالمال - مضاعف المثوبة . روى أحمد عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف)

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الحج ، والتمج . رواه الترمذي ، والمعج : رفع الصوت بالتلبية ، والتمج : نحر الأول وما يذبح قرية في الحج . قال في المختار : والتمج أيضا : سيلان دماء الهدى .

فكما أن الهدى من جهاد الحج - كذلك - رفع الصوت بالتلبية . روى ابن ماجه في سننه - وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما . عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاءني جبريل فقال (من أصحابك ، فليرفعوا أصواتهم بالتلبية : فإنها من شعار الحج) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أهل مهل قط إلا بشر ، ولا كبير مكبر قط إلا بشر ، قيل يا رسول الله بالجنة ؟ قال : نعم) رواه الطبراني في معجمه الأوسط ، وأهل الملبى أي رفع

□ ١٠٢ □

صوته بالتلبية ، وروى مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما - أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، أن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك] قال نافع وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يزيد فيهما : [ليك ، ليك ، وسعديك والخير بيدك ، ليك والربغاء اليك ، والعمل] .

وليكن أي دواما على طاعتك ، وإقامة عليها مرة بعد أخرى ، من لب بالمكان واللب ، أي قام به .

وسعدك أي أسعد بعد أسعاد من المساعدة ، والمرافقه على الشيء ، والربغاء أي الطلب ، والمسألة والرغبة اليك فانت سبحانه الذي بيده الخير ، والمقصود بالعمل .

ويبدأ المحرم بالتلبية من وقت الإحرام إلى رمى جمرة العقبة ، يوم النحر بأول حصة ثم يقطعها ، وهذا مذهب الحنفية ، والشافعية ، وجهود العلماء ، وقال مالك : يلبي حتى تزول الشمس من يوم عرفة ، ثم يقطعها ، وقال أحمد : يلبي حتى يرى الجمرات جميعها ، ثم يقطعها .

وقال القاسم بن محمد بن أبي بكر : يستحب للرجل - إذا فرغ من تلبيته - أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم . وروى الطبراني - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من تلبيته سأل الله مغفرته ، ورضوانه ، واستغفره من النار .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة : ستين للطنافين ، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين)

فاستبان - من ذلك القول النبوي الكريم - أن الطواف حول الكعبة - عظيم الاجر .

ومن الهدى النبوي في الطواف - الرمل أي الهرولة ، والسير بخطى متقاربة مع هن الكتفين ، اظهارا للنشاط دون الجري ، وكذلك الاضطباع ، وهو تعرية الكتف الايمن بأن يجعل الرداء على الكتف الايسر مارا تحت الابطال الايمن ، ويكون الرمل والاضطباع للرجال فقط في الاشواط الثلاثة الاول من أشواط الطواف السبعة ، وقد اراد النبي صلى الله عليه وسلم - بذلك الهدى - الرد على المشركين عمليا لما بلغه أنهم يستضعفون صحابته ، ويقولون عنهم أنهم - مرضى ضعفاء ، قد نهكتهم حمى يثرب ، فأخذ الرسول صلوات الله وسلامه عليه يشجع أصحابه في طواف عمرة القضاء ، التي كانت في شهر ذي القعدة ، من السنة السابعة من الهجرة ، ويقول لهم : (رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة) .

وفي الاقتداء به صلى الله عليه وسلم - في ذلك الهدى - تذكير به ، وبعث للنفوس على الاقتداء بفعله صلوات الله وسلامه عليه ، لتكون على شيء من صبره

وغزمه .. والمسلم لا غنى له عن الصبر والعزم في السعي لخيرى الدنيا والاخرة .

وبالسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة ، يتذكر الحاج ما كان من هاجر من السعي بينهما بحثا عن الماء لتدفع به الظما ، وقد شعرت بشدته على وليدها الصغير ، وكانت تهوول في منخفض السعي ، وتسرع في السير ، وهذا هو سعي الحاج بين الصفا وبين المروة ، وهولته عندما يصل في سعيه الى منخفض السعي بين الميادين الاخضرين .

وبعد تكرار سعي هاجر بين الصفا والمروة ، أدركتها غواية الله ، فذبح لها ماء زمزم بجوار وليدها السيد جبريل عليه السلام بالارض بعقبه ، أو بجناحه ، وقد روى أحمد ، والبيهقي عن سويد بن سعيد قال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى ماء زمزم ، واستسقى منه شربة ، ثم استقبل الكعبة فقال اللهم ان ابن أبى الموالى - حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ماء زمزم لما شرب له) وهذا أشربه لمطش يوم القيامة ، ثم شرب ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا شرب من ماء زمزم قال : (اللهم أنى أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء) .

وأجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم لما رواه أحمد ، وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن يعمر رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مناديا ينادى : (الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك) وليلة جمع : ليلة المبيت بمزدلفة ، وهى ليلة النحر ، ويبتدىء وقت الوقوف بعرفة من زوال شمس اليوم التاسع من شهر ذى الحجة ، عند جهور العلماء ، وعند الحنابلة من فجر ذلك اليوم ، وينتهى وقت الوقوف بها بطلوع فجر يوم العاشر ، ويكفى الوقوف فى جزء ما من ذلك الوقت ، المحدد ابتدأؤه وانتهأؤه ، ليلا أو نهارا ، الا أن من وقف نهارا وجب عليه مد الوقوف الى ما بعد الغروب ، أما من وقف ليلا فلا يجب عليه شيء ، ومذهب الشافعى أن مد الوقوف الى الليل سنة .

وفى رمى الجمرات تذكير بما كان من ابراهيم عند

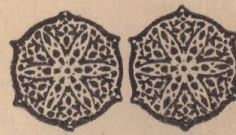
اتجاهه الى تنفيذ ما أمره الله به من ذبح ولده اسماعيل ، حين عرض له الشيطان ليصرفه عن ذلك ، فرماه بسبع حصيات ، ذهب اللعين بها خاسئا مدحورا ، ثم أكرم الله تعالى ابراهيم ، وابنه اسماعيل عليهما السلام بنعمة القداء ، قال تعالى : (وفديناه بذبح عظيم) ، فالهدى الذى يذبح نسكا ، وقرية فى الحج - تذكير بتلك النعمة العظمى .

ولنشاهد تلك النعمى ، فى مرآة أن اسماعيل ، ذلك المفدى العظيم كان من نسله ، خير البرية ، وهادى الانسانية الاعظم رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ورمى الجمرات - شاهد واضح على أن الحج جهاد ، فالرمى أهم أساليب الجهاد ، وأعظمها لاصابة الهدف ، وقد روى مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر - يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن رمى الجمار ، ما لنا فيه ، فسمعتة يقول : (تجد ذلك عند ربك أحوج ما تكون اليه) رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط والكبير ، وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وإذا رميت الجمار كان لك نورا يوم القيامة) .

وبعد ، فمن أدى مناسك الحج حقا ، وصدقاً كان مجاهدا لله ، وكسب خيرا عظيما ، فما أحق المسلم القادر على الحج أن يسعد نفسه بتأديته ، ويسعى الى ذلك جاهدا ، ونصب عينيه ما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله عز وجل : ان عبدا صححت له جسمه ، ووسعت عليه فى المعيشة ، تمضى عليه خمسة أعوام ، لا يفد الى محروم) رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقي ، وقال : قال على بن المنذر : أخبرنى بعض أصحابنا قال : كان حسن بن حبيب يعجبه هذا الحديث ، وبه يأخذ ، ويحب للرجل الموسى الصحيح ألا يترك الحج خمس سنين ، والله تسأل اسمعادنا بحج بيته ، وزيارة قبر نبيه ، والتوفيق لما يحب ويرضى .



عن فضل الله على هذه الأمة أن رسم لها في العمل منهاجا قويا ، وصراطا مستقيما ، يصل بها الى ذروة العزة في الدنيا ومنزلة الرضوان في الآخرة ما استقاموا على الطريق السوي . والتزموا مبادئه المثلى ، وفي مسار هذا العمل الجاد ، ورهق الحياة لا يد لها من ترويجة تستجمع بعدد القوة ، ويستأنف على أثرها النشاط ، فكانت متحة الإسلام عيدين يستمتع فيهما المسلمون بالطيبات من مباحج الحياة ومتاعها ، واللهو والبرىء ، شرعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه ، عندما قال له أصحابه من المهاجرين والأنصار وقد اطمأنوا في دار الهجرة : ان لاهل هذه المدينة يومين يمرحون فيهما ويلهون ، فقال عليه الصلاة والسلام : قد أبدلكم الله خيرا منهما يومى الفطر والأضحى .



وشاع على السنة الناس وكثير من الفقهاء تسمية عيد الفطر بالعيد الأصغر ، وعيد النحر بالعيد الأكبر وإذا كان في دس منهما تزاور وصلاة ، وصلات للارحام وذوى الحاجة ، وتكبير وتهليل ، وود وصفاء ، وكلاهما يرتبط بعبادة أساسية في الإسلام : صوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، فكيف ساغ أن يطلق على أحدهما الأكبر وعلى الآخر الأصغر ، هل ذلك لكثرة الأيام في عيد النحر حيث يتصل به أيام التشريق الثلاثة وكلها أعياد ، أم لأنه يتوسط الأيام المعلومات والأيام المعدودات بل هو واحد من كل منهما ، وفضل هذه وتلك مذكور ومعروف ، ومن الأيام المعلومات يوم عرفة وهو يوم الجمع الأكبر الذي يتجلى الله فيه على عباده بالغفران والقبول ، وقد لجأوا إليه شعبا غبرا ملين مستغفرين ، والأيام المعدودات كلها بر وطاعة واتجاه الى الله العلى الكبير ، أم أن الفضل لهذا اليوم يكمن في أن البر بالضحايا أكثر نفعا ، وأعلى قيمة من البر بصدقة الفطر .

ذكريات وتوجيهات من عيد الفداء

فضيلة الشيخ فراج أحمد دردير

ابراهيم بغلام حلیم حقق له احلاما راودت جفنيه طويلا ، ودرج ونها وكبر حتى بلغ مع أبيه السعى ، فأكتمل سروره ، واطمان خاطره ، ومنح ابنه حبا أبويا كريما ، ولكن متى كان حساب الانبياء المخلصين كفاء محاسبة الآخرين من الناس ، وهل لقلوبهم أن تتسع لمحبة شيء آخر وقد ملئت بحب الله ، فعاتبه ربه على ذلك بابتلاء رهيب حيث رأى في منامه مرة في اثر مرة أنه يذبح ولده ، والانبياء والمرسلون تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم ، وما يرون من الرؤيا هي جزء من الوحي واجب الاتباع ، فيبادر الى الامتثال مضحيا في سبيله بكل شيء ما أحرز مرضاة الله ، ولكنه بحكمة نبوية لا يقود ابنه للذبح كما تقاد السائمة بل يعرض عليه الامر - وهو العازم أكيدا على تنفيذه - ليكتشف نفائس كريمة ، ودررا يتيمة تجود بها نفس الغلام العالية من طاعة الاب ، والرضا بأمر الله بصورة لا تجد لها في تاريخ الانسانية مثيلا يذهب اليه قائلا : يا بنى انى أرى في المنام انى أنبئك فانظر ماذا ترى ؟ فيجيب : يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله ممن الصابرين . ولم تكن المشاورة حديثا يمر عسى أن يأتى

قد تكون التسمية لشيء من ذلك أو لكل ذلك ، ولكنى الملح شيئا وراء هذا وأبرز منه وهو معنى الفداء فإن الاضحية تذكر بحادث جلل ، ومثل أعلى لامثال أواخر الله ، والتضحية في سبيل مرضاته مهما صاحب التضحية من شدة التكليف ، وقسوة الظروف ، وعلان الحرب على النفس والامل في رضا وتسليم ، يضحي الاب بابنه ، والولد بنفسه في وقت يشدهما طوفان من الوسوس والافكار يقف حائلا دون التنفيذ فيتخطيان العوائق في صبر عجيب ، واستسلام غريب ، ويبادران بالتنفيذ لا يوقفهما عنه الا تدارك رحمة الله .

فهذا خليل الله ابراهيم عليه السلام يجاوز من عمره الثمانين عاما كلها كفاح ونضال مع قومه محروما من الولد حتى ظن أن هذه الامنية بعيدة النوال ، ونظرت زوجه وهي عجوز وبعلاها شيخ كبير فاستبعدت ان يكون لهما ولد رغم بشاراة الملائكة مما دعاهم الى تثبيتها في عتب : « قالوا اتعجبين من أمر الله » . وفي هذه المرحلة من اليأس تم أمر الله ورزق

وجهه ، والذبح العظيم كما يقول أكثر العلماء الكيش وعظمته في جودة لحمه ، أو في أنه اغتدى به نبي مرسل ١٥

وبعض العلماء على أن الذبيح اسحق ويوافقهم أهل الكتاب على هذا ، ويذهب كثير من العلماء الى انه اسماعيل وبين الفريقين جدل طويل وأدلة لكل فريق ، وقد قرأنا الكثير من هذه البراهين وانطبع لدينا الميل الى أن الذبيح اسماعيل لقوة الأدلة التي نقتطف منها البعض : يقول الله تبارك وتعالى : وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين . كما يقول جل شأنه : فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والنص الاول يؤكد أن إسحق سيعيش حتى يصير نبيا ، والثاني يقول : انه سيحيا حتى تكون له ذرية ، وكلاهما ينافي الامر بذبحه وهو غلام دون أن يتحقق ما وعد الله به ، وفي سورة الصافات يذكر حديث الفداء كاملا ، وفي عقبه يقول الله تعالى : وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ، ومما لا شك فيه أن لإبراهيم ولدين اسماعيل وإسحق فمن المبارك عليه مع إسحق أن لم يكن اسماعيل ، وقد يقال : انه إبراهيم فان صح هذا فلا يصح أن يقال : ان ذرية إسحق تخالف ذرية إبراهيم حتى يقال : « ومن ذريتهما » وقد روى أن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رجلا يقول للذي صلى الله عليه وسلم : يا ابن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان الامر غير ذلك لما ضحك الرسول ، ولانكر على القائل مقالته ، ويقول الأصمعي : سألت أبا عمر بن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي أين ذهب عنك عقلك ، ومتى كان إسحق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة ، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحدر بمكة . ولو كان المقام يسمح بالمزيد لزدنا وناقشنا أدلة الآخرين .

وأيا كان الذبيح منهما فإن في الفداء معنى لا يتغير بتغير الذوات ، وهو تفادي ضرر كبير ، أو الحرص على منافع لها وزنها ببذل شيء مما في اليد ، وقد سجل الاسلام هذا الحادث الفريد بذكرى خالدة تتجدد كل عام عند حلول عيد النحر وعلى طريقة الفداء لرسول الله إسحق أو اسماعيل ، وفداء عبد الله بن عبد المطلب بشيء من النعم قربانا لله الواحد الاحد ، فشرع الاضحية استجابة لعفو الله ورحمته ، وعونا للمعوزين ، وتأليفا بين قلوب المؤمنين ، رغب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد . وكأنه يقول : ما أنفق المال في شيء أفضل من الاضحية فان الورق هي الفضة التي هي أحد النقدين ، وكما حرضت الشريعة على طلبها دعت الى التعجيل بها بما سنته من الخروج الى

الغذ بجديد ، ولكن يعقبه الشروع في العمل بصورة حازمة فيجر الاب فتساه ، ويقتل الابن على أبيه بتعليمات هي غاية الاحكام في الوصول الى الغاية التي طلبها رب العباد ، فيقول في ثقة وصبر وجلد غريب : يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع من السكين على حلقى ليكون الموت أهون علي ، وأفدقني للوجه حتى لا تنظر الى وجهي فترحمني ، أو أنظر الى الشفرة فأجزع ، وإذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام ، وهكذا يمضي الذابح والذبيح في طريقهما الى المنحر في ايمان عميق ، وانقياد كامل . وغير متصور أن يمر هذا البلاء المبين دون أن يتلمس فيه اللعين ابليس ثغرة يتخذ منها شركا للوقوع في الغواية التي ترى فيها تحت أسباب وظروف لا تبلغ شيئا بجانب هذه الظروف ، فقد روى انه بذل محاولات مأكرة أثيمة بين آل إبراهيم وإبراهيم فتصور في صورة رجل وجاء الى أم الغلام طامعا في استغلال غرائز الانوثة ، وحنان الامومة . وقال : أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : لا . قال : انه يذهب به ليذبحه . قالت : كلا هو آراف به من ذلك . فقال : انه يزعم أن ربه أمره بذلك . قالت : فان كان ربه قد أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع أمر ربه ، ولما تحطمت مطامعه لدى أم الغلام ، رجا أن يصيب شيئا عند الغلام عسى أن يجد فيه حرصا على الحياة ، وفرقا من الموت ، وهو الفتى الذي يعيش في نعيم الآمال فجاء اليه قائلا : أتدرى أين ذهب بك أبوك ؟ قال : لا . قال : فانه يذهب بك ليذبحك . قال : ولم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال : فليفعل ما أمره الله به ، سمعا وطاعة لأمر الله . ولما طاش سهمه أمام ايمان الوالدة وولدها اتجه الى الشيخ الكبير عله يجد سبيلا من وهن السنين ، والتحرق طويلا الى الذرية الصالحة ، وعاطفة الابوة الرحيمة فخطبه مغالطا : أين تريد ؟ والله اني لاظن أن الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك . ولكن إبراهيم بما له من نور الرسالة ، وفضل الخلعة عرفه فقال : اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لأمر ربي . وليس ببعيد أن يوسوس الشيطان بهذا أو أكثر من هذا وهو الذي أخرج أبويننا من الجنة ، وكرس حياته الطويلة لمحاولة اغراء البشرية واقتيادها الى الضلال ، ولكن الله جلّت قدرته لم يجد له سبيلا الى عباده المتقين ، فتحطمت وسائل مكره على صخرة ايمان إبراهيم وآل إبراهيم ، طيبة نفس إبراهيم ونفس ابنه مسلمين أمرهما الى الله حتى وصلا الى المذبح أجرى السكين بعد أن شحذها على عنق الغلام وعندئذ نجح إبراهيم في الاختبار وقدم ابنه الذي أحبه طلبا لحب الله وأثبت أن حب الله هو كل شيء « فلما أسلما وتلا للجبين » أدركته رحمة اللل فناداه : « يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » وجاءه الفداء ذبح عظيم . وقد روى عن ابن عباس أنه قال : « قلبه للجبين » معناه كيه على

أعضاء في جسم الجماعة بقاؤهم كله ، وقرارهم رهين
بحياة الجسم وراحته .

وان كل مؤمن ، وكل عربي ، وكل مصري لتملكه
روح العزة والفخار حين فتح عينيه فوجد الفدائية تمر
جوانب هذه الأمة في قوة وعزم على أنغام صوت
المعركة بشكل عجيب . فذلك جذدى مكتمل الصحة ،
واسع الرجاء يندفع كالسهم الى ميادين الجهاد يما
فيها من دماء ودمار وهلاك ونيران واضعا روحه على
كفه مستعدا الموت في طريق النصر ، ومحو بصمات
التردد والركون التي طبعت ظلما على جبين المقاتل
العربي ، وإذا أصابته جراح تعجل أيام العلاج ليعود
للكفاح من جديد ، وهذا أب أو أم أو زوج أو أخت أو
أخ يودع قرة عينه والحبيب الى نفسه راضيا سمحا
مؤمنًا بأنه سيخط حرقا في سطور المعزة والكرامة لا
يبالى بعد ذلك بشيء ولا يعمل حساب ان يعود أو لا
يعود ، وهؤلاء أبناء الشعب يتسابقون في بذل ما
استطاعوا من أموالهم ورفاهيتهم ، ولقد وجدنا ظروف
المعركة تفرض بعض قيود على مسار الحياة ،
والانسان بما جبل عليه من الانطلاق ينفر من القيود ،
ولكننا وجدنا ترحيبا ورضا بهذه القيود ، ولم نسمع
شيئا من الشكوى أو التبرم وقد كنا نسمع لقطسا
شديدا ، وجلية عالية عندما يصدم هذه الحدود شيء
بل ان الجميع على استعداد لتقبل الكثير من التضحيات ،
كل ذلك على المستوى المحلي ، فإذا جاوزناه الى الوطن
العربي الكبير وجدنا الحكومات والشعوب العربية قد
تلاقت على هدف العروبة الاسمي ، ونسيت أو تناسلت ما
شاب طريقها من منازعات اقليمية ، أو مصالح
خاصة ، لقد كان لنا جميعا هدف واحد لن نحيد عنه في
تلك الصفوف المختلفة ، واليوم - ولله الحمد - نطلب
جميعا هدفا واحدا في صف واحد .

ولا شك ان الحق والعدل ولهما منزلتهما في نظر
الشرقاء ، والحذب عليهما يقتضى فداء وتضحية من
كل من يعرف الحق والعدل ، وقد كانت معركتنا مع
الباطل اختبارا لشعوب الارض ، وقد استجابت دولة
لهذا الواجب تفتديه بكثير من مصالحها ، وعداء دولة
عظمى هي الولايات المتحدة التي فرضت عليها مواءة
الشيطان عذلة لا ترضى ان تتورط فيها أقل الدول
شائنا ، ونحمد الله الذي جعل معركتنا تحرك هذه
الفدائية الغالية على ذلك الافق العريض ، لقد بدلت
هذه المعركة الضعف والقوة ، أو المرض والصحة بيننا
وبين الاعداء فاعطتهم الجسم المريض التي تغزو
الامراض ، ويؤفر منه الناس ، واعطتنا الجسم
الصحيح الذي يطرد الاسقام ، وتتجمع حوله
وتسترضيه الامم ، بعد ان احيت على مستوى رفيع
فضيلة الفداء .

المصلى يوم النحر ذوق تناول شيء من الطعام
والشراب على عكس ما سن في عيد الفطر رغبة في
الاسراع الى الذبح عقب الصلاة ليفطر على شيء
منها ، وقد روى عن بريدة رضى الله عنه قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر
حتى ياكل ، ولا ياكل يوم الاضحى حتى يرجع . وزاد
الامام احمد في روايته للحديث « فياكل من
أضحيت » ، وجمهور الفقهاء على أن الاضحية لا
تكون الا من الأزواج الثمانية : الضان والمعز والابل
والبقرة . والجواميس تدخل في البقرة ، وفي التفاضل
بين هذه الأنواع وجهتا نظر تقوم احدهما على طيب
اللحم والاخرى على كثرتة ، وعلى هذه فالابل افضل ،
وعلى تلك الافضل للضان ، والمذكور فيها جميعا اكرم
من الاناث ولا يصح ذبحها قبل صلاة العيد ، أو
يقدرها لمن لم يحضر الصلاة ، فان قدمت على ذلك فهي
ذبيحة لحم لا حظ للنسك فيها ، والاضحية بين
صاحبها وذوى الحاجة والاصحاء ياكل ويتصدق
ويهدى باى قدر شاء وان قسمها بين ذلك اثلاثا فهو
الاعتدال ، وافضل منه تناول لقيات ، والنزول عما
بقى ، وعند الضيق والشدائد لا يجوز الإبقاء على
لحمها أكثر من ثلاث ليال فقد روى البخارى ومسلم
والامام احمد : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته
شيء منها ، فلما كان في العام المقبل قالوا : يا رسول
الله نفعل كما في العام الماضي ؟ قال : كلوا واطعموا
واخبروا فان ذلك العام كان بالناس جهد فارتد ان
تعيثوا فيها .

هذه هي الضحايا يتقرب بها الى الله ، وترشد الى
معنى جليل ، وحكمة سامية ، هي التضحية بعز
فداء للاعز واحتمال قليل من الضرر دفعا لضر
جسيم ، والتقدير في ذلك متروك الى البصيرة
النافذة ، والتقدير الصحيح والوزن الدقيق ، حتى لا
يتعرض الانسان لضلال التطبيق ، فيظن ان مصلحته
الخاصة يضحي في سبيلها بحقوق الناس وراحتهم ،
واقامة الشرائع والديانات ، فهذه اثره مرذولة انعكس
فيها الوضع وانقلب التضحية استغلالا كريها . يجب
أن نعرف ماذا نقدم ، وعلى أى شيء نحافظ ، وما
الضرر الذى نحتبه حذرا من ضرر أشد منه ، والعامل
من تخير أهون الضررين .

العقيدة السليمة الصحيحة اكبر ما يحافظ عليه ،
ويضحى في سبيلها بكل ما سواها ، والوطن الذى
يعيش فيه اهلك ، والذى هو مصدر عزك وفخره ،
تأمن في ظله ، وتمرح في خيره ، تفتديه بالروح والمال
وكل ما تتصوره من أسباب الراحة والسعادة
والنعمه ، وسعادة الجماعة تفتدى بسعادة الفرد ،
وانما تحيا المدنية وتؤتى ثمارها اذا ايقن الافراد انهم

وفريضة الحج تحمل في طياتها من المعاني الروحية والاجتماعية ما يكيف الشخصية الإسلامية ويضفي عليها لونا من الصفاء والسمو ، فضلا عما تحمله هذه الفريضة الفريدة في التاريخ الاجتماعي الديني من فكرة نبيلة ، هي فكرة الربط الروحي والمادي بين المجتمع الإسلامي ، وتوثيق التفاهم والتعاون وروح الاخوة بين المسلمين في مشارق الارض ومغاريها .

وقيمة الحج المتبول المبرور عند الله هو أن يكون خالصا لوجهه الكريم من غير أن تشوبه شائبة من الرياء أو أن يبغي به الحاج جاما أو سمعة ، روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج حجة الوداع ركب الى عرفة ، فلما كان حين أزلفت الشمس أمر راحلته القصواء فرحلت ، فلما توجه قال : (اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة) فهذه هي الصورة المتواضعة في توجهه عليه السلام ، وهذا هو الدعاء المذهب أن يجعل هذه الحجة خالصة لوجهه الكريم .

من هذا كله تتجلى أسرار هذه العبادة في ظاهرها وفي باطنها وفي مناسكها ومسالكها ، وفي شعائرها ومواقفها لتكون مقبولة مبرورة ، فإذا أدت هذه العبادة بهذه الصورة الظاهرة من غير ترف أو بذخ ، ومن غير تظاهر أو تفاخر ، وبهذه الصورة الباطنة من الاخلاص في التوجه الى الله والرحلة في سبيله كان حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة ، ورجع الحاج وقد غفر الله له ذنوبه .

جاء في الحديث عن ابن عمر أن قال : « أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة ويمحو عنك بها سيئة ، وأما وتوفك بعرفة فإن الله يقول : هؤلاء عبادي جاؤوني شعبا غيرا من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني ، فلو كان عليك مثل رمل عالج ومثل العضا ومثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحررك فمدخور عند ربك ، وأما حلقك رأسك فانه مدخور لك بكل شعرة تسقط حسنة ، فإذا طفت البيت خرجت من ذنوبك كما ولدتك أمك .»

ان الله تعالى قد جعل هذه السفر نسكا - كما جاء في الحديث - يجمع مناسك وشعائر لا يرفع الحاج قدما ويضع أخرى الا كان ذلك تكفيرا وتطهيرا له من الذنوب والاثام ، فإذا كان الحج بهذه الدرجة العظيمة ، فما أحرى أن يتحرى الحاج من هذه الرحلة الالهية أن يلزم نفسه في ظاهره وباطنه التبتل والترهب في لباسه وزاده وراحلته حتى يظهر كمال العبودية والتجرد لله من المظاهر المادية في الحضرة الالهية ، ثم يلزم نفسه في باطنه الاخلاص في النية

□ ١٠٧ □



المجائب الروحانية والاجتماعية في الحج!

ان العبادات التي فرضها الله على عباده تقوم على فكرة الاعتقاد بها والتفكير والتأمل في معانيها وعلى الصفة التي تستولي على القلب ، والمعنى الذي يتملك النفس ، كل هذا يجعل للعبادات قيمتها المقصودة ومعناها المراد وسرها الحقيقي . وأهم من هذا كله هو صدق النية والبعد عن الرياء والسمعة وحضور القلب عند أداء هذه العبادات المفروضة .

الكتب على حسن عبد القادر

دولة الظلم قد دالت وانها لن تقوم لها قائمة ، وأن الله ورسوله لن يقبلا من المشركين عذرا بعد اليوم ، فهو يوم حاسم في التاريخ ، يوم أعلن فيه الاسلام قوته وشخصيته ، فكان أحق يوم بالتكريم وأكبر يوم عند الله المنفرد بالعبادة والتعظيم ، يصبح المسلمون فيه في عيد وصلاة وذكر لله وشكر له على انقاذه البشرية من ظلمات الجهالة وانعامه عليهم بنعمة الاسلام .

ولقد اقترنت بيوم الحج الاكبر ويوم عيد الاضحى هذه الذكرى الكبيرة بتمام الاسلام وكماله « روى أن رجلا من أهل الكتاب جاء الى عمر بن الخطاب فقال : ان عندكم آية لو كانت نزلت علينا لاتخذنا يوم نزولها عيداً قال : ما هي . قال « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فقال عمر لقد فعلنا ، اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه « وقد نزلت هذه الآية على رسول الله يوم عرفة فأصبح الناس في عيد وسن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا العيد في هذا اليوم : يوم الاكمال والاتمام للاسلام .

حقا ان هذا الشعور بالتماسك وهذا الانسجام الذي يصدر الناس فيه عن قلب واحد وفي سبيل هدف واحد صورة تتجلى في الحج الى بيت الله الحرام ، وبهذه الروح - روح الوحدة الاجتماعية في هذا الصعيد الطاهر ، ما يمكن لتحقيق القوة الذاتية لمجتمعنا الاسلامي وحمايته من الاطماع التي تترى به والافات والبوائق التي تصيب الجماعات المتفرقة ، فليس هناك شيء يدخل الخوف والجزع في القلوب مثل التفكك والتفرقة ، وليس هناك شيء يمكن الثقة والامن والفرحة في النفوس مثل الاعتصام بحبل الله وسبب الاخوة (فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) .

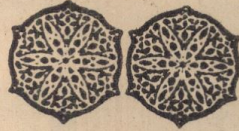
وطريق الاعتبار والتذكر ، فان تمام الاعمال بما يصحبها من نية صادقة ، فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم ، بل بذلها ايثارا لوجه الله كما يقول تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) ولهذه المعاني الظاهرة والباطنة بأداء هذه الفريضة جانبها الروحي المقصود .

وفي هذه الايام المباركة تجتمع قلوب الناس على ذكر الله وتوحيده ، فتمر هذه المناسك وتبقى روعتها في النفوس تجدد من ذكراها وفكرتها في هذا الاجتماع الاسلامي الكبير في صعيد واحد وعدد فكرة واحدة (ان هذه امتكم امة واحدة وانما ربكم فاعبدون) .

وتلك هي الفكرة الثابتة التي تقوم عليها رسالة الاسلام لم تتغير ولم يختلف المسلمون فيها على اختلاف مذاهبهم وهي فكرة التوحيد ، توحيد الله وخالص الدين له ، وتوحيد الامة والمجتمع . ولا يعرف التاريخ نداء ابدع وأقوم من هذا النداء الالهي - نداء الوحدة والتوحيد الذي نادى به محمد الناس لينقذهم من كبوتهم ويخرجهم من الظلمات الى النور . ففي عرغات بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يقرأ على الناس في هذا اليوم التاريخي سورة براءة التي يقول الله تعالى فيها « اذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله يرى من المشركين ورسوله فان تبقيم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » .

يقول الله تعالى بعد ذلك (فاذا انسلكم الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) .

وفي هذا اذان من الله ورسوله في عزم وقوة بأن





منات الالف من المسلمين ،
يتلاقون هذه الايام ، في بلد الله
الحرام ، واغدين اليه من مختلف
القارات والاطوان ، لقضاء فريضة
الحج الى البيت المعظم ، قبلة
المسلمين ، ومنزل الوحي ، ومشرق
الاسلام ..

والحج الى هذا المقام الشريف
مهوى افئدة المسلمين على ما فيه
من مشقة سفر ، وفراق أهل ،
ومزيد نفقة : وما من مسلم صارق
الايمان الا يتمنى البدار الى هذه
الرحلة المباركة : لانها خاتمة
الفرائض وكمال الدين . ورسول
الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « تعجلوا الى الحج فان
أحدكم لا يدرى ما يعرض له » .
ومن لطف الله تبارك وتعالى
بعباديه انه جعل اداء هذه الفريضة
منوطا بالاستطاعة وهي : وفور
النفقة ، وصحة البدن ، وأمن
الطريق ، « ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا » .

الحج والحرب المقدسة

أستاذ أحمد راني

المحض ، حتى قيل : انها « رهبانية الاسلام » ولا
رهبانية في الاسلام ، ولكنه الوقوف بين يدي الله في
أظهر وأبرك بيوته ، أياما معدودات ، يعود المسلمون
بعدها الى حياتهم الدنيوية مزودين بما ينبغي لها من
صلاح وتقوى ، واستقامة على سواء الجادة ؟

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
عن « الرهبانية » التي يلتزمها بعض رجال الدين في
الملل السابقة ، انقطاعا عن الدنيا ، واعتزالا للناس ،
قال : « نبذلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل
شرف - أي الحج » فالاسلام دين ودنيا ، ولا انفصام
بينهما ، وأصدق ما وصف به المسلمون الاتقياء
انهم « رهبان بالليل فرسان بالنهار » .

واجتماع الجهاد والحج في الحديث الشريف ،
يعنى تكافة هما في الفضل ، وتلاقيهما في الغاية
والقصد ، ويجيء الجهاد متقدما على الحج في هذا
الحديث وفي غيره من أحاديث الرسول الكريم ، فقد
سئل عن أفضل أعمال المسلم ، فقال : « إيمان بالله
ورسوله وجهاد في سبيل الله ، وحج مبرور » .

وانما كان هذا التقديم للجهاد منة درع الاسلام
وناصر نوره ، وحامي دماره واركانه ، ومن بينها
الحج ، وقد فرض الله الجهاد في السنة الاولى

على انه ملاحظ في السنوات الاخيرة ان عددا غير
قليل من المسلمين يملكون هذه الاستطاعة فاذا أعدوا
للرحلة عدتها ، افتقدوا الطريق الامن ، بسبب العدوان
اليهودي على الارض العربية ، فلولوا هذا العدوان
الاثم لتحقق الامنيات . وتضاعف العدد ، واستفاض
النفق المنشود ؟

وهذا التجمع الاسلامي الكبير ينكرر في مواسم
الحج ، ممثلا لعالمية الاسلام ، ووحدة المسلمين ، وهو
فرصتهم (الامنة) المحفوفة برعاية الله في هذا المقام
الطاهر ، للتعارف والتعاطف ، وتبادل الافكار
والآراء ، والتشاور في الاحداث الجارية ، ببلدانهم ،
في شكل مؤتمر عام [على مستوى الحاكمين
والحكوميين ، فالجميع هناك سواء ، وصولا الى
توثيق الروابط وتآليف القلوب ، وتسديد الخطى على
طريق العمل الجاد ، لمصلحة الامة الاسلامية ،
واستعادة مجد الاسلام ..

وظواهر الحج في اطار مناسكه وشعائره تتجلى
صورة مشرقة للعبادة الخالصة بين يدي الله ، فهي :
طاعة وخشوع . ومداومة تكبير وتسبيح ، وصلوات
جامعة ، وتجرد تام من شعارات الطبقة ، وزخرف
الحياة الدنياء ، واستغراق في التوبة والاتابة والتماس
المغفرة ، الى آخر ما يجري في هذا المجرى التعبدى

وأقوى حوافزه ، يقينا ، هو ذلك العدوان الصهيوني المؤيد بقوة الاستعمار العالمي ، واقعاً على أرض العرب ومقدساتهم ، وهو يتسع ويمتد ، ولا يقف عند حد . وقد ثبت بالوثائق والمقررات والتصريحات المعينة ، ان أعداء الله يريدون بهذا العدوان السيطرة على الدول العربية كلها أرضاً وشعباً وإسلاماً ، مستترين عن ألباب العنصرية المخبره بحاقده . وما هم بمرتدين عن هذا ، الا ان تنزل بهم قارعة القوة العربية الساحقة ، مؤزرة بوحدة المسلمين في حرب مقدسة ؟

وقد بدأت طلائع القوة العربية تتقدم مؤدية دورها التاريخي في معركة [١٠ رمضان] فكانت على مشهد من العالم بأسره ، جهادا حق جهاد ، تجلت فيها البطولات العربية أروع التجلى : قوة إيمان ، وصديق لقاء ، واقتحاماً للأخطار ، واختراقاً لاعتى الموانع والحصون ، وتحطيماً كاسحاً لقوى الاعداء في أشد الملاحم وأضرها ، وقد توقفت المعركة - الى حين - وبواء النصر معقود لابطالنا المجاهدين ، والعدو مثخن بالجرح ، مجلج الهزيمة مثقل بالاضحايا .. ولكن عدوانه لم يزل قائماً ومن ورائه قوى الشر تجمع له ، وتضمد جراحه ، وتشد من أزره ، ومن يؤمن بجانب عدوه ولهذا فان جند الله البواسل يقفون في مواقعهم ، ويديهم على الزناد ينتظرون أول إشارة ، ليعيدوها مرة أخرى جحيماً لأعداء الله .

وقد كان أعظم ما يتمناه كل مخلص للاسلام والعروبة أن تتوحد دولها في وجه ذلك الغزو اليهودي المسعور ، وأن تلقاه قوة منجدة للقضاء عليه وتطهير الارض من دنسه ، فكان أسعد ما أسعد به العرب والمسلمون في المعركة الاخيرة . ان تحققت على لظاهها هذه الامنية العزيزة بوقوف دول المنطقة العربية ، وعلى رأسها ملوكها ورؤسائها ، موقفاً موحداً يتدفق ايماناً واخلصاً وعطاء ، واضعة في خدمة المعركة كل ما تملك من مناقات وموارد وامكانيات ، مشاركة فيها بالدم والمال والمصير ، وعزرت هذا الموقف العظيم بوقفها تصدير انتاجها من البترول الى الدول المساندة لاسرائيل ، فكان هذا من امضى الاملحة العربية في المعركة اشددها فاعلية ، فليبرزن العربي حنجة لا غناء عنها في حياة الدول ذات المواقف العدوانية المعروفة ، ولهذا اصاب هذا الموقف مقاتلها ، واعفراها منه زلزال شديد ، وقد آلت الدول العربية ان لا تعدل عن قرارها هذا الا اذا تم جلاء المعتدين جلاء تاماً عن الارض المغتصبة واعادتها لاصحابها ، وأنه لوقف جدير بالنخوة العربية التي كانت رغم تزل مضرب الامثال . ذلك الى كونه موقفاً منطقياً يقوم على الحق والعدل ، فلم يكن مقبولاً ولا معقولاً ان يستخدم أعداء العرب بترول العرب وقوداً وسلاحاً لقتلهم واخراجهم من ديارهم ؟

للهمزة ، وفرض الحج في السنة الخامسة وقيل في التاسعة ؟

والحج نفسه جهاد للنفس ، بالكعب والمساناة والتمحيص . وجهاد النفس هو الجهاد الاكبر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان من عادة السلف الصالح : ان يشيعوا الغزاة المجاهدين ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم ، ويسألوهم الدعاء ، تبركا ، لما يرون من قريهم الى الله جل وعلا .

وعيد المسلمين الاكبر ، هو عيد الحج وفيه معاني التكريم بحدري التضحية الغالية التي امتحن الله بها آبا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، حين رأى في منامه ان الله يأمره بذبح ابنه « اسماعيل » عليه السلام ، فصعد بالامر ، وجاء بابنه الحبيب رحيده يومئذ [فقله للجبين ووضع السكين على عنقه ، فافتداه الله في اللحظة الاخيرة » بذبح عظيم » . عسى لذلك التضحية في الحج والعيد تقرباً الى الله ، وتعظيماً للتضحية والفداء ، وهما من أخص فضائل الجهاد في سبيل الله .. ؟

وبسنا نريد هذا المفاضلة بين عريضي الحج والجهاد . فهما صنوان في الشجرة المباركة وفرائض الاسلام كلها مترابطة يكمل بعضها بعضاً ، وهي فرائض او مجتمعة ، تتبوا من نفوسنا أعظم منازل التقديس ..

وما نرانا بمبعدة عن حديث الحج ، اذا ما اتخذنا منه سبيلاً الى الحديث في الجهاد . الجهاد في ايماننا هذه ، أشغل ما يشغل المسلمين ، تجاه العدوان اليهودي المتهور على الارض العربية وفيها المسجد الأقصى اولى القبلتين ، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا منذ قليل ان هذا العدوان يعطل ، بانفسه لفريق من المسلمين ركناً من اركان الاسلام ، هو الحج بالذات ، ولعل اخواننا الفائزين برحلة الحج في هذه الايام أشد احساساً بحق الجهاد وأكثر تحدياً فيه ، فهم يعلمون من جرائر العدوان وسيئاته على المسلمين جميعاً ، وهم يتلاقون في رحاب الله ، وعلى سنتهم وفي نبضات قلوبهم . أحداث النضال العربي . ومعركة الجهاد وبطولة الابطال ، وحديث النصر والحرب المقدسة ، التي ليس منها محيد ، هم كسائر المسلمين يعلمون ذلك ، ويحسونه ويفكرون فيه . ولذلك فانهم خلقاء ان يكونوا فيه أكثر تأثراً وانفعالا ، لانهم هناك الى جوار روافد الاسلام ومشازعه الاصيل الصافية ، وفوق ارض الله المباركة التي نرعرع فيها غراس التضحية والفداء ، وكانت منطلق الجهاد والاستشهاد ، منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالجهاد في هذا الجو الروحاني المصفى ، له ذكرياته ، وبنهاته وأشواقه وحوافزه .

العدوان على المدينة المنورة نفسها ، وسيكون لهم
حتمًا نفس المصير ..

فالعدوان الصهيوني ، كالعدوان الصليبي من قبل ،
يريش سباهه في صدر الاسلام ، لان الاسلام مصدر
القوة عند المسلمين ، وهم يريدونهم ضعافا ،
فمسئولية القضاء على هذا العدوان يجب ان يضطلع
بها المسلمون كافة في جميع الاقطار اى يشترك فيها
العرب وغير العرب من مسلمي العالم ، وسيكون لهذه
المشاركة الجماعية معطياتها الواسعة بعيدة مدى
الاثر ، ليس في رد العدوان حاليا فحسب ، بل وفي
الاجهاز على كل الاهداف العدوانية المعلنه او المستترة
في المستقبل ، وذلك ان قوة المسلمين المضادة ،
ستصبح سبعة أمثالها في المنطقة العربية ، ولا يعنى
هذا ان مسلمي العالم السبعمائة مليون يتحولون الى
جيوش مقاتلة فهذا امر غير ممكن بداهة ، وهو فوق
طاقة المعركة نفسها ، وإنما يعنى المشاركة التي
تساعد على تحقيق النصر بالوسائل المستطاعة ، وهي
كثيرة وميسورة ، ولا نحتاج ان نقول ان يهود العالم
يبلغون خمسة عشر مليونا ليس منهم في اسرائيل
سوى مليونين ، ويهود اسرائيل اللليونان هم الذين
يديرون المعركة ويمارسون العدوان ، بينما الثلاثة
عشر مليون يهودي ، المتفرقون في شتى انحاء العالم ،
يشاركون في المعركة مشاركات ايجابية متصلة ،
فمواقفهم السياسية والاعلامية الناشطة تملأ المحافل
الدولية ، واموالهم في شكل تبرعات تصل متدفقة بغير
حساب ، والعلماء والخبراء منهم يقتابعون
منطوعين ، وهكذا ؟ .. وأقرب مثال على ذلك أن وزير
مالية اسرائيل أعلن انه عقب معركة ٦ أكتوبر مباشرة
تلقى من يهود أمريكا تبرعات قيمتها ٨٥٠ مليون دولار
وان مجموع التبرعات قبل نهاية هذا العام ، ستجاوز
المليار دولار ؟ .. مجرد مثال ؟ ..

وبعد . فان الجهاد المقدس واجب مطلوب اذاؤه
ليوما وما بعد يومنا ، والامة الاسلامية [في جهاد
الى يوم القيامة] والجهاد ليس مجرد مقاتل في قلب
المعركة ، ولكنه مجموعة جهود ومشاركات مكونة لقوة
المقاتل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يقول : « من جهن غازيا فقد غزا »

والجهاد تجارة من اربح التجارات ، فالله تبارك
وتعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله ،
وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون ، يقفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن
ذلك الفوز العظيم .. وصدق الله العظيم .. »

□ ١١١ □

ولا ريب في أن الوضع العربي بوجه عام قد تغير
تباهما ، وتعددت فيه مظاهر القوة وبشائر النصر ،
ولكننا مع ذلك لا ننسى أن معركتنا ليست مع اسرائيل
وحدها ، فمن ورائها الصهيونية العالمية في تحالف
وثيق مع القوى الاستعمارية الطامعة في الارض
العربية الاسلامية وثرواتها واسواقها . فالتوقع أن
لا تنتهي المتاعب بهزيمة الاعداء في معركة واحدة ،
فانهم بعدها سيدبرون لمعركة اخرى ، مقربصين
بالعرب شيئا من التفريق أو ساعين بينهم بالوقعة كما
كان الحال من قبل ومن هنا يصبح واجبا : التمكين
للوحدة القائمة الآن ، واستمرارها والاستعداد بها
لكل الاحتمالات .

وحين نقول اننا في حرب مقدسة نقاتل فيها قوى
عدوانية متآزرة تريد بنا وديننا شرا ، وأنه ينبغي ان
نتداعى فيها الى الجهاد بالانفس والاموال ، غائنا
نصدر في ذلك عن اقتناع يؤكد الماضى الذي قرأناه ،
والحاضر الذي نعيشه .

أما الماضى ، فهو الحرب الضارية التي عانى منها
المسلمون شذائد واهوالا على أيدي من كانوا يسمون
أنفسهم بالصليبيين ، كرهوا من الاسلام الحضارة
والعلم ، فجردوا عليه جيوشا جرارة ، واحتلوا
فلسطين وبيت المقدس ، وأغرامهم ما وجدوا من ضعف
المسلمين لتفريقهم ، فوجهوا الى المدينة المنورة قوات
مسلحة لاحتلالها وتدمير القبر الشريف ، وكانوا قد
قطعوا على المسلمين طريق الحج تمهيدا لتخريب
الحرم المكي ، امعنا في الكيد للاسلام واطفاء
مشاعله ، ولكن صلاح الدين الايوبي كان قد ظهر في
الميدان رامسك بانزمام وجمع شتات الامة وأخذ يقاتل
اعداء الاسلام مجاهدا في سبيل الله ، فلما بلغه أمر
العدوان الزاحف على الحرم النبوي الشريف . انفذ
في الحال ، قوة من جند المسلمين ، لحقوا بجند
الاعداء قبل ان يصلوا الى المدينة بقليل ، فحالوا بينهم
وبين جريمتهم المنكرة ، وقتلوا منهم من قتلوا وجاءوا
بالآخرين أسرى فشهروا بهم بين الناس ، وتصادف أن
كان ذلك في وقت الحج فأرسلوا منهم اثنين الى مكة
المكرمة ، فذبخوا حيث تذبح الشياه الضحية شكرا
لله ، واعلنا للحدث الخطير ، وقد أشعلت هذه
المحاولة الضيئة مشاعر المسلمين في كل البلاد ،
فازداد اقبالها على الجهاد ، وكانت عاملا هاما من
عوامل انتصار صلاح الدين ، في معركة حطين ،
وتحررت القدس والمسجد الأقصى ، وتتابعت بعد ذلك
معارك الجهاد الى أن تحررت الارض العربية كلها ..

أما الحاضر فكنا نعرفه ونحسه في ألم بالغ ، ولا
نرى ثمة خلافا بينه وبين الماضى الا في الوجوه
والاسماء ، فاليهود في القرن العشرين يرتكبون نفس
جريمة القرن الثاني عشر ، احتلالا لارض المسلمين
باسم الدين ، وانتهاكا لمقدسات الاسلام وشروعاً في



الحج

مؤتمر إسلامي عام

ان الذى يتأمل التكليف
الاسلامية التى تعبدنا سبحانه
وتعالى بوجوبها علينا تتلاقى عند
هدف واحد لا تختلف فيه قليلا ولا
كثيرا ، ذلك هو رياضة المسلمين
على الاجتماع ، وتعودهم على ضم
الصفوف ، واتحاد الكلمة ، ورأب
الصدع ، ومقاومة الفرقة ،
والقضاء على الخلاف ، ومحاربة
نزوات الشقاق ، وتنافر الاهواء ،
وتباعد القلوب ، ولهذا يطلب اليهم
الصلوات الخمس فى أوقات
معينة .

الدكتور ابراهيم على أبو الخشب

□ ١١٢ □

يبادرون كلهم اليها ، دون أن يتقدم واحد أو
يتأخر ، ويدعومهم الى أن يجتمعوا عليها فى المساجد
فى صفوف متراسة مستقيمة - خلف امام واحد -
يركعون اذا سمعوا تكبيرة الركوع . ويسجدون اذا
سمعوا تكبيرة السجود ، وينتهون من الصلاة حينما
يعلن الامام ذلك بتسليمة عن يمينه ، وتسليمة عن
يساره ، وكذلك يكون الصيام - شهرا كاملا من الهلال
الى الهلال - منذ طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لا
يشذ فى ذلك واحد ، ولا يختلف انسان ، وهكذا نرى
الوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب ، والهدى
والارشاد ، والطاعات التى يحمل الله بها عباده على
الاستقامة ، والنهج السليم ، والسلوك السوى ، من
هذا النوع الذى يوجه الناس الى التماسك والارتباط ،
والتآلف والاجتماع ، وفناء الفرد فى سواد الامة التى
تدين برب واحد ، وتتجه الى قبلة واحدة ، وتترقب
مصيبرا واحدا ترجو فيه رضوان خالق المخلوقات
جميعا . . . وقد كانت فريضة الحج مظهرا واضحا
لالتقاء القلوب ، وتقارب الاهواء ، واتحاد الافئدة ،
أراد الله به أن يكون تطبيقا عمليا على جمع كلمة
المسلمين الذين تناءت بهم الديار ، وبعد المزار ،
واختلفت الاوطان ، وتباين النطق واللسان ، وأن
يكون ذلك فى مكان واحد ، يطوفون بالبيت ، ويسعون
بين الجبلين ، ويقفون على عرفات ، ويسرمون
الجمرات . ويسوقون الهدى ، ويكبرون ويلبسون ،
والمكان هو المكان ، والزمان هو الزمان ، وإذا كانوا
قبل ذلك فى صفوف الصلاة فى بلادهم المختلفة ،
وأوطانهم المتناثرة ، أو كانوا يصومون ويفطرون ،
فانهم كانوا مترابطين بالوجدان والعاطفة ، والهوى
والميل ، والهدف والغاية - مع طول المسافة واختلاف
المكان - لكنهم وهم فى هذه المناسك ، وقد جمعهم
الزمان والمكان ، تتلاقى منهم الاجسام بالاجسام ،
والوجوه بالوجوه ، وفى هذا كله إحياء لاشك فيه
بالاخوة الصادقة ، والالتحام الوثيق ، والترابط الذى
يريد أن يحملهم عليه هذا الدين بكل ما جاء به اليهم
من تكاليف وواجبات « وأذ بوأنا لآبراهيم مكان البيت
أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين
والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا
مناقع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما
رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس
الفقير »

ومن هذه الايات المقدمة يظهر ان هذه الفريضة
التي جعلها الاسلام ركنا من أركانه ، كانت كذلك فى
شريعة ابراهيم عليه السلام الذى أمره الله أن يؤذن
بها ، ويدعو الناس اليها ، رجاء أن يشهدوا منافع
لهم ، وقد ينبذ الى الذهن انها المنافع الاقتصادية
التي تكون وراء تبادل السلعة بالسلعة ، أو شرائها
بالمال ، وغير ذلك من ألوان التجارة ، واكتساب
مهارات مختلفة ، وخبرات متنوعة ، فى المعرض
والطلب ، حين يجد الانسان أدواقا وعقولا ومعارف لا

عهد له بها من قبل ، لكن نظام العمران ، وسياسة الملك ، وقيادة الجماعات ، تدل على أن الأمر أبعد من ذلك كله ، وأن المحن التي تنتاب المسلمين - هنا وهناك - من أعداء دينهم الذين يكيدون لهم ، ويربصون بهم الدوائر ، تناديهم بأعلى صوت . وأبلغ عبارة . أنهم بحاجة ماسة إلى أن يكون لهم تفكير مشترك يرتفع بهم إلى مستوى المسؤولية العظمى عن تلك الطعنات التي توجه إليهم من خصومهم الذين لا يريدون لرأيهم أن ترتفع ، ولا لشريعتهم أن تسود في الأرض .

والنبي صلى الله عليه وسلم في خطبته - الأخيرة - وهو يحج الحجة المعروفة بحجة الوداع التي أعلن فيها إلى المسلمين أنه سوف لا يلقاهم بعد ذلك كان يتحدث إليهم حديث القائد الذي يرسم لجنوده الخطوط الطويلة العريضة لحياة تترقبهم يكون فيها من المشاكل والمسائل ما يحتاج منهم إلى كثير من البصر والنظر ، واليقظة والحزم ، والكياسة والدهاء ، والحكمة والانتباه ، فلا تطغى عليهم شهوات الدنيا التي تتمثل في الربا وقتل النفس التي حرم الله قتلها ، كما تتمثل في استرقاق الأحرار والضعفاء ، والعدوان على الحرمات « أن رماكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا » وكان مما قاله في تلك الخطبة لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . . والذين عنوا بدراستها ، والتعليق عليها ، يقولون إنها كانت دستوراً يعالج الحياة المستقبلية لهذه الأمة ، لم يترك شيئاً من شؤون الفرد أو الجماعة ، إلا وضع له علاجه ، ورسم له الحدود التي لا بد من التزامها ، وهي تشبه إلى حد ما وصية الوالد الشفيق لأولاده حينما يحس أنه مفارق لهم ، أو مرتحل عنهم ، وأنه يخشى عليهم هذا المعتكك الصاحب ، وتلك الفتن التي تتوالى عليهم كقطع الليل ، لذلك فهو ينصح إليهم ، ويرسم لهم ، ويطلب لأوجاعهم ، غير مدخر من وسعه ، أو باخل بتجاربه ، أو طاو لصفحاته ، أو مبق على جهده ، عسى أن يكون لهم من كل ذلك شعاع هاد ، أو سراج مضيء ، حتى لا يضيعوا أخطاهم إلا على الطريق السوي ، فلا تزل لهم قدم بعد ثبوتها ، وهو صلى الله عليه وسلم كما يتحدث عنه ربه « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » لكننا - وبخاصة حينما نشعر بالمحن التي تتوالى على المسلمين - نتساءل عن مدى هذا النفع الذي

يحصل عليه أبناء الأمة التي يقول القرآن الكريم موجهاً إلى ما في هذه الفريضة من فوائد عليهم أن يغنوها من هذا الاجتماع يوم الحج الأكبر « لينتهدوا منافع لهم » . . وربما كثر هذا التساؤل أكثر وأكثر على أثر شدائد تصيبهم ، أو مكاره تنزل بهم ، أو مخاوف تهدد أمنهم وسلامتهم ، فتجعل دينهم مستهدفاً للشر ، أو أوطانهم معرضة للاستعمار ، أو أموالهم وثروات بلادهم بصدد عدوان الأيدي الأثمة ، والشهوات المسعورة ، والمطامع الحقيرة ، التي تتأجج بها نفوس هؤلاء الأجانب الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولائمة . . وإذا علمنا أن الحج إلى بيت الله الحرام هو المؤتمر الإسلامي العام الذي يتدارس المسلمون فيه تلك المشاكل دراسة جادة تضع الدواء للداء ، والمراهم على الجراح ، حتى لا يكون هناك ضعف في صفوفنا ، ولا تفريق لكلبتنا ، ولا امتحان لكرامتنا ، وأن العنوان الذي يخلعه علينا كتابنا الكريم « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لا يزال قائماً بنا ، متحققاً لنا ، أدركنا من غير شك ، أن هذا الدين الذي شرفنا الله بالانتماء إليه ، والعمل به ، والاعتقاد فيه ، أنها يسوقنا دائماً أبداً إلى الطموح إلى أسنى الدرجات ، وأحسن المنازل ، والانتقال من ذات الصدع إلى ذات الرجوع ، في كل ما يوجهنا إليه من تكليف ، أو يحملنا عليه من واجب ، وليس ذلك كله بحاجة إلى أن يعيده إلى الأذهان ، أو يكرره على الأسماع ، كاتب مقال - محدود الصفحات - أو خطيب منبر شأنه تنميق الكلمات ، وترصيع السجعات ، وإنما هو بحاجة إلى أن تراجع أنفسنا الحساب ، وأن نتذكر أننا في غفلة من واجباتنا التي تقتضيها - أول ما تقتضيها - أن نطبق هذا الدين تطبيقاً عالياً في كل أمورنا الدينية والدنيوية ، فلا نعيه مسائل وقضايا ، دون أن يكون سلوكاً وعملاً ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف - يوم الحج الأكبر - وهو يقول « أن الشيطان قد ينس أن يعبد بارضكم هذه أبداً : ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به ، مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم » إنما كان ينظر - بعين الغيب - إلى مستقبل هذه الأمة المتخاذلة المتهاونة المفككة التي لا يهتم فيها الأفراد إلا بخاصة أنفسهم من غير تفكير في مصلحة المسلمين من هنا وهناك متناسين أنهم أمة واحدة إذا اعتزتها الفرقة ، أو أصابها الوهن ، فقد حل بها الهوان والذل والعياف بالله أن يصيبها شيء من ذلك كله





يوم عرفة

في هذه الايام المباركة التي
نعيشها الان ايام الحج الى بيت
الله الحرام يستجيب المسلمون
لدعوة الله الى الحج . ويلبون
نداء ابراهيم الخليل اذ امره ربه
ان يؤذن في الناس بالحج بقوله
« واذن في الناس بالحج ياتوك
رجالا وعلى كل صامر ياتين من كل
فج عميق » في هذه الايام يهرع
المسلمون من كل حذب ويتوافدون
من كل فج الى رحاب الله
ويجتمعون في اماكنه المقدسة
مليين وداعين لله ذاكرين وحامدين
راكعين وساجدين والى ربهم
منييين في هذا الجو العبق وفي
هذه اللحظات القدسية يحلو
الحديث عن هذا الرحاب الطاهرة
وعن هذه الايام العظيمة الفاضلة
ومن هنا يوم عرفة فاقول :

فضيلة الشيخ عبد الحميد بن

وهو الوقوف بعرفة كما يؤخذ من قوله تعالى « فاذا
اقضيت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام
واذكروه كما هداكم » وفيه يقول الرسول صلوات الله
عليه « الحج عرفة » جعل الرسول عرفة الحج كله
مبالغة في عظم هذا الركن لما فيه من مزايا وما له من
آثار عظيمة .

ولقد قال الرسول في فضل يوم عرفة ما يرويه أبو
قتادة رضي الله عنه قال « سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صوم يوم عرفة . قال يكفر السنة
الماضية والباقية » رواه مسلم وعن جابر رضي الله
عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - في
حديث طويل « وما من يوم أفضل عند الله من يوم
عرفة ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا
فيباهي بأهل الأرض أهل السماء انظروا الى عبادي
جاءوني شعنا وغبرا ضاحين من كل فج عميق
يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوما أكثر عثقا
من النار من يوم عرفة » .

ولقد صدق رسول الله فهو يوم خير وبر وبركة
وبين حدث فيه من عظام الامور ما ينطق بجلاله
وفضله ، ويعرب عن مزاياه وعظيم شأنه ، ولا عجب
فيوم عرفة مظهر من مظاهر عظمة الله وجلاله ،
وعنوان عزته وكبريائه ، حيث يتوجه اليه تعالى في
هذا اليوم جمع من المسلمين عظيم ويجمعون في

يوم عرفة علم على اليوم التاسع من ذي الحجة
وهو مركب من كلمتين مضافتين - يوم - عرفة - يوم
جزء من الزمان محدود - وعرفة جزء من المكان
مخصوص معين ومحدود وقديما أطلق على الجزء من
المكان اسم عرفة - أو عرفات وللعلماء في تعليل
تسميته بهذا الاسم آراء - يرى بعضهم أن عرفة مشتق
من المعرفة ويذكرون في سبب هذه التسمية أن أحداثا
حصلت في هذا المكان من أجلها سمي عرفة من هذه
الاحداث - لما أهبط آدم وحواء من الجنة نزل كل
منهما في جهة من الأرض ثم شاء الله جمعهما في هذا
المكان فاجتمعا وفيه تعارفا فسمى المكان عرفة لذلك -
ويرى بعضهم أنه مشتق من الاعتراف - ضد الجحود
والانكار - ذلك أن الحجاج في وجودهم بعرفات يلبون
ويهللون ويكبرون ضارعين لربهم معترفين بخطاياهم
وذنوبهم فزعين من جرائمهم وعصيانهم مرددين
دعواتهم « ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت يا
غفار » وفي هذا اعتراف منهما بذنوب - ويرى
بعضهم أنه مشتق من العرف بفتح العين يعنى الرائحة
الطيبة وذلك أن المذنبين لما تابوا الى رشدهم وفي هذا
المكان المقدس تابوا الى ربهم تخلصوا من خزياتهم
وأرجاسهم وأبدلهم الله بذلك ريحا طيبة على حد قول
الرسول في الصائم « لخلوف فم الصائم عند الله
أطيب من ريح المسك » وأيا كان هذا التعليل فالله عز
وجل جعل هذا المكان خاصا لاداء أعظم فرائض الحج

أقدس الأماكن وهو غرفة باسطين إليه أكفهم ، مقبلين في السماء وجوههم بقلوب خاشعة ، والسنة ضارعة ، راجين عفوه أنه عفو غفور - عن عباس بن مرداس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة فأجيب أنى قد غفرت لهم ما خلا الظالم فأنى أخذ للمظلوم منه - قال أي رب أن شئت أعطيت المظلوم الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشية عرفة فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل - قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو قال تبسم فقال له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بابى أنت وأمى أن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك أضحكك الله سنك - قال أن عدو الله إبليس لما علم أن الله استجاب دعائى وغفر لامتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى ما رأيت من جزعه « قوله فى الحديث - دعا لامته - قال العلماء هل دعا لمن معه فى حجة ذلك أو دعا لمن حج من أمته الى يوم القيامة أو دعا لامته مطلقا من حج ومن لم يحج وهذا أولى بمقام الدعاء أ هـ .

- يوم عرفة أيضا هو اليوم الذى نزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » آية كريمة من كتاب الله تعالى وهى آخر ما نزل من القرآن الكريم تعلن المسلمين بما أسبغ الله عليهم من نعمة . وما أولاهم من منة بل هى أجل نعمة وأسبغ منة إذ هى اكمال الدين الإسلامى بكل ما يحتاجه الانسان فى تنظيم مجالات حياته ورضاه هذا الاسلام ديناً لهم فأحسن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ثانياً هذا الاعلان بوجوده المرفه أن أيام الرسول بينهم أصبحت قليلة ومعدودة حيث أنه قد أدى مهمته فيهم وبلغ رسالته اليهم فهو اذن الى الرفيق الاعلى وأخذته عبرة البكاء فيكى وكان الامر كما أحسن عمر اذ قد ورد أن الرسول انتقل الى الرفيق الاعلى بعد يوم عرفة بواحد وثمانين يوماً - تتضمن هذه الآية أمرين هامين فى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم - الاول - يأس الكافرين من احباط دعوته وهدم شريعته رغم ما بذلوه من محاولات وقاموا به من تحوطات واحتياطات وفى هذا أمن الدعوة الدينية وتمكينها من الوصول الى ما يشاء الله من انحاء العالم كله فما كان للكافرين أن يغلبوكم بعد اليوم فلا تخشوهم واخشون وهذه نعمة كبرى كانت موضع أمل الرسول ورجائه - الثانى - اكمال هذا الدين الإسلامى بمبادئه وأحكامه وتعاليمه وتسجيهاته لتصحيح العقيدة وتربية الفرد وبناء المجتمع وتنظيم السلوك العام للفرد والمجتمع الإسلامى فى هيئاته وجماعاته وله مع المجتمعات الاخرى الغير اسلامية وفى ذلك ضمان الحياة الطيبة والنهوض بالامة الى مراقى العزة والكرامة - روى البخارى أنه جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين

انكم تقرأون آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال - وأى آية هى قال - « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى » فقال عمر انى لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله حيث أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة وفى رواية ونحن جعلناه عيدين لا عيد يوم عرفة ويوم الجمعة . هذا هو يوم عرفة ببعض خصائصه وجليه مزياه له بين الايام منزلته وبتعاقب الاعوام تتكرر ذكره ويعطى ذكره وقد قيل أن يوم عرفة أفضل أيام الدنيا جميعاً حيث من الله فيه باكمال ديننا وإتمام النعمة بختم القرآن كتابنا ودستورنا كما أن ليلة القدر أفضل ليالى الدنيا جميعاً لأن فيها بدأ نزول هذا القرآن على نبيها فيوم عرفة وليلة القدر جديران بالعناية والرعاية واحياهما بما يليق بجلال المنعم فيها باكمال الدين ونزول القرآن الكريم من الخشية والعبودية الحقبة رجاء أن نحظى بجزاء الشاكرين - والله عز وجل بعد أن أنعم علينا بنزول القرآن أرشدنا الى طريق شكره على اسداء هذه النعمة وعلمنا كيف نشكره وبأى شيء نشكره اذ قال عز من قائل « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فصوم رمضان فريضة يؤدى بها شكر الله على نعمة نزول القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم دعائنا لصوم يوم عرفة كذلك وحث عليه ورغب فيه حتى قال ان صيامه يكفر السنة الماضية والباقية . من هذا نعلم أن الصوم هو الطريق الصحيح لشكر الله على ما أولانا من النعم أولاً وآخراً لذا أوجه نظر اخواننا المسلمين أن يعنوا بصوم هذا اليوم العظيم ويهتموا به اهتمامهم بصيام شهر رمضان وسيجزى الله الشاكرين .

ويوم عرفة هذا هو أحد الايام العشر الاولى من شهر ذى الحجة ونحن نقرأ فى سورة الفجر قوله تعالى « والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر » ذى أن الله تعالى اقسام بليال عشر وأطلق النص القرآنى تعيينها لم يعين شهرها ولا موضعها من الشهر لذا اختلفت آراء المفسرين فى تعيينها فمن قائل هى العشر الاولى من شهر ذى الحجة وقيل هى العشر الاولى من المحرم وقيل هى العشر الاواخر من شهر رمضان وبعضهم يرى أن من الخير اطلاقها من غير تعيين فهى ليلال عشر يعلمها الله تعالى ولها عنده شأن ولكل وجهة نظر فيما يرى ويبدو أن الرأى القائل أنها عشر ذى الحجة له وجاهته وهناك ما يبرره حيث ورد أن العمل فى أيام ذى الحجة أفضل من العمل فى غيرها ولانها أيام مغفولة بالتكبير والتحميد وأعمال الحج ولما فيها من ذكريات ابراهيم الخليل مع ولده اسماعيل ولأن فيها يوم عرفة الذى هو أفضل أيام الدنيا كما سبق فهى معالم الخير ومطمان الطماعة ومظهر العبودية وغراس القرية نلى الله تعالى وبهذا فهى جذيرة أن يقسم الله بها سيما وقد ورد فى فضل

[البقية ص ١١٧]



وحين فرغ الخليل إبراهيم من بناء البيت أوحى الله اليه ان يؤذن في الناس بالحج فقال يارب : ومن يبلغ صوتي ، فقال الله يا ابراهيم عليك الاذان وعلينا البلاغ . فاعتلى ابراهيم المقام ونادى بأعلى صوته (يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فسمعه من في السماء ومن في الارض حتى من في الاصلاب والارحام فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين حج مرتين) .

فله در اقوام دعاهم مولاهم لقربه فشدوا اليه الرجال ، وما استبعدوا في حبه بعيدا ، ولا استهلوا اموالا يرددون هذا النداء الذي يتجاوب صدها « اياك اللهم اياك ، لا شريك لك اياك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » فانت اياها الحاج قد لبيت نداء ربك ووقفت امام الكعبة المشرفة ضارعا الى الله ، شاكيا . يا كيا تسأله الرحمة والمغفرة وان الملائكة لتتلق هذا الدعاء وترفعه الى الله عاطرا طاهرا فيجاب لوقته . فقد ورد ان الله سبحانه يتجلى على الكعبة في كل يوم فيغفر للطائفين والعاكفين والركع السجود . بل يتعدى ذلك الى قبول دعائهم لغيرهم قال عليه الصلاة والسلام : (اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج) .

فكل من توجه الى الكعبة وتعلق بأستارها وظافت حولها بقلب سليم ونفس طاهرة من كل سوء بعيدة عن الرياء والسمعة الا كتبه الله من اهل الجنة وسعد بالخير في الدنيا ولعل هذا هو المعنى المقصود من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد ، وليس للحج المبرور ثواب الا الجنة) وروى ابن حبان عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ان الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة الا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة فاذا وقفوا بعرفات باهى الله بهم ملائكة السماء يقول : انظروا الى عبادي اتوني شعبنا غبرا اشهركم انى غفرت ذنوبهم وان كانت عند قطر السماء ، ورمل عالج ، واذا رمى الجمار لم يدن أحد ما له حتى يوفيه الله تعالى يوم القيامة ، واذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من راسه نور يوم القيامة ، واذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

هذا الفضل العظيم لمن حج لله فلم يرفث ولم يفسق ، وكان متجردا من كل زينة ، متطهرا من كل رجس مخلصا لله في قوله وعمله « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . وفي قوله سبحانه : « وآتوا الحج والعمرة لله » اشارة لطلب الاخلاص واليهد عن الرياء والاستعلاء والظهور فقد حج عليه الصلاة والسلام على رجل رث لا يساوى أربعة دراهم وهو يقول : (اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة) .

ويروي ان هارون الرشيد حج في بعض السنين في

أسرار الحج

في هذه الايام المباركة من كل عام تتوالى وفود الحجاج الى بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمانا ، فيه يجد المؤمن لذته حينما يشاهد أول بيت وضع للناس لأقامة منارة الهدي ، فتتراحم حوله الوفود من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقتضوا نفقتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .

وما من نبي من الانبياء الا حج هذا البيت : وما حج آدم عليه السلام قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون بهذا البيت منذ سبعة آلاف سنة قبلك . فطاف آدم بالبيت ، وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال : اللهم انك تعلم سرى وعلايتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما عندي فاعفر لي ذنوبي كلها فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، اللهم اني أسألك ايمانا يباشري قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي ، ورضيتني بقضائك .

فالوحي اليه يا آدم انك دعوتني بدعاء فاستجبت لك وما يدعوني به أحد من ذريتك الا استجبت له وغفرت له ذنوبه ، وانه الدنيا وهي راعمة وان كان لا يريد بها .

الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عزام

الغسل ويطيب بالحنوط ويلبث بكفن غير مخيط ، والمحرم أشعث أغبر لهفان ، وكذلك يخرج الإنسان من القبر حيرانا ، ووقوف الحجيج بعرفات خائفين من عقاب الله ، وطامعين في رحمته يذكركم بموقفهم في ساحة القيامة وهم ما بين شقى وسعيد والإفاحة من المزدلفة مذكرة بالسوق لفصل القضاء ، والمبيت بمنى يحرك قلوب المذنبين الى تمنى شفاعته الشافعين يوم الدين وحلق الرأس والتنظيف مذكرا بالخروج من السيئات بالغفران المطهر من الذنوب والبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا مذكرا بالجنة دار السلام . فان من دخلها آمن الفناء وسلم من الزوال وكما ان الكعبة حفت بمكراه السفر وأخطاره فكذلك الجنة حفت بمكراه النفس الباغية فبى تكره الطاعة وتميل الى المعصية .

فما أعظم هذه الفريضة ، وما أعذب وقعها على النفوس المؤمنة ، انها رحلة الحياة وطريق الفوز والسعادة والدخا من عذاب الله وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : أتانى جبريل فقال : ان الله عز لاهل عرفات ولاهل المشعر الحرام . فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله أهذا لنا خاصة لا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هذا لكم وإن أتى بعدكم الى يوم القيامة . فقال عمر : كثر خير الله وطالب .

فهنيئا لمن وفقه الله لاداء هذه الفريضة وهنيئا لمن فقه حكمة الحج وأدرك أن الاتفاق فى سبيله وأطعم الفقير والمسكين يحقق دعوة الخلق ابراهيم عليه السلام حيث قال : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى نزاع عند بيتك المدرم ، ربنا ليقبوا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعمهم يشكرون » .

وخير الناس أضعفهم للناس .

موكب عظيم وزينة ظاهرة والحراس يحيطون به يمينا وشمالا ، فمر على رجل من الاولياء يقال له بهلول وهو يعظ الناس فطلب منه الحراس أن يسكت حتى يمر أمير المؤمنين قأبى ، ولما وقع نظر بهلول على هارون الرشيد قال له ياهارون حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل وتحت رحل عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم ، ثم قال له هب أنك ملكك الارض كلها أو دان لك العباد . أليس غدا مصيرك جوف قبر ويحنون عليك القراب ؟

واذا كان لنا أن ندرك شيئا من أسرار الحج وأداء المناسك ، فمما لا شك فيه أنه يشتمل على حكم عالية ومقاصد سامية ، ففقه يتعارف المسلمون على اختلاف شعوبهم وأوطانهم فى مؤتمر اسلامى عظيم ، وأى مؤتمر يجمع من المسلمين ما يجمع الحج من الزائرين ويمكن أن يتخذ منه المسلمون مؤتمرا جامعا يجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم ، ويقف بهم فى وجه العدو صفا واحدا وقلبا واحدا وكلمة واحدة جهادا فى سبيل العقيدة ردفا عن الحرمات . وإن الظروف الراهنة التى يمر بها الوطن العربى والامة العربية لهى أكبر باعث على هذا المؤتمر الجامع ، وانه لامل منشود فى هذه الايام التى تعيش فيها البشرية فوق بركان مدمر يهدد الانسانية بالهلات والدمار .

وليس ذلك ببدع فى مؤتمر الحج فى السنة التاسعة ومى أول حجة فى الاسلام أرسل عليه الصلاة والسلام أبا بكر أميرا للحج ثم نزلت سورة براءة بالغاء المعاهدات التى عقدها الرسول مع قريش والتى طالما امتخف بها المشركون فبعث على بن أبى طالب ليقرأ على الناس هذه السورة وفيها أعلن على رضى الله عنه حكم رسول الله : لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

ويمكن أن يذكرنا غسل الاحرام وليس غير المخيط وتطيينه بنهاية الحياة حيث يوضع الانسان على سرير

بقية مقال «يوم عرفة»

هذه الايام أكثر من حديث - روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله عز وجل من هذه الايام يعنى الايام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشئ » وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أفضل أيام الدنيا العشر يعنى عشر ذى الحجة قيل ولا مثلهن فى سبيل الله - قال ولا مثلهن فى سبيل الله الا رجل عفر وجهه بالتراب » وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام أفضل عند الله ولا العمل فيهن أحب الى الله عز وجل من

هذه الايام يعنى العشر فاكثرها فيهن من التهليل والتسبيح وذكر الله وأن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة والعمل فيهن يضاعف سبعمائة ضعف » من خلال هذه الاحاديث النبوية الشريفة تلمس الدعوة الى العمل الصالح فى هذه الايام الفاضلة تدعو اليه بصورة تحفز الهمم وتستنهض النفوس للقيام بهذا العمل العظيم وأنى أهيب باخواننا المسلمين أن يستجيبوا لهذه الدعوة الفاضلة المؤيدة بالقرآن الكريم يدعو فى كثير من آياته الى العمل الصالح واعدا عليه بكل ما تنطع اليه النفوس الواعية الخيرة من حياة طيبة فى الدنيا ونعيم مقيم فى الآخرة لاسيما وقد ورد أن العمل فى هذه الايام أكثر أجرا وأجزل عطاء صيام يوم فيها بصيام سنة وأى عمل يضاعف سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء وهو ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق .

الحج

أركان الإسلام

الركن الخامس

الاستاذ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن

أن لله تبارك وتعالى في أيام
الدهر نفحات خصها بمزايا يجدر
بنا أن نتعرض لها ، ولنتزود من
خيرها حتى تعمير بالإيمان
قلوبنا ، وتشعر بالسكينة أفئدتنا .

إنها أيام تطرب لها النفوس
وتشتاق إليها الأرواح ، ومن هذه
الأيام الأشهر الحرم ، وهي : ذو
القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ،
ورجب ، وقد قال المولى سبحانه
عز وجل : « أن عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله
يوم خلق السموات والأرض منها
أربعة حرم » .

وإذا تأملنا في هذه الأشهر الحرم وجدنا أنها إما
وقت للحج ، مثل ذي الحجة وعودة للديار في المحرم ،
وأما ظرف لاداء العمرة ، مثل ذي القعدة ورجب ،
وكل من التوسكين فيه تعظيم لشعائر الله ، وإقرار
للسلام بين المسلمين ، وتحرير للناس من المخاوف
والأوهام ، وتطهير للقلوب من المعاصي والآثام .
والحج إلى بيت الله الحرام فرض عين بالإجماع ،
على كل مسلم حر بالغ عاقل يستطيع تأدية هذا
الغرض ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام ،
لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام
على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج
البيت ، وصوم رمضان » .

وهو فرض على المسلم والمسلمة في العمر مرة
واحدة ، وما زاد عن ذلك فهو نفل ، ويدل على ذلك ما
روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس :
قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فقال رجل : أفي
كل عام يا رسول الله ؟ . فسكت حتى قالها ثلاثا .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم
لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا أن
تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع .

غير أنه يسن الاكثار منه ومن العمرة تطوعا ، فقد
روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال النبي

وقد كانت هذه الأشهر مقدسة منذ الماضي البعيد ،
يستريح فيها الناس ، وتكون عليهم خيرا وبركة
وسلاما ، وأن كانت الأهواء قد لعبت بها حيناً من
الدهر ، فقد شاءت حكمة المولى العلي القدير أن
يستدير الزمن وتأخذ هذه الأشهر مكانها الصحيح في
عهد الدعوة الإسلامية ، ويعود يوم الحج الأكبر إلى
موعد الذي كان فيه منذ عهد سيدنا إبراهيم وسيدنا
إسماعيل عليهما السلام ، وهو العاشر من ذي
الحجة ، وفي ذلك يقول الرسول عليه أفضل الصلاة
وأزكى السلام : « أن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا
منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ورجب مضر » .

ويقال إن ذا القعدة قد سمي بهذا الاسم لقعودهم
فيه عن القتال ، وذا الحجة لانهم كانوا يحجون فيه ،
والمحرم لانهم كانوا يعودون فيه إلى بلادهم بعد الفراغ
من تأدية شعائر الحج ، ورجب لانهم كانوا يعتمرون
فيه من البلاد القريبة ، وقد اشتهر الرسول صلوات
الله وسلامه عليه أربع مرات : عمرة « الحديبية »
التي لم تتم وتحلل منها ورجع إلى « المدينة » ، وعمرة
القضاء في العام التالي ، وعمرة « الجعرانة » عام
الفتح - فتح مكة - حين قسم غنائم « حنين » ، وقيل
أنها كانت في آخر شوال ، والذي عليه الجمهور أنها
كانت في شهر ذي القعدة ، وعمرة « حجة الوداع » ،
كما أخبر بذلك النصوص الصحيحة .

□ ١٨ □

صلى الله عليه وسلم : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .
 وفى موسم الحج يجتمع المسلمون من شتى بقاع العالم على اختلاف سنتهم ، وجنسياتهم وأوطانهم فى مؤتمر عام عالمى لدراسة شئونهم ، وتبادل وجهات النظر فى الأمور التى تهمهم ، حتى يحققوا النصر والعزة لهم ولدينهم .

ويكفى انهم فى موقف لا يجدون فيه الا الحق ، ولا يشعرون الا بالتضرع والابتهال الى الله تبارك وتعالى ، أملا فى عونه ورجاء لغفرته ، وطمعا فى رحمته ، و « مكة » البلد الحرام ملتقاهم ، والكعبة مجتمعاتهم ، وهى أول بيت وضع للناس ، يقول المولى جلت حكمته : « أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدي للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، يعنى تبارك وتعالى أن من ترك الحج مع الاستطاعة فإن الله غنى عنه ، لأن الله عز وجل غنى عن العالمين ، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة « ومن كفر » بدلا من كلمة « ومن ترك الحج » للدلالة على شدة حرص الاسلام على أداء هذه الشعيرة .

يلتقى المسلمون لأداء فريضة الحج التى تجمع أركان الاسلام فى مناسكها ، ففيها صلاة وفيها صدقة ، وفيها الصيام فى فدية التقصير فى بعض الواجبات ، وفيها التوحيد فى التلبية ، بالإضافة الى ذلك نرى فيها مظاهر الجهاد ، من الاستعداد ومشقة السفر ، وتغيير الاجواء والمطعم والملبس والسكن ، وما يالقه الانسان من العادات ، وما يتقيد به الحاج من الامكنة والازمنة .

والحج هو الشعيرة الاسلامية الوحيدة التى لا تؤدى الا بصفة جماعية على هيئة مؤتمر عام عالمى ، والحكمة فى ذلك هى توجيه المسلمين الى اصلاح شئون دينهم ودنياهم وآخرتهم ، واجتماعهم صفا واحدا امام عدوهم ، وفى ذلك تأكيد لمهابتهم وتمكين لهم ، ونجد ذلك واضحا فى مظهرين : -

أولهما : ما يظهر به الحاج من التجرد من زخرف الدنيا ، والالتزام بطابع محدد فى اعتقاداته وأقواله وأفعاله ، والتخلى عن كل ما خالطه امتيازات جنسية أو طبقية أو نظم اجتماعية أو فكرية تبعده عن الفطرة السليمة ، أو تحول بينه وبين الاندماج فى مجتمعه ، فالحاج ان كان غنيا أو صاحب جاه أو سلطان فإنه يتجرد فى حجه من كل ذلك ، ويكون كغيره من الالاف والملايين الذين يؤدون معه هذه الفريضة ، وان كان فقيرا أو رقيقا مستضعفا فإنه يتحرر من أغلال الفقر والعبودية ، ولا يجد فضلا للغنى أو للسيد عليه ، ولا يرى الاسود الابيض أعلى منه الا بالتقوى والعمل الصالح ، وتحقيق الخير للمجتمع الانسانى ، وبذلك تتحرر الملايين حين يخلع المتجبرون أثواب

الزيف والتضليل ، ويظهرون على حقيقتهم ، وهنا يستيقظ ضمير الانسان ويشعر بالمعانى الحقيقية لوجوده وانسانيته ، فى مجتمع تتكافأ فيه الفرص فى الحقوق والواجبات .

ثانيهما : الصررة الكاملة للتوحيد فى الفكر والقول والعمل والحقوق والواجبات ، فتقبل النفوس على دعوة التوحيد فى ظل المبادئ الانسانية ، وتلقى فى رحابها لتأخذ منها بقدر ما تعطى بلا استثناء ولا احتكار ، ولا حسد ولا حقد ، ولا ضلال ولا شقاء وفى الحج يعرض المسلمون ما عندهم من التجارب والمعارف والقوة ، ثم يستعرضون ما نزل ببعض الامم من العزلة والتخلف ، وما أصاب الجماهير من الضعف على أيدي الطغاة والمستعمرين ، ويتبادلون الاراء فى كيفية اصلاح حالهم والوصول الى ما يرجونه من تقدم ورقى ، وهذه هى مظاهر الوحدة التى خص الله تبارك وتعالى بها هذه الامة التى كانت خير أمة أخرجت للناس .

كيف حج رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ابن القيم : « لا خلاف أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة هى حجة الوداع ، ولا خلاف فى أنها كانت سنة عشر » ، وقال : « لما نزل فرض الحج بادر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الحج من غير تأخير ، فان فرض الحج كان سنة تسع أو عشر ، وقيل : فرض الحج فى السنة السادسة » .

وفى موسم الحج من السنة التاسعة من الهجرة اجتمع المسلمون والمشركون حول الكعبة يؤدون مناسك الحج كل حسب دينه ، وفى ذلك الوقت نزل القرآن الكريم فى أول سورة التوبة بتحديد موقف المسلمين من المشركين فى « الجزيرة العربية » ووضع الحد الفاصل بين الفريقين ، فقال سبحانه عز من قائل : « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزي الله ، وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين . فاذا انسلكم الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم . وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين » .

وفى تلك السنة كان أبو بكر رضى الله عنه أميراً على الحج ، فلما نزلت هذه الآيات أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقال له : « اذهب بهذه القصّة من سورة براءة واذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا فى منى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله فهو الى مدته » .

فركب على ناقّة الرسول صلى الله عليه وسلم وأدرك أبا بكر فى الطريق ، فلما رآه أبو بكر قال له : أمير أو مأمور ؟ . فقال له على : بل مأمور . ثم فعل ما أمره به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يحج أحد من المشركين بعد ذلك العام .

ثم خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدد كبير من المسلمين ، حتى اذا بلغ « ذا الحليفة » صلى فى المسجد ثم ركب ناقته ، وأهل به رفع صوته - بالتوحيد : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » فلما وصل الى البيت الحرام استلم الركن ، ثم رمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم أتى مقام إبراهيم فتلا قول الله عز وجل : « **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** » ، وجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين ، قرأ فيهما سورة « الاخلاص » وسورة « الكافرون » ، بعد الفاتحة ، ثم عاد الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى « الصفا » ، ولما قرب منه تلا قول المولى تبارك وتعالى : « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » ، وقال : « **أبدأ بما بدأ الله به** » ، وصعد « الصفا » حتى رأى البيت فاستقبل القبلة وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . لا اله الا الله وحده . أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم دعا بين كل ذلك ، قال مثل ذلك ثلاث مرات ، ثم نزل الى « المروة » ففعل مثل ما فعل على « الصفا » حتى اذا كان فى آخر طوافه على « المروة » قال : « لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة » ، فقال سراقه بن مالك رضى الله عنه : « يا رسول الله : العامنا هذا أم لا بد ؟ » فشبك الرسول صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : « دخلت العمرة فى الحج مرتين ، لا ، بل لا بد أبد » .

وجاء على رضى الله عنه بابل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضى الله عنها قد أحلت وليست ثياباً مصبوغة واكتحلت ، فلما سألها عن ذلك قالت : « ان أبى أمرنى بهذا » ، فأنكر على عليها وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره ، فقال له الرسول الكريم : « صدقت صدقت » .

□ ١٢٠ □

وفى يوم « التروية » - وهو الثامن من ذى الحجة - توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى « منى » وقد اهل الذين تطلوا معه بالحج ، وركب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبّة من شعر تضرب له بب « نمرة » ، ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعتقدت « قريش » أنه لابد واقف عند المشعر الحرام كما كانت تصنع فى الجاهلية ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يقف بب « المزدلفة » ، بل اجتازها حتى أتى « عرفة » فوجد القبّة قد ضربت له بب « نمرة » فنزل بها ، وانتظر بها حتى أذنت الشمس بالغيب ، فرحل ووصل الى بطن الوادى - وادى عرفة - ، فخطب فى المسلمين قائلاً : -

« أيها الناس : اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . »

أيها الناس : ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان .

أى شهر هذا ؟ ليس ذا الحجة ؟ . قالوا : بلى . قال : فانى بلد هذا ؟ ليس البلد الحرام ؟ . قالوا : بلى . قال : فانى يوم هذا ؟ ليس يوم النحر ؟ . قالوا : بلى . قال : فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، الا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض ، الا فليبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ، الا هل بلغت ؟ الا هل بلغت ؟ فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع - مهدر - ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون - قضى الله أنه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب - عم النبى - موضوع كله ، وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب - ابن عم النبى .

أما بعد ، أيها الناس : فان الشيطان قد يشس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه أن يطع فيها سوى ذلك ، فقد رضى بما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس : « انما النسء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونهم عاماً ، ويحرمونه عاماً ، ليوأطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله » .

أما بعد ، أيها الناس : فان لكم على نساءكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحداً غيركم تكرهونه وعليهن ان لا يأتين بفاحشة مبينة

فان فعلن ، فسان الله قد اذن لكم ان تهجروهن في المضاجع ، وان تضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

أيها الناس : استوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، فاعقلوا - أيها الناس قولي - ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما أن اعصمتم به فلن تضلوا : كتاب الله ، وسنة رسوله .

أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرئء مال أخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس ماله ، فلا تظلمون أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ . فقال الناس من كل مكان : نعم . فقال : اللهم اشهد . ونزل عن ناقته .

ثم اذن ثم اقام فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصل شيئا بينهما ، ثم ركب حتى أتى الموقف واستقبل القبلة ، وأخذ يبتهل الى الله عز وجل بالدعاء الى غروب الشمس ، وقال على كرم الله وجهه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أكثر دعاء من كان قبلي من الانبياء ودعائي يوم عرفة أن أقول : لا اله الا الله وحده . لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . اللهم اجعل في بصري نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي قلبي نورا . اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري . اللهم اني أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الامر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بسوائق الدهر » .

وبعد ذلك انطلق عليه افضل الصلاة وأزكى السلام الى « المزدلفة » حيث صلى المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ، ثم اضطجع الى ان قام وصلى الفجر بأذان وإقامة ، ثم ركب ناقته الى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة واخذ يدعو ويهلل ويكبر ، وظل واقفا الى أن أسفر الصبح ، فانطلق قبل الشروق الى أن بلغ « بطن محسر » فأسرع فيها ، لان هلاك أصحاب الفيل كان بها . وسلك الطريق الوسطى التي توصل الى الجمرة الكبرى ، فرماها بسبع حصيات ، وكبر مع كل

حصاة ، ثم أتى الى المنحرف فحرف ثلاثا وستين بدنة ، ثم أحضر الحلاق - معمر بن عبد الله - وقال له : وهو يحلق شعره بالموسى : « يا معمر : أمكنك رسول الله من شحمة اذنه وفي يدك الموسى » فقال معمر : اما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعمة الله علي ، قال : « أجل » ، وحلق الرسول صلى الله عليه وسلم شعر رأسه ، وحلق كثيرون من الصحابة وقصر آخرون ، وقد دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه للمقصرين بالمغفرة مرة واحدة ، وللمحلقين ثلاثا .

ثم ركب الرسول صلى الله عليه وسلم فأفاض الى البيت وطاف طواف الإفاضة ، وشرب من « زمزم » وصلى الظهر ، ثم عاد الى « منى » فبات بها ، وفي الصباح انتظر الى زوال الشمس ، ثم مشى من رحله الى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الاولى التي تلى مسجد « الخيف » فرماها بسبع حصيات ، وكبر عند كل حصاة ، ثم دعا دعاء طويلا وهو مستقبل القبلة ، ثم فعل مثل ذلك عند الجمرة الوسطى ، ثم استقبل القبلة ودعا قريبا من وقوفه الاول ، ثم أتى الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة ، فاستبطن الوادي واستعرض الجمرة ، فجعل البيت عن يساره و « منى » عن يمينه فرماها بسبع حصيات أيضا ، ثم عاد من فورده وألقى خطبتين بد « منى » ، أولاها يوم النحر ، والاخرى في اليوم التالي ، مبينا للمسلمين ما يستقبلونه من المناسك ، وييسر عليهم الامر ، فيقول لساأله : « افعل ولا حرج » .

وتتم الايام المعدودة ، في ذكر وشهود منافع مجالى عبادته ومواقف سعادته ، ويودع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أصحابه فيقول لهم : « لعلى ! القاكم بعد عامي هذا » .

وبعد ، فهذه نبذة قصيرة عن الحج ، المنحة الربانية الطاهرة السامية ، يدفعها الخالق تبارك وتعالى الينا في سماحة ، لتطهير أرواحنا من أردان النفس الامارة بالسوء ، حتى تعود مرة أخرى الى الطريق المستقيم ، طريق الله عز وجل .

وفقنا الله تعالى الى زيارة بيته الحرام ، وزيارة رسوله صلى الله عليه وسلم ، انه سميع قريب مجيب الدعوات رب العالمين .



مسلم محتاجا الى هذه الصفات في حياته كان فرضا على المستطيع من الناس أن يحج بيت الله الحرام يحقق هذه المكاسب .
والله ، تبارك وتعالى ، خص الحج بأنه له سبحانه بقوله « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

٢ - « .. الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عذ المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » البقرة -

وفيما يلي نورد تفسير بعض كلمات هذه الآيات الكريمة :

فسوق : معصية .

جدال : مجادلة تورث المخاصمة وتغير القلوب .

جناح : اثم .

أن تبتغوا فضلا من ربكم أى تطلبوا ربحا بتجارة أو غيرها ما دام القصد الاول هو الحج .

أفضتم : نزلتم بعد الغروب .

المشعر الحرام : جبل بمزدلفة .

٣ - « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقرضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » الحج .

وفيما يلي تفسير بعض كلمات هذه الآيات البينات :

بوأنا : أى جعلناه له مرجعا يأوى اليه .

رجالا : جبع راجل وهو الماشى على قدميه .

الفج : الطريق .

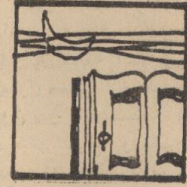
منافع لهم : المنافع التى يشهد بها الحجاج - من تجارة وغيرها - ومنافع عامة جامعة تشكل كل منفعة دينية ودنيوية ، مادية ومعنوية ، سياسية واقتصادية ، ثقافية واجتماعية ، وغيرها .

٤ - « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم » المائدة .

ومعنى قياما للناس أى سببا لقيام مصالح الناس الذين يجاورون البيت الحرام أو يحجون اليه .

وخير الكلام بعد كلام الله تعالى هو كلام رسوله ، صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الرسول الكريم الحج فى كثير من أحاديثه النبوية الشريفة . ومن هذه الأحاديث ما يلى :



خير ما قيل فى الحج ..

المستشار
عبد الستار آدم

خير الكلام وأفضله وأحسنه كلام الله ، جل ثناؤه وعلا شأنه .
وقد ذكر الحج فى كثير من آيات الله البينات ، ومن سور القرآن الكريم سورة الحج .
وفيما يلي بعض هذه الآيات :

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - « أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » (١) .

بينت هذه الآية - بصيغة التأكيد - أن أول بيت رفعت قواعده وشيد للناس هو البيت الحرام فى مكة . وقد خصه الله ، سبحانه وتعالى ، بثلاث صفات : هى البركة والهداية والامن . ولما كان كل

□ ١٢٧ □

روى مسلم عن ابن عباس قال :

حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سبيل الموت ، فبكى طويلا وقال فى حديثه :

« ... فلما جعل الله الاسلام فى قلبى أثبت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : أبسط يمينك أبايك ، فبسط يده ، فقبضت يدي ، فقال : مالك يا عمرو ؟ .. قلت : أردت أن أشتري .. قال : تشتري ماذا ؟ .. قلت : أن يغفر لى .. قال : أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ »

والحج ركن من أركان الاسلام .. يقول رسول الله ، صلوات الله وسلامه وتحياته عليه :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . »

وقد أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بتعجيل أداء فريضة الحج بقوله :

« من أراد الحج فليتعجل ، فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة . »

أى لأن المرء لا يدري ما تأتى به الايام ، فان السليم قد يمرض فيعوقه المرض عن فريضة الحج ، والغنى قد يفتقر ، والراحلة قد يفقدها صاحبها فلا يجد ما يحج به .

ومن خير ما قيل فى الحج - بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، قول بعض الحكماء :

« الحج تربية لقيمة المساواة ، وتعويد للمسلم على الحياة الجادة . »

« الحج نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العملى على مجاهدة النفس من أجل الوصول الى المثل الاعلى الذى ينشده الانسان الفاضل فى هذه الحياة »

« ان هذه التجمعات التى تتحقق فى الحج تعتبر مؤتمرا جامعاً للمسلمين يحفزهم الى وحدة صفوفهم ، ووحدرة أهدافهم ، حتى اذا ما عادوا الى بلادهم لا ينسى فرد منهم اخوته من الاقطار الاخرى مهما تكن نائية ... »

نسأل الله تعالى أن يهئ السبيل لكل مسلم لأداء فريضة الحج ، وأن يعينه على القيام بمناسكه . كما نسأله ، جل وعلا ، أن يلقى فى نفوسنا جميعا تعظيم بيته ونور حضرته .

وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

« ان هذا البيت (يقصد البيت الحرام) دعامة من دعائم الاسلام : فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وان رده الى أهله رده باجر وغنيمة . »

« الحجاج والعمار (أى المعتمرين) وفد الله وزواره ، ان سألوه أعطاهم ، وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوا استجيب لهم ، وان شفّعوا شفّعوا . »
« أفضل الاعمال عند الله تعالى : ايمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور . »

والحج المبرور هو الخالص لله رب العالمين لا تشوبه محصية ، ولا يخالطه ذنب .

« انما فرضت الصلاة ، وأمر بالحج ، وأشعرت المناسك لأقامة ذكر الله . »

وبين هذا الحديث حكمة الحج : وهى ربط العبد بخالقه .

« من جاء حاجا يريد وجه الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويتشفع فيمن دعا له . »

« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة . »

« ان للحاج عندما يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه خطيئته ، فاذا وقف بعرفة فان الله ، عز وجل ، ينزل الى سماء الدنيا فيقول :

انظروا الى عبادى أتوني شعثا غبرا ، أشهدكم انى قد غفرت لهم ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ، وان رمى الجبال لا يدري أحد ماله حتى يتوفاه يوم القيامة ، واذا حلق رأسه قلبه بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، فاذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . »

كيوم ولدته أمه : أى مبرءا من الخطايا والذنوب « ما راح مسلم فى سبيل الله مجاهدا أو حاجا ، مهلا أو ملييا ، الا غربت الشمس بذنوبه وخرج منها . »

عن أبى هريرة ، رضى الله تعالى عنه ، قال :

سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

أى الاعمال أفضل ؟

قال ، صلوات الله وسلامه وتحياته عليه :

« ايمان بالله ورسوله . »

قيل : ثم ماذا ؟

قال : الجهاد فى سبيل الله .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور .

وروى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه . »



رسالة إلى حجاج بيت الله

الأستاذ عبد الحكيم التجار

إن الحج من المؤتمرات الإسلامية القومية .. التي تتكرر كل عام على مدار التاريخ .. ويجب علينا في هذا العام بعد أن دخلنا معركة الحق لأعزاز الأوطان وتحريرها بقوة الإيمان والعتاد .. وبعد أن شرح الله صدورنا لهذا الفتح الجديد لتجديد الطاقات العربية الهائلة .. ورأينا هذا الحشد الكبير لقوة الأمة العربية التي أصبحت لها أثرها الفعال في تقدم العرب والمسلمين وجب على العرب معالجة جميع قضاياهم ودراسة خططهم المختلفة لفرض قوتهم وعزمهم وبأسهم في دنيا العزة والكرامة .. وفي مؤتمراتهم الكبير .. وفي هذا الشهر يهرع آلاف المسلمين من شتى أنحاء العالم .. إلى أداء هذه الفريضة .. التي هي الركن الخامس من أركان الإسلام الخالد .. حيث يقول ربنا تبارك وتعالى (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)

وفي هذا المعنى يحترم الإسلام المعاهدات المتكافئة التي تفتد بشرف وإخلاص .. أما المعاهدات التي تفرض على المسلمين الهوان والضعف فيجب تركها ..

تمسك من أجل الحق

وفي السنة العاشرة شهد يوم عرفة موتفا من أجل المواقف في تاريخ الإنسانية كلها .. فقد حج النبي عليه الصلاة والسلام في هذا العام حجة الوداع .. وألقى خطبته المشهورة .. في تمسك المسلمين بدينهم .. وتعليمهم حماية الدماء والأموال والأعراض .. وتذكيرهم بحقوقهم والسبيل الصحيح لكرامة المجتمع الإنساني .. وإعلان أن الناس سواء على اختلاف الأجناس والألوان .. فليس للتفرقة العنصرية مكان في أرض الإسلام .. ويعلن في هذا اليوم التاريخي .. أن يوم عرفة في تقاليد الإسلام .. ليس يوم عبادة فردية فقط .. ولكنه يوم عبادة اجتماعية لحماية الأمة الإسلامية من أعدائها وتحذيرهم من مؤامرات الخصوم ودسائس الشيطان وشذاذ الافاق ..

إن الحج عبادة اجتماعية رائعة واسعة شاسعة .. يتلاقى فيها المسلمون لتصنيفية أنفسهم ومجتمعهم وترقية أخلاقهم وأوضاعهم وأحوالهم العامة .. كما أنه مظهر رائع للسلوك الديني والسياسي غابته تكبير الله ، والتعاون على طاعته والطلاقى على نصرته الحق وبذل النفس والنفس في

والواقع أن جماهير الحجاج في الموقف الخاشع لا ينصرفون إلا وقد غابت الشمس بذنوبهم وظفروا بهرصة ربههم « واني لأغار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وأن يوم عرفة ليس لطلب المغفرة فقط .. وليس للعبادة الفردية الخاصة ثم ينصرف المسلم وهو لا يعرف شيئا عن دينه وعن حاضره وعن مستقبله .. كلا ..

إن الناظر في تاريخ الإسلام يرى أن المؤتمر الذي يعقد في وقت عرفة .. والذي يحتشد فيه مئات الآلاف من مسلمي القارات الثلاث .. هذا الاجتماع يجب ألا ينزك دون تحرك روحي وسياسي .. ونستغله لمصلحة الأمة الكبيرة .. ونحوه إلى حشد هائل خطير النتائج .. كما حدث في عهد صاحب التشريع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ففي السنة التاسعة من الهجرة نزلت سورة براءة .. وفيها إلغاء للمعاهدات التي كانت معقودة بين المسلمين وأهل مكة .. وقد أرسل الرسول الكريم بهذه السورة إلى الإمام علي بن أبي طالب ليقرأها على الحجاج .. ويطوف بها في أرجاء الموسم الجامع ويحدد بها موقف المسلمين من أعدائهم الذين كانوا يعبثون بالعهود ويستهنئون بالمسلمين ويتربصون الدوائر بالرسالة وصاحبها ..

وفي هذه السورة يقول جل شأنه « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين »

سبيل اعلاء روح الاسلام وتحرير الارض وصيانة الحق ..
قالى هذه النواكب الاسلامية المؤمنة .. اقدم صورة
لناسك الحج وكيف تؤديها .. مع حج مبرور بمشيئة
الله ..

الاحرام

كل مقبل على أداء فريضة الحج بالطائفة عليه أن يحرم في بيته ..
أما إذا كان بالباخرة بأذن الله .. فساغتسل قبل (رايغ) وأزل شعرك وقلم أظفرك وشاربك ثم اغتسل وأحرم وانتعل واكشف رأسك (رايغ) ميقات أهل المغرب ومصر والشام ، أما ميقات أهل العراق فذات عرق (فرية ذات جبل مشرف على وادي العتيق)
وميقات أهل اليمن والهند جبل من جبال تهامة اسمه (يلهم) أما ميقات أهل المدينة فذو الحليفة .. على قرابة خمسة أميال من المدينة .. وهذه المواقيت لأهل هذه الجهات .. ولكل من مر بها أو حتى حاذها وإن لم يكن من أبناء جهاتها أن يحرم منها ..
وعندما تصل إلى « مكة » توضعاً وطف ممرات بالكعبة مبتدئاً في كل شوط بالحجر الأسود جاعلاً الكعبة إلى يسارك .. والمس الركن اليماني في كل مرة .. وقبل الحجر الأسود معتقداً أنه حجر لا يضر ولا ينفع .. وهو حجر ضيق لوزة أسود مشرب بحمرة قطره حوالي ٢٠ سنتيمتراً .. ويحيط به طائر بيضاوي من الفضة ..

بئر زمزم

ثم أدخل البيت العتيق .. من باب السلام واتجه لمقام إبراهيم وبعد أن تصلى ركعتين في مقام إبراهيم .. تقصد إلى بئر زمزم فتشرب من مائها وتقول « اللهم اني أسألك علماً نافعا ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء .. وزمزم بئر اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .. ثم تستلم الحجر الأسود ثانية وتردد الدعاء المأثور « اللهم أنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي فأغفر لي ذنبي .. وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي .. »

السعي بين الصفا والمروة

وعندما تبدأ السعي بين الصفا والمروة .. ادع بما تشاء من طيب الدعاء .. وأبدأ بما بدأ به الله ورسوله « ان الصفا والمروة من شعائر الله .. فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ، وثنية السعي أن تقول « اللهم اني أريد أن أسعى بين الصفا والمروة سبع مرات على أن تسرع في كل مرة بين العمودين الاخضرين .. »

وإذا كنت محرماً للعمرة فقط فيمكنك أن تفك احرامك بأن تحلق شعر رأسك أو تقصره .. ثم تذهب إلى البيت المخصص لك في « مكة » حيث تخلع ملابس الاحرام وترتدي الزي العادي ..
وفي الثاني من شهر ذي الحجة عد إلى الاحرام بأن

تغتسل وتصلّي ركعتين وتتنوى الاحرام للحج « اللهم اني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني » إلى غير ذلك من الادعية المختارة .. ثم تتجه إلى منى وتظل هناك لفجر عرفات ..

يوم عرفات

وعليك عنما تطلع شمس يوم عرفات أن تتجه إلى جبل عرفات وتقول عند دخولك إليه وأنت ذاكرة الله مستغفراً منيها ..
« اللهم اجعلني ممن تباهى به اليوم ملائكتك ، أنك على كل شيء قدير » ..
ويفضل أن تقف بالقرب من جبل الرحمة وتتلو دعاء الوقوف بعرفة .. ووقت الوقوف يبدأ من وقت زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة ، وينتهي بطول فجر يوم العيد ..
وبمضي الحاج اليوم التاسع في عرفات .. وعند أذان الظهر يصلى الظهر والعصر معا جمع تقديم ..

المشعر الحرام

وعندما ينادى بالاقاضة والنزول من عرفات .. اتجه إلى المزدلفة حيث يقع مسجد « المشعر الحرام » وصل المغرب والعشاء جمع تأخير ..
 واجمع من المزدلفة ٧١ حصاة إذا أردت أن تمكث بمنى أربعة أيام ، أو ٢٩ حصاة إذا أردت أن تمكث بها ثلاثة أيام ..
وفي الفجر قف بالمشعر الحرام مستقبلاً القبلة داعياً :

اللهم كما وفقتنا فيه وآريتنا إياه فوفقنا لذكرك .. كما هديتنا واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك وقولك الحق : « فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لئن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله عفون رحيم » وهناك أدعية كثيرة أخرى ..

رمي الحجار

ثم سر عند اقتراب الشمس من الظهور إلى منى لكي تصل إليها بعد طلوع الشمس ليوم العيد بقليل .. وهناك تسرع في رمي جمرة العقبة ، وهي سبع من الحصوات التي جمعتها من المزدلفة ، ويستمر الرمي إلى وقت الزوال ثم اذهب ما معك من الهدى ووزعه على الفقراء والمساكين .. عليك أن تبث ليلتين لترمي بقية الحجار ..

طواف الافاضة

وعليك أن تعود إلى مكة ، لكي تطوف طواف الافاضة سبع مرات .. ثم أسع بين الصفا والمروة سبعة .. ان كان سعيك السابعة عن الخمسة فقط أما إذا كان سعيك الاول عن الحج وحده .. أو عن الحج والعمرة فليست مكلفاً بالسعي ، وإذا أردت الخروج من مكة فعليك أن تطوف بالكعبة طواف الوداع .. قائلًا « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك

البقيّة ص ١٢٨

□ ١٢٥ □

مع أنبياء الأنبياء .. إبراهيم عليه السلام

في مثل هذه الأيام يتوجه المسلمون الذين صفت نفوسهم وآتاهم الله تقواهم إلى بيت الله الحرام في رحلة مباركة تعانقت فيها الأرواح مع الأجسام واجتمعت القلوب على الأخلص لله رب العالمين والحج الذي هو أحد دعائم الإسلام الخمس مؤتمرا إسلامي جامع يتعارف فيه أبناء الأقطار المختلفة مهما تباعدت بيوتهم الديار ليتبادلوا المنافع ويقبلوا الرأي الذي يسعدهم في دينهم ودنياهم ويوحد بين أهدافهم ويؤلف بين قلوبهم سنل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أي الأعمال أفضل - قال إيمان بالله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور - رواد البخاري ومسلم وروى عن ابن شماسية رضي الله عنه قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سبائك الموت فبكى طويلا وقال فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أبسط يمينك لإيبيك فبسط يده فقبضت يدي فقال مالك يا عمرو قال أردت أن أشترط قال تشترط ماذا قال أن يغفر لي فقال أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله ، رواد ابن خزيمة في صحيحه هكذا ورواه مسلم وغيره أطول منه .

فريضة الحج

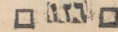
محمد رسول الله

تشير إلى أنه كان لاهل بابل آلهة متعددة ثم تلاشت وأصبحت كلا مجسمة في معبودهم الأكبر - مزدك - وكان الملوك يعتقدون أنهم بتقريبهم إلى هذه الآلهة ينالون الغفران .

في هذه البيئة التي انتشرت فيها الوثنية وضل قومها الطريق السوي وبعثوا عن صراط الله قام إبراهيم وقد آتاه الله رشده والهمة نفاذ البصيرة وقوة الحجة وكمال المنطق - يدعو إلى الله على بصيرة موجها قومه إلى عبادة الله الواحد الاحد الفرد الصمد ، الذي له في كل شيء آية تدل على أنه الواحد قص القرآن المجيد قوام دعوة إبراهيم بقوله [ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم ولآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجبنا بالحق إنا أنتم من اللاعبيين قال رب ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين] كما أوضح لهم ما آفاه الله عليه من صفاء العقيدة وسلامة الفطرة قص القرآن ذلك بقوله [قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فأنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين] .

وحسب الحاج والعمار أنهم في ضيافة رب العالمين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [الحج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم] رواد النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان - والحديث عن فريضة الحج يذكرنا بأبي الانبياء إبراهيم عليه السلام فقد تحدث القرآن بأنه وولده اسماعيل عليهما السلام رفعا قواعد البيت [واذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم] .

وما أحوجا أن نقف معه وقفة تأمل لنستخلص من حياته الطيبة العظيمة والعبرة والاسوة الحسنة ولإبراهيم عليه السلام منزلة سامية رفيعة لدى معتققي الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام فهو من أولى العزم من الرسل الذي جاهد في سبيل تثبيت العقيدة الصحيحة عن إيمان ثابت ونفس كبيرة فلم يتطرق إليه الوهن ولم تثن قناته ولم تضعف عزيمته أمام ما لاقى من صنوف الكيد بل صبر وصابر واحتمل وجاهد وكان مثالا يحتذى ولد أبو الانبياء ببابل وهي بين دجلة والفرات - وكان مولده في عهد الملك نمرود بن كنعان بن كوش والمصادر المختلفة



ولقد كانت دعوة ابراهيم عامة لقومه جميعا لتكون
 ذا أثر إيجابي فكان له مع أبيه حوار ولقد كان يبحث
 الاصنام ويبيعها أبان ابراهيم لأبيه فساد عقيدته وأنه
 حريص على نفعه ليلقى الله وهو مؤمن به غلبت على
 أبيه شقوته ولم يهتد الى معالم الحق والى هذا الحوار
 يشير القرآن الكريم [واذكر في الكتاب ابراهيم انه
 كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع
 ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت اني قد جاءني من
 العلم ما لم ياتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا
 تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت
 اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون
 للشيطان وليا قال أرغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن
 لم تنته لأرجمك واهجرني مليا قال سلام عليك
 ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا واعتز لكم وما
 تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء
 ربى شقيا] وحيال جحود القوم بيت ابراهيم لدولة
 أصنامهم أمرا فهدأهمم انه نظر فى النجوم فعلم أنه
 سقيم وذلك ليتخلف عن المسير معهم فى اليوم الذى
 تعودوه أن يروحوا عن أنفسهم فيه فتركوه وشأنه ولما
 خلا له الجرح موى على معبوداتهم وجعلها قطعاً
 صغيرة الاكبراء لهم ليكون شاهداً على فساد عقيدتهم
 واختلال تفكيرهم وحينما عادوا من رحلتهم وجدوا أن
 دولة أوثانهم قد تهافت ففسادوا من فعل هذا بالهتهم
 التى تعلقت بها آمالهم فهم يرجون منها الخير
 ويدفعون بها الشر وبعد حوار مع ابراهيم نسبوا اليه
 أنه الذى أطاح بالهتهم وأخيراً اجمعوا على أن
 يحرقوه بالنار ليبردوا عن أنفسهم غلة الحقد والجسد
 ولقد تسابقوا فى جمع الحطب حتى أن المرأة تنذر عند
 الوضع أن تجمع حطباً لتسهم فى احراق ابى الانبياء
 ونتيجة لهذا الحكم الطائش القى ابراهيم فى النار
 وتعلقت قدرة الله أن تكون برداً وسلاماً ولم تحرق الا
 الوثاق الذى شد به لان الله أراد له أن يكون حراً
 خارج النار ودأخلها ولقد كان ابراهيم ثابت القلب
 رضى النفس هادئ البال لم يرهب أوار النار وتأججها
 إيماناً بأن قدرة الله فوق تدبيرهم فهو يتسولى
 الصالحين من عبادته بالرعاية والعناية وتذكر بعض
 المصادر التاريخية أن ابراهيم وهو متوجه الى النار
 أرسل الله اليه ملكاً يسأله حاجته فقال أما اليك فلا
 وأما الى الله فنعن فقال له الملك وما حاجتك الى الله
 قال عليه بحالى يغنيه عن سؤالى هذا الابتلاء لم يزد
 ابراهيم الا إيماناً بدعوته وتعميد الطريق أمامها
 مستعيناً بالله وما اتسم به من سعة الحنم وكظم الغيظ
 فقد أقام الدليل المحسوس على فساد معتقداتهم على
 أى نوع كانت وما هذه المعتقدات الا خرافة موروثه عن
 الاباء وانهم انساقوا فى تقليدهم كتقليد القرود لا روية
 فيه ولا بصيرة والقرآن المجيد يشير الى موقف
 ابراهيم من قومه حينما ضموا الى تقديس أصنامهم
 عبادة الشمس والقمر والنجوم [وكذلك نرى ابراهيم
 ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما

جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا
 أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما
 أفل قال لئن لم يهتدى ربى لأكونن من القوم الضالين
 فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما
 أفلت قال يا قوم انى يرى مما تشركون انى وجهت
 وجهى لنذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من
 المشركين]

وبعد هذا الحوار نرى ابراهيم يبدأ جولة أخرى مع
 الملك نمرود الذى ادعى الألوهية أرسل هذا الملك الى
 نبى الله ابراهيم ولما تواجعا كان بينهما هذا الحوار
 فقد سأل الملك ابراهيم عن ربه فكان الجواب أن ربه
 الذى يحيى ويميت فقال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم
 فان الله يأتى بالشمس من المشرق مات بها من المغرب
 فبهت الذى كفر والقى عصاه وأفسس فى آخر الشوط .
 ولما عاد حبل الرجاء بألبا ولم تؤت الدعوة أكلها
 فى قومه ترك هذه الديار التى بعدت عن رحاب الله
 وهاجر الى بلاد الشام والتى كان يطلق عليها أرض
 كنعان وبعد هذا الجهاد تالقت نفس ابراهيم الى الولد
 ليكون امتداداً لحبته واتصالاً لدعوته فتوجه الى الله
 قائلاً [رب هب لى من الصالحين] استجاب الله
 الدعاء وحقق الرجاء ووهبه الله اسماعيل من زوجته
 هاجر التى وهبها اياه زوجها سارة التى ما كان
 يرجى منها الولد لتقدم سنهما ولقد أثر أن سارة طلبت
 من ابراهيم أن يتخذ للغلام واهمه مكاناً قصياً عنها
 فاستقر بها المقام فى مكة واستودع الله اسماعيل
 وأمه فى هذا المكان الذى لا أنيس فيه ولا جليس
 وحسبه مناجاته لربه [ربنا انى أسكنت من ذريتى
 بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
 الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم
 من الثمرات لعلهم يشكرون - ربنا انك تعلم ما نخفى
 وما نعلن وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا
 فى السماء] توالى الشهور ومرت السنون واستقام
 عود اسماعيل ورأى فيه ابراهيم انس حسه واطمئنان
 خاطره ورأى الدنيا أمامه مشرقة والسعادة تحفه هذا
 الانس وتلك البهجة ما لبثت أن تبددت ورأى أنه أمام
 ابتلاء شاق مزير رأى فى مقامه أن الله يأمره بذبح
 ولده ماذا كان موقف نبى الله انه موقف خلد له
 التاريخ ووعنه الدنيا ما تردد وما وهت عقيدته لانه
 خليل الله فكل جوارحه وكل خلجات نفسه تعلق بالله
 وكل شيء فى مرضاة الله هين وماذا كان موقف الولد
 الشاب انه كآبيه رضا واستسلاماً ومسارة لمرضاة
 ربه واستجابة لأبيه وما أن بدأ ابراهيم فى تنفيذ أمر
 ربه حتى كانت رحمة الله شاملة للوالد والمولود وقداه
 ربه بذبح عظيم

يصور القرآن الكريم هذا الحدث بقوله [فلما بلغ
 معه السعى قال يا بني انى أرى فى المنام انى أذبحك
 فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى أن
 شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين
 وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك

مع ذكريات التاريخ



فى مثل هذه الايام من كل عام تهفو النفوس .. وتحن القلوب .. وتنتظر العيون .. وتنتطلع الأفئدة الى بيت الله الحرام . انه حنين جارف عند الجميع قد يلجئهم الى التضرع الشديد والبكاء طمعا فى عطف الله عليهم ، بأن يجعلهم من المقبولين فى قافلة الحجيج .

ما أعظمك يا الله .. وما أكرم فضلك فى كل حين .. وعندما تجيب المضطر اذا دعاك ، فتحقق رجاء ابراهيم الخليل فى دعونه « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وتملا بها أفئدة الملايين من يومها والى يوم أن تلقاك يا رب العالمين .

ومن قبل هذا الدعاء فقد اتجه ابراهيم عليه السلام الى أرض الشام ومعه أهله حيث استقر به المقام .. وتزوج بهاجر ثم دعا الله قائلا « رب هب لى من الصالحين » وحملت هاجر واستجاب الله دعاءه وبشره بغلام يصفه القرآن بأنه « غلام حليم » .

ولد هذا الغلام بأرض الشام .. ولدته أمه هاجر التى وهبتها سارة لزوجها ابراهيم زوجة ثانية له ، فلما دخل بها حملت .. وجاء يوم رأى فيه بيت ابراهيم عنصرا جديدا فى حياته هو اسماعيل « المولود الجديد » وهنا أشارت سارة على ابراهيم أن يتخير لها مكانا آخر ، واستخار ابراهيم ربه ثم حمل الام وطفلها الى المكان الذى أمر الله بأن يضعهما فيه عند شجرة كبيرة فى مكة « فوق زمزم فى أعلى المسجد الان » وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء اذ لم يكن زمزم قد تفجر بعد .

لقد وضعهما هنالك . ولم يترك لهما الا قليلا من الماء والزاد .. وهم ابراهيم بالعودة من حيث أتى ، وتطلعت اليه هاجر ثم جالت بنظرها هنا ، وهناك شرقا وغربا فلم تر اذيسا ولا جليسا .. بل لم تر أثرا للحياة يغريها بالبقاء ، فتشبنت بزوجها ابراهيم ترجوه أن لا

تجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المين وقد يناله بذبح عظيم وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابراهيم كذلك تجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين .

ما أحوج الذين وهبهم الله التوفيق وهما لهم زيارة البيت الحرام والذين تهفو نفوسهم اليه ولم يهبى لهم الاسباب لزيارته .

ما أحوج هؤلاء جميعا ان يعيشوا مع قصة ابي الانبياء ابراهيم فقد كانت حياته المباركة سلسلة من البطولات فى سبيل الدعوة الى الله والتخلل من عبادة ما سوى رب العالمين كما كان ابراهيم مجموعة من الفضائل الانسانية فقد سجل القرآن عليه انه المثل الكامل للصديق [كما تمثل فيه السمو الروحى ولين الجانب والتواضع الجم والى هذا يشير القرآن بقوله [رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لى] انه كان من الصالحين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم] .

وهبنا الله حسن القدوة وهما لنا من امرنا رشدا .

بقية مقال «رسالة الى حجاج»

الى معاد .. يا معيد أعذنى ، ويا سميع اسمعنى ، ويا جبار اجبرنى ، ويا ستار استرنى ، ويا رحمن ارحمنى ، واربدنى الى بيتك هذا ، وارزقنى اليه العود ثم العود مرات بعد مرات ، تائبين عابدين سائحين لرينا حامدين .

زيارة روضة الرسول الكريم ..

واقصد بعد ذلك الى المدينة المنورة لزيارة مثنوى سيد الانبياء وخاتم المرسلين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. عملا بالحديث الشريف .. من حج ولم يزرني فقد جفانى ..

وادخل عنى الحبيب المحبوب الرسول العظيم من باب السلام .. وصل ركعتين واقرئ الرسول السلام واتجه الى قبرى صاحبيه الكبيرين أبى بكر وعمر واقرئهما السلام ثم اتجه الى المحراب وادع دعاء القبلة ..

وقد دفن الرسول فى الروضة المطهرة .. وهى فناء المنزل الذى كان النبى يقيم فيه .. صلوات الله عليه وسلم ..

قلبتنا نحسن التعرف على حكمة الحج والافادة من موسمه .. ونعود الى اوطاننا أكثر ايماننا وقوة .. . ويقينا .. لخالق الكون ومدبره .. وقد تحقق للامة العربية كل نصر .. وكل توفيق .. حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .. والمجد للاسلام والعروبة .

ومنا لك الحج الى بيت الله الحرام

الكتور زهر فريد واصل

تذكر عليها هذا السماع فقالت : صه ، أى اسكت . وكانت تريد بذلك نفسها ، ثم سمعت وكلها آذان ، وصمتت وكلها شعور ، فسمعت الصوت من جديد فصاحت بأعلى صوتها فى لهفة قائلة : « قد اسمعت ان كان عندك غوث » فإذا هى بالملك عند موضع زمزم يهيم الأرض فإذا الماء يظهر وإذا النبع يتفجر ، وإذا السعادة كلها تلوح عند هذا الماء المتلئلى فى شعاع الشمس وإذا قلب هذه المرأة يسجد لله شكرا ولسانها ينطق ثناء وحمدا .. ثم اذا هى تسمع الملك يقول : ان الله لا يضيع أهله .

ويذكر اسماعيل ، ويعود ابراهيم ويقوم مع ابنه اسماعيل برفع قواعد البيت القديم الذى بناه آدم وأمره الله بالسمعى اليه .

يقول الامام البيهقى فى دلائل النبوة بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعث الله جبريل الى آدم عليه السلام فأمره ببناء البيت فىناه آدم ، ثم أمره بالطواف به وقال له : أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس » ومن أجل ذلك يقول الله تعالى : « وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل » .

وقال الامام البخارى ، يقول ابراهيم لاسماعيل : ان الله أمرنى بأمر . فقال اسماعيل فاصنع ما أمرك الله به . قال ابراهيم وتعيننى ؟ قال اسماعيل : وأعينك . قال ابراهيم : فان الله أمرنى أن أبني هنا بيتا ، وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها وجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر الاسود فوضعه له فوقف عليه ابراهيم واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » .

وهناك مع ابراهيم واسماعيل مواقف من البطولة والغذاء والاختبار والابتلاء فى أعز شئ للمرء فى نفسه يعيش به الانسان موثقا يبين لنا مدى عجز الشيطان أمام قوة الايمان فى الانسان .

يجيء ابراهيم عليه السلام فى يوم من الايام الى ابنه قائلا : « يا بني انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ » وسمع اسماعيل من أبيه هذا الخير وكان يشعر شعورا أكيدا أن أباه لا يسير فى حياته الا بتوجيه الهى وأن الشيطان لا سبيل له على أبيه ، فأجاب على الفور : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى [البقية صفحة ١٣٥]

يتركها فى هذا المكان الموحش .. ولم يرد ابراهيم ، وكررت هاجر ذلك ثلاث مرات ثم قالت : الله أمرك بهذا ؟ فقال ابراهيم : نعم . فقالت هاجر : اذن لا يضيعنا الله أبدا . ثم تركته ينصرف راجعا وعادت هى الى وليدها اسماعيل .

وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت الحرام ثم دعا الله « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا أقيموا الصلاة فأجعل أئمة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

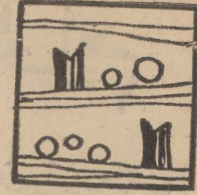
وعاشت أم اسماعيل على جريب النهر وسقاء الماء الذين تركهما ابراهيم .. ولكنها ما لبثت أن نفدا .. وجاءت الأم واشتد بها الظأ .. وجاع الطفل الرضيع والم به الظأ ، وجعل يتلوى فى منظر يفتت القلوب ويذيب العيون .. ولم تتحمل الأم ، فانطلقت مسرعة الى الصفا ، وارتقتة وأخذت تجيل ببصرها فى الوادى هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فعادت الى الوادى ووصلت الى جبل المروة حتى صعدته ونظرت لعلها أن ترى أحدا فلم تر أحدا تكررت ذلك سبع مرات .

وهذا هو أساس منسك السعى بين الصفا والمروة شعيرة من شعائر الحج الى بيت الله الحرام .

يقول ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلذلك سعى الناس بينهما » وقال الله : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » .

ان الحاج الى بيت الله الحرام يسعى بين الصفا والمروة سبع مرات انه فى هذا السعى يترسم خطا هذه السيدة ، انه يترسمها مستشعرا ما كانت تشعر به من رحمة وحنان ، واذا كانت رحمتها وحنانها انما كانتا من أجل ابنها الرضيع المسكين ، فان الرحمة التى ينبغى أن يستشرف اليها الحاج راجيا أن تملأ نفسه ، وأن تعم جوانحه انما هى الرحمة بالانسانية جمعاء ، بكل من يحس بالآلم ، أو يشعر بالضيق ، بسبب ما يحل به من جوع ، أو ظمأ أو بسبب ما يحيط به من مكر وكيد ، أو لسبب ما يشعر به من خوف وقلق .. انها الرحمة بكل من كان فى حاجة اليها .

نعود الى أم اسماعيل فنجدها يلوح لها بريق من الامل . لقد سمعت صوتا ، فخيل أنها وهى فى عنفوان عاطفتها أن نبضات قلبها أو خفقات ثوبها



عيد الحج والتضحية

يعيش العالم الإسلامي في شهر ذي الحجة من كل عام ، مع مناسك الحج وشعائره ، فحينما تقبل أيامه المباركة تتأجج في القلوب نيران الشوق ، وتهو النفوس إلى أماكن النور ، ويشغل المتهينون للسفر بأعداد الزاد والمتاع ، وما هم أولاء الآن يودعهم الأهمل والأصحاب . وهم مشوقون لرؤية مهبط الوحي ، ومواطن النور ، وأماكن الذكريات . وما هم أولاء الآن ينطلقون إلى مكة المكرمة ، وحينما تكحل أعينهم بمشاهدة الكعبة المشرفة يضحجون بالتهليل والتكبير ، ويذكرون أول بيت أقيم على الأرض (أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا - ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

فضيلة الشيخ

عبد الرحمن النجار

يقفون أمامه وفي قلوبهم شوق ، وفي أفئدتهم فرحة ، ملين الأذان الذي أطلقه الخليل إبراهيم عليه السلام من الوف السنين يدعو الناس إلى الحج ، فبعد أن بنى البيت بمساعدة ولده اسماعيل أوحى الله تعالى إليه : يا إبراهيم ، قم على البيت ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - ليشهدوا منافع لهم . لكن كيف يؤذن في أرض مقفرة ، وفي صحراء مجدية ، لا يسكنها إلا مجموعات قلائل من البشر ، ولا زرع فيها ولا ماء ولا نبات ؟ فمن الذي يسمعه ؟ ومن الذي يجيبه ؟ إن صوته مهما يرتفع ، فلن يتجاوز بضعة أمتار ، وماذا يمكن أن يبلغه صوت بشر مهما يكن قويا ، وربما سمعه بضعة عشر نفرا كانوا يقيمون في هذا المكان بجوار زوجة هاجر ولدها اسماعيل حيث أسكنهما هذا المكان المقفر استجابة لأمر الله ، وقال حينما أنزلهما فيه (ربنا أقم أسكنك من ذريتي يواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم - ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .. لهذا يناجي إبراهيم ربه : يا رب وماذا يبلغ صوتي ؟ فقال : يا إبراهيم عليك الأذان وعلى البلاغ ، وانطلق الصوت المؤمن القوي ، صوت إبراهيم الخليل ، فإذا به يخترق الحجب ، ويتنقل عبر التاريخ من جيل إلى جيل . لهذا نرى الحجاج هناك حتى اليوم ، وإلى قيام الساعة يجيبون هذا النداء ويهتفون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك له .. ويتجمع مئات الآلاف من البشر في أماكن الحج ، جاءوا من مختلف بلادهم ، يحفزهم الإيمان بالله الواحد ، والاستجابة لأوامر الدين الحنيف ، جاءوا وتجمعوا بالوانهم المختلفة : الأبيض والأسود والأصفر ، ولا يسأل سائل عن جنسية أي واحد منهم لأن الإسلام هو الجنسية التي تجمعهم ، والرابطة الوثقى التي تربطهم ، كما قال شاعرنا العربي :

أبي الإسلام لا أب لي سواه

إذا اقتحروا بقيس أو تميم

انهم جميعا يتجهون في يوم واحد إلى عرفات ، يقفون سواسية بين يدي الله ، حاسري الرؤوس ، خاشعي النفوس ، يرفعون إليه دعوات واحدة ، في كلمات واحدة ، تصعد بها الأنفاس المؤمنة ، تصاعد العطور من ثنانيا الزهور ، هنالك يقف الحجاج في هذا المحشر الدنيوي ، حيث وقف صاحب الرسالة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن حوله صحابته الأكرمون ، فيذكرون في هذه البقعة المحدودة كيف اتصلت السماء بالأرض ونزل الدين على الدنيا ، ومبط جبريل الأمين بوحى الله ، ليخرج البشرية من الضلال إلى الهدى ، ومن الظلام إلى النور ، وليكرم الإنسانية بعقيدة التوحيد .

في هذه البقاع استخرج محمد بن عبد الله من بين مشركي العرب ، وأقسى الناس قلوبا وأغلظهم أكبادا

جيلا من الاصحاب هم مضرية الامثال في التضحية والفداء ، وفي الاصرار على قيام الحق مكان الباطل ، وسيادة العدل بدلا من الظلم ، وخرج منهم جيلا اشرفت بهم ظلمات الارض ، وصلى عليه امر الحيارى القاتلين في دنيا الناس ..
ان في كل بقعة من البقاع هناك اثرا للتضحية ..
ورمزا للبطولة ، والوقوف امامها احياء بالعزة ، وحفز الى السمو ، وحث على التحرر ، هناك غار حراء مهبط الوحى ، الذى استقبل اولى آيات القرآن نزولا (اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

وهناك دار الارقم رمز التضحية التى ربت قداثين للدعوة ، وخرجت مؤدبى الاكاسرة ، وقاهرى التياصرة وملوك الدار الاخصرة ، وجعلت من عباد الحجر روادا للبشر . خرجت هذا المسلم الذى وقف امام بزدجرد ملك الفرس الذى سآله : ما الذى جاء بك الينا ؟ ليحييه بكل الصدق والايمان والشجاعة : الله ، لقد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الاصنام الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ..

هناك البيوت التى احتبى بفنائها أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسعد وخالد وذلك هى الارض التى درج على رمالها قادة العالم وهداة الخليقة ، وتعلموا فيها فن الصمود ، فى وجه تحديات الاعداء ، فى هذه الارض نزل وحى من السماء يدافع عن حق الفقراء فى الحياة العريضة الكريمة ، وعن حق المستضعفين فى العزة والكرامة ، ويذكر التاريخ ذلك المشهد المثير الذى يكرم الطبقة الكادحة باسم الدين ، ويقرر لهم حقهم كسائر مخلوقات الله فى الحرية والكرامة ..
لقد طلب بعض سادة قريش أن يجلسوا مع الرسول ، وهو وحده بأن يجعل لهم يوما ويجعل لعامة الشعب المسلم من امثال خباب وصهيب وبلال يوما آخر ، فاذا بالقرآن الكريم يقف فى صف الفقراء المستضعفين ، ويضمهم الى كنفه ، ويقرر حقهم فى المساواة مع سائر عباد الله ، أما الجاه والسلطان والمال ووفرة الاولاد وكل ما يفخر به الانسان فى دنياه انما هو عرض لا يدخل فى تقويم الانسان الفاضل ، انما تقويم الانسان هو بشىء واحد ، هو بمدى صلته بربه ، ومدى ما يقدمه لمجتمعه من خير حسبما قال القرآن الكريم « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

لقد أعلن القرآن صراحة وقوفه بجانب هؤلاء الكادحين المائتين حياتهم بالعمل والعناء ، وأنه يؤيدهم ويؤيد مواقفهم البطولية فى خدمة الدعوة ، ولا ينس تضحياتهم من أجل الحفاظ على عقيدتهم ، وعلى ولائهم لقائدهم محمد صلى الله عليه وسلم . ينزل القرآن الكريم ليخاطب رسول الله بقوله (ولا تطرد

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - أليس الله بأعلم بالشاكرين • وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم] .. ولم يكن الرسول يراهم بعد نزول هذه الايات ، حتى يحتفى بهم أعظم احتفاء ، فهم احبابه والمضحون فى سبيل نشر دعوته ، يفرش لهم رداءه تكريما لهم ويقول : أهلا بمن أوصانى بهم ربى ..

ومع مناسك الحج ، وفى ذكريات التضحية والفداء ، يقبل عيد الاضحى ، يقبل يوم جديد ، يوم مشرق باسم ، يوم يتلاقى فيه المسلمون يتبادلون التهانى ، ويتعاهدون على الصفاء . يوم تقدم فيه الحلوى لتحلو الكلمات ، يوم تفتح فيه البيوت ليتزاور الاصحاب ، يوم تقدم فيه الاضحية ، تذكرة بتضحية أبينا ابراهيم عليه السلام ، حينما رأى فى الرؤيا أنه يذبح ابنه ، ورؤيا الانبياء وحى - ولابد من أن يمثل لامر الله ، ويعرض الموقف على الغلام الفتى ، (يا بنى انى ارى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟) ويرتفع الابن الى المستوى الذى ارتفع اليه الاب ، من الايمان الكامل بالله ، والطاعة الكاملة ، والاستسلام المطلق لتعاليم السماء ، فيقول : (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) . وفى بعده غلا ، واستسلم وصبر ، ومدحه القرآن الكريم بقوله (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صابرا الوعد .. وكان رسولا نبيا) وامام هذه المواقف الشامخة التى تفيض ايمانا وبطولة ينزل وحى من السماء بفداء اسماعيل (فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزي المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الاخرين ، سلام على ابراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، أنه من عبادنا المؤمنين) .

فعيدنا هذا يعيد الى قلوبنا ما قد نغفل عنه ، من ذكريات التضحية والبطولة والفداء ، ويعيد الى ارواحنا اشواقها الى أماكن النور والاشراق ، فهو عيد الحج وعيد التضحية .. وعيدنا الاكبر هو فى أن ننهض جميعا ، عربا ومسلمين ونقسم عهدا لله بأن نضحى بكل ما نملك حتى تحرر الارض السليبية ، ونطهر المقدسات ، ونعيد النازحين عن اوطانهم الى أرضهم المحررة ، ونرفع من فوق المسجد الاقصى صوت التكبير ، لتسمعه الدنيا كلها :

الله اكبر الله اكبر .. أشهد أن لا اله الا الله ..
وأشهد أن محمدا رسول الله ..
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله - ينصر من يشاء .. وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ..



عيد الأضحى

نزعة فطرية :

ليس في مقدور أحد من الناس أن يذكر على وجه التحديد متى بدأ الإنسان في اعتبار بعض الأيام مواسم يفرح فيها ، ويتخذ منها أسبابا لإعلان البهجة والسرور والقيام بوسائل كثيرة لظهور المرح والابتهاج ، وتبادل الزيارات والتهاني ، واتخاذ الجديد من الملابس تعبيرا عما في نفسه من هذا السرور والانتشراح .. وإذا كان الناس لا يستطيعون أن يحدّدوا متى كان اتخاذهم لهذه المظاهر كلها ، فليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك مواسم للعيد ، وإعلان الفرح والسرور ، فقد عرفت الأعياد من أزمنة قديمة ، لأنها نزعة فطرية ، فقد وجدت مع الإنسان منذ عرف الاجتماع ، ومن المعروف أن الإنسان مدني بطبعه أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاح الحكماء كما يقول ابن خلدون ، وعلى ذلك « فالأعياد سنة فطرية جبل عليها الناس وعرفوها وفكروا فيها منذ عرفوا الاجتماع والتقائيد والذكريات ، وبحكم هذه السنة الفطرية كان لكل أمة أيام تظهر فيها زينتها ، وتعلن سرورها ، وتسرى عن نفسها ما يصيبها من مشاق الحياة » . من « توجيهاات الاسلام : الأستاذ الأكبر الشيخ محمود سلقوت » .

الأستاذ عبد المنعم حمادة

والإنسان لا يستطيع أن ينسلخ عن سنة الحياة ، وليس في مقدوره أن يحيد عنها . أو يهملها ، فالعمل الذي يصبح من سنة الحياة يصبح شيئا لا صقا بالإنسان ، وتصبح الحياة بدونه من غير طعم أو قيمة ، « فما قيمة الحياة إذا لم يكن للمرء فيها عقيدة يجاهد من أجلها ، ويفرح لانتصاره في تحقيقها لا وما منعة العيش إذا لم يكن كفاحا فيه تعب ونصب ، ثم يتبعه راحة فيها مسرة وهناء ؟ وما جدوى السير الطويل في الصحراء الجرداء إذا لم يكن في نهايتها واحة خضراء ؟ .. ولهذا نضر الكريم الحليم أيام عباده المؤمنين بالأعياد تأتيهم على ميعاد ، فيستريحون فيها ويهدأون ، ويلعبون ويطربون ، ويلبسون ويترينون ، ويأكلون ويشربون ، ومع كل هذا لم يخلها سبحانه من حكمة بالغة وعظلة شافية » .

« أيام في الاسلام : الدكتور أحمد الشرباصي » .

ولذلك كان لكل أمة أعيادها الخاصة ومواسمها المعينة حسب ظروفها وتقاليدها ، وحسب تطورها الفكري ونموها العقلي ، فالأعياد التي كان يفرح فيها الناس في العصور الأولى من تاريخهم غير التي يتخذونها في العصر الحديث .. فالأعياد التي كان يتخذها العربي مثلا في جاهليته ، أيام كان يمرح في الفساد ، ويغمره الضلال ، غيرها الآن ، يوم أظله الاسلام بظلال الخير والسعادة والتقدم .

الأعياد في الاسلام :

كان الناس في الجاهلية يحدّدون أياما - حسب أهوائهم ، أو أشباعا لنزعة في نفوسهم ، أو إرضاء لفكرة رأوا ان يجتمعوا حولها - وكلها من وحى معتقداتهم الفاسدة ونزعاتهم الباطلة التي لا تستقيم مع منطق سليم ، يميزونها عن غيرها ، يمرحون فيها ويلعبون ، أو يقيمون فيها بعض الطقوس الدينية التي يعتقدون أنها تقرّبهم من آلهتهم أو ترضى نزعاتهم ، أو تنيلهم ما يطعمون فيه من آمال ، وتحقق لهم ما يتوقون اليه من حاجيات ..

فلما جاء الاسلام وأمر الرسول الكريم بالدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، اختطتها قويا ، وهو أن لا ينفر الناس الذين يجدون في نفوسهم ميلا الى اتباع هذا الدين ، وشوقا الى العمل بأحكامه ، بل عهد الى ان يزيد من هذا الميل ويقوى هذا الشوق ، وراح ينظر الى ما يعتبر من سنة الحياة فلم يلفه أو يقضى عليه ، وإنما نظمهم رسول الاسلام ، والمبلغ لاحكامه وشرائعه فاختار منها ما يتمشى مع هذه الاحكام والشرائع أو لا ينافي تعاليمه فأبقاها كما هي من حيث المبدأ أو بعد تعديلها وتنقيحها ، مثال ذلك ما فعله رسولنا الأمين - صلوات الله وسلامه عليه - بعد هجرته الى المدينة من تقرير يومى العيد الاساسيين عند المسلمين ، فعن أنس - رضى الله تعالى عنه قال : « قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة فوجد للأنصار يومين يلعبون فيها فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية »

فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما ، يوم الاضحى ويوم الفطر » .

وهكذا وافق الرسول الكريم من حيث المبدأ على أن يكون للمسلمين أيام اعياد يرحون فيها ويلعبون ، ويجددون انشطتهم وروابطهم بما يضيء على قلوبهم البهجة والسرور ، ولكنه من حيث الموضوع حدد لهم يومين آخرين أراد الله بهما خيرا من تلك الايام التي وضعوها لانفسهم أيام الجاهلية ، وهما يوما عيد الاضحى ، أو عيد الاضحية ، أو عيد الفداء ، أو العيد الاكبر ، وثانيهما عيد الفطر ، أو العيد الاصغر .

فالاعیاد سنة الحياة ، كما قلنا ، وقد أقرها الاسلام ولكنه اقرها مع تعديل في ايامها حتى لا يشق على المسلمين ، ولا يدخل الى نفوسهم شيء من الالم أو الضيق . . يقول الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت : « وبمقتضى تلك السنة وجد النبي - صلى الله عليه وسلم - الانصار حين دخل المدينة يلعبون في يومين ورثوا اتخاذهما عيدا عن الجاهلية ، وقد كان من شأن الاسلام فيما يجد ما عادات وتقاليد أنه لا ينكرها جملة ولا يقرها جملة ، وانما يقر منها الصانع الذي يلبس طبيعة الانسان ويورثه خيرا في مقتضيات هذه الطبيعة . أما الذي تاباه الطبيعة ولا يتفق وتعاليمه الكريمة ، التي تدور حول العقيدة الصحيحة والخلق الكريم والسنن الحسان ، فانه يبطله ويحاربه ، ومن ذلك أقر النبي - صلى الله عليه وسلم - الانصار على أصل الفكرة ، فأباح لهم اتخاذ العيد ، تحصيلاً لمزاياه القومية والاجتماعية وادينية ، وألغى يومى الجاهلية مخافة أن يظن تقدسهما ، أو الإبقاء على شعائرها ، وعين لهم يومين قد ارتبط بهما في تاريخ الاسلام ، بل في تاريخ البشرية عامة ما جعلهما غرة في جبين الدهر كله هما : يوم الاضحى ، ويوم الفطر » **« من توجيهات الاسلام : الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت » .**

الحكمة من عيد الاضحى :

ولما كان المسلمون مقبلين في هذه الايام على عيد الاضحى الذي تم في أيامه نزول رسالة السماء كما أعلن في حجة الوداع في قول الحق تبارك وتعالى : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »** - فسوف أجعل حديثي قاصرا على هذا العيد ، وما يبعثه في نفوس المسلمين من ذكريات ، ويشير فيهم من مشاعر . .

فحين أقر الاسلام مبدأ العيد ، وعين موعد يوم الاضحى انما هدف الى ناحية سامية ، هي أن يكون هذا اليوم ذا علاقة بالاسلام نفسه لتكون صلة المسلم حين يفرح متصلة فيه بهذا الدين ، وذكرياته التي تتوارد على خياله في كل مرة ، ولا تغيب عن بانه طوائف حياته .

الفداء :

فالعيد الاكبر ، أو العيد الاضحى ، يذكر الانسان أول ما يذكره بذلك اليوم الذي أقبل فيه خليل الرحمن ابراهيم - عليه السلام - على تقديم الفداء عن ولده

الذي صمم على ذبحه أمثالا للرؤيا التي رآها كما جاء قوله سبحانه وتعالى في سورة الصافات : (وقال اني ذاهب الى ربى سيهدين ، رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال : يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وثله لرجلين ، وناديانه ان يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الآخرين ، سلام على ابراهيم ، كذلك نجى المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين) .

والمسلمون ينظرون الى هذه القصة ، وما أكثر ما في القرآن من قصص وعظات ، بعين الاكبار والاحلال ، فقد رأى ابراهيم أنه يذبح ابنه ووحيد ، فلم يبتس ولم يحزن ، وانما صدق الرؤيا دون أن يخالجه أدنى شك في أنها حقيقة ، وفي أن الله شاءت ارادته أن يقوم بهذا العمل . . ولم يتوان ابراهيم عن اعداد نفسه لتنفيذ الرؤيا ، وأسرع الى ابنه يسأله ماذا يفعل ، واستجاب الابن لما دعى اليه الوالد وقال : ما دامت هذه مشيئته سبحانه فافعل ما تؤمر ، انني سأكون ان شاء الله من الصابرين . .

ورضخ الاثنان للرؤيا ، ولكن ليس من شك في أن في هذا العمل ، وفي هذا الرضوخ بلاء عظيما ، يريد الله به أن يعلم ، وهو العليم الخبير ، مقدار الاذعان لارادته ، والاصغاء لامره ، والطاعة لما يدعوه اليه . . ولذلك ما أن هم ابراهيم بذبح اسماعيل ، وتله للجبين ، أن كان عفو الله أسرع ، ورحمته أوسع ، ورعايته لنبيه أكبر . . لقد أراد الله أن يوضح للناس كيف يجزى المؤمن الصادق الذي يستجيب لدعوته ، ويلبى نداءه ، ويضحي بأعز ما عنده رغبة في ارضائه وطاعته . لقد استجاب ابراهيم لكل هذا ، وهم فعلا أن يضحي بقلدة كبدته الذي جاءه بعد أن شاخت زوجته سارة وكانت امرأة عقيما لم تلد ، وكانت تطمع سارة في أن ترى لابراهيم ذرية ، وكان هو نفسه يطمع في أن يرى هذه الذرية الصالحة التي تنشأ في طاعة الله ورعايته . . لقد عزم ابراهيم على أن يذبح ابنه الذي جاءه على أمل وشوق وان يقدمه تحفيقا لرؤيا رآها ، لقد عزم على ذلك بقنب قوى ونفس راضية وهكذا اختبر الله رضاه بقضائه ، وصدق طويته فأشفق عليه من أن يبطل هذا البلاء ، ويفجع هذه الفجيعة ، فأرسل اليه كبشا قد انتشب قرناه في شجرة ، وأوحى الى ابراهيم أن يذبحه بدلا عن ولده وفداء له حيث قد تم به المرش في المنام المقصود به القران لله .

وهكذا رضى الله عن ابراهيم ، وباركه في الآخرين ، وجزاه الجزاء الاوفى لانه من عبياده المحسنين الطائعين الصابرين ، الراضين بقضائه ، وأراد الله أن يتخذ المسلمون من هذا اليوم عيدا يعنون فيه سرورهم وفرحتهم بما وفقهم الله اليه من

طاعته ، والاستجابة لما يؤمى به وإن ظنوا أن فيه ضررا يحق بهم ، وإيذاء لنفوسهم .. ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا الذي أعطى نورا في الجنة ترد على حوضه أمته ، أن يصلي صلاة العيد ، وإن ينحر شكرا له على نعمائه ، وذكرى لذلك اليوم العظيم ، ذكرى لذلك اليوم الذي قدم فيه إبراهيم ذبنا عظيما فدء لاسماعيل .

ينساء البيت :

والمسلمون حين يصلون وينحرون شكرا لله وتسبيحا ، ويذكرون يوم الفداء لأبد سيذكرون إبراهيم الخليل ، وسيذكرون اسماعيل عليهما السلام ، وسيذكرون البيت الذي رفعا قواعده وجعله الله مثابة للناس وأمنا ، وقد اجتمع له ما لم يجتمع لبيت آخر ، وهو بيت قديم سابق للعهد القديم ففى النوراة ، بل كان أسبق البيوت التى وضعت فى الأرض بشهادة القرآن فى قول الله عز وجل : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا » . سيذكر المسلمون هذا وسيذكرون معه أن الله قد أمرهم جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يحجوا إليه ، وقد جعل ذلك فريضة على من استطاع إلى ذلك سبيلا ، وهو القائل سبحانه وتعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » . وسيتوارد إلى ذهن المسلمين ذلك الجهد الذى بذله كل من إبراهيم وإسماعيل : « وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » . وسيتوارد إلى ذهن كذلك دعاء الاثنين أن يجعلهما على الدين الذى ارتضاه للناس كافة : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .. وكان نبينا الكريم محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه - هو ذلك الرسول ، المبعوث بالحق ليرشد إليه الناس كافة ، وليتلوا عليهم آيات ربه ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ..

تخريم البيت :

وسيفكر المسلمون فى الاسباب التى من أجلها كرم هذا البيت وأمر الناس بالحج إليه واتخاذ أيام هذا الحج عيدا يفرحون فيها ويتجمعون حول ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، يقول الحق تبارك وتعالى : « وإن جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن صهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وإن إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن بهم يالله واليوم الآخر قال ومسن كفر هامته قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير » .

وإن يذكر المسلمون هذا كله يذكرون رسولنا الكريم

وتكليفه علينا - كرم الله وجهه - فى السنة التاسعة للهجرة - أن ينوب عنه فى إعلان المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم ، أن كلية الاسلام النهائية فى علاقة المشركين بمكة وزيارتهم بيت الله الحرام قد حددت فى أيام الحج : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » ، وبذلك استقرت كلمة التوحيد فى مكة ونكست أعلام الشرك والطغيان ، وكان حقا علينا أن نذكر ذلك بفرح وابتهاج .

ولا ينسى المسلمون فى يوم العيد الاضحى أن يتوجهوا بقلوبهم إلى السنة العاشرة ، وهى السنة التى حج فيها الرسول ، وأن يذكروا « أمرين لهما خطرهما فى كمال البناء الاسلامى من جهة التشريع والبناء ، ومن جهة النفوذ والسلطان ، نتلقى ذكرى يأس المشركين من مواصلة السير فى العناد والبقى ، وذكرى اكمال الدين واتمام النعمة : « اليوم يس النذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

ويفرح المسلمون بالعيد الاكبر احتفالا وتقديرا لذلك اليوم الذى يجتمع فيه المسلمون من أقطار الأرض على الرغم من اختلاف لهجاتهم ، وألوانهم ، وعاداتهم وتقاليدهم .. اجتمعوا جميعا فى صعيد واحد لا فرق بين عربى وأعجمى ، ولا بين أبيض وأحمر .. كلهم يذكرون الله سبحانه ويشكرونه على ما هداهم من توحيد الكلمة وتآلف القلوب ، وعلى ما نشره عليهم من محبة وإخاء وعلى ما وجههم إليه من مساندة وتعاون .

ذكريات فى العيد :

لم تكن هذه النواحي وهذه الذكريات هى وحدها التى تجعل المسلمين فى شتى أرجاء الكون ينتظرون يوم العيد الاكبر أو العيد الاضحى فى شوق ولهفة ليحتفلوا به ، وليلعنوا فرحهم وابتهاجهم بشتى وسائل الفرحه والبهجة ، فإن هناك نواحي أخرى وذكريات كثيرة تضفى على هذا اليوم اعزازا واكبارا وتجعله فى أعين المسلمين يوما مشهودا ، يقول الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت :

« هذا بعض ما يذكركم به عيدنا الاكبر ، ذكريات تملا النفس فرحا وإيمانا ، وتثير فى القلب بواعث المجد والعظمة ، وجدير بالمسلمين أن يذكروها ويمثلوها بها شعورهم ، فتدفعهم إلى الكمال الدائم ، والتمام الذى لا ينقص ، تدفعهم إلى الجهاد للمحافظة على شخصيتهم وكيانهم الدولى والجماعى ، تدفعهم إلى العمل الجاد الحازم على التصفية النهائية فى علاقاتهم بالمستعمرين المستعبدين ، الذين لا تفتأ عواصفهم ، عواصف البغى والعدوان تهب عليهم بلفحاتها الحارة ، وهم لها خاضعون ، وفى تيارها مندفعون ..

« وقد اقترن بيوم الاضحى - بعد هذه الذكريات - جملة من الشعائر التعبدية الدائمة المتكررة ، جعلها

أن نسال أنفسنا بعد ذلك . اليس من حقنا أن نفرح في هذا اليوم الذي اجتمعت فيه هذه الالوف المؤلفة على تقوى من الله ، وعلى دعاء واحد هو أن يعز الاسلام وينصر رجاله ؟ من حقنا أن نفرح وأن نعلن هذا الفرح للعالم كله . .

الجانب المادي :

وإذا كان الاسلام قد اتخذ في العيد الذي يفرح فيه المسلمون ويتجهجون من الشعائر ما يقوى صلة المسلم بدينه ، ويذكره به دائماً ، فإنه لم يفقه أن ينظر الى الجانب المادي في الانسان فيبيع له أن يتخذ في يوم عيده ما يجعله قرير العين ، راضى النفس ، سعيداً بما منح من حق التمتع بالملابس الجديدة ، والمساكن الطيبة ، واللحى البرىء ، الذى لا يسوء الى المسلم لا في عرضه ، ولا في كرامته ، ولا في حرمة ، وقد نقل عن السيدة عائشة - رضوان الله عليها - قولها : « دخل أبو بكر - وكان يوم عيد - وعندي جريتان تغنيان ، بما تقاولت به الانصار يوم بعث ، فقال : أمز أمير الشيطان في بيت رسول الله ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا أبا بكر : إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا ، لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة ، وإنى بعثت بحذيفة سمحة » .

وهكذا اتخذ الاسلام من بعض أيامنا أفراساً نعلن فيها البهجة والفرح والسرور ، ونتخذ فيها ما يحلو لنا من زينة لا تتعارض مع الاداب الاسلامية ، وهكذا لم ينس الجانب المادي ، كما لم ينس جانب الشكر والعبادة .

وانا لندعو الله العلى القدير ونحن نذكر هذا كله من شعائر عيد الاضحى وذكرياته ، أن يعيده على الامة العربية ، وقد تم لها النصر وفق ما تبغى وتأمل ، وأن تكون أرضها السليبية قد عادت اليها حرة عزيزة ، وأن يكون شعب فلسطين قد تمتع بحقوقه كاملة . انه نعم المولى ونعم النصير .

الله مظهراً من مظاهر الفرح القلبي ، مثلها خاص ببيت الله وما يتبعه من الاماكن المقدسة ، وهو الحج ، فيه يطوف المسلمون بالبيت الحرام ، ويقفون بعرفات ، ويقدمون الذبائح شكراً لله في ظل من التعارف والتعاون والتكافل على خير المسلمين وصالحهم ، وفيها عام يقوم به المسلمون في اقاليمهم المختلفة وبأجناسهم المتباينة : ذللكم التكبير الذى يصدحون به من فجر يوم عرفة الى رابع يوم العيد ، وفيه يعلنون عقيدتهم في الله بصفة جماعية جهرية ، ويقررون به انه اعظم من كل عظيم ، وأكبر من كل كبير ، فيعظم سلطانهم ، ولا يجدون أمامهم من كبير أو قوى يحول بينهم وبين العزة والسلطان .

« وهذه الصلاة الجامعة ، التى تعرف بصلاة العيد ، يجتمع لها أهل البلد الواحد ، ويفتحون بها يومهم على ذكر الله ، والوقوف بين يديه ومناجاته واستشعار عظيمته ، ويتخذونها أساساً لعيدهم كيلا ينحرف بهم الفرح الى ما يسخط ولا يرضى » .

وليست صلاة عيد الاضحى بالصلاة التى يجتمع لها أهل البلد الواحد فقط ، وإنما هى صلاة تميزت عن كل صلاة حتى عن صلاة عيد الفطر ، انها الصلاة التى يجتمع لها المسلمون من شتى أقطار الارض ، مهللين مكبرين حول الكعبة الشريفة التى تتجه إليها أنظار ملايين البشر ومن فوق عرفات الذى يقف فوقه جميع من جاءوا لحج بيت الله الحرام ، فكان لهم بهذا ذلك اكبر مؤتمر يمكن ان يناقشوا فيه أمورهم ، وينظروا فيما يعود عليهم وعلى أممهم بالخير ، مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من يهيمه الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقتضوا تفنئهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » . ولنا

بقية مقال « مع ذكريات التاريخ »

ان شاء الله من الصابرين .

فمن ابن عباس رضى الله عنه : قال الابن اسماعيل : « يا أبت أشدد رباطى حتى لا اضطرب ، واكفف ثيابك حتى لا ينتضج عليها من دمي شيء فينقص جري وتراه أمى فتحزن ، واستحد شغرتك ، وأسرع بها على حلقى ليكون أهون على . وإذا أتيت أمى فاقرا عليها السلام ، وإن رأيت أن ترد عليها فتبصني فافعل ، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني . » قال ابراهيم عليه السلام : نعم العون أنت يا بنى على أمر الله .

لقد تهيأ كل شيء لنذبح ولتفدي الرؤيا . . ومع ذلك فإن الذبح لم يتم ، وفداه الله بذبح عظيم . . لقد استسلم الابن لامر الله ، واستسلم الابن لامر الله رغم محاربة الشيطان أن يلعب دوراً في هذا الاختبار والابتلاء . فجاء الشيطان يوسوس الى ابراهيم موحياً بأن الامر لا يخرج عن أن يكون رؤيا



المعلقة الإسلامية في تاريخ الكعبة والمسجد الحرام

الأستاذ محمد رباب

كان العرب يمجدون المعلقات السبع لأنها علقت على الكعبة احلالاً
لتصاعدها بيانها وفصاحة لسانها .. دون ان يكون للكعبة الفراء خطر من
اشعار هذه المعلقات !

واذا كان عجيباً ان تعلق اشعار الخمر والهوى والفخر على الكعبة
المشرقة .. فقد كان اكثر اثاراً للعجب ان احداً من شعراء العرب والاسلام
لم يتعرض لانصاف الكعبة في معلقة اسلامية النزعة والعقيدة .. تاريخية
الحوادث .. تستوحى اسرار ما في الكعبة من كنوز التاريخ والدين والايمان !!
وقد ظلت علامات التعجب تشير الى هذه الحقيقة قروناً عدة .. حتى
قيض الله لها في هذا القرن شاعراً اسلامياً مجيداً استطاع ان يبدد من
نفوسنا كل تعجب .. وان يملأ هذا الفراغ الاليم بملحمة اسلامية هائلة ..
ردت الى قلوبنا محبة ومكانة كل شعراء الاسلام مغفورا لهم ما قصرُوا قبل
ذلك في جنب الكعبة والمسجد الحرام .

.. ولا صفحاتها التي جاوزت المائتين بست وثلاثين
صفحة .. كل ما اغرائني بحبل المعلقة واقتنائها هو
موضوعها الفريد الذي يسد جانباً هاماً في المكتبة
العربية والاسلامية كان من المؤلم — كما قلت منذ
قليل — ان يظل شاعراً لا يجد من يشغله ويشغلنا
به من شعراء الاسلام .

وشاء الله ان تشغلني عن قراءة « المعلقة
الاسلامية » شواغل الحياة حتى هلت علينا انوار
الحج هذه الايام .. فاذا بالحنين يجذبني الى تاريخ
الكعبة والمسجد الحرام .. واذا بي اعاد البحث
عن تلك الملحمة . حتى اذا وجدتها بين اكداس الكتب
مثلت بين يديها في تبذل وحب وفرح وطرب .

ولعل من الموافقات ذات الدلالة .. ان شاعر
هذه الملحمة « اليعربى محمد محمد توفيق » رجل ذو
وصل روحى وثيق برسول الله صلى الله عليه وسلم

من هو ذلك الشاعر الجليل ؟ وما خبر ملحمة ؟
منذ ثلاثة اعوام يسر الله لى ان احج بيته المعبور
.. وبعد اداء مناسك الحج بنعمة الله وتوفيقه ..
امضيت اياماً هي العمر كله في اكرم جوار واحب
مزار .. جوار سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزيارته في مدينته المنورة .

وفي ختام تلك الايام الحبيبة الجياشة .. وقبل
ساعة الوداع التي ابتهل الى الله الا تكون آخر
المعهد بحرمه وحرم نبيه الكريم .. كنت في احدي
المكتبات الاسلامية بجوار المسجد النبوى المبارك ..
واذا بي امام كتاب من القطع الكبير يحمل عنوان
« المعلقة الاسلامية في تاريخ الكعبة والمسجد الحرام »

وحملت هذه المعلقة — ضمن ما حملت معى من
كتب — الى القاهرة .. لم يبهرنى يومها اسم مؤلفها
.. ولا اسم شارحها .. ولا طبعها الانيقة الجميلة

□ ١٢٦ □

.. فقد ولد بالمدينة المنورة قبيل الحرب العالمية الاولى .. كان والده تاجرا رحالة بين الحجاز والحشة ومصر وغيرها من البلاد .. ولما استقر في مصر كان الشاعر طفلا فكب فيها ونشأ وتعلم وحصل على ليسانس الاداب من الجامعة المصرية .. واشتغل مدة بالصحافة .. ثم عين مترجما للوثائق التركية بدار المحفوظات بالقاهرة .. ثم نال « الماجستير » في الاداب برسالة عن مصطلح الوثائق التاريخية .. واستقال من وظيفته في الاربعينات حيث تفرغ للمطالعة والانتاج الادبي .. وخلال سنوات التفرغ ابدع الشاعر ملحمة .. واخيرا تم اختياره استاذاً بمعهد الوثائق والمحفوظات بكلية الاداب بجامعة القاهرة .

ومن ذلك نعلم ان شاعر « المعلقة الاسلامية في تاريخ الكعبة والمسجد الحرام » رجل جمع الى اصالة الروح ونقاها تخصصه الادبي في الشعر واللغة والتاريخ ... ومن هنا تميزت ملحمة بعدة سمات لا تتوافر لغيرها من ملاحم الشعر في هذا العصر او فيما سبقه من العصور .. فهي اول ولادة دافع ذاتي من الايمان القوي بالله والحب الشديد لدينه ولتعبه وكعبته .. وهي ثانيا ثروة غنية غناء اللغة العربية باثمن الكنوز لسانا وبيانا : لسان القرآن وبيان الذكر الحكيم .. وكانها اراد شاعر المعلقة الاسلامية ان يثار من المملكات السبع التي علفت على الكعبة ولم يتناول بيت واحد منها تاريخ الكعبة .. فأتى بمعلقته على منوال تلك المملكات .. ولكنه بزها من حيث ان معلقته ليست فقط مجرد ثراء فني وبياني ولغوي .. بل هي الى ذلك كله ثراء ديني وتاريخي ايضا .. ثم بزها مرة ثانية فكانت معلقته اطول من المملكات السبع مجتمعة !

يقول الاستاذ محمد امين التميمي شارح المعلقة الاسلامية : قبل ان افكر جديا في طبع هذه المعلقة وشرحها والتعليق عليها « عرضتها على الكثير من شعراء العالم العربي وادبائه .. فكان الاجماع على الاعجاب بها والطرب لها ووصفها بانها الياذة اسلامية .

والان .. فان خليقا بعشاق الادب العربي ومتذوقي اللغة العربية .. وخليقا بحجاج البيت العتيق وكل من فيه من طائف وعاكف وساجد .. وخليقا بكل مسلم يهمه الامام بتاريخ الكعبة والمسجد الحرام حيث يولى وجهه شطره خمس مرات كل يوم ... خليق بهؤلاء جميعا ان يرهفوا السمع والفؤاد خاشعين بين يدي ملحمة الكعبة .. مع الهامها وحجيجها .. مع هجرة الخليل بهاجر واسماعيل .. مع زمزم ورفع القواعد من البيت .. مع عبد المطلب واعادة حفر زمزم .. وذهب الكعبة والنذر .. ومع العروبة في جاهليتها .. والمملكات واعادة بناء الكعبة .. مع ظهور الاسلام وتحطيم الاصنام ..

مع تحويل القبة ومناسك الحج وحرمات البيت .. مع كل هذه الانلاك والذكريات والاحداث يمضي بنا الشاعر « اليعربي » في جلال وكمال .. لا يقصد من « حداء المطى » صيتا .. بل ربا للظلم ولا عج الاشواق :

لم اقصد الصيت لما
ناجيت كعب الخلود
لكنها النفس نظما
والشعر حلو الورود
حسنا قامت بيبك
تحدو الهوى مقلناها
والنفس كالمزن تيكى
من لاعج قد اتاها

ويهتف « اليعربي » بحجاج بيت الله في « رنية الحج » هتاف الامل والنور واليقين :

حجاج بيت الله
لا ثروة لا جاه
الكل في اخراه
طوبى لكم حج
في ملابس الاحرام
دنيا من الاقوام
سام يواخي حام
والطرق ترتج
ذنب الوري مففور
والنفس فيها نور
بيت هنا معمور
يعلو به العج
يا ايها الابرار
صلوا على المختار
في جنة لا نار
يمضي بنا فحج

وفي « الهام الكعبة » يغنى الشاعر من قلبه لوصالها وهواها اروع الفناء واشجاء .. يبرح به الحب والعذاب وخوف العقاب :

بروحى مهاة سودت اى سؤدد
اقامت على قوسين من مهد احمد
دعوت الاسى في حبهافانبرى الاسى
يسهدينى حتى جفا النوم مرقدى
ومن يك ذا حب فيهتف بربه
ان ارحم قنيل الحب يارب يزدد
الى الله اشكو لاعجا ليس ينقضى
وشوقا يذيب القلب غب التوسد
وفى الحب قد يسلو محب حبيب
سواى فحبي ذاهب فى تجدد
وما ذاك الا انها كعبة الوري
قبة اهل الارض فى كل مسجد

وفي « مناسك الحج » .. يمضي شاعرنا في

خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع .. شعيرة شعيرة .. ومنسكا ومنسكا :

تساءل هل بلغت ؟ قالوا : أجل أجل
بهتف حجيج في المناسك محشد
نصحت وأدبت الأمانة مخلصا
إلى أمم عن حرمة الدين ذود
كذلك حج البيت من عهد أحمد
مهيبا عريقا في جلال ومحفد
وإذ يلتقى جمع لهم في مناسك
تعد نعيم الخلد للمتوفد
تجد أمما بالحج تقضي لبانة
ومؤتمرا من كل نجد منجد -
وثم حبيب الله قد رق كالسدى
يرق لأعناق من النور هجد

ومع الحجيج الواقفين بجبل عرفات .. يلبي
الشاعر :

وفي عرفات النور والحمد والرضا
وشافية الجرح الذي لم يضم
يقولونها لبيك .. والعرش فوقهم
يجابهم : لبيكم خير أعبدى
يقولونها لبيك سعديك .. والربا
تردها : آمين ! عند التصعد

وفي منى .. ومع افراح العيد والحج .. يغرد
الشاعر :

ويوم منى ياما أحيلاه منسكا
يرحب بالخلق السعيد المعيد
وعيدهم عيدان : عيد ضحية
وعيد لتأخير الحجج المرفد

وفي خاتمة رحلته التاريخية والروحية العظيمة
.. يقف شاعرنا « اليعربى محمد محمد توفيق »

يبتهل إلى الله أمر الابتغال وأخلصه وأصدقه :
قصارى بث الحمد أذهب طائفي
بترديد نصواي التي لم تردد
دعوتك يا ذا الأيد فيما بلوتني
من الضر أن تعنى بعبد مشرد
ويارب لا تضن على بساغب
من الأمل الموصول أنى كمرمد
وجنب خطاي الفاحشات فانها
من البغى وأجعل جنة الخلد مقصدى

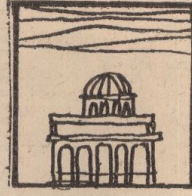
.....
.....
.....
.....

وبعد فاني اختتم رحلة هذه الإلياذة الإسلامية
الكبرى في تاريخ الكعبة والمسجد الحرام .. وماكنت
أحب أن اتعجل ختامها بهذه السرعة .. لولا مايشفع
لى من العذر فى عدم تمكنى من تقديمها أو تقديم
حقب منها .. نظرا لما يتطلبه ذلك من كثير من
الحواشى لتفسير مفرداتها اللغوية التي أصبحت
غريبة على جمهور قراء العربية فى هذا الزمان ..
وأرجو أن يلاحظ اننى قد اقتصر فى النماذج التي
قدمتها من شعر هذه المعلقة الفريدة على بعض
الآيات اليسيرة .. التي لا تحتاج الى هوامش
تفسيرية كثيرة .

على أن ما قد يخفف عنى وزر ذلك .. أن يوفق
جهدى فى الإشادة بتلك المعلقة النادرة الى جذب من
يريد الاستزادة منها فى طبعها التي صدرت بالقاهرة
فى الخمسينيات مضبوطة مشروحة مفسرة .

وجزى الله عنا وعن كعبته المشرفة وبيته المعمور
كلا من صاحب المعلقة الإسلامية وشارحها خير
الجزاء وأوفاه .. أنه خير مسئول وأعظم مأمول .





تحرير القدس وموسم الحج

الأستاذ محمد زكي عبد اللطيف

الخطاب ، وعاشوا مئات السنين يرعون قداساتها ويحمون حرمتها حتى وقعت فريسة بين براثن الصهيونية التي لا ترعى للاديان كرامة ولا للمقدسات حرمة .

أذكر أنه في عام ١٩٤٨ ، عندما بدأت دولة اسرائيل تظهر للوجود ، جاءت الانباء بأن العصابات الارهابية الاسرائيلية قد استولت على الناصرة وطن المسيح ، وكان في القاهرة يومذاك المستشرق الفرنسى « ماسينيون » فرأيت الرجل قد ارتجف رجفة عظيمة ، وأصيب بضيق شديد ، وقال لى فى انفعال أليم : انها كارثة للتراث الحضارى والفكرى والدينى ، وأهانة للحرمت والمقدسات ، ان هؤلاء الاسرائيليين برايرة متعصبون مخربون ، من أهدافهم ازالة كل ما للمسيحية والاسلام من أثر فى فلسطين ، وكتب « ماسينيون » نداء وجهه الى العالم المسيحى يقول فيه : « انقذوا الناصرة وطن المسيح » ، ولكن العالم المسيحى لم يتحرك لانقاذ « وطن المسيح » ، فان الدول المسيحية الكبرى كان هواها مع اسرائيل ، وما كانت اسرائيل الا فكرتها وربيبتها وصنعها ، والشئ المستطير الذى زرعه فى هذه الارض ، قد كانت المآرب السياسية هى المتسلطة على أهواء الدول المسيحية ، فأخذت تناصر اسرائيل على حساب كل القيم التاريخية والدينية والحضارية ، ولم تبين مواقع الشر الا بعد فوات الاوان .

اعلن الملوك والرؤساء العرب فى أول قرار صدر عن مؤتمر بالجزائر الاصرار على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية التى تحتلها وفى مقدمتها القدس . . هكذا نص القرار على تعيين القدس بالذات ، وعلى وضعها فى المقدمة ، وهو تعيين استرعى انتباه الكثيرين وكان مثيرا تساؤلهم ، والواقع أنه تعيين له دلالة العميقة .

وأول ما يدل عليه أن العرب لا ينسون أبدا مسئوليتهم التاريخية فى بناء الانسانية والحضارة ، لأن القدس ليست مجرد أرض أو مدينة يستوطنها عرب أو غير عرب ، ولكنها تاريخ وتراث ومقدسات لها قيمتها وحرمتها وكانت وديعة فى عنق العرب على مدى الزمان .

فالملوك والرؤساء العرب يلتزمون بتحسين القدس واذ يجعلون هذا الالتزام فى مقدمة أهدافهم من تحرير الأرض والوطن ، انها يلتزمون بمسئولية انسانية هى فى الحقيقة مسئولية العالم الاسلامى والعالم المسيحى على السواء ، وقد التزم المسلمون الاولون بهذه المسئولية منذ أربعة عشر قرنا فى موافيق وعهود وقعتها الخليفة العادل عمر بن

لقد ذهبت صيحة « ماسنيون » صرخة في واد ، ولم تصل الى عقول المسيحيين أو تثير عندهم ادراكا للحق ، حتى وضعت اسرائيل يدها على جميع المقدسات المسيحية والاسلامية ، وبدأت تصنع بهذه المقدسات العريقة ما شاءت وشاء لها التعصب الاحمق والحق الاسود ، وتصر على أن تكون القدس لليهود وحدهم ، ورأى المسيحيون بأنفسهم الدافع الاليم رأى العين ، وبدأ أبناء الطوائف المسيحية يهاجرون من المدينة التي كانت لهم مثابة أمن وسلام ، وتبين أن اسرائيل وضعت خطة لخراج المسيحيين من القدس خلال خمسين عاما ، فلا يبقى فيها مسيحي ولا أثر للمسيحية ، والمسيحيون أنفسهم هم الذين اكتشفوا هذه الخطة الاثمة ، فقد كتب « الاب جينو تونشيتي » أحد علماء اللاهوت الايطاليين مقالا في صحيفة « لوسير فاقوري رومانوا » يتحدث فيه عن خطر الهجرة المسيحية من مدينة القدس نتيجة للاحتلال الاسرائيلي ، وفي نفس الوقت أذاع السكرتير العام لمجلس الكنائس العالي بيانا يقول فيه : « انها ستكون مأساة بالنسبة للعالم اذا ما استمر المعدل الحالي لهجرة المسيحيين من القدس ، ان الطوائف المسيحية ستكون قد اختفت تماما من القدس خلال ٥٠ عاما » .

ومن هنا يجب أن يعي العرب على أنفسهم ، وأن يثيروا قضية اسلامية على أوسع نطاق ممكن . فلتكن تحرير سيناء أو الجولان أو الضفة الغربية للاردن قضايا عربية تهم دول المواجهة في الميدان ودول العالم العربي كله ، أما قضية القدس ، فإن مجالها أوسع من هذا وأرحب ، انها قضية العالم العربي والعالم الاسلامي المهتد من ورائه في افريقيا وآسيا وفي كل مكان من العالم ، انها قضية سبعمائة مليون مسلم حرقوا اسرائيل قلوبهم وأدمت أفئدتهم يوم اشعلت النار جهازا نهارا في المسجد الأقصى قبله المسلمين الاولى تحت سمع العالم وبصره .

لقد التزم الملوك والرؤساء العرب أمام العالم بتحرير القدس ، ووضعوا ذلك في مقدمة ما التزموا به من قرارات وواجبات ، والعرب اليوم بما عندهم من قوة ، وبما في أيديهم من وسائل أقوى وأقدر على تحقيق هذا الالتزام ، والوفاء بواجبهم في تحرير القدس ، ولكن نرجو أن ينهض العالم الاسلامي

□ ١٤٠ □

كله للمشاركة في أداء هذا الواجب وتحقيقه ، لان في ذلك تزكية للروح الاسلامية ، وتوثيقا للرابطة الاسلامية ، واثارة للقوة الاسلامية ، فليس هناك ما يقوى الروح ويوثق الروابط مثل المشاركة في أداء الواجب .

يجب أن نخرج بقضية القدس الى كل مكان من العالم الاسلامي ، وأن نضع الواجب نحوها أمانة في عنق كل مسلم ، وأن نحرك بها ضمائر المسلمين على امتداد ديارهم واختلاف دورهم ، وهذا ولا شك واجب الهيئات والجماعات الاسلامية قبل أن يكون واجب الحكومات ، انه واجب العلماء ورجال الدين وأصحاب الرأي وقادة الجماعات ، فان القدس ليست الا مقدسات المسلمين وتراثهم وتاريخهم الانساني المجيد .

أقول هذا وأنها لمناسبة طيبة يأتي موسم الحج الى بيت الله الكريم في هذه الايام ونحن نتحدث عن الواجب الاسلامي في تحرير القدس ، أقول انها مناسبة طيبة وفرصة سانحة أن نرفع الصوت عاليا بين آلاف الحجاج الذين يقصدون الى بيت الله الحرام من مختلف الامم ومن فجاء الارض فنذكرهم بالواجب نحو القدس ، والمسجد الأقصى قبله المسلمين الاولى ومسرى رسولهم الكريم ، ومهد الانبياء والمرسلين وليس أقوى من صوت يرتفع في ساحة الله مؤكدا ومناديا بالواجب نحو دين الله .

لقد كان السيد جمال الدين الافغاني رضوان الله عليه يقول : على امتداد العالم الاسلامي ثلاثة ملايين مسجد يصعد على منابرهم لخطبة الجمعة ثلاثة ملايين داعية الى الله ، فو الله لو ارتفعت أصواتهم في لحظة واحدة بكلمة واحدة تنفذ الى قلوب المسلمين لزلزلوا الارض زلزلا وكان لهم بكلمتهم ما يريدون .

فليرتفع صوت الاسلام مدويا في آفاق الحج ، ولتتصاعد دعوة الدين مذكرة كل مسلم بواجبه ، مناشدة ايمانه وضميره في أداء هذا الواجب ، حتى يأتي موسم الحج القادم وقد تحررت القدس الشريفة وتطهرت من الرجس والهوان ، وتعود المقدسات الى أهلها كريمة عزيزة ، ويظل المسجد الأقصى على حقيقته القبلة الاولى للمسلمين ، ومهد الانبياء والمسلمين .



□ ١٤١ □

الصوفية في العراق

نار المحبة

الأستاذ حسن كامل المطاوي

وبرسندنا الى جهادها ، وبخضنا على الطاعة ، ويستنهض هبتنا
في طلب الله ، والزام شرع الله ، وإيقار الله تعالى على ماسواه
حتى نثال رضاه ، وذلك أكمل الغايات ، وأسعد النهايات .

« ... وكيم فتح الله تعالى بشعره أعينا عينا ، وأذانا
صما ، وقلوبا غلغا ، وما يذكر الا أولوا الإلباب . فان شئت
فقل انه شاعر سماوي ، وعالم رباني ، وأمام صوفي ،
وعارف نقي ، وفقه نقي ، وشيخ صفي ... وقد تلبذت
على الشيخ رحمه الله ، فرايته أول ما رأيته شاعر الأولياء ،
ثم رأيته آخر ما رأيته ولي العلماء ، وكبير الفقهاء ، فكان لي من
الشعر الحكمة ، ومن فقهه العلم ، ورأيت من حقه على أن
أنشر فضله بين الناس ، لينفعوا بمواهبه كما انتفعت ،
وليسلكوا دربه كما سلكت » .

وأود ان أضيف اليوم أن شعر شيخنا رضي الله عنه ،
كان الهاما لوقته ، وقد نطق به فؤاده ، وهو فؤاد محب وأيق
واله ، وحقا ما قيل :

ان الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وشعر سيدي الشيخ كما تراه يمتاز ببساطة اللفظ وسهولة
التركيب وقوة المعنى والمبنى ، مع سمو الذائق في المقامات
الدقائق والزام شرع الله ، مع اجتناب الغيوض المحير والوصف
الجهيم ، ولكلامه حلوة بفاخر بها صوفية زماننا أسلافهم
الصالحين رضي الله عنهم أجمعين ، وصدق سبحانه اذ يقول
[ثلثة من الأولين . وقليل من الآخرين] .

وما أرقه رضي الله عنه في قوله :

شراب الحب يعرف بالذائق وما كل السقاء له بساق
دعاة الحب أكثر ما تلاقى وقل الصادقون فما تلاقى
وليس أخو غرام من مناه لقاء القيد أو كاس دهاق
وليس يماثق من لا تراه من الشبهوات طهر والتفان
أحب الله عن أدب وصدق ولا أرضى سوى التقوى خلاقي
يعز على ترك الحب عندي ولو بلغت بي الروح التراقي
تركت جميع خلق الله دوني شغلت عن الخلاقي بأشتياقي
الا يا ساقى العشاق مهلا تعال أملا كؤوسك من حقاقي
أطوف على الرهاب بكل ذل مريدا واليقين به انسياتي
غرامي قد مزجت به رجائي على خوف فمن خوفا مذاقي
وروي أدركت معنى التجلي فنه أرى اصطباحي واغنياتي
ومن عرف المحبة عن يقين محال أن يميل الى فراق

وإذا أردت ان تعرف كيف وعظ وانعظ فاستمع الى قوله
رضي الله عنه :

رائدى في حبه سهري وبهذا تم لي ظفري
يا فؤادي كن على حذر من حساب الله واعتبر

بالذي قد مر من دول

راق لي في حبيكم أدبي وهمداني الذل للارباب
لي قلب جسد في الطلب نوركم منه مدى طربي

وحياة الذكر متصلي

طول ليسلي في محبتكم اتحلي من جلالكم
قد غرقنا في مودتكم وانتظنا في حمايتكم

في جلال حبيب هطل

يا حبيبي أنت محتسبي أنت مقصودي ومطلبي
أنت يارب السما أربي أنت يا خلاق منسوبي

أنت لي ياذا الجلال ولي

ولنا من ربنا كرم وعينا تسكب النعم
نحن بالايام نقتنم وبوجه الله نعتصم

أتى على اعتسابكم لم أرض غير الحب مشرب
الحب ان زار القلوب فانه نار تلهب
الحب هملو ذوقه وسبيله مر وأصعب
أرواحنا متناشقات وهي للرحمن تنسب
قالوا بانك لم تكن فينا تقرر منسب
فاجبتهم أنا نسبتي عبد على الأبواب احسب
حزرتي رقي لكم وهي المقام وذاك اقرب
أنا صابر الا على بعدى فما للصرير مركب
أرضي العذاب مع الوصف ول فلا نعيم لن تهرب
قولوا قبلناكم فهو سدا في الحياة الخلد يكتب

تلك أبيات نقلناها من شعر الالهام النوري الذي كان يشد
به شيعي وسيدى الشيخ على عقل رضي الله عنه وهي تكشف
عن صدق محبته لربه ، وتذوقه لحلاوة المحبة على الرغم مما
يلقاه في سبيلها من جهاد عنيف ومتواصل ، يخالف به هوى
النفس التي تستحب العاجل على الاجل ، وتركن الى الراحة
والظنور والكسل . وقد عاشنا سيدي الشيخ قرابة ربع قرن ،
ورأينا بانفسنا عزمه الذي لا يبارى ، وهيبته الخارقة التي اتعب
بها من بعده ، واننا الآن نعيش في ذكرى تلك السنين التي مرت
بنا وكانها احلامنا ، وصدق من قال :

وأيام الهموم حقصصات وأيام السرور تطير طيرا
وقد قلت في مقدمة رسالتي المسماة « شاعر الأولياء » والتي
تحدثت فيها عن سيدي الشيخ على عقل رضي الله عنه :

« ولا تعجب ان يكون عنوان الرسالة « شاعر الأولياء »
فيسرى مما نقرأ من شعره انه شاعر الأولياء وولي الشعراء ،
فقد دندن بشعره في وادي الروح وفي المسالم الاسنى ، فكان
من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، وقد
استنابهم الله من الشعراء الذين هم في كل واد يهيون ويقولون
مالا يفعلون ، وكيف لا وقد دعا الى الله على بصيرة ، فكان
الشاعر الذي سحر ، والساحر الذي شعر ، وكان فيما وجه
الناس اليه الرباني الذي شعر ، والشاعر الذي ربي ، وسبحان
الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

« ولقد سمعته لأول مرة منذ أربعين سنة ، فشعرت حين
سمعته ببديب كديب القمل في جسد ، فكان لشعره أثر
روح في روح ، لا أثر شعر في أذن سامع وقد كان
حاضا بشعره على الفضيلة ونهايا عن الرذيلة ، يفرد في
وادي المحبة الالهية حينا ، وينقلنا الى يوم القيامة حينا ، وأنا
يقف بنا على باب الرجاء ، وأنا يقف بنا على باب الخوف ،
ومرة يذوقنا حلوة الايمان ، وأخرى يحذرنا من فنة النفس
والشيطان ... وفي كل ذلك يحذرنا من النفس الأمارة ،

ولنا الاخلاص في العمل

لم تغب عني مشاهدكم طالما روي تصاهدكم
وتزكيتي مقاصدكم وتجسديني مواردكم

فأرى من ضوئها أمل

راحتي في الحب وجهتكم مطلبى في العبر رؤيتكم
مقصدي في الموت رحمتكم قد دعنتي اليوم خشيتكم

لكبو والقلب في وجل

فانظر كيف ذلت نفسه لربه ، وسهرت عينه محبة فيه
سبحانه ، حتى ذاق طعم المحبة الحققة ، وثبت بها بين الجمال
والجلال ، ومن أقوال الصوفية المكملية : اجلس على البساط
واياك والانبساط . وهو رضى الله عنه يرد الفضل في ثماته
الى الرعاية الصديقية التي يرعاها بها سبحانه وتعالى
فيقول :

محبة خالقي مشكاة قلبي
تجبت التشكوك فما عرفني
وفتشت العلوم وعارفيها
وان الحب اشواق وصبر
وان الورد يذبل بعد وقت
ورى الناس من ماء ولكن
أدارى الحب حتى لو يراني
وبى نار لو استقمى لظاعا
سماء الحب تجذبني اليها
هدارى فوق أنجبها وفكي
ولولا العلم والإيمان حظي
لقلت كلام ذي جذب وشطط
ولى من مشرق الإيمان علم
علمي في الورى تفحات ربي
عرفت الله في سرى وجهرى

وقد صرح شيخنا رضى الله عنه في الابيات المتقدمة بأن الحب
اشواق وصبر يعجز عنها أهل التفاني والكسل ، كما صرح بان
شراب الحب هيمه واذيله واتحله ، حتى لو كشف عن حاله
الذى كتمه لغيره من العشاق لحقروا وجددهم وخذوا حذوه
حين يبين لهم مما كشفه من حبه الخبوء انهم لم يلقوا في
حبه ما يلقه . واذا اردت مؤيدا له فيما يقول فافقرا لسلطان
العاشقين سيدى عمر بن الفارض قوله رضى الله عنه :

ادر ذكر من اهوى ولو بلامى
ليشهد سمي من احب وانناى
فلى ذكرها يخلو على كل صيغة
بروى من اتلفت روى بحبها
اصلى فاشدو حين اتلو بذكرها
وبالحج ان احرمت لبيت باسمها
اروح بقلب بالصباية هائم
وعقدى وعهدى لم يخل ولم يجل
يشفعن الاسرار جسمى من الضنا
وقال اسل عنها لائى وهو مفرم
بين اهندي في الحب لورمت سلوة

ارأيت كيف كشف عن خبيئة حبه سيدى عمر رضى الله عنه
وكيف صرح بان ائمة الحب يقتدون به على الرغم مما يكاد من
لواعج عشقه ، ومما ظهر عليه من تبارج الجوى والصباية ،
فى حين أن سيدى الشيخ على يقول فى كتمان حبه :

ادارى الحب حتى لو يراني
وبى نار لو استقمى لظاعا
لحقر وجهه وحذا سبيلي

أما سيدى سعد الشيرازى فيقول فى حبه وهنيئه رضى
الله عنه :

ذكرت لىالى الوصل واشتاق باطنى
بقلى هوى كالملم يا صاحلم تزل
فلا تحسبن البعد يورث سلوة
وجلباب عهدى لا يرث جديده
بكت مقلة السعدى اذ ذكر الحمى
فيا حيدا تلك اللبالي وطيبها
تقرض أحشائى ويغفى ديبها
فأر غرامى ليس بطفى لهيبها
وروضة حبي لا ينف رطبها
واطيب ما بيكى الديار غريبها

أما سيدى الباقى رضى الله عنه فيقول :

أماطت حجابا عن بهاء جمالها
لنا عصرت من كرم نور جمالها
سكنا بها من شمها قبل شربها
فيا ليلة فيها السهادات والمثى
أما سيدى القابلى فيقول فى « انشودة الساقى » رضى
الله عنه :

ساقى يا ساقى
واكشف لى عن قيد اطلاقى
لا بعرف أمورى
أحشأه تصلى فى جبرى
استقى من خمره الباقى
آه يا ساقى آه يا ساقى
الا من شرب خمورى
آه يا ساقى آه يا ساقى

كما يقول رضى الله عنه :

تجلى وجهه مجبوبى
فيا نثار المصدا ذوبى
راينبا نوره يشرق
ولا نجيد ولا أهرق
علينا الخمر قد دارت
واطيار الهوى طارت
ملح الكون وافانا
وحيا يوسف الانا
وهذا كل مطلوبى
يعيد عنك مشروبى
فكنا برقه الا يرق
سوى الا يريق والكوب
بها البانبا حارت
بترتيب وأسلوب
وزاد الحصن احسانا
فقرت عين يعقوب

وما دنا فى صدد تلك الخمريات فلنقرأ ما قاله سيدى الشيخ
على عقل فى شعر الهامه الفورى الذى نقلناه عنه :

قد شربنا من حبه فسكرنا
ودخلنا دار الكرامة نوى
اعذرونا اذا نهيم فانا
وترانا من حيث نشرب فى الكاس
تنحلى بالعلم فى كل نجاد
فقلوب مثل الكواكب فينا
وعرفنا من أين نأتى الجوارى
بيقين الهدى وكنا حيارى
فى ديار الهوى خلقنا أسارى
سكارى ولم نكن بسكارى
ونرى بالنقى علينا ازارا
تظهر الثور فهو لا يتوارى

وهصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله
الشريف : « من أسر سريرة النبى الله رداها » هؤلاء المحبون
مهما كتبوا حبه فانه يغلبهم وتبدو أوصافه وآثاره على
السننهم ، وصدق الشاعر القائل :

وكم كتمت واسررت الهوى زمتا
بين الجوانح حتى خائنى جملدى
وشيمة النفس ان اخفت سريرتها
بسدت شواهدا يوما على الجسد

كما صدق من قال :

دلائل الحب لا تخفى على أحد
كحامل المسك لا يخفى اذا عبقا
ويقول السادة العارفون : ان المحبة دعوى تحتاج فى
الاثبات الى ادلة وعلايات ، ومن ذلك الرضا بفعل المحبوب ،
والشوق الدائم اليه ، والوجد به ، والخوف والرجاء المتلازمين
فيه ، والغيرة على شمره ، والتعظيم له ، والهبة منه ،

وأدأمة ذكره ، واستدامة شكره ، وحب حبيبه ، وعداوة
عدوه .

وحب المريدن لشيوخهم من محبة الله تعالى ، لأن الشيخ
أداة الإرشاد التي يسوقها الله للبريد ، وعونه في كسب
الطاعة والمحبة ، وكذلك من محبة الله محبة من يحبه الله
كسائرنا الأنبياء والمرسلين الكرام صلوات الله عليهم ، والملائكة
الإطهار الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وسائرنا
الأولياء الذين أنشأ الله عليهم بآياتهم وتقواهم ، وكذلك حب
المؤمنين بالله عامة ، وأهل التصوف خاصة والوالدين والأقربين
والجار القريب والبعيد والأصدقاء الصالحين . ولعل ذلك
يفسر لك قوله تعالى : [من يطع : الرسول فقد أطاع الله]
لأنه صلوات الله وسلامه عليه الرسول الأعظم الذي علم
أمته كيف تطيع الله تعالى وتحبه الحب كله ، وقد علمنا
سبحانه كيف تكون أوفياء له صلى الله عليه وسلم لقاء إرشاده
وتعليمه فقال تعالى [التبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم]
فأوجب علمنا أن نقديه بالروح ونسترضعها في حقه علمنا ،
في حين أن نفوسنا مع غيره أولى من نعملهم كالوالدين
والأبناء ، فانتظر هداية الله إلى ما قضاه الله في محبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تسبح للجهلة الذين يحاولون
أن يصرفوك عن حبه سقها بغير علم وينظنون وهم غافلون عن
كتاب الله أن محبته شرك خفي ، وأين المحبة من العبادة ،
إننا نشهد في كل تشهد وفي الإذان أنه عبد الله ورسوله ،
ولا نعبده أو نشركه بالله ، كما أننا لا نعبد الأولياء المباركين بل
نحبه بحبه لله وحب الله لهم ، وهذه قرينة الله ومحبة في
الله ، وذلك عمل خالص لله عز وجل .

ويقول سيدي الإمام سهل التستري رضي الله عنه في معنى
قوله تعالى [لهم قدم صدق عند ربهم] هو مقام لا يناله
إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتالله أمته بسببه . وما

أرق ما قال سيدي أبو محمد بن أبي المجد رضي الله عنه :

ألا يا محب المصطفى زد صبابة وضبح لسان الذكر منك بطييه
ولاتبعان بالباطلين فانبعا غلبة حب الله حب حبيبه

ولعله في البيت الأخير يلوح إلى قوله تعالى [قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم] ولست أدري كيف يخلط هؤلاء المفرورون الحق بالباطل
تحت ستار الحق وهم يسيئون لأنفسهم قبل أن يسيئوا إلى
غيرهم ، وقد نسب الله الانعام إلى رسوله صلى الله عليه
وسلم حين جرى انعام الله على يديه وذلك في قوله تعالى :
[وأذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك
زوجك واتق الله] ولم ير الله في نسبة الانعام لرسوله شركا
وهو سبحانه أغير على توحيده من الخلاق أجمعين . ولا يجوز
أن يجهل جاهل أن نعم الله تجرى بقضائه وبإسبابها والله هو
القاضي والسبب ، وما شأه كان وما لم يشأ لم يكن .
ونحن نقول في فاتحة الكتاب كما علمنا الله [أهدنا الصراط
المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم] وشرف الله أهل الطاعة
بصحبته لهؤلاء الذين أنعم الله عليهم وقد بينهم قوله تعالى :
[ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .
ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما]

إن مجنون ليلى أحسن مرة إلى ذنب فلامه بعض الناس
فعلل عطفه على الذنب بأنه رآه مرة في حي ليلى ، وفي ذلك
قالوا :

رأى المجنون في البداء ذنبا فجر له من الإحسان ذبيلا
فلاموه على ما كان منه وقالوا قد أنلت الذنب نبلا
فقال دعوا الملاية إن عيني رآته مرة في حي ليلى

□ ١٤٤ □

وهذه ظاهرة دلت على اخلاص المجنون في حبه ، كما قيل :

إنما الخلس عندي في ولائى وودادى
من يسوالى من أوالى ويمسالى من أعادى

وقد قالها الله تعالى صريحة في قوله الكريم [قل إن كان
آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فترىصوا حتى يأتي الله بأمره والله
لا يهدي القوم الفاسقين] ، كما قال تعالى [يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا
بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاهم رضاتى تسرون
إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلمتم ومن يفعله منكم
فقد ضل سواء السبيل] .

ويقول بعض المحبين في أثار الله تعالى على ماله وأولاده

يا منية النفس يا روح الحياة لها
غرقت في بحر أشواقى فخذ بيدى
ما عنك يشغلنى مال ولا ولد
نسيت باسمك ذكر المال والولد
قلو سفتك دمي في القرب لانتكبت
بسه حروك لم تنقص ولم تزد
ويصف مشتاق آخر شوقه فيقول :
قلب يقلب بين الشوق والقلق
قصد صير الجفن رهن الدمع والارق
لما شسكت لقاضى الدمع فيه له
أجابنى أنت في أمن من الفرق

أما غيره فقد كنم سره عن دمه مخافة أن يجرى ولا يدرى
فقال :

صبوت ولم أطلع هواك على صبرى
وأخفيت ما بى منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميرى صبابتى
إلى دمعنى سرا فتجبرى ولا أدري

وكذلك يكتم سيدي الشيخ على عقل لواعج شوقه فيقول :
رضى الله عنه :

جوانحى شهادات أنها انتكبت
لكن كنهت في يظهر لها شر
أزكى القلوب وأسماها وأشرفها
من بالهداية والإيمان ياترن
إن النفوس إذا زادت محبتها
في ربها واستنارت القلب والبصر
صارت ملائكة تصفو من كدورتها
حتى ترى كل شيء ما به كدور
والعاشقون لهم في الحب أن صبروا
روض من العز لم يذبل له ثمر
مياهه الذكر والتقوى منابيه
والعلم والدين والآيات والعبر
خل المعارف للعشاق تقطعها
أن كنت منهم فسر واسهر كما سهروا

ألا رضى الله عن أحيابه الذين قال فيهم [والذين اهتدوا
زادهم هدى وأنام تقواهم] .



عند الصوفية

المستأن
عبد السلام الساذلي القوصي

ولعلك تقول ان الانقباض هو الحزن والانبساط هو
بفرح كما هو متداول بين كثير من معاهيم الناس ولكن
لحقيقة أن الحزن ليس الا مؤخرات الانقباض كما أن
بفرح ليس الا مؤخرات الانبساط . ثم يكن أحدهما
او كلاهما هو النتيجة المؤدية للقبض أو البسط . وكما
أن القبض يكون على أوجه شتى دنيوى . وأخروى
مكذلك الانبساط اما عن أمور دنيوية أو أخروية ،
وهذا يرجع بحال إيمان الرجل نفسه ، فان كان تقيا
كان القبض والبسط عنده لله وفي الله ، والى الله ، وإن
كان من أصحاب اللهو والفساد كان القبض والبسط
عنده واقع تحت سلطان هواه وأتباعا لشيطانيته .
يقول الله تعالى [حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب
ارجعوني لعلى اعمل صالحا فيما تركت] . كلا انها كلمة
هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يعثرون [فقد كان
هذا الذى حضره الموت فى حالة قبض بلغ نهايته فى
موضعين « موضع شدة الموت والمفارقة للاهل والولد
والدنيا التى كان يمرح فيها ، وموضع آخر هو الندم
على ما فرط فى حقوق الله فى حال حياته الدنيوية ،
فتمنى على الله أن يعطيه اليها ليصلح ما أفسده بعمله
وتفريطه ، والله يعلم خائنة الاعين وما تخفى

□ ١٤٥ □

القبض والبسط



يقول الله تعالى « ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها ،
وما يمسك فلا مرسل له من بعده »
سورة فاطر ، وقال جل شأنه « ولا
تجعل يدك مقبولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا » سورة الاسراء ، ويقول
ايضا جل جلاله « وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا
السليل فففرق بكم عن سبيله »
سورة الانعام .

القبض من الانقباض والبسط
من الانبساط ، وكلاهما يسيطر
على النفس فيقرس الواحد منهما
النتيجة المعنوية بصفتها فى
الانسان ، وبهذا التأثير يسيطر
الواحد منهما على جميع الجوارح
فتظهر علاماته واضحة على محيا
وجه ابن آدم تحكى بوضوح فاعلية
الانقباض والانبساط .

الصدور: « قال جل جلاله [كلا انها كلمة هو قائلها] ولم يحقق لهذا الانسان مطلبه لان وقت التوبة والندم قد فات ، ثم ابقاه الله سبحانه وتعالى فى حالة القبض التى ادركته عند الموت ، فقال جل شأنه [ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون] ، فهو فى هذه الحالة مقبوض النفس حتى يبعث من فى القبور ، ومن ثم فهذه حالته ايضا يوم الحشر والنشر والحساب والعقاب ، الا من رحم ربى . فنذكر من هذا ان هذا الانسان كانت حالته فى الدنيا حائلة لهو ولعب وانه كان فى حالة [بسط] ليست لله ولا فى الله ولا الى الله ، [كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لينسى ما كانوا يفعلون] . ويمكننا ان نستنبط من القرآن الكريم حالة [بسط] اخرى مضادة لما سبق ذكره وهى فى قول الله تعالى : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . فمصاب هذه الحالة كان فى حالة بسط ، طاعة لله ورسوله فى الحياة الدنيا ، فكسبه لباسا سماه الله تعالى لباس التقوى والذى قال عنه جل جلاله : ولباس التقوى ذلك خير [ووصل الى ربه وهو يلبسه وفى حالة [بسط] ثم أنعم الله عليه فوجد الانبساط قريته فى القبر والحشر والنشر والحساب والجزاء الحسن عند الله .

وهناك فى الجهاد فى سبيل الله تعالى « قبض » وبسط » فالجبناء يعترهم « قبض » مضموم اذ أنهم خافوا الموت ورهبوا فى الحياة الدنيا مع أنهم يعرفون تماما أنهم ميتون لا بحالة سواء جاهدوا ام لم يجاهدوا ، كما يعترهم أيضا [بسط] اذا ما تخلفوا عن الجهاد ووجدوا وسيلة من الوسائل التى تنجيهم من الانضمام الى صفوف المجاهدين فتخلوا عنه ، فهذا البسط انها هو لهو ولعب وفساد فى العقيدة . أما أولئك المجاهدين فى سبيل الله بأرواحهم وأموالهم فيعترهم [قبض وبسط] أيضا ، والقبض عندهم ، عندما لم يستشهدوا فى سبيل الله وفى معركة الحياة والحرية والذود عن العرض والدين والوطن ليحصلوا على أجر الشهداء ، وأما البسط عندهم ، فانهم وجدوا من انفسهم الرغبة بفرح الانضمام الى صفوف المجاهدين لينالوا حق الجهاد يوم القيامة ودرجة الشهداء ، وهما أعلى درجة عند الله يقول الله تعالى [لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجاتهم ومغفرتهم وكان الله غفورا رحيما] هذه منازل المجاهدين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وهما هى حالتى [القبض والبسط] عندهم .

يقول مولانا وشيخنا وجدنا سيدى ابن الحسسن الشاذلى رضوان الله تعالى عليه فى آداب القبض والبسط ما نصه : القبض والبسط قلبا يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، والحق

□ ليله □

سبحانه وتعالى يرتضى منك العبودية فيبتها ، فمن كان وقته [القبض] فلا يخلو من أن يعلم سببه أو لا يعلم ، وأسباب القبض ثلاث : ذنب أحدثته ، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك ، أو ظالم يؤذيك فى نفسك أو عرضك أو ينسبك لغير دين أو غير ذلك ، فإذا ورد عليك [القبض] من أحد هذه الأسباب ، فالعبودية تقتضى أن ترجع الى العلم مستعملا له كما أمرك الله تعالى ، أما فى الذنب : فبالتوبة والانتابة وطلب الاقالة ، وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص : فبالتسليم والرضا والاحتساب ، وأما فيما يؤذيك به ظالم : فبالصبر والاحتمال . واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ، ظلم غيرك لك ، وظلم لنفسك ، فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال ، أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح ، وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعوا له فتجانب فيه دعوتك ، وما أحسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فنلت درجات الصديقين الرحماء ، وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين .

وأما اذا ورد عليك [القبض] ولم نعلم له سببا ، فالوقت وقتان : ليل ونهار ، فالقبض أشبه شئ بالليل والبسط أشبه شئ بالنهار . فإذا ورد [القبض] بغير سبب تعلمه ، فالواجب عليك السكون . والسكون على ثلاثة أشياء : عن الأقوال ، والحركات ، والارادات ، فإذا فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك ، الليل بطول شمس نهارك ، أو يبدو نجم تهدى به ، أو قمر تستضيء به ، أو شمس تبصر بها . والنجوم نجوم العلم ، والقمر قمر التوحيد ، والشمس شمس المعرفة . وان تحركت فى ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك ، واعتبر بقوله تعالى [ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون] فهذا هو حكم العبودية فى القبضين جميعا .

وأما من كان وقته [البسط] فلا يخلو من أن يعلم له سببا أو لا يعلم . والأسباب ثلاثة : الاول زيادة فى الطاعة أو نون فى المطاع ، كالعلم والمعرفة . والسبب الثانى ، زيادة من دنيا يكسب أو كرامة أو هبة أو صلة . والسبب الثالث ، بالمدح والثناء من الناس واقتبالهم عليك بطلب الدعاء منك . فإذا ورد عليك البسط من أحد هذه الأسباب ، فالعبودية تقتضى أن ترى أثر النعمة والمنة من الله تعالى عليك ، واحذر أن ترى شيئا من ذلك لنفسك وحصنها حتى لا يلازمها خوف السلب مما به انعم عليك فتكون ممقوتا ، هذا فى جانب الطاعة والنوايا من الله تعالى . أما الزيادة من الدنيا فهى نعمة أيضا كالاولى ، وخف مما يطن من آفاتنا . وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك ، فالعبودية تقتضى ، بشكر النعمة بما ستره الله عليك وخف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما يطن فيك ، فيمقتك اقرب الناس اليك . فهذه آداب القبض والبسط فى العبودية . وأما البسط الذى لا

البقة ص ١٧٨



الايمان والمعركة

الدرس الاول عند افتتاح
الدراسة في الجامعات

الدكتور احمد حسنين القفل

أمداد الامة العربية التي كانت وسوف تظل خين أمة
أخرجت للناس .

وأقلب صفحات المعركة قبل السادس من أكتوبر
وبعده وأقرأ آيات الذكر الحكيم التي نزلت على
الرسول الأمين منذ أربعة عشر قرنا ويدهشني حين
أتبينها أحسن بنبيضا حيا قويا وكأنها أنزلت لتوها
لتصف أحوالنا فأقول : « سبحانه الذي أنزل الكتاب
صالحا لكل زمان ومكان » .

والى حضراتكم بعض الصور التي أحسها تجاه
المعركة التي نخوض عبايها :

١ - حرب ١٩٦٧ : لقد كانت معركة ١٩٦٧ درسا
مفيدا لنا وامتحانا وكان يوم السادس من أكتوبر هو بشير
النجاح في هذا الامتحان .

بسم الله الرحيم الرحيم : « احسب الناس أن
يركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين »

ولقد كانت معركة ٦٧ وإرادة الامة الدافع الحقيقي
الى الاستعداد وبذل النفس والنفيس في سبيل ايجاد

الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا .
لا اله الا الله وحده ، صدق
وعده ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده .
« فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون » .

أيها الزملاء ... أيها الابناء

إذا كان صوت المعركة يعلو على ما سواه وهو ما
اتفقنا عليه وما أثربناه فاسمحوا لي أن اتكلم عن
المعركة حتى في الفرصة الملائمة لتهنئكم بالعام
الدراسي الجديد . . . والحق الذي لا مرية فيه هو أن
السادس من أكتوبر قد غير من تفكيرنا وحوار من
رؤيتنا حتى جعل النصر هو المآرب والنجاح هو الهدف
في أي شيء نمارسه سواء كان ذلك حربا أو دراسة
أو انتاجا أو زراعة أو صناعة أو أي شيء آخر في
هذا الوطن المجدى ، صغيرة في مصر وكبيرة على

□ ١٤٨ □

جيش قوى وجبهة داخلية متماسكة لقد أنصتنا ونفذنا بحق حين يأمرنا سبحانه فيقول :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظالمون » .

٢ - صنع قرار ٦ أكتوبر : وبعد ست سنوات أو أكثر قليلا من العناء وبعد جهاد ومجاهدة اتخذ رئيس جمهوريتنا المؤمن قراره التاريخي ولا أخالني الا مصيبا ان قلت ان هذا الرجل المؤمن قد دعا الله ان يكلل قراره بالنجاح فتفتحت لدعائه ابواب والسماء أو التمس البركة من شهر رمضان فعملت له ليلة القدر فلقد التمس وأعد كل الاسباب المادية وبقي أمام ان يلتمس توفيق الله له فاعتمد على ربه أولا ثم على شعبه بشقيه قواته المسلحة وجبهته الداخلية المتماسكة ثانيا ثم على وفاء أمة عربية بأكملها شارك بعضها في المعركة من أول طلقة وكان الرئيس أنور السادات حين أقدم على قراره الجريء قد استعرض أمام عينيه بلاغين حربيين أنزلهما المولى على رسوله النبي الأمي حين قال سبحانه :

الأول : ١ - يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين .

الثاني : ٢ - يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ●

وقد حفزه هذان البلاغان الى ان يتوكل على الله ففعل والله يحب المتوكلين عليه لا المتوكلين .

٣ - العبور وما بعد العبور : لا أخالني مهما كتبت وصورت قادرا على ان أوفي الساعات الست التي استغرقتها عملية العبور حقها فهي أكبر من ان توصف ومن ثم فان الاعتراف بالعجز عن تصويرها في حد ذاته تجلة لها واعتراف بجلالها وضخامتها كما ان المعارك التي دارت رحاها بعد ذلك كانت على وجه من التنسيق والتكتيك والبراعة بحيث أشادت بها كل وسائل الاعلام في الخارج ، في الدول الصديقة وغير الصديقة . وأرجع الى القرآن المجيد استوحى منه بعض تصوير المواقف :

١ - تلقى المقاتلون الامر بالعبور بصدر رجب وأضعين في اعتبارهم قول الله تعالى :

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يجب كل خوان كفور ، اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصيرهم لقدير .

٢ - ثم عبروا القناة وحطموها خط بارليف المنيع واستولوا على كل حصونه ومعداته واستسلم المدافعون عنه من اليهود فقويت روح مقاتلينا المعنوية وحطموها اسطورة الجيش الذي لا يقهر وتحقق في مقاتلينا قول الحق تبارك وتعالى :

« وما جعله الله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » .

وقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » .

وقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين .

وصدق في اليهود بعد خروجهم مستسلمين من حصونهم قول الله عليهم .

● هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار .

وقوله تعالى : لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

وقوله تعالى : ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسره ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون .

وقوله تعالى : واذا زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب .

والحق ان اليهود قد نقضوا العهود والمواثيق واستخفوا بكل قانون فصدق قول الله فيهم وفى أمثالهم .

● ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عامدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تتفقتهم فى الحرب فشر بهم

جروب مجلات قديمة - تلجرام

من خلفهم لعلهم ينكرون . وأما تخافن من قوم خيانة فابذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا يحسن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون .

ولم يفتروا مقاتلونا لأول نصر ولكن ايمانهم بالله كان شديدا فوضعوا امام عيونهم قوله تعالى :

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن الكافرين .

والحق ان الله قد انزل السكينة على قلوب مقاتلينا ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وايدهم بروح من عنده فاتضح امام عيونهم صورة معارك الاسلام الاولى التي صورها الحق سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه بقوله :

اذ يريكم الله في منامك قليلا ولو اراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذاات الصدور . واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور .

٣ - فوق رمال سيناء :

وذارت المعارك الشجاعة على رمال سيناء فحارب مقاتلونا بشجاعة المؤمنين وفي نفس الوقت لم يفرطوا في عباداتهم ولجؤتهم الى الله ، فقد اقاموا المساجد حيثما وجدوا ، نكروا الله فذكرهم . ولا شك ان مقاتلينا بذلك قد طبقوا البلاغات الحربية التي صدرت من الحق تبارك وتعالى الى المؤمنين المحاربين والمدونة في سورة الانفال ومنها :

الاولى - يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يؤمئذ دبره الا متحرقا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير .

الثاني - يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون .

الثالث - يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون . واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم .

الرابع - يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم .

□ ١٥٠ □

الخامس - يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط .

٤ - وسقط في المعارك شهداء واصيب في المعارك من اصيب ونجا من الموت من نجا لكن احدا لم يفرط قيد أنملة في واجبه بل كان نبراسهم جميعا :

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

وقوله تعالى : قل هل تريصون بنا الا احدي الحسينين ونحن نترىص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او يبيدنا فتريصوا انا معكم مترىصون . وقوله تعالى : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

وقوله تعالى : ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظاؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون .

وقوله تعالى : وما اصابكم يوم النقي الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين .

وقوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين .

٥ - وجاءت اوامر وقف القتال بعد امارات للسلم ارتضاها المهيمون على المعركة : وتأكيدات من اعلى المستويات للقائد الاعلى للقوات المسلحة الذي ارتضاها وارتضتها معه الدول العربية التي ألف الله بين قلوب رؤسائها فازدادوا وساعدوا وعاونوا بصورة تفوق الوصف وصدق في ذلك قول الله في خیرامة اخرجت للناس في امر لنبيه المصطفى :

وقول رسول الله : من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا .

أيها السادة الزملاء .. أيها الابناء :

ليس لدى ما أختتم به القول في هذا إلا أن أسوق اليكم هذه اللوحة القرآنية الفريدة التي أحس من أعماق قلبي ونفسي أنها تصور لنا ما فات وما هو آت من حوادث خاصة بعد السادس من أكتوبر المجيد الذي كان فرقانا بين جحود الكافرين وإيمان المؤمنين أقرأوا معي بامعان قوله تعالى : الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم : فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فمشدوا الوثاق فاما من بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيدهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتمسسا لهم وأضل أعمالهم .

وتهنئة من الاعماق بالعام الدراسي الجديد ونصرا مؤزرا لامتنا العربية الموحدة وسلام من الله على العاشر من رمضان المعظم « السادس من أكتوبر العظيم » والله أكبر والعزة لمصر والله أكبر والعزة للعرب .

وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو اتفقت ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله أثف بينهم انه عزيز حكيم .

ولا يصح أن تسمع كلام المرجفين في هذا الصدد فهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونهم هينا وهو عند الله عظيم . وما دمنا نثق في قادتنا بغير حدود فلا سبيل الى بليلة الافكار .

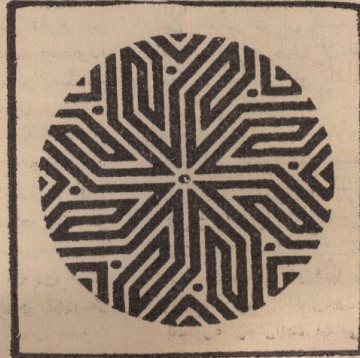
ولنتذكر جميعا قول الله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .

٦ - وأخيرا لقد كانت جبهتنا الداخلية قبل القتال وفي خلاله ومن بعده أقوى ما تكون تماسكا وأنهض ما تكون باعبائها وأصبون ما تكون لواجباتها في كل المجالات ولكانها كافر قد وضعت لها دستوراً من كتاب الله وقول رسول الله تتلخص في الآتي :

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون .

● لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضيل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما .



العلم والإيمان

منبعات للقوة الذاتية

الأستاذ
محمود غنم زباد

ان القوة الذاتية لاي شعب من الشعوب أو لاية قومية هي التي تحدد مسار تقدمه وتطوره ووقوفه بجانب الدول المتقدمة لأنها نابعة من ذاتيته ومن هنا مهما مر من الأزمات أو تعرضنا لتكسات سوف يعمل ذلك الشعب على أن يسترد حقوقه ويعمل على اللحاق بركب تطوره ويقوم الاسلام على أساسين يرشدنا اليهما كمنبعين للقوة الذاتية وهما

١ - العلم ٢ - الإيمان . أولا : العلم

أصبح العصر الذي نعيش فيه يتميز بالعلم فنحن نرى الآن الاختراعات الهائلة ونسمع عنها كل يوم في الصحافة والراديو والتليفزيون والتطبيقات العملية في حل مشاكل المجتمع التي تواجهه . والعلم نشاط لغوى اجتماعي يهدف به الانسان الى زيادة قدرته على السيطرة على الطبيعة وأصبحت الظواهر الطبيعية أكثر طوعا من قبل للعلم والمعرفة العلمية . والعلم هو محاولة اكتشاف العلاقات التي تقوم بين هذه الأحداث وهذه الظواهر . انه باختصار محاولة اكتشاف نظام معين في هذا الكون . نظام نستطيع بهقتضاه أن نقول أن أحداثا معينة تتصل بأحداث أخرى بعلاقات ضرورية والعلم له أهداف ثلاثة يمكن أن نجعلها فيما يلي :

١ - الفهم : والمقصود منه كشف العلاقات التي تقوم بين الأشياء المختلفة فالفهم هو عملية ربط أو ادراك للعلاقات بين الظواهر المراد تفسيرها وبين الأحداث التي تلازمها أو تسبقها فالفهم إذن هو الربط بين الظاهرة وبين متغيرات وظروف أخرى خارجة عن الظاهرة ذاتها . ويعتبر وجودها مسئولا عن حدوث

هذه الظاهرة ، وعلى ذلك نجد ان الفهم هو أول خاصية للعلم وكلها فهنا الظواهر كلما ازدادنا ادراكا لها وكلما ازدادنا ادراكا للظاهرة ازدادنا فهما لها ولعل معظم الأبحاث على عملية الذكاء أثبتت أن الذكاء هو عبارة عن فهم وربط الأشياء والمتغيرات ربطا تاما وهذا هو الذي يفرق بين فرد وآخر فمفهوم يستطيع أن يربط بين المتغيرات وفرد يعجز عن عملية الربط .

٢ - التنبؤ : التنبؤ المبني على الفهم والفهم هو نقطة البدء فمحاول من خلال وجود العلاقة الوظيفية بين المتغيرات أن نستنتج من هذه العلاقة الوظيفية نتائج أخرى يمكن أن تتسق معها والتنبؤ هو تصور انطبق القانون أو القاعدة العامة في مواقف أخرى غير تلك التي نشأ عنها أساسا . والتنبؤ يساعد بدوره على زيادة الفهم واذ ثبت صحة التنبؤات فمعنى ذلك أن معلوماتنا صحيحة وإذا لم تثبت صحة التنبؤات كان معنى ذلك أنه يجب مراجعة معلوماتنا في ضوء النتائج الجديدة التي نحصل عليها والتنبؤ يمكن أن يكون له ثلاث طرق منذ وجدت البشرية .

١ - التنبؤ عن طريق التنجيم وعن طريق قراءة الطالع وهذه الفترة استغرقتها البشرية مدة ليست بقصيرة ومازالت تعاني البشرية من ذلك في وجود

□ ■ □

بعض المجتمعات المتخلفة التي تؤمن بذلك .»

ب - التنبؤ عن طريق الخيال وفي هذه المرحلة نجد أن الكتاب يصفون مجتمعات معينة أو رحلة معينة مثل الوصول إلى القمر وقد حقق العلم بعض هذه التنبؤات .
ج - التنبؤ عن طريق العلم وهو الخطوة الهامة لأننا نستخدم العلم في ذلك لنصل إلى حد كبير وإلى نتائج محققة أو مؤكدة .

٢ - التحكم : العلم نشاط يهدف به الإنسان إلى السيطرة على الطبيعة لتحقيق أحسن ما يمكن من نتائج وبالتالي نتناول الظروف التي تحدد حدوث الظاهرة بشكل يحقق لنا الوصول إلى هدف معين والعلاقة بين الفهم والتحكم علاقة وثيقة حيث يتم بها الوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة .

والإسلام يهتم بالعلم اهتماما كبيرا فهو إحدى الوسائل التي دعا إليها للسيطرة على الطبيعة ويتحكم فيها ولعل النهضة العربية في القرن الثاني عشر قامت على أساس علمي حيث كان هارون الرشيد يزن الترجمة بالذهب لتشجيع العلماء على الإطلاع على علوم اليونان والرومان والهنود وقام أكبر ما يمكن من انتصارات إسلامية في المجال العلمي شهدت بذلك أسماء علوم معينة بأسماء أصحابها علماء العرب .
وسنورد بعض الآيات والأحاديث النبوية التي تشيد بأهمية العلم

قوله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

« اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

« فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »
« وقل رب زدني علما »

يقول الرسول الكريم « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معيه بالعلم » .

ويقول الرسول الكريم « يؤزن مداد العلماء ، ودماء النسيان » يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر .
ويقول الرسول الكريم « ولعدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة » .

ثانيا الأيمان

يقول د . عبد الحليم محمود مولانا الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر في كتابه « الإسلام والأيمان » عن أساس الأيمان ليعطى لنا صورة رائعة من صور الأيمان ص ٢٦١ .

« لقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع الجيش ليعترض طريق قافلة قريش ردا على ما أخذوه من أموال المسلمين ظلما واغتصابا فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا قافلته فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال أحسن ثم قام عمر بن الخطاب وأحسن ثم قام المقداد ابن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله فنحن

معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبغه فقالت له الرسول خيرا ودعاه له .»

يقول د . عبد الحليم محمود مرة أخرى في صورة رائعة أيضا في نفس المرجع كاساس للإيمان الآتي :

« يقول سعد بن معاذ للرسول »

« والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد أمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله » .

الأيمان حسييل لبناء القوة الذاتية

١ - يتضمن الأيمان معنى جميلا ألا وهو العمل والعمل به فوائد متعددة وأصبح له قيمة كبرى للقوة الذاتية لانه .

١ - العمل حق وواجب وشرف ولقد تغيرت النظرة إلى العمل فأصبحت قيمة القوة الذاتية تتناسب مع ما يمنح تاديبه للمجتمع من أعمال . أن العمل الانساني الخلاق هو الوسيلة لبناء المجتمع المتقدم لكي يحقق اهدافه وأن طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للامل غير العمل الانساني .

ب - القوة الذاتية تقوم على قاعدة أساسية تتمثل في احترام الفرد لنفسه أو المجتمع لنفسه فنرى أن العمل يحقق للفرد هذا الاحترام لذاته .

ج - دخل الفرد على أساس عمله بمقدار الجهد للأفراد وعملهم تكون الثمار فالدخل على أساس العمل يقضى بالتدريج على جميع أشكال التفرقة أو الامتياز التي لا تستند إلى جهد أو عمل من يتم به وعلى ذلك القوة الذاتية يكون مصدر دخلها الوحيد هو العمل .

٢ - يتضمن الأيمان معنى عظيما ألا وهو كما يقول د . محمد بيصار في كتاب العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص ٩٥ « الأيمان معناه اللغوي يستعمل بمعنى (التامين) واعطاء الأمان لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف فليسيبوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وهو بهذا المعنى اسم من أسماء الله (المؤمن المهيمن) لانه سبحانه آمن الناس من أن يقع عليهم من ظلم » .

والحاجة إلى الامن حاجة من الحاجات الأساسية التي تنمو في ظلها القوة الذاتية نماء سليما وترتبط هذه الحاجة بالحاجات الجسمانية (الفسيولوجية) لأن القوة الذاتية لن تستطيع أن تحتفظ بوجودها إلا إذا كانت آمنة بعيدة عن مواطن الخطر وبذلك تتضمن

البقية صفحة ١٨٣

عالمية الإسلام

الرؤية المؤمنة

الأستاذ أنور الخنيزي

من أعظم معطيات الإسلام الخاتمة الباقية على الزمن : « الرؤية المؤمنة » . وهي الرؤية التي تستمد كيانها كله من كتاب الله وتكامل الإسلام ونظرته الجامعة الواسعة الأفق ، الممتدة الأبعاد ، الواعية الفاحصة .

وقد طرح الإسلام هذه النظرة في عالم كان يعرف من قبل نظرتين : النظرة الساذجة والنظرة الماكرة ، وكلاهما بعيد عن الفطرة الإنسانية ، معارض للعلم والعقل ، مضاد للإنسانية التي هي طابع النظرة المؤمنة ، مخالف للربانية الذي هو منطلق البشرية الحقيقي .

فإذا كانت هناك في العالم الآن رؤية ساذجة فهي ليست نظرة الإسلام ، وإنما هي نتاج التخلف والانحراف عن النظرة الاصلية الصادقة .

ولا تحسب خطأ هذه النظرة الساذجة على الإسلام وإن كانت من تصرفات بعض المسلمين ، وإنما هي نتاج التخلي عن قيم الإسلام الصامدة المضيئة التي لا يتعرض المستهسون بها إلى تخلف ، أو غزو أو ضعف أو سيطرة خارجية أيا كان نوعها .

أما الرؤية الماكرة فهي تلك النظرة التلمودية التي طرحها الفكر اليهودي على الإنسانية منذ قرون طويلة ، ومازال يحددها ، جيلا بعد جيل ، ليصرف الناس عن وجهة الحق وعن نور التوحيد وعن ضوء القرآن .

إن هذه النظرة الماكرة هي التي تحاول أن تثبت في

عقول المسلمين والعرب أنهم لكي يحققوا انتصاراتهم في مجال التكنولوجيا والعلم لابد أن يتخلوا عن القيم والعقائد ، وهم الذين يحاولون أن يثيروا تضاربا وتضادا بين العقائد الربانية الصادقة الصافية ، هبة السماء إلى الأرض وبين التمسك بها من ناحية وبين الانطلاق في مجال القوة المادية .

هذه الشبهة من التعارض باطلة لا ريب في بطلانها ، ذلك أن المسلمين كانوا على مدى التاريخ يسكنون بالقوتين : الروحية والمادية ، ويخضعون القوة المادية للقيم الروحية وكانوا بذلك يقيمون مجتمع الحق والعدل والأخاء الانساني .

وهم في يومهم مثلهم في أمسهم ، لن يتحقق لهم نصر ، على عدو ، أو حضارة أو نهضة ، إلا إذا استمسكوا بهذا القانون الجامع بين القوتين معا .

فإذا جاء من يقول لهم غير ذلك فانما هو من أصحاب الرؤية الماكرة ، لا ريب كذلك فإن الأمم ذات التاريخ الطويل المجيد ، والعقيدة الراسخة العميقة الجذور ، تعرف أن ما يقدم لها من منجزات الحضارة أو معطيات المدنية ، إنما هو بمثابة مواد خام لا طعم لها ولا لون ولا رائحة ، وهي تشكلها كيفما تشاء ، وتستعمل منها ما تشاء ، وليس مفروضا عليها مطلقا - كما أنه ليس مفروضا على أية أمة تلتزم من نتاج الحضارة العالمية شيئا ، ليس مفروضا عليها أن تأخذ معه فكر أمة أخرى أو عقائدها ، أو أيدلوجيتها ، وإنما يلتزم المسلمون اليوم الجوانب المادية من الحضارة ليضعوها في إطار فكرهم وفي دائرة عقائدهم ، ليشكلوا بها نهضة جديدة للحضارة الإسلامية العربية .

ولن يستطيع أحد أن يفرض عليهم غير ذلك ، ولن يستطيع محدث مهما بلغ من قوة البيان أن يدل على أن الحضارة المادية حين تنقل لابد أن ينقل معها فكر الأمم التي صنعتها .

ولا ريب أن الإصلاح على هذا المعنى الواضح الزيف إنما هو مما يدخل تحت عنوان النظرة الساذجة .

كذلك لماذا يفترض حينما يدعو المسلمون إلى الشريعة الإسلامية وإلى النظرة الإسلامية في أمور الحياة والمجتمع أن ذلك من شأنه أن يعيد الناس إلى عصر الجمال والصحراء .

إن الفكر الإسلامي يفرق بوضوح بين امتلاك أدوات الحضارة المادية وبين استعمالها ، ذلك أن العلم التكنولوجي هو ثمرة العلم التجريبي الذي قدمه المسلمون للبشرية ، ولذلك فهم مساهمون في بنائه ، مشاركون في انمائه ، وهم اليوم حين ينقلونه إلى محيطهم وإلى لغتهم إنما يجدون روح العلم ، فإن الفكر الإسلامي له مفاهيمه الخاصة في استعمال العلم وفي صياغته ، فهو يجعله خالصا لله ، مبرا من الظلم ،

من محاسن الإسلام

النظافة هي التقاة والنزاهة عن
الإقذار والمساخات ، وفي اللغة نظف
الشيء من باب ظرف فهو نظيف .
ونظف المكان أى طهر ونقى من
الأوساخ والقاذورات ، والله عز وجل
يقول « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل
أن طهرا بيتي للطائفين والمساكين
والركع السجود »

يعنى الزمهما الله وأمرهما
بطهارة البيت ونظافته من الفرس والدم
الذى كان يطرحه المشركون عند
البيت . ومن الأصنام التى كانت
العرب فى جاهليتهم ووثنتهم قبل
إبراهيم يعلقونها حول مكان البيت .

[طهارة المسلم ونظافته]

أهتم الدين الإسلامى بطهارة المسلمين روحيا
ونظافتهم حسيا . وليس أدل على ذلك من اشتراط
الإسلام طهارة الباطن والظاهر لدخول المساجد
فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »

وقد فرض الإسلام الوضوء شرطا لصحة الصلاة
وجعل سبب فرضيته إرادة الصلاة لقول الله تعالى
« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم إلى الكعبين »

والوضوء فى لغة العرب من الوضوء وهو
الحسن . وشرعا الغسل والمسح فى أعضاء
مخصصة .

كما أوجب الدين الإسلامى الغسل لازالة
الحدث والجنابة ونظافة الجسم من الأوساخ
والقاذورات . وذلك بإسالة الماء على الجسد .
وقد أثبت الطب الحديث أن مرور الماء على الجسد
مرة فى اليوم يزيد فى حركة الدم ويجدد النشاط .

وقد جعل المشرع الإسلامى موجبات الغسل
خمس أمور [١] دم الحيض أو النفاس [٢] الولادة
[٣] موت المسلم إلا إذا كان شهيدا [٤] إذا أسلم
الكافر وهو جنبا . أما إذا أسلم وهو غير جنبا

عادلا ، شاملا للبشرية كلها ، لا يعرض به الحياة
للخطر وإنما يؤدى بها إلى الأمن .

فالعلم فى مفهوم الإسلام من أجل الأخوة الإنسانية
والتقدم بمفهومه الجامع (معنويا وماديا) وهو
مكفول بأمانة الله ووجهته إلى الخير والسلام .

كذلك فإن موقف الإسلام من الحضارة له ضوابطه
وله ذاتيته الخاصة .

والنفس الإنسانية العربية الإسلامية هنا لها غنها
وأدبها وشعرها المرتبطة بالنفس والروح والمقائد
والقيم والأخلاق .

ولذلك فإننا لا نقبل ولو قبلنا كما استطعنا أن نكون
غير أنفسنا بطابعها الذى صنعه الإسلام منذ أربعة
عشر قرنا ، والذى تحميه الأجيال من أن يذوب ، أو
يحتوى أو يتلاشى أو يفرض عليه ما ليس منه .

إن للمسلمين رؤيا كاملة فى مجال النفس والشعر
والفن تختلف لأنها تستمد أصولها من طبيعة وبيئة
وعقيدة ليس متماثلة مع الأمم الأخرى ، وإن كانت
تلتقى معها فى جوانب أخرى .

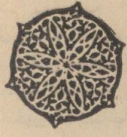
وبذلك فإن ما يقدم من نظريات فى النفس والأخلاق
والاجتماع فى بيئة من البيئات فإنها هو نتاجها ورد
عمل تحديات هذه البيئة وعنوان ذاتيتها ولقد غشى
الفكر البشرى فى السنوات الأخيرة طابع حطير من
الفكر التلمودى الصهيونى يحاول أن يضع العرب
والمسلمين فى منطقة الاحتواء وفى إطار التغريب
ويغزو الثقافى ، حتى تضعف مقومات هذه الأمة
وعقائدها التى كانت ولا تزال قادرة على رد العدوان
ودفع الظلم ومقاومة الباطل .

والمسلمون يعرفون كيف يفرقون بين العلوم
والعسافات وبين الحقائق والنظريات وبين الواقع
والفروض وبين التجارب الصائبة ، والتى عجزت عن
تحقيق شيء .

وهم واعون للزيف وللكتلمات البراقة التى تصاغ
فى إطار الحرب النفسية التى توجه اليهم وتحاول أن
تسيطر عليهم .

ولذلك فإن الرؤية المؤمنة هى ذلك الإطار العظيم
الذى يتحرك فيه الفكر الإسلامى فى عقيدته القائمة
على الإيمان بالله وتوحيده ، وعلى ثبات القيم
الاساسية ، وعلى المسؤولية الفردية النابعة من الإرادة
الحرة ، وعلى الجزاء الأخروى ، والالتزام
الأخلاقى .

والنظرة الإسلامية دائما نظرة متكاملة جامعة ،
ترتبط فيها الروح بالمادة والعقل بالقلب والدنيا
بالآخرة ، وهى نظرة تؤمن بأن عالم الغيب حق واقع
وأن الفصل بين الماديات والروحيات من شأنه أن يفتك
بالنفس الإنسانية ويوقعها فى أزمت الانحلال
والضياع وأن ذلك التكامل الذى عرفه الإسلام وأهداه
للبشرية هو النور للعالمين والسكينة للقلب وهو ضياء
الدنيا ونعيم الآخرة .



النظافة

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوي

المسلمين لان اهمال نظافة الاماكن العامة التي يلتقي فيها الناس . فيه ضرر على صحتهم . والنظافة وقاية والوقاية خير من العلاج . والمسلم الصحيح المعافى انفع واصلح لنفسه ولأهله وللمجتمع ، وإذا حافظ المسلم على صحته كان تفكيره وعقله سليما . وقديما قيل . العقل السليم في الجسم السليم . والله تبارك وتعالى أمر بتطهير بيوته التي يجتمع فيها المسلمون لانه عز وجل أمر بتطهير البيت الحرام وفي الامر بتطهير البيت الحرام أمر بنظافة جميع بيوت الله ويقاس على ذلك كل مكان عام تقتضى فيه مصالح المسلمين أو يجتمع فيه الناس كالمكاتب الحكومية والمستشفيات والمصانع والنوادي والطرق التي يسير فيها الناس . قال تعالى آمرا بنظافة بيوته ؟ **وَأَذِّنْ لِلْعِبَادِ أَن يُسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي مَقَاتِلِهِمْ وَلَدُنْهُمْ وَأَن يُسَبِّحُوا فِي بَيْتِهِ الْمَكِينِ** (سورة الحج . ٢٦)

● نظافة الطريق :

حث الاسلام على نظافة الطرق التي يسير فيها الناس حتى لا يتأذوا فيها بشوك او رائحة كريهة . فجعل نظافة الطريق احدى شعب الايمان بالله عز وجل كما ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — الايمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان — أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

● نظافة البيوت :

قديما قيل : الصحة تاج على رؤوس الأصحاء ؟ ولذا أوجب المشرع الاسلامي نظافة البيوت . لانها محل إقامة الانسان ومكان راحته ونومه وطعامه وشرابه وفيها يعيش الانسان أكثر أوقات حياته . والاهمال في نظافتها يجلب الأمراض . والنبي عليه السلام كان هو المشرع الاول والامين على الناس في كل أمورهم لذا أمرهم بالمحافظة على نظافة بيوتهم فقد ورد في السنة النبوية عن سعد بن أبي وقاص . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« البقية صفحة ٢٠ »

فيندب الغسل [٥] الجنابة . وفي سيرة ابن هشام أن أسيد بن حضير قال لاسعد بن زرارمة ومصعب بن عمير . كيف تصنعون اذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين . فقالا له : تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين . والرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث المسلمين على النظافة ويبين لهم أن النظافة من الايمان فيقول فيما رواه أبو هريرة عن النبي قال — **لله تعالى على كل مسلم حق ان يغتسل في كل سبعة أيام . يوما يغسل فيه رأسه وجسده** — رواه البخاري ومسلم .

كما أمرت الشريعة الاسلامية المسلمين باستعمال اليد اليسرى عند الاستنجاء وذلك لان اليد اليمنى هي التي يتناول بها الانسان طعامه وشرابه . لذا حفظها الاسلام حتى لا يعلق بها شيء من الميكروبات اذا لم يغسلها الانسان جيدا فيكون معرضا للمرض والعدوى .

● نظافة الفم والاسنان :

سلامة الفم والاسنان فيها سلامة صحة الانسان لان الانسان هي العامل الاساسي في مضغ الطعام الذي يذهب الى المعدة ويغذى جسم الانسان . ولهذا حرص الاسلام على تنبيه المسلمين الى نظافة الفم والاسنان لان تنظيف الفم والاسنان يجعله خاليا من الميكروبات والجراثيم التي تجلب الامراض ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم — **لولا أن أثنى على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء** — رواه مالك والبخاري — وقد ثبت علميا ان كثيرا من امراض المعدة والحلق والامراض العقلية وامراض ساق الانسان التي تسبب ألما في ساقه ترجع جميعا الى تلف الاسنان واصابتها وعدم العناية بنظافتها وسلامتها .

● اهتمام الاسلام بالنظافة العامة :

نظافة المساكن التي يعيش فيها المسلمون والاماكن التي يترددون عليها ويجتمعون فيها . وكل ما يستعمله المسلم في مأكله ومشربه وملبسه واجب شرعا أوجبه الشريعة الاسلامية حفاظا على صحة



□ ١٥٧ □

الأعلام النبوية الشريفة في ميادين الجهاد

فى هذه الايام المباركة ، التى
تسترد فيها أعلام فوائنا المظفرة ،
مواقعها الشامخة ، على قسم
الأراضى العربية المحررة ، فى
سيناء والجلولان ، وتستعيد
ذكرى الانتصارات الإسلامية
الأولى ، تحت قيادة الرسول
الكريم ، وخلفائه الراشدين .
يطيب لنا أن نقدم نبذة عن
الأعلام النبوية الشريفة ، التى
حقق المجاهدون المسلمون الأول فى
ظلالها : أعظم الانتصارات .

الاستاذ إبراهيم الخضر

الفرق بين اللواء والراية ، أن اللواء كان مستطيلاً ،
والراية كانت مربعة .

ويبدو أن اللواء كان دائماً أبيض اللون ، وكان
الرمز العام للجيش ، ومركز القيادة ، بينما كانت
الرايات متعددة الألوان . وقد يكون لكل لون دلالة
على قبيلة أو وحدة معينة .

وذكر [ابن سيد الناس] فى سيرته
المسماة [بعيون الأثر] رايتين من رايات الرسول
الكريم . أولهما سوداء - قيل أنها كانت من
الصوف - وهى المسماة « بالعقاب » ، والآخرى
بيضاء وربما جعل فيها السواد - وكانت
تسمى « بالزينة » .

وروى أن الراية النبوية كانت بيضاء يوم [خيبر]

وورد ذكر راية أخرى صفراء فى سنن [أبى داود]
من حديث [سهاك بن حرب] .

ويروى أن [خالد بن الوليد] لما سار لفتح الشام
ووصل إلى الثنية المشرفة على غوطة [دمشق] كان
ناشراً راية النبى المسماة « بالعقاب » . فوقف على
تلك الثنية ساعة ، فسميت [ثنية العقاب] .

وقد ظلت الأعلام البيضاء شعار الأمويين .

التيق ص ١٦٠

وكان من أشهر أعلامه - صلى الله عليه وسلم -
راية ضخمة تسمى [العقاب] يضم العين . وقد
شبهت فى شموخها ومنعتها بالطائر المعروف بهذا
الاسم . وهو طائر ضخم يلقب بسيد الطيور . ويعيش
فوق القمم الشاهية ، ويحلق فى مسافات عالية .

ولذلك فقد ضرب العرب المثل بمنعته ، وتمنّز
أدراكه أو النيل منه . فقالوا [أمنع من عقاب
الجن] . ويقال أن أول من نطق بذلك المثل [عمرو بن
عدي] فى حديثه إلى [قصير بن سعد] فى قصة
الزباء المشهورة .

وقد وصف بعض علماء الطيور المحدثين
طائر [العقاب] بأنه « صورة فريدة للجمال المزهو ،
وللقوة الشجاعة ، وشدة اليأس ، والاعتزاز بالنفس »
وأنه « من رموز المجد والمتعة » .

وذكر الحافظ الذمياطى عن أبى المظفر يوسف
المعروف بسبط بن الجوزى صاحب (مرآة الزمان)
أن اللواء النبوى ، كان أبيض اللون مكتوباً عليه [لا
إله إلا الله . محمد رسول الله]

ومى [الكامل] لابن الأثير أنه - صلى الله عليه
وسلم - عقد لواء أبيض لعمه [حمزة] ، وعقد لواء
أبيض آخر [لعبدة بن الحارث] . كما روى أنه عقد
لعمه [العباس] يوم [حنين] ويوم [الفتح] راية
سوداء .

وقد ذكر [البرهان الحلبي] عن أبى ذر [أن

□ ١٥٨ □

الأصول الروحية للعمارة الإسلامية

ليس من هدفى ان استعرض الزيادات والإصلاحات التى الحقق بالمسجد النبوى الكريم ، بعد عمارة عمر بن عبد العزيز ، التى اكتفيت بذكرها بعد عمارات الراشدين وزياداتهم .

ونلك لان حديثى عن العمارة النبوية ، أولا ، لاستقاء التخطيط الإسلامى الأول من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، تخطيط المسجد ومركز الدعوة وموئل الفكرة ، من فعل وتوجيه صاحب الدعوة وهادى الأمة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله

عناصر عمارة المسجد من روحى العمارة النبوية

الأستاذ عبد المجيد رافى -

قال عمر رضى الله عنه سجميع المسجد ، ولكن جزءا سماوياته بين مقدمة المسجد ومؤخرته يسبح بدخول الضوء والهواء إلى ظلى المسجد وقد يمكن أن يظل المسجد كله ، وذلك عندما تتعاون العوامل الجوية على وجوب ذلك من برد شديد أو مطر كثير . كما حدث أن أقيمت الظل الجانبية الموصلة بين مقدم المسجد ومؤخره يبره من ذلك العامل الجوى ، وخاصة بعد أن زاد عمران الدنة النبوية وكثر الناس فى المسجد .

ولقد تطور الاقتداء بذلك الأصل النبوى الشريف فى جوامع الأوصار حتى ان الظلة الإمامية فى بعضها استوعبت عددا كبيرا من المئد والأساطين بلغ ألفا وأربعمائة أسطوانة ، فى مسجد قرطبة الجامع بعد أن أصبحت قرطبة أكبر حواضر الأندلس ، بها يند كل جمعة وعبد قضاة الثفور والمدن للصلاة مع الخلفاء الأندلسيين . - لم يكن من الممكن أن تقوم السقائف دون أساطين تحمّلها ، ولذلك وجدت المئد ، وكانت أولا من جذوع النخل ، ثم استبدلتها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خشبا ، ثم استبدلت بالحجارة بعد ذلك .

ولقد كانت المئد تصف موازية لجدار القبلة ، على هدى ما فعله رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فأصبحت عملا على انظام الصفوف خلف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ثم خلف خلفائه والأئمة من بعده .

ولقد حملت المئد السقوف فترة معتدلة على عوارض ، فلما جعل عمر بن عبد العزيز الرجة بين ظلى المسجد الإمامية والخلف بمحاطة بأقواس أو عقود ، اتخذها المعمارون من بعده فوق كل مئد وأساطين المسجد فساعدت على ارتفاع السقف ، وتمددت أشكال العقود ، انصاف دوائر أو عقودا مستوية أو منفردة أو عقد حدود القوس .

وابتكر مهندس عبد الرحمن الداخل فى عمارة مسجد قرطبة الأعظم تماثل العقود فوق بعضها فصارت الأقواس مزدوجة مما زاد فى ارتفاع السقف واستغنى المعمارون المحدثون عن تعدد الأعمدة باستعمال الأكتاف والدعامات الخرسانية ، واستغنوا عن السقوف المسطحة بالسقوف المقببة أو القباب .

٦ - التوافد أو الفتحات فى جدار المسجد ، وكانت عنصر الإن منه عندما زاد عمق السقائف ، لكى تسمح بقد من الضوء والهواء بالتوافد إلى عمق المسجد ، دون الاكتفاء بالضوء الداخلى من الرجة بين السقيقتين ، كما أن وجود الفتحات فى الجدران ، عامل من عوامل تحريك الهواء المتعدد المصادر ساعة ازدهام المسجد عند الجباعات .

كانت هذه هى العناصر الأساسية التى اشتغل عليها المسجد النبوى الكريم ، حتى نهاية عهد الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعين . وهى كلها كانت مما فعله النبى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، أو مما فعله صحابته من بعده اقتداء به ، فيها عدا المنصر

ثم كان حديثى عن عمارة الراشدين ، ثانيا ، باعتبارها التطبيق الأول من خير صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، منها تبيين الالتزام من القزم ، والتجوز فى استبدال عنصر بعنصر أو هامة بخامة مع التمسك بالصورة التخطيطية النبوية ، والتطبيق الالتزامى أو التجوز أنها كان من خلفاء الرسول عليهم رضوان الله وبحضور اخوانهم من عامة الصحابة والمسلمين ، واجتماعهم أصل من أصول الهدى ، لانهم لا يجتمعون على ضلال .

وكذلك كان حديثى عن عمارة عمر بن عبد العزيز ، ثالثا ، وهى أول عمارة وزيادة بعد الخلفاء الراشدين ، لانها آخر عمارة نبت بحضور من كان قد بقى وعمر من صحابة الرسول رضوان الله عليهم ، وصلوات الله وسلامه على صاحبهم فى العالمين انه حبيب مجيد ، وهى بقدر ما زيد فيها من عناصر وخامات ، لم تخرج عن التخطيط النبوى ، بل احتذت واجتهدت فى نفس الخط ، وعلى سنن الهدى .

وليس من هدفى تعداد الزيادات والإصلاحات ، بقدر ما كان هدفى أن استكشف العناصر التى استقر عليها الشكل الأول للمسجد فى الإسلام ، من واقع ما حصل فى المسجد الإسلامى الأول الذى صلى فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وخطط عمارته وظائفه بنفسه ، والتزمها المسلمون من بعده . وقد شهدت الأرض العربية والإسلامية كلها اتسعت رقاعها ، مساجد كثيرة قامت وخططت على نسق مسجد رسول الله صلوات الله عليه .

وهكذا يكون المسجد النبوى الشريف قد صار أصلا يحتذى بعد أن أخذ زخرفه وأزين منذ القدم ، ولما تنقضى المائة الأولى من تاريخ هجرة خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وأعطى الصورة الثابتة الأصلية والأصلية لتخطيط كل مسجد فى الحقيقة الإسلامية الأولى ، والتى تتمثل فى العناصر الآتية :

١ - مساحة أرض المسجد المتاحة حسب إمكانيات البيئة والمنطقة ، وقد كانت أول الأمر - فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - مربعة أو شبه مربعة ، ثم تعاونت الزيادات المتعاقبة على استطالتها فليس لزاما أن يكون المسجد مريعا أو مستطيلا ، بل المكان أصل أيا كان شكله .

٢ - جدار خارجى يحد المساحة المخصصة للمسجد ، وظاهر من بناء ذلك الجدار ، هو محاولة فصل المسجد عن البيئة خارجه ، بما تحوى من مشاغل الحياة العامة : والننى قد تشغل عن الخشوع فى الصلاة ، فيها لو كان المسجد غير محجوب عنها بذلك الجدار .

٣ - أبواب تتخلل ذلك الجدار ، توصل إلى داخل المسجد من جهاته المختلفة ، وتعددها مهم - أن أمكن - حتى لا يقتصر الخروج بعد الصلوات الجامعة ، وكذلك الدخول ، على باب واحد ، ويتسبب عن ذلك تدافع وتزاحم يغنى عنها تعدد الأبواب .

٤ - السقف المظلل ، ولم يقصد أن يعمم الظل ، ولكن - كما

سكانهم القفار وبيوت الشعر بدأ
والغريب أن كل ما ادعى وما قيل حول ذلك ، لا يقوم له أساس
أمام العناصر البسيطة التي بدى البناء بها ، وإنما انتم الرسول
صلوات الله وسلامه عليه باستعمالها — وقد كان من الممكن أن
يتعالموا في اختيارها لو أرادوا — حتى لا يصبح أصلاً من أصول
الانزاع بعد انتضاء عهد الرسول وصحابته ، كما أن الخلفاء الكرام
قد أحسوا إمكان التخلي عن تلك البساطة حينما اتخذوا عمد الخشب
أو الحجارة بدلاً من جذوع النخل ، والسقف الخشبي بدلاً من عوارض
الجريد والخصف والاذخر والسعف، وكذلك استبدال اللبن بالحجارة
المنقودة ،

ويوم اتخذ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، سقف الساج
— خشب الساج سقف — والحجارة المنقوشة والقصة — الجص —
كان ذلك من إمكانيات الاتفاق بين بيت مال المسلمين دون مغالة أو
إرهاق للجماعة .

● ● ●
هذه صورة كان لابد من استعراضها حصيلتها لروايات وردت في
كتب السير فاعترضت أصولاً محددة حاول كاتبون إنكارها حيناً ،
أو نسبة ما تم إلى جهد آخرين ، وقد سارت الأيام بالأصول الأولى
التزاماً في مساجد المسلمين في المائة الأولى من أرض ما رأه التهر
إلى المحيط الاطلسي، وما ناقش المناقشون ولا أدعوا الاقتباس والنقل
الآن منذ مائة ونيف يوم بدأوا يكتبون ويبدسون عمائر الإسلام فاعلمهم
الحقد العقائدي .

ولعل البحث يتجه بنا الآن إلى عناصر أخرى ، احتاج إليها
المسجد الاسلامي بعضها جوهرى ، وإن أمكن تحقق المسجد البسيط
بدونها كالقبة والمحراب والمئبر .

وعناصر أخرى استحدثت بعد تقدم الأيام بالدولة واتساع
الأرض على أصحابها ، كالقصور في بيوت الصلاة ، والمرافق ودور
الوضوء وما يلحق بها .

لكن هذا باب جديد من أبواب البحث يحتاج إلى نهج آخر نستعين
الله عليه في حديث موصول وبالله التوفيق .

الأخير الذي أمله الحاجة بعد زيادة عمران رضوان الله عليه ، ولم
يلق اعتراضاً من الصحابة الحاضرين لممارته .
كما أن هذه العناصر في جملتها ، عناصر هندسية أو معمارية ،
وظيفية في تكوين المسجد ، تليها طبيعة البناء ووظيفته ، دون أن
تعمل على معنى من معاني التقليد أو الاقتباس ، من مباني سابقة
على الإسلام . والقول بمثل ذلك إنما قصد به نسبة الجهل الحضاري
إلى الجيل الأول من المسلمين ومثله هذا القول مردود بما روينا من
اشترك الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله مع الصحابة
في البناء والتخطيط ، كما أن العناصر البنائية وتوظيفها كاللبن
وطريقة صفه وبناءه بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، تفيد
سبق مزاولته من الرسول وصحابته رضوان الله عليهم .

ثم أن الاقتباس المعماري في المراحل الحضارية الأولى ، لا يعيب
المسلمين الأوائل — على فرد وجود الاقتباس — وذلك لأن العمارة
أو عناصرها لا تدخل في صميم العقيدة ، بقدر ما تمكن من مزاولته
العبادات التي جاء بها الوحي الكريم .

كما أن المعيب أن تدعو العقيدة الإسلامية إلى فكرة أو مبدأ ، ثم
تأخذ بشكل من الأشكال العمرانية التي تتعارض مع بعض الأفكار
أو المبادئ التي تدعو إليها ، فلم يقتبس المسلمون في عماراتهم
صلياً مثلاً أو صنماً أو نصبا حتى يعاب عليهم هذا الاقتباس .
ومثل من يعيب على المسلمين اتخاذهم مسطحة من الأرض مسجداً
أو مسقفاً للعبادة ، كمن يعيب على قوم كانوا يستعملون الخيام
بيوتا فلم تجدهم فاتخذوا بيوتا من بناء .

وبحاول هؤلاء وأولئك ، أن ينسبوا المسجد الأول في تخطيطه
إلى البازيليكات كنانس كانت معروفة بنسب معينة طولاً وعرضاً
مرة ، ثم اقتباس الممد وما تودى إليه من تكوين الأروقة ، وهو ما
اصطلح عليه المماريون باسم الاسكيب ، مرة أخرى ، ثم يخيب ظنهم
فينفون أن مثل هذا البناء من فعلهم وإنما استعانوا عليه بمعماري
من بلد كذا أو كذا كان القوم لم يعرفوا جداراً أو لم يقيموا بناء
وكان أهل المدينة من أنصار الرسول صلوات الله وسلامه عليه
أو صحابته المهاجرين ، لم يسكنوا بيوت البناء ، وإنما هم بدو

بقية مقال « الاعلام النبوية الشريفة » في ميادين الجهاد »

الشريف | . وكان الخلفاء العثمانيون يضطرون
لأخراجه ونشره ، عندما تنشب إحدى الفتن ، فتجتمع
حوله القلوب المتنافرة ، أو الانصار الذين يتصدون
لقمع الفتنة . وكلهم سعادة بأن يظل رؤوسهم لواء
الرسول .

وقد ورد في تاريخ [الجبرتي] ذكر لواء آخر
منسوب للنبي عليه الصلاة والسلام ، هو ذلك الذي
أحضر السيد [عمر مكرم] نقيب الاشراف من القلعة ،
ليجمع حوله جموع المصريين الشائرين على الاحتلال
الفرنسي ، فكان لذلك اثر عظيم في الهاب حماسهم ،
وتعبئة مشاعرهم الدينية ، وحميتهم الاسلامية ،
فاندلعت ثورتهم العارمة ضد الاحتلال .

فما أوح جندنا الابطال — جنود الله — أن
يتمثلوا في كل معركة يخوضونها ، لواء الرسول
الكريم ، وهو يتقدم صفوفهم الزاحفة نحو المجد ،
ويخفق فوق رؤوسهم المتوجة بأكاليل النصر ، يذكرهم
بوعده الله الحق .

« ولقد سمعنا كلمة إمامنا المرسلني ، أنهم لهم
المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون » صدق الله
العظيم ،

والاعلام السوداء شعار العباسيين . ثم صارت
الاعلام البيضاء شعار الفاطميين أيضاً فيما بعد .
ولما عقد الخليفة [المتوكل] العباسي ولاية العهد
لبنيه ، عقد لكل واحد منهم لواءين : نواء أسود ، وهو
لواء العهد ، وآخر أبيض وهو لواء العمل ، لأنه ولاهم
أعمالا . كما فعل الخليفة [المعتمد] مثل ذلك .

وكان الصحابي الجليل [عتبة بن عامر الجهني]
أول من نشر اعلام الاسلام على سفن البحر . ولهذا
فقد أطلق عليه العامة في مصر [بيرقدار النبي]
أي حامل الراية النبوية . وضحجه معروف في آخر
القرارة الصغرى بالقاهرة ، بعد ضريح [الامام الليث]
من الجنوب .

وقد ظل من أتبع زمننا طويلاً — أيام أن كانت قافلة
الحج ، تسير برا عبر صحراء سيناء — أن يحمل أحد
خدام ضريح (عتبة بن عامر) علم القافلة كل سنة ،
ويركب جملاً خلف جمل المحمل مباشرة .

ومن الاثار النبوية الشريفة ، المحفوظة بمدينة
القسنطينية ، والتي يسميها الاتراك [الامانات
المباركة] لواء يقال انه اللواء النبوي .
ويسمونه [اللواء الشريف] أو [السنجق



...وفي عمارنا صديق:

ملخص ما نشر

وما كان أطول الرحلة بالصديق ! وما كان أعظم ما لاقاه ولولا الرؤية من مولاه ، لاختلف الموقف . لكن الرؤية كانت تؤنس خطواته ، وتخفف ما حدث له .

موقف أخوته والقاؤهم إياه في الجب الموحش ، وكيف تبذل هذا القدر بالرؤية . ثم انتقل الصديق الى وادي النيل ، مع قافلة تجارة ، عرضت يوسف للبيع ليصبح في قصر الحاكم أجمل من ضم القصر . وكما كان جمال الصديق ميزة ، فقد جر عليه الاموال وعرضه لمناعب شتى ! رغب في امرأة الحاكم ، فامتنع عليها ، بهدى من ربه . لكن المرأة لم تعرف غير الغدر ، كما فعل الاخوة !

وفي السجن الموحش عاش الصديق بين رفاق من نزل السجين ، يناجي رؤيا ربه ، لتنجيه من سجنه . وحدثت معجزة السجن ، حين تعرض لحلم الحاكم ففسره ، وكان الحكماء جميعا قد فشلوا في تأويله . وأراد الحاكم أن يعتمد على يوسف ، لينقذ مصر من المحنة . لكن الصديق أبى أن يخرج من سجنه ، الا أن تتقرر براءة نفسه . فلما حقق ربه معجزته في السجن ، قرر أن يصدع للامر ويخرج .

وأصبح فرضا أن يبدأ يوسف مرحلة أخرى . ماذا يفعل لانقاذ الوادي من تكبات أو أزمت قد تطرأ .

وواجه يوسف قدره ، بأعمال مختلفة عما عهد الناس . كان عليه أن يطهر تراب البلد الامن من أجلاف وغدوا .

.. وحرر يوسف انسان العصر ، ليصبح أقدر على مواجهة الغزو الجاثم . ومن تحرير الانسان ، تحرر أرض الاحرار . كما سنرى .



اسم يوسف!

بقلم الأستاذ عبد النعم الصادق

قصة صيرة طويلة

• • •
والصديق قد أرخى جفنيه حياءً ، أو
خشية خيلاء .. تقتل .
وتحدث حكما القوم .
وتنادى الفلاحون والعمال .
• • •
حتى الجند اشتركوا بصياح الفئال
الطيب .

• • •
الصديق هو رجل الموقف .
• • •
الصديق قد أثر أن يفرض أسس العدل .
• • •
الصديق قد حقق بالتضحية بنفسه ،
مبادئه أبقي من شخصه .
• • •
الصديق قد وضع أساسا للنصر على
الخوف ، لا يهتز .
• • •
والامل هو الصديق ، لتحرير الانسان ،
وتحرير الارض بالانسان الواصل من نفسه .

• • •
ومضى موكبك يا يوسف يخترق جموعا هزتها
تجربتك .
أفكنت تسمع هذى الاصوات من حولك ؟ أم
انك قد غلقت الاذنين ، كما أرخيت الجفنين حتى
لا تفكر .

أفلم تسمع أصواتا جنت بك ؟
دعك من الحكماء ، وفلسفة قالوها .
دعك من العمال ، وأملا صاغوه .
دعك من الفلاحين ، وحنايا أضلعمهم تخفق
بك .
دعك من الجند ، ورغبتهم في الحرب لاجلاء
الاجلاف المفتونين بغزو الارض .
أن نداءات أخرى التفت حولك تحمل اعجابا
آخر .
• • •
ما أحلاه !
• • •
ما أجمل طلعه !

• • •
يا قومى انى رهن لمشينة مصر .
وسأبدل في خدمتها عمري .
• • •
ولن تنسك بلاد عرفت بعرفان العهد .
• • •
ولن أنسى مصر ، كما لن أنسى فضل الله
على .

• • •
وخرج الصديق محاطا بجلال ومهابة .
وبرقت عيناه ، وهو يتطلع لرفاقه . ثم ودع
سجنه بدموع تنحدر على خدوده .
وقال لزملاء السجن ورفاق المحنة :
• • •
ولن أنسى هذا السجن . ولن أنساكم .
وسفرون معى كيف أعيد الحرية لكل الناس .
ان العدل ايس كلاما أجوف ، لكن العدل أن
يتساوى الناس في الفرصة ، تنهض مصر من
كبوتهها ويجلو الاجلاف عنها ، وتعود تساهم في
توزيع النعمة لمن يحتاج اليها .
وقبل يوسف رفاقه ، وهو يخرج الى الحرية
والنور .

ولم ينس أن يشكر حتى السجائين .
ومضى يوسف يواجه قدره .
ما كان أروع !
ما كان أمتع !
• • •
موكب يوسف ، يخترق جموع الناس !
والصبيحات الفرحة بالعدل ، تهلل .
والشبهات المأخوذة بالموقف ، تجلجل
وعيون النسموة ترصد مافى الصديق من
حسن يقتل .
وبراة طفل أو طفلة ، تتابع هذا الموكب ،
وتتساءل أو تسأل .
• • •
ورجال من كل المستويات والاعمال ، اخذتهم
تجربة الصديق في سجن لم يرهبه ، ولم
يتعلم .

● ما أعمق نظراته ؟
 ● ما أمتع شفتيه . لو يدري !
 ● ما أروع عود ممشوق فيه ؟
 ● ما أقدره على فرض هواه ، بسحره
 وجماله !

.. وكثيرا جدا يا صديق ، من كلمات
 الاعجاب ، تردد حولك ، وأنت تسير بين
 الجمع ، تسمع أو لاتسمع .

أتعرف من ؟

طبعاً تعرف ! ومن غير نساء مأخوذات ،
 يسرى فيهن الاعجاب بطاعتك وحسنك ؟

لكنك يامسكين تعاني من ذلك كله .

تعجب بك حواء ، فيغلي آدم بالغيرة !

تناديك الحسنات ، فيثور الحسد في
 الفتیان !

.. ماذا تفعل ؟

أنك لم تصنع نفسك ، ولم تفعل ما يوجب هذا
 كله !

لكن الناس معذورون يا يوسف . ألا تذكر ؟
 حتى أخوتك غاروا من حب أبيك . ومحتك
 الأولى في الحب . قد جاءت أثرا لجمالك ولرفقتك ،
 ومكانتك عند أبيك . ورؤيا ربك .

ولعل الله قد رزقك بجمال يسبي ، ومعه
 الصبر على المحنة ، لتنجو من كل مكائد قومك .

هو سبحانه قد قدر موقفك ، فامدك بفيض
 من طاقة ، تمتص بها الاحقاد . وتحول ما
 تتعرض له من ظلم ، الى ميزة تصلح درسا
 للتاريخ .. ولقاومة الانسان لما يتعرض له من
 المحنة .

اصبر يا يوسف ، كما صبر كل نبي سبقك .
 وكما صبر الصديقون . والحكماء ،
 وفلاسفة التاريخ ، وزعماء الرأي ، والكتّاب
 والشعراء ، وسواهم ممن رغبوا في تغيير
 الناس والاضاع ، لمزيد من خير ، بيداً أصلاً
 من نفس الانسان .

هذا يا يوسف قدرك

● ● ●

وهذا قصر التيه تزين ، ليلقاك .

وحول القصر اصطف الناس ..
 والحراس .

.. أترى فتيات وكيف تجملن ؟

أنك يا يوسف تعرفهن . ألم تبادل مع كل
 منهن كلمة ، أو نظرة ؟ ألم تسمع منهن عبارات
 الاعجاب بجمالك ؟ ألم تعرض كل منهن عليك
 ملاحظتها ؟
 ألا تسمع كلمات منهن تستقبل مقدمك من
 سجنك .
 لم يحفلن بنصرك ، أو اصرارك لكن حفاوتهن
 كانت بجمالك وبسحرك .

● لم يكبر يوسف !

● لم يضعفه السجن !

● لم يقهره التعذيب !

● على العكس ازداد جمالا .

● .. ورشاقة .

● وتوهج فيه شباب يغري .

● وتورد خداه .

● وزادته سنون السجن .. ملاحه .

● يا عجباً لك يا يوسف !

● ماذا ستفعل سيدة القصر حين تراه ؟

● تمنقه .. ؟

● وتنسى رفضه وتأبيه ؟

● قد ترجو منه أن يتغير .

● خشية أن يعود فيسجن ؟

● لكن يوسف لا يستسلم .

● من يدري ؟ يوسف انسان .

● .. ونبي .

● مجنون !

● كيف ؟

● يرفض أجمل من حملت أرض الوادي !

● لانه .. الصديق !

● والصديق .. ألا يتمتع ؟

● خلصة ؟!

● كل متاع .. هو في الواقع خلصة .

● هدى فلسفة أخرى .

● المتعة في الجهر ، تصبح كالواجب .

● عقيمه .

● وفي السر ؟

● تصبح سحراً .. يتغلغل في الاعماق .

● لا ينسى .

● وفي الاخلاق .. ؟

● الاخلاق !! المتعة اخلاق .

● .. حتى بالمحظور ؟!

● بقدر الحظر ، تكون الرغبة فيه .

● لكن للصديق رأى آخر .

● ولهذا يصبح مجنوناً .

● البقية العدد القسام



□ ١٦٠ □



أشواق



— ١ —

الابيات الستة الاتية نظمت منذ سنين :

قد طال شوقي للحجاز وقديسه
وأرى وجوه القوم ثم تاللات
وأرى الثرى فأرى هنالك روضة
ولقد اسائل رملة في ساحه
وارود آفاق الخيال مرددا
فاذا وقعت على الستائر خاشعا

والمقطوعات الثلاثة الاتية نظمت حديثا، تعليقاً وتعقيبا على تلك المقطوعة القديمة

— ٢ —

قد رام قلبي ان يطو
ويقلب النظرات في
ويكاد يستلم الثرى
ويقول في همس عرف—
يقظان ، ليس بنائم
يدري .. فلا تسأله عما

ف هناك بالبيت العتيق
نور بساحته اليق
في لهفة العاني المشوق
ت الى سنى البارى طريق
نشوان ليس بمستفيق
ذاق — ثمّة — من رحيق

— ٣ —

يا ايها الساعون بين الصفا
ماذا يرى الرءون في حالك
وملء احلامكم غنوة
منسوقة النبرة خلافة
ياليتنى ادلف من بينكم
وارفع الصوت بما فاض في

— على طريق الحب — والمروة
شتى تفتنون الى وجهة
مشدودة اللحن الى غنوة
منقومة بالشوق واللهفة
واتبع الخطوة بالقفزة
قلبي ، الى الرحمن ذى العزة

— ٤ —

تحية ، واصبر الى قابل
سوى الذى قدره خالق
يا كاتب الرزق بالواحه
ويا منيل الخير ، هبى لنا

فليس من فعل ولا فاعل
اجرى مدى العاجل والاجل
مسطورة بالحق لا الباطل
اجزل ما قد سقت من نائل

الشاعر العوضى الوكيل

□ □ □ □ □



صور من المجد لم تغد بها صور

لله والمجد يوم خالد عبرت
فيه العصور بامجاد الاولى [بدر]
تكاد تقفز فيه من مشاهد
[صحابة النور] في سيناء تنتشر
للخالد والمجد من اعطى الحياة ومن
في نصرة الحق في الهجاء ينتظر
يا امة العرب الاحرار كم حفلت
بك الحياة وغنى مجدك الدهر
اعليت بالوحدة الفراء صامدة
من القلاع تهاوى دونها الفدر
شمام عصماء لا ترمى جوانبها
قامت على العدل مكفول بها النصر
والحق اروع والايمان دائرة
والليل ما طال مقرون به الفجر
والروض ان روعت يوما نضارته
فكم يعود اليه وجهه النضر
وتصدح الطير في ارجائه طربا
ويحتفي في رباه الزهر والثمر
والادهم الحر لا تنفيه عثرته
عن المضاء ولا يقعد به وعن

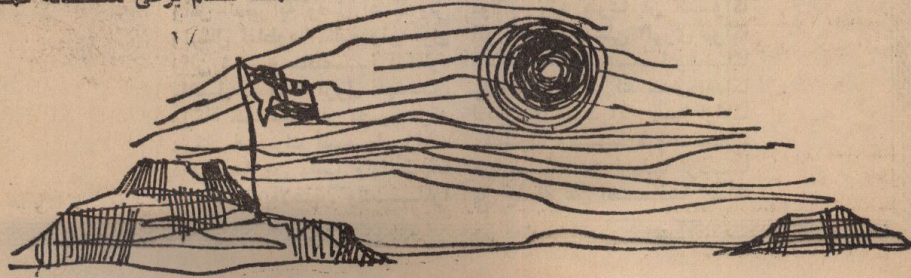
هذا ترابي عريق في اصالته
تتابعت فوقه الاديان والنذر
تنشأ الكون في اتحائه حدنا
وادركت رشدها في ظله العصر
اعطى ولما يزل للمجد امثلة
ظل الزمان بها نشوان يفتخر
تنسم المجد منها [انور] بطل
ماضى العزيمة في اللاواء مقتدر
كانه في ظلام الراي صبح هدى
يهدى الى الرشيد لا تلوى به الغير
مهند من سيوف الله منشورها
في الحق يصحبه التوفيق والظفر
تبارك الله عهد عز عاهله
كانما قام يرعى شأنه عمر

هذا هو العزم لا يبقى ولا يذر
نار على البقي تستشري وتستعر
يملى على الدهر امجادا مخلة
تسمو على الحمد لا يطوى لها ذكر
والحق مهما سميت نبلا مقاصده
فليس يوما بغير السيف ينتصر
كنا ولما نزل نورا تضياء به
سبل السلام ونارا ان دنا الخطر
نعطى وناخذ عن فضل ومقدرة
ونركب الصعب في الجلى ونبتدر
في تربنا الامن والنعمى لقاصدنا
وفيه للطامع المستنفر القبر

• • •

هذا شبابي يعود اليوم اروع
في جبهة المجد في الابناء يزدهر
اعيش في باسهم رغم المشيب فتى
صالب الارادة لا يغلب له امر
فهم الكرامة اعظمها واخلاها
وهم الحياة التي ارجو وانتظر
عادت بهم في دماي حمية سبقت
ومد لي بعد عمري فيهم عمر
احرار لم يقبلوا العيش الذليل ولم
يخنوا الجباه ولم يهنوا ولا ضجروا
ان اطبقوا روعوا الدنيا بصولتهم
وان اصابوا بمجد اسلم القدر
وان استطاروا الى الهجاء غالبهم
ظما الى النار في الاحشاء يستعر
سطروا على صفحة التاريخ ملحمة
هلع العدو لها وانتابه الذعر
اصحاب حق سمو بالعزم مرتبة
تقاصرت عن مداها الانجم الزهر
حزم وعزم وايمان ومقدرة
صور من المجد لم تغد بها صور

• • •





الشيخ محمد خليل الخطيب

انما الخير كله في العبادة
واشهد العلم ان فضل ذوى
وابذلته لمن اراد ومن لم
كل شيء بيده لتفاد

أمت مطامعي فأرحمت نفسي
ومالي مطمع في غير ربي
فأزهو رافلا برضاه عنى
أرى المرء متبوع الحكومة لم يكن
فلا تجعل لله ما استطعت حجة
وحاذر تراء الناس فيما تجيئه

أفطر على الحل القليل ولا يلج
ففضل أبواب القبول ومفطرا
لا تلمس يداك فيه محرما
وحذار أرخاء العنان لمذود
لا تنظرن الى مفاتن فائن
وأس الفقير به وصل أهلا ولن
واسأل لقاطره المتاب وان يرى
وابن له بتلطف آثاره
فلعل مانعه يزول فيهندي
وزكاة جسمك أن تصوم فزكه
وزكاة فطرك للصيام زكاته
فأعدها من طيب وأمددها
مستبشرا بالآخذين وشاكرا

ما حرم الرحمن قط حشاكا
كن بين خوفك رده ورجاكا
لا تمسح الى الردى قدماكا
ومناع من سمع الخنا اذناكا
كم نظرة ساقط اليك رداكا
قولا • وزد طوعا لمن سواكا
أثر الصيام على الورى مرآكا
وجزاء تاركه هنا وهناكا
ولك الثواب اذا اهتدى بهداكا
لتكون عند الله ما أركاكا
وقبوله وعلموه وعلاكا
من جاء من أربابها لرجاكا
من فضله عن أخذها أغناكا

الليث الغالب

امامنا على بن أبي طالب

السّاعر محمود بهير



أسمى الذي يثرى ببيانك هاته
ان تستمع في الشعر سجدة شاعر
هو غاية التبيان والتبع الذي
الله علمه البيان وكلم له
هذا أبو الحسن الذي شهدت له
هذا الكريم ابن الكريم وجده
هو خير من فقه الكتاب شريعة
باب المدينة وهو حصن علومها
لمست دموع أبي تراب لذة
ضرغام كل كريمة وملمة
سل باب خير من ترى القي به
سل بدر سل احدا وسل ساحاتها
ايمان دنيا الناس بعض يقينه
يا ابن الهواشم يارب محمد
هارون احمد صفوة واخوة
زوج البتول ابو البدور سواطعا
داراته الجيد المؤئل عزة
اي الروائع للامام يزفها
شعري غزا ساح الجنان فاقبلت
وراي الرسول مباركا روحاته
من للعلي لدى الفخار مزاحم
من للعلي مزاحم ومنافس
وجميع ما يحوى البيان صحيفة
ماذا أعدد من سجاياه التي
ماذا أعدد من سجاياه التي
عذرا اذا عجز القريض وشاعر
انا ان عجزت فكم بيباك عاجز
انا ان عجزت فما على وغابتي

فروائع الإبداع في سجداته
فلكم من السجودات في آياته
منه استقى التبيان عذب فرائه
سجد البيان رضا على عتبائه
غرر الروائع وهي بعض سماته
من كان يوم الفيل من دعواته
وابر من يفتيك في شبهاته
تواصل الموصول في صلواته
لكنها لرفع من درجاته
تساقط الفرسان من ضرباته
والجيش مبهور على شرفاته !
واحصى الجيوش تميد من طعناته
والبذل والايثار من حسناته
لك في القدير القر من صفحاته
صهر النبي ومجتل نفحاته
من تسرع الاكوان في رغباته
ولالى الانوار في قسوماته
شعري وشعري غاص في لحاته
حور الجنان تعب من نبضاته
ومحييا طه لدى غدواته
والفخر عطر من شذى روضاته
وعوالم الاقمار من ومضاته
مما آفاء الله في صفحاته
اضحت روى الشعر عند رواته
اثني عليها الله في كلماته
تلقفت الدنيا الى خطراته !!
العجز فيك هو الفخار بذاته
اتي طرقت الباب في مرضاته

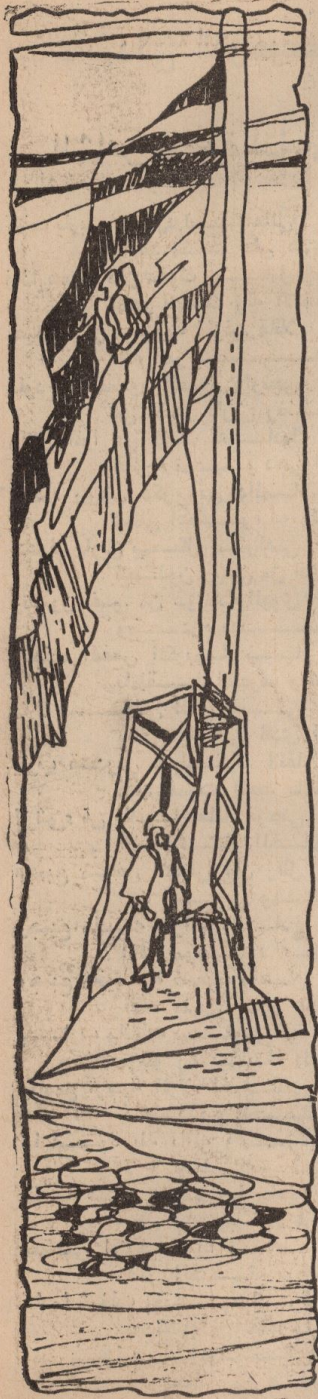
على طريق

كبر وسبح بحمد الله بارينا
 لقد سرت نفحات القدس من سينا
 محراب قبيلتنا الاولى يهيب بنا
 ومنبر المسجد الاقصى ينادينا
 والعهد بالنصر لا تنساه امتنا
 في عين جالوت أو في يوم حطينا
 واليوم يشهد تاريخ العصور لنا
 بأن حاضرننا مرة ماضينا
 على الطريق مضينا للعلا قدما
 والصبر عدتنا والفوز حاديننا
 الله أكبر يا ثارات امتنا
 نقضى لها الدين بل نحى بها الديننا
 دوت مدافعنا والطائرات بها
 مع الاذان فأسرعنا مليننا
 لا البغى يدفعنا لا الخوف يمنعنا
 لا الهول يفزعنا لا النصر يطفئنا
 بين الصفوف تمثنا ملائكة
 من السموات بالبشرى تحيينا
 قد جددوا يوم بدر في كتابتنا
 اكاد أسمع فيهم صوت جبرينا
 يقود ركبهم التور المبارك من
 حيينا المصطفى خير النبيينا
 ما انس لا أنسى من وافي يحدثنى
 عن قدرة الله اقصاها وتبيننا
 لكم راينا من الرحمن معجزة
 ردت حشود الاعادى فى الاذينا
 وشاهدت ارض سينا كوثر غدقا
 على الثرى بالتمير العذب يروينا
 كان زمزم بالتبع الطهور جرى
 من الحمى ومن البطحاء يسقيننا
 يا جيرة المسجد الاقصى منازلكم
 قلوبنا وبكم تشددو أمانينا
 وفى الاحاديث ان الارض مسجدا
 معناه زيدوا بملك الارض تمكيننا
 فلن تقيم بارض لست تملكها
 مساجدا أو ترى فيها مصلينا



النهر

فضيلة الشيخ الصاوي شعلان



ان السلام من الاسلام مقتبس
من أحله وبه جلت مسـاعينا
بالعلم سـرنا وكان الحق رائدنا
ونحن كالعقد نظمنا في تأخينا
وراية العلم في الدنيا باجمعها
من سورة اقرا رفعناها بأيدينا
انا نسالم برا من يسالمنا
وبالعـدالة نفنى من يعـادينا
ولا سلام ولا عدل ولا ثقة
وللازائل شـبرفى فلسـطينا
يا رب ان شعوب الارض ما لقيت
مثل الصهايين في الدنيا شياطينا
الادعاء على موسى وكم ذهبوا
بلعنة الله من موسى وهـارونا
ان عاهدوا غدروا او خاصموا فجروا
وانفقوا الغش تاليفنا وتلحيننا
لو غير النهر العادي ضراوته
لما تغير يوما حقد صـهيونا
يا وحدة الصف والتوحيد قبلتنا
يا وحدة القصد والاخلاص هادينا
لا تياسوا ان تعيدوا مجد سيرتكم
في نهضة العصر احرارا ابينا
الم يكن يونس في البحر منظويا
ما باله لم يميت في البحر مدفونا
رجاؤه في جناب الله انقذه
بالفضل منه ورد البحر والنونا
معراج خير الورى بالامس علمكم
ان الرقى نصيب للمجدينا
وان من ضيعوا في العيش وحدثهم
لم يدركوا منه الا الضيم والهـونا
وان من صمدوا في عزمهم سعدوا
وكان ايمانهم للتصـر تأمينا
فان سمعوا للملا فازوا بارفعها
وان دعوا قالت الاقدار آمينا

بشائر النصر لاحت الشاعر

المرى محمور عبد الله

بشائر النصر لاحت أمة العرب
فواصلوا الزحف في جد وفي داب
خوضوا غمار الوغى فالحق رائدنا
وليس يعجز جند الحق عن طلب
ان تنصروا الله بالتوفيق أيكم
وزادكم قوة بالمؤمن والغلب
فامضوا الى النصر في عزم وتضحية
بقوة الله نبليغ غاية الارب
وندحر البغي انى كان ان لنا
من قوة العزم بأس الجحفل اللجب
لكى نعيد فلسطينا معززة
بلا قيود ولا عهد ولا كتب
كما نبين للدنيا باجمها
اطماع شرذمة الاوغاد عن كتب
ويعرف الكل « أمريكا » وموقفها
رغم التقنع في واه من الحجب
الم تعاون في صلف ربيبتها
بما استطاعت من الالات والنشب
تذكى بذلك نار الحرب راغبة
في الاسلام بما تضيفه من كذب
وما « فيتنام » عن انهاننا بعدت
وحرب « كوريا » وما فيها من العجب
وكيف نفعل غارات مكتفة
بلا ههواة في داج من اللهب
وفي فلسطين نيران مؤججة
على مشارف بركان من الفضب
قدبات يصلى لظاها شر شرذمة
عاشت على النهب طول العمر والنصب
فالفتك والفدر والارهاب شيمتها
وذاك داب وحوش الغاب في السغب
فوطدوا العزم نجنى كل أمنية
وضاعفوا الجهد نبليغ غاية الارب
ونحرز النصر عن بذل وتضحية
فذى البشائر لاحت أمة العرب

عقيدتى التوحيد الشاعرة روية القليبي

آمنت ياربى فزدد ايمانى
انا قد مشيت على هدى القرآن
فاذا هفوت فان عفوك شامل
تمحو بعطفك زلة الانسان
اصحو على صوت المؤذن قائلا
الله اكبر بالصدى الزمان
فاودع النجوم العميق وارتنى
فى الفجر ياربى رضاء الحانى
واظل اقرا فى كتابك هاديا
فبنوره تمحو دجى اشجائى
وغذاء روحي ذكر ربى دائما
وفمى اعطاه به ولسانى
ادعوك ياربى بكل ضراعتى
لتصون روحي من اذى شيطانى
وتصون نفسى من غوايات الهوى
وبقدرة قدسية ترعانى
وتجنب النفس الكريمة ضيمها
يامنقذ الملهوف والحيوان
لا لا تكلنى للذى يقنى
وكلنى يا الهى للذى احيانى
يارب قدرنى لشركك لائقا
فلقد غمرت العبد بالاحسان
لا شئ فى الدنيا يعادل فرحتى
الا رضاء الخالق الرحمن
فجميع ما فى العيش فان زائل
الاك ياربى ومالك شان
وجميع ما فيه سراب خادع
الاك موجود بكل مكان
وجميع ما فيه ضعيف واهن
الاك ياربى عظيم الشان
يارب وانهل دموعى ثرة
ترجو رضاء الله بالفقران
والدمع ترجمة الولاء لخالقى
فاقبل دموع الخاشع المتفانى
انا قوة بك يا الله وعزة
لا لا تدعنى للضعيف الفانى
انا ما عبت سواك ربا واحدا
حتى ولو قد كان لى قلبان
فمقيدتى التوحيد نورا ساطعا
غمر الحياة بوجه النورانى
انا ما شغلت بغير حبك مرة
فهاك ملء القلب والوجدان
آمنت ياربى فزدد ايمانى
وانر حياتى من هدى القرآن

الشاعر
أحمد عثمان
المرغني

يا رب جنتك خاشعاً اتضرع
واليك أقبل بالمتعاب وارجع
أنت الذي تعفو وتصفح دائماً
وتمدني بالفضل منك وتمنع
وإذا دعوتك يا الله اجبني
عند الخطوب والبلية تنفع
وإذا سالتك عزة أو قوة
أو ليتني بهما وجودك أوسع
وإذا عبادك عن قرأى تفرقوا
وتباعدوا وتنكروا .. وترفعوا
واضلهم سوق الهوى في غفلة
وعلى المظالم والجهالة جمعوا
وتسابقوا للغدر فيما بينهم
ورأيهم خلف الضياع تتبعوا
ولست يارباه ضيق جوارحي
ممن يراني في العباد ويخدع
أجرى اليك مهرولاً ومناجياً
أنت الإله الحق . أنت الأرفع
مالي وللقوم الذين أضلهم
شيطانهم . فتطاعنوا . وتنازعوا
مالي وللقوم القساة قلوبهم
خلق نسوا حق الإله وضعوا
تراحموا من حول اغراء الهوى
كل له في الزيف كأس مترع
ويحار بين الناس كل مجاهد
في الله للشرع المقدس يتبع
ما كان غير طريق ربي رائداً
للخير منه الخير وهو المنبع
أن الشريعة عزة قدسية
وهي الوفاء والمظالم تصرع
لا أن يرد الظلم غير تمسك
بالله . جل الله . فهو المبدع

الشركة الشرقية "إيسترن كومباني" بالجزيرة

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية



أعلى مستوى من إنتاجها

.. وسيرها أن تشارك العالم الإسلامي والعروب فرمتها بعيد
راعية المولى عز وجل أن بعيد أمثال هذه الأيام
المباركة بالخير والبركات

تحرص الشركة دائماً
على أن تكون منتجاتها
بلا رضاء جميع الأزواج

سجارتك المفصلة



□ ١٧٥ □

خبايا حرمها الله

قال تعالى في كتابه الحكيم :
« حرمت عليكم الميتة ، والدم ولحم
الخنزير . وما أهل لغير الله به
والمنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة وما أكل السبع الا ما
ذكيتم وما ذبح على النصب »
المائدة .

وقد قمت بشرح ثلاثة أصناف
من هذه المطاعم شرحا تفصيليا
وظهرت الحكمة في ذلك التحريم
وذلك في المقال الذى نشر في العدد
الثامن من مجلة [منبر الاسلام]
الغراء سنة ١٣٩٢ هـ والذى
ابتغيه فى هذا المقال هو ان أسرد
موجزا لما نشر وان أشرح بقية
المحارم التى حرمها الله على
عباده المؤمنين وذلك لعلمه
[الواحد الاحد] بمدى ضررها
على الجسم البشرى .

أولا : أكل لحم الميتة : [وهى ما فارقت الروح من
غير ذبح شرعى] .

وكما بينا أن أى حيوان لا يموت الا نتيجة مرض من
المؤكد أن يجعل لحمه مضرا بالانسان الذى يتناوله من
أمثلة مرض الحمى الفحمية والبروسيل والسلمونيلا
والسل .

أو يكون موته نتيجة للتسمم . وقد شرع الذبح
فى الاديان لاسالة دم الحيوان المحتوى على المواد
الضارة والتخلص منه ولتكن تكاثر البكتريا وخصوصا
بكتريا التلعفن .

ثانيا : اكل الدم السائل [المسفوح] .

وذلك لان اصابة أى حيوان [ببكتريا] أو
[فيروس] أو تسممه باحدى السموم فانها تنتقل الى
دمه . كما ان الدم يعتبر مرتعا خصبا لتكاثر
البكتريا .

وأود أن أضيف الى ما ذكرته بان هناك دمان
أحلهما الله هما دم الطحال ودم الكبد والحكمة فى
ذلك أنهما عصوان فى الاجهزة الدفاعية فى جسم
الحيوانات فيحتوى كل منهما على الخلايا الاكولة التى
تهاجم البكتريا والبروتوزوا والفطريات ومن الجائز
الفيروسات انصا كما وأن للكبد وظائف منها تكسير
السموم والتخلص منها وافرازها مع [الصفراء] .



ثالثا : أكل لحم الخنزير :

وكما بينا الامراض التى تصيب الانسان الذى يتناول لحم الخنزير ومنها ١٠ - الدودة الشريطية [تينياسوليوم] وهى أخطر من الدودة الشريطية التى تصيب الانسان من لحوم الماشية وذلك لان الانسان فى حالة اصابته به [تينياسوليوم] قد يقوم بدور العامل الوسيط وينتقل الطور المتكيس الى المخ والقلب مما يؤدى الى موت الذى يتناوله .

٢ - [الترنكيبيلا سبيراليس] الناتجة عن أكل [السجق] المصنوع من أمعاء الخنزير ويؤدى هذا المرض الى وفاه المصاب نتيجة لكثرة عدد اليرقات فى عضلات تنفس المصاب أو فى عضلات قلبه .

٣ - كما أن الخنزير من النادر وجوده دون الاصابة بالنسل الانسانى أو الحيوانى .

رابعا : وما اهل لغير الله به [مما لم يذكر اسم الله عليه] عند ذبحه وهى أوامر تعبدية .

خامسا : والمخنقة : [ما مات خنقا] .

وقد يكون الاختناق باليدين وذلك بالضغط على العنق ضغطا متصلا على الحنجرة والقصبة الهوائية أو سد المسالك الهوائية برباط حول العنق أو نتيجة انسداد الجرى التنفسى بجسم غريب ومن مظاهر الاختناق اشتداد دكانة الزرقة الرمية حتى تصل فى بعض الاحيان الى زرقة مسودة مما تشوه منظر اللحم .

كما يبقى الدم سائلا ولا يتجلط مما يزيد من سرعة التعفن ، وترتفع درجة حرارة الحيوانات النافقة من الاختناق مما يزيد من سرعة التعفن ايضا .

وسبب الموت هو [الاسفكسيا] .

سادسا : والموقوذة : [أى التى ضربت حتى ماتت] .

وهى تموت من انفصالات فظيعة ويظهر عليها مظاهر العنف ولأن دمها لم يسال . والموت فى هذه الحالة نتيجة للفعل المتعكس وذلك لان الضرب قد يضغط على مجموع عصبى الذى ينقله بدوره الى المخ وعكسيا الى العصب الحائر والقلب فيؤدى الى الموت بالسكتة القلبية .

سابعا : والمتروية : [ما سقطت من علو فماتت] . فقد يؤدى السقوط من علو الى ارتجاج فى المخ وتهتكه أو ضغط عليه وذلك نتيجة النزيف أو كسر عظام الجمجمة فتحدث الوفاة نتيجة [الكوما] بسبب وقوف الجهاز العصبى .

ثامنا : النطليحة : [ما مات بسبب نطح غيره له] .

وقد يكون اسباب الوفاة اصابته نتيجة الجروح

الغائرة أو عن طريق [الكوما] نتيجة لكسر عظام الجمجمة وارتجاج المخ أو تهتكه أو نتيجة لفعل منعكس .

تاسعا : ما أكل السبع [ما مات بسبب أكل حيوان مفترس له] .

سبب الوفاة اصابته أو فعل منعكس .

عاشرا : حرم عليكم ما ذبح قربة للانصام [شرك بالواحد الاحد] .

[وجد علميا أن الحياة تقوم على ثلاثة أركان : الجهاز الدورى ، الجهاز التنفسى ، الجهاز العصبى] فإذا انقطع أحدهم عن تاديه وظيفته انتهت هذه الحياة وحل محلها الموت . فإذا توقف الجهاز الدورى حدثت الوفاة بالسكتة القلبية وإذا توقف الجهاز التنفسى نتجت الوفاة من الاختناق [الاسفكسيا] أما إذا توقف الجهاز العصبى حدثت الوفاة نتيجة [الكوما] .

تلك هى الاسباب المباشرة للوفاة اما الاسباب غير المباشرة فتشمل :

- الاسباب المرضية : جميع الامراض وما ينجم عنها من مضاعفات وجميع حالات التسمم .

- اسباب اصابية : وذلك اذا تدخل الانسان أو الحيوان فى احداثها عن طريق الجروح أو الموت نتيجة هجوم حيوان قوى على غيره .

مما سبى نستطيع أن نستخلص النقاط الاتية :

أولا . ان الله يحل لعباده الطيبات من الرزق ويحرم عليهم الخبائث وذلك كما جاء فى قوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وأشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » [البقرة] .

وتفسير الآية الكريمة كما جاء فى المنتخب فى تفسير القرآن ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ص ٢٧ ما يلى :

[لقد ابحنا للناس كل حلال خلقناه بهم فى الارض ، ونهيناهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ، فان فعلوا اهتدوا ، وان أبوا فانا نخص المؤمنين بهدايتنا ونبين الحلال والحرام فبأيها الذين آمنوا أبيع لكم أن تاكلوا من نبيذ الطعام الطيب غير الخبيث ، فاشكروا الله على ما أولاكم من نعمة التمكين من الطيبات وابعثها ومن نعمة الطاعة والامثال لامره لتتم عبادتكم] .

وامعانا في التشدد بتحريم تلك الخبائث . وتفسير الآية الكريمة ما يلي : [كما جاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٣٨] .

[وانما المحرم عليكم أيها المؤمنون الميتة التي لم تذبح من الحيوان : ومثله في التحريم الدم ولحم الخنزير وما ذبح على نحره غير اسم الله من الوثن ونحوه على أن من اضطر [حالة الاضطراب تسوغ ما يحرم ، لأن الموت المؤكد أشد من الضرر المحتمل ولأن الجائع تتنبه أجهزة هضمه فيتغلب على المواد الضارة ، ولذا لا يصح للمضطر أن يتجاوز حد الضرورة ، ولا يبقى ما اضطر اليه] إلى تناول شيء من هذه المحظورات لجوع لا يجد ما يدفعه غيرها أو لكرهه على أكله فلا بأس عليه ، وليتجنب سبيل الجاهلية من طلب هذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع .

وذلك لأن الضرورات تبيح المحظورات وينبغي تقدير الضرورات بقدرها .

ثانياً : عند ذكره [سبحانه وتعالى] الميتة والمنخفة والموقودة والنطيحة وما نكل السبع لم يكن هذا مراد لكمة [الميتة] ولكن كما وجدنا أن هناك اختلاف في طريقة الموت وذلك لأنه القرآن [تفصيل من حكيم حميد] .

ثالثاً : إن ما أدركنموه من هذه المطاعم وفيه حياة ولكن بشرط أن يكون أحد لكم أكله وذبحتموه وأسبل دمه فهو حلال .

رابعاً : إن الله يحرم عليهم الخبائث التي تضر بصحتهم وتجعلهم ضعفاء أو تعرض حياتهم للموت ونحن كما نعلم [أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف] وفي أنه تعالى سبق العلم الحديث في اكتشافه الخبائث الضارة بهم وبعد فقد صدق قول الله العظيم عندما خاطب المؤمنين : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه أن الله غفور رحيم » [البقرة] .

وقد صدرت الآية الكريمة بكلمة [إنما] مبالغة

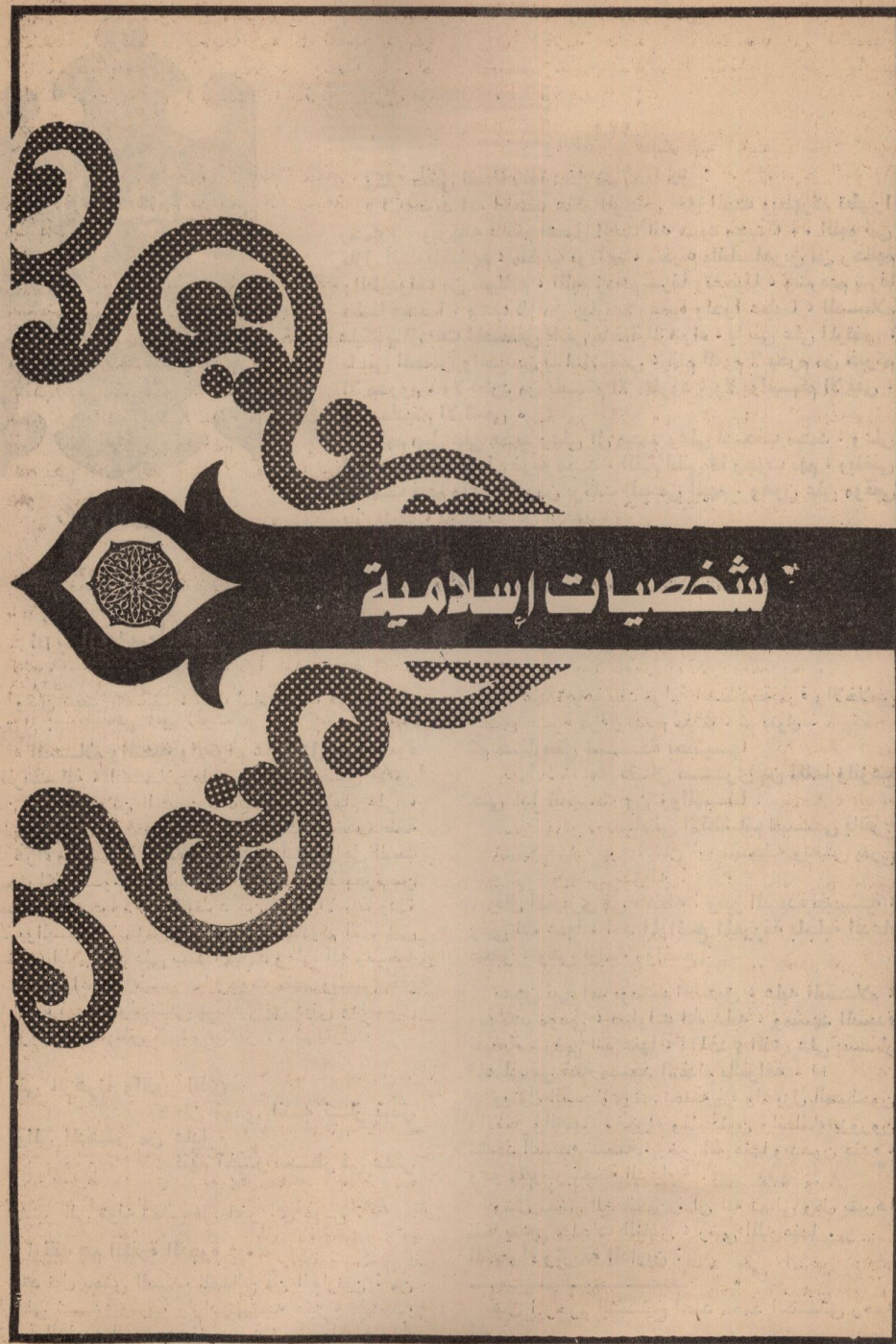
بقية مقال « القبض والبسط عند الصوفية »

يخون حقه منذ أنم من أن تكون بحقك منه .
أخي المسلم : أعلم أن الجهاد اليوم هو جهاد مرير مؤلم ، يشبه إلى حد بعيد جدا بدء الدعوة الإسلامية يوم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن وجب علينا جميعاً أن نتذوق مرارته ونتحمل آلامه ، فإن لم نفعل صاع الإسلام وملك المسلمون ، بيد عدو ملعون غادر له سوابقه المشينة في كل الأديان السابقة للإسلام وله مع الإسلام والمسلمين مواقف عداوتها سافرة بشعة رواها كتابنا الكريم الذي هو دستورنا في هذه الحياة الدنيا أنه هو القرآن الكريم . وما عليك إلا أن تكن مجاهداً في سبيل الله بروحك ودمك ومالك وسلطانك إن كنت حاكماً - وليكن من الجميع اتحاد الرأي والكلمة والجسد . قال مولانا المعارف بالله الشيخ أحمد رضوان البغدادي في قول الله تعالى : **وجاهدوا في الله حق جهاده [ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون]** قال حق الجهاد هنا هو القبض ، **[ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون]** هو البسط ، عندما يلاقون ربهم فرحين بما آتاهم وهذا هو القبض والبسط عند المجاهدين في سبيل الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم للمسلم كالبنين يشد بعضه بعضاً [فكونوا يا أمة الإسلام كما أمر وقال نبي الإسلام سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لكي تنجحوا وتفلحوا وتغلبوا ولا تغلبوا والغلبة للحق وأنتم على حق نسأل الله السلامة .

تعلم له سبباً ، فحق العبودية فيه برك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال ، اللهم إلا أن تقول سلم سلم اني الممات ، مهده اداب [القبض والبسط] في العبودية جميعاً إن عقلت والسلام .
قال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه : إلى أن قال : وقد يخون القبض [يشكل على صاحبه سببه فيجده في قلبه] قبضاً [ولعله يفيد منه ذلك سوء أدب ، إذا استسلم لحكم الوقت فمن قريب يزول [القبض] فإن الحق سبحانه وتعالى قال « **والله يفيض ويبسط** » وقد يكون بسطه يؤد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف بها سبباً ، يهز صاحبه ويستفزه ، فسيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فإن في هذا الوقت له خطر عظيم . فليحذر صاحبه مكرهاً خفياً ، كما قال بعضهم ، فتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عنى مقامى . انتهى .

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : البسط مزلة لأقدام الرجال ، فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم ، والقبض ، أقرب إلى وجود السلامة لانه وطن العبد إذ هو في أسر قبضته تعالى جس شانه ، واحاطة الحق محيطه به ، ومن أين يكون لعبد البسط ، وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار ، إذ هي وطن التكليف ، وإبهام الخاتمة ، وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى . ويقول الشيخ أبو على الدقاق رضي الله عنه : القبض حق الله منك ، والبسط حق العبد منه ، ولئن



شخصيات إسلامية



وكان بعض السلف إذا دخل ضريحها قال :
 « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا
 رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد » .. اللهم اني
 نازل اليك باعتابهم ، متقرب بولائهم ، منذر بالطاهرين من رجالهم
 والطاهرات من نسائهم ، اللهم زدهم شرفا وتعظيما ، وشرفهم شرفا
 حادئا وقديما ، وهب لنا من زيارتهم مغفرة واجرا عظيما ، السلام
 عليكم يا آل بيت المصطفى يا بني فاطمة الزهراء ، يا بني علي المرتضى ،
 يا بني الحسن والحسين يا اهل النبي ، انتم القوم لا يحرم من خيركم
 الا محروم ، ولا يطرد من بابكم الا مطرود ، ولا يوالىكم الا تقي ،
 ولا يعادىكم الا شقي .
 اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى اصحاب محمد ، وعلى
 ازواج محمد وعلى ذرية محمد ، اللهم انلني ما رجوت بهم ، وبلغني
 ما املت فيهم واعد علي من بركات السمي اليهم ، وهون علي موقفى
 بين يديك ، بالوقوف بين ايديهم ..
 ثم يقرأ الفاتحة ، ويدعو حاجته من امر دنياه واخراه .

الاستاذ توفيق ابو عامر

وليل عند قبرها بعد قراءة الفاتحة مرة والاخلاص
 احدى عشرة مرة وسبح كذلك ، ثم يقول :
 كم حاربتني شدة بجيشها
 فضاق صدري من لقائها وانزعج
 حتى اذا ايست من زوالها
 جاعتنى الاطاف تسمى بالفرج
 ثمانى عشرة مرة ، فان الله سبحانه وتعالى يفرج
 عنه كربيه ويقضى سؤاله .
 قال المقرئ في خطبه : وقبر السيدة نفيسة
 رضى الله عنها ، أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء
 بمصر ، وهى أربعة مواضع :
 سجن نبي الله يوسف الصديق ، عليه السلام
 ومسجد موسى ، صلوات الله عليه ، ومشهد السيدة
 نفيسة ، رضى الله عنها ، والمخدع الذى على يسار
 المصلى في قبلة مسجد الاقدام بالقرافة .
 ويقول السخاوى في تحفته : « ولم يزل الصالحون
 والائمة والفقهاء والقراء والمحدثون والعلماء يزورون
 مشهد السيدة نفيسة » رضى الله عنها ويدعون عنده
 وهو مجرب باجابة الدعاء .
 وقال بعض الصالحين : ان الله تعالى وكل بقبرها
 ملكا يقضى حاجات الناس ، رضى الله عنها .
 الشعراء وكريمة الدارين :

قال المرحوم الشيخ احمد محمد الكياني رحمه
 الله :

وكان بعض السلف ، يقف امام قبرها في خشوع
 ويقول :
 « السلام والتحية والاكرام على اهل بيت النبوة
 والرسالة ، السلام عليكم يا بنت الحسن الانور
 ابن زيد الابلق بن الحسن السبط بن الامام علي ،
 رضى الله عنهم اجمعين ، السلام عليك يا بنت فاطمة
 الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى ، انتم يا اهل البيت
 غياث لكل قوم في اليقظة والنوم ، فلا يحرم من
 فضلكم الا محروم ، ولا يطرد عن بابكم الا مطرود ،
 ولا يوالىكم الا مؤمن تقي ، ولا يعادىكم الا منافق
 شقي ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم واعطني خير ما رجوت منهم وبلغني خير
 ما املت فيهم ، واحفظني بذلك في ديني ودنياي
 واخراي ، انك على كل شىء قدير .. ثم يقول :

يا بني الزهراء والنور الذى
 ظن موسى انه نار قيس
 لا اوالى الدهر من عاداكم
 انهم آخر سطر فى عيسى

يشير الى قوله تعالى فى آخر آى عيسى :

« أولئك هم الكفرة الفجرة » .

وقد قال بعض السلف الصالح من العارفين : من
 كان فى شدة وكرب واراد تفريجه عنه ، فليتوجه
 لكريمة الدارين السيدة نفيسة ، رضى الله عنها ،

بهذه الرحاب رحاب الكرام
 انخت ركابي فحاشا اضام
 وكيف وانى محب ولى
 بتلك المغانى هوى وغرام
 فما القلب يصيب الى غيرها
 ورؤية عيني سواها حرام
 اذا زاد سقمى وعز الشفاء
 فقربى منها يزيل السقام
 وان لم امتع بها ناظرى
 فانى لعينى طيب المتام
 كلت صغيرا بتلك الربوع
 وقلبي يحن لتلك الخيام
 وليس عجيبا فان بها
 مقام نفيسة بنت الكرام
 نفيسة ذات العلوم ومن
 من الله فازت باعلى مقام
 كشمس النهار كراماتها
 وكم من دليل على ذاك قام
 فكم من اخى شقوة امها
 فعاد سعيدا ونال المرام
 وكم من حزين اتاها فعاد
 قرير العيون علاه ابتسام
 كفى بابن ادريس لى شاهدا
 على ما اقول وهذا امام
 اسـيـدتي اننى واقف
 بيباك ارجو وجودك عام
 وليس من الجود انى اعود
 بخفى خنين وانتم كرام
 نعم اننى لم اكن صـالـحا
 وان ذنوبى عظام جسام
 ولكن نزلت بساحة من
 تجير الضعيف اذا الدهر ضام
 فانت رجائى بعد الاله
 ومن جاء هذا الحمى لا يضام
 وجدك طه شفيع العصاة
 وغوث الخلائق يوم الزحام
 عليه من الله فى كل آن
 اجل الصلاة وأزكى سلام
 وقال الشيخ أحمد الحامى - رحمه الله تعالى -
 فى مدحها وزيارتها :

يا صاح ان رمت الحياة الفاخرة
 فاقصد حمى بنت الكرام الطاهرة
 ذات الكرامات المعظمة التى
 اسرارها بين الخلائق ظاهرة
 وبها توسل واحتجى بجوارها
 واذكر مصابك تلقها لك ناصرة
 فهى المنجية الشباب من العدا
 ب .. مغيثة الملهوفشمس الدائرة

كم جاءها ذو فاقة يرجو الفنى
 جبرت بتيسير المعاش خاطره
 فاغنم وسل بمقامها تعط المنى
 فعلى الدوام لرائيها حاضرة
 وادخل وطف واسع وسل بتادب
 ما تشتهي ونادها يا طاهرة
 انى قصدتك مستغيثا لائذا
 مستعظفا أهل القلوب العامرة
 حاشا وكلا ان يضام نزيلكم
 او ان يعود بصفقة هى خاسرة
 يا كعبة الاسرار جئتك لائذا
 أبغى الندا من وكف كف عاطرة
 يا ام قاسم الفيثات فانتى
 عبد ضعيف الحال يدى قاصرة
 دنف ومسكين مهين عاثر
 ما لى معين قط عيني ساهرة
 ويقول الاستاذ الفاضل أحمد فى محمد :

قف لائذا بسلسلة الزهراء
 بنت النبی كريمة الابرار
 ذات العلا والمكرمات نفيسة
 بنت الامير وسيد الكرماء
 وكريمة الدارين سيدة الحمى
 غوث اللهيـف وفرجة الفناء
 فاقصد حماها راجيا متوسلا
 وارفع اكف ضراعة ودعاء
 فهناك مهبط رحمة وشفاعة
 وبه ينابيع من النعماء
 الفيض فى جنباته ومقامها
 حرم من الباساء والمضراء
 والنور يسطع فى حفافى قبرها
 نور النبوة فى سنى وسناء
 قاله ينفعنا بها وبجدها
 والله يكتنينا مع السعداء
 وقال الامام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى
 صاحب البردة والهزبة ، رضى الله عنه ، مادحيا
 السيدة نفيسة وآل البيت رضى الله عنهم ،

جناـبـك منه تستفيد القوائد
 وللناس بالاحسان منك عوائد
 فطوبى لمن يسعى لشهرك الذى
 تكاد الى مغناه تسعى المشاهد
 اذا يمه القاصدون تيسرت
 عليهم - وان لميسالوك - المقاصد
 فعفرت الشبان والشيب اوجها
 به والعدارى حسرا والقواعد

□ ١٨١ □

هو المنهل المذهب الكثير زحامه
فرده فما دون وردك ذائد
أتيت إليه والرجاء مخلا
فما عدت الا والمخلا وارد
فيا لك من يأس بلغت به المني
وعسر لا فقال اليسار مقال
الذ من الماء الزلال موقعا
على كبد الظمان والماء بارد
سليمة خير العالمين نفيسة
سمت بك اعراق وطابت محات
اذا جددت شمس النهار ضياءها
ففضلك لم يجده في الناس جاحد
بأبائك الاطهار زينت الملا
فجبات عقد المجد منهم فوائد
فلم ينبسط الا بعلمك عالم
ولم ينقبض الا بزهدك زاهد
معارف ما تنفك تقضى بسرها
الى ما جد من آل احمد ماجد
يضى محياه كان سناءه
الى الصبح سار او الى النجم صاعد
اذا ما مضى منهم امام هدى أتى
امام هدى يدعو الى الله راشد
تبلغ من نور النبوة وجهه
فمنه عليه للعيون شواهد
وفاضت بحار العلم من قطر سبحها
عليه فطابت للرواء الموارد
راى زينة الدنيا غرورا فعاقها
فليس له الا على الفضل حاسد
كان المعالى الآهلات بغيره
ربوع خلت من اهلها ومعاهد
اذا ذكرت اعماله وعلومه
اقر لها زيد وبكر وخالد
فقل لبنى الزهراء والقول قربة
لكل لسان فيهم أو حصائد
احبكم قلبى فاصبح منطقي
يجادل عنكم حسبة ويجالد
وهل حبكم للناس الا عقيدة
على اسمها فى الله تبنى القواعد
وان اعتقادا خاليا من محبة
وود لكم آل النبی لفاسد
وانى لارجو ان سيلحقى بكم
ولانى فيذنو المطالب المتباعد
فان سراة القوم منهم عبيدهم
وان حروف النطق منها الزوائد
فدنتكم اناس نازعوكم سيادة
فلم ادر سادات هم أم اساو
ارادوا بكم كيدا فكادوا نفوسهم
بكم وعلى الاشقى تعود المكائد

□ ١٨٢ □

فان حيزت الدنيا اليهم فان من
نقى زيفها سلما اليهم لتاقد
ولو انكم ابتأوها ما ابتكمو
وما كان مولود ليلاباه والد
اذا ما تذكرت القضايا التي جرت
أقضت على جنبى منها المراقد
وجدت الذكرى على بلا سلا
اكابد منها فى الدجى ما اكابد
أفى مثل ذاك الخطب ما سل مغيد
ولا قام فى نصر القرابة قاعد
تعظم رزة فالعيون شواخص
له دهشة والساكلات سوامد
وظف يوم الطف كيل ذنائكم
اذا الدم جار فيه والدمع جامد
فيافتنة بعد النبی بها غدا
تهدم ايمان وتبنى مساجد
وما فتنت بعد ابن عمران قومه
بما عبدوا الا ليهلك عابد
كذلك اراد الله منكم ومنهمو
وليس له فيما يريد معاند
ولو لم يكن فى ذاك محض سعادة
لكم دونهم لم يغمد السيف غامد
وانتم اناس اذهب الرجس عنهم
فليس لهم خطب وان جل جاهد
اذا ما رضوا لله أو غضبوا له
تساوى الادانى عندهم والاباعد
وسيان من جهر العدى متوقد
على بهرمان الصدق منكم وخامد
وفدت عليكم بالمديح وكلكم
عليه كتاب الله بالمدح وافد
وقد بينت لى هل أتى كم أتى بها
مكارم أخلاق لكم ومحامد
فلولا تفاضلكم لنا فى مدحكم
لردت علينا فى العيوب القصائد
ولم ارتزق من غيركم بتجارة
بضائعها عند الانام كواسد
عمدت لقوم منهم فكاننى
على عمد لا يرجع القول عامد
اطلب من قوم سواكم مساعدا
وقد صدهم حرمانهم ان يساعدوا
ومن وجد الزند الذى هو ناقب
فلن يقدح الزند الذى هو صالد
وحسبى اذن مدح ابنة الحسن التى
لها كرما مجد طريف وتالد
وانى لهد من ثنائى قلائدا
اليها حلال هديها والقلائد
هى المعروة الوثقى هى الرتب الملا
هى المغاية القصوى لن هو قاصد
كانى اذا انشدت فى الناس مدحها
لما ضل من ذكر المكارم ناشد

أسيدتي اني رجوتك معلنا
بما آنا من در المناقب ناضد
وأعين آمالي اليك نواظر
بما آنا من عادات فضلك عائد
وما أجذبت قووم آني من لدنهم
لمرعى الامانى من جنابك رائد
ولولا ندى كفيك ما اخضر يابس
ولا اهتز من ارض المكارم هامد
الى الله اشكو يابنة الحسن الذى
لقيت واني ان شكوت لحامد
ومالى لا أشكو لآل محمد
خطوبا بها ضاقت على المراصد
وما لمصروف الدهر عنى صارف
وما لهموم القلب عنى طارد
تسلط شيطان من النفس غالب
على وشيطان من البؤس مارد
فياويح قلب ما يزال سماماؤه
بها للشياطين الخطوب مقاعد
فيا سامع الشكوى ويا كاشف البلى
اذا نزلت فى العالمين الشدائد
ويا هادى الطفل الرضيع ولم تثب
اليه قسوى عقل ولا اشتد ساعد
ويا من سقى الوحش الظماء وقد حمت
مواردها من أن تنال المصائد

ويا من يزجى الفلك فى البحر لطفه
وهن جوار بل وهن رواكد
ويا من هو - السبع الطوابق - رافع
ومن هو للارض البسيطة ماهد
ويا من تناديننا خزائن فضله
الى رفده ان امسك الفضل راقد
فلا باب من تلك الخزائن مغلق
ولا خير من تلك الخزائن نافد
دعوناك من فقر اليك وحاجة
وكل بما يلقاه للصبر فاقد
وافضت بما فيها اليك ضمائري
وانت على ما فى الضمائر شاهد
دعوناك مضطرين يا رب فاستجب
فانك لم تخلف لديك المواعد
فليس لنا غوث سواك وملجأ
نراجعه فى كربنا ونعاود
فقدر لنا خير الذى أنت أهله
فما أحد عما تقدر حائد
وصفحا عن الذنب الذى هو سابق
لنارك - الا ان عفوت - وقائد
وصل حبنا بالمصطفى ان حبله
لنا صلة يا رب منك وعائد
عليه صلاة الله ما حمد النرى
اليه وذات للمطى فدائد

« بقية مقال : العلم والايمان منبعان للقوة الذاتية »

الاستمرار فى اشباع حاجاتها الاساسية بل ويؤثر ذلك على أن تصبح القوة الذاتية قادرة على الانتماء وتحقيقه وتكون هناك ثقة أكبر فى تنمية روابط الانتماء من مجتمع آمن الى المجتمعات الأخرى وهكذا . . .
٣ - يتضمن الايمان ضرورة التسليم بقضاء الله فإذا كان الانسان يخطط لشيء ويعمل له ثم يحدث أن يأتى هذا الشيء بغير ما يتوقع أو يشتهى فيجب التسليم وعدم الجزع لانه ربما يكون ذلك سببا يريد الله به أن يمتحن مدى صلابه هذه القوة الذاتية أو يريد لها خيرا مستقبلا وله فائدة كبرى عند التسليم بأمر الله لأن ذلك يتمثل فى شعوره بالاستقرار والسعادة والايجابيه والقدرة على مواجهة الازمات والصعوبات التى تواجه القوة الذاتية للشعب من الشعوب وذلك بعكس شعب آخر أو قوة ذاتية أخرى تجزع فانها تعيش فى دوامة من القلق والسخط وعدم الرضا وكثيرا ما تتجاذبه الصراعات ويكون نتيجة ذلك استنزاف طاقات هذا الشعب وقدراته وشعوره باليأس وعدم الرضا والتعاسة .

ومما سبق يتبين ضرورة الاهتمام بالدين كاساس للايمان ويستلزم ذلك الانى :

١ - التنبيه بشدة لمحاولة الاهتمام بالدين وعدم استغلاله بما يخرج به عن دوره الصحيح .

ب - العمل على تنقية الدين من الشوائب والخرافات والدعايات التى يحاول الاعداء الصاقه به
ج - تهيئة الظروف المناسبة لنمو التربية الدينية فى مدارسنا حتى يتبلور المجتمع على فكر دينى واع حر طليق يحقق الرسالة السامية للدين .
د - تعريف العالم بأهمية الدين الاسلامى وتقوية الروابط الدينية والروحية مع الشعوب الاسلامية خاصة لان القوة الذاتية لاي شعب من الشعوب هى من علاقتها فى التأثير والتأثر بينها وبين الشعوب المختلفة .
على أننا نقول ان العلم والايمان لازمان لاية قوة ذاتية فالمغالاته فى أحدهما يؤدى الى عدم التطور وتحقيق الاهداف فالعلم وحده قد يفرق المجتمع فى الماديات البحتة مما يؤدى الى انتشار الاحاد وهذا يؤدى الى انهيار الاخلاق وبالتالي يؤدى الى انهيار المجتمع والعكس اذا اهتمت القوة الذاتية بالايمان وأهملت العلم قد يؤدى ذلك الى تخلفها عن ركب الحضارة وتغط فى التخلف وعدم قدرتها على علاج مشكلاتها ولكن الدعوة الصحيحة هى فى الاخذ بالتكامل الذى يرى الاخذ بالعلم والايمان كوسيلة لبناء القوة الذاتية كسبيل لضمان سيرها نحو التقدم والرقى .

أعظم الحضارة الإسلامية في العلوم والرياضيات

من أنطاكية

داود
الأنطاكي

الدكتور أحمد محمد عبد الرزاق

تمهيد :

اطلب العلم تعظمك الخاصة ، والمال تعظمك العامة . والزهد يعظمك الفريقان ، كفى بالعلم شرفا ان كلا يدعيه ، وبالجهد ضعة ان كلا يتبيرا منه ، وادسان انسان بالقوة اذا لم يعلم ولم يجهد جهلا مرخبا ، فاذا علم كان انسانا بالفعل ، او جهل جهلا مرخبا ذن حيوانا بل أسوأ منه .

هذه هي الشعارات التي يذكرها عالمنا الضريع داود الأنطاكي في كتابه « تذكرة اولى الالساب والجامع للعجب العجائب » نقلا عن افلاطون ، ويقول عن الطب : انه كان من علوم الملوك ، يتوارث فيهم ، ولم يخرج عنهم خوفا على مرتبته ، وقد عوقب ابتراط في بذله للأغراب ، فقال « رأيت حاجة الناس اليه عامة ، والنظام متوقف عليه ، وخشيت انقراض آل اسقليموس ، ففعلت ما فعلت » ثم يضيف داود « ولعمري لقد وقع لنا مثل هذا ، فاني حين دخلت مصر ، ورأيت الفقيه الذي هو مرجع الامور الدينية يمشي الى أوضع يهودى للطبيب ، فعزمت على أن أجعله كسائر العلوم ، يدرس ليستفيد به المسلمون ، فكان ذلك وبالي ، ونكد نفسي وعدم راحتى من سفهاء لازمونى قليلا ، ثم تعاطوا الطب فضروا الناس فى أموالهم وأبدانهم وأنكروا الانتفاع بى » .

وليزيد حرص القدماء على حراسة العلوم وحفظها ، اتفقوا على ألا تعلم الا مشافهة ولا تدون ، لئلا تكثر الاراء ، فتذبل الاذهان عن تحريرها اتكالا على الكتب ، قال المعلم الثانى (الفارابى) فى جامعه

□ ١٨٤ □

« واستمر ذلك الى أن انفرد المعلم الاول - يريد ارسطو - بكمال الكمالات فشرع فى التدوين ، فجهزه أساتذته افلاطون على ذلك فاعتذر عنده عن فعله » .

ترجمه داود : ولد بانطاكيه عام ٩٥٠ هـ واليها اسسب . وانطاكية مدينة تقع فى شمال سوريا ، وسط سهل خصيب جميل فى الحوض الادنى لنهر العاصى . واسنهرت بتوسطها بين ثقافته الشرق من سريانية وبابلية واشورية وثقافة الغرب العلمية اليونانية . وبقيت فى العصر الاسلامى موضع نزاع مسفر بين العرب والامبراطورية البيزنطيه ، ولكنها بقيت مركزا لنبات المحطوطات اليونانية من آسيا الصغرى . كما يبين لنا من كلام لحين بن اسحاق . وذلك من أجل ايجاد مكتبته ، او من أجل اكمال المكاتب القائمة بها من قبل ، ونقل الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز مكتبته الاسكندرية الى انطاكية خشية انتشارها ، ومنها الى جران حيث كان يعيش الصائبة ، ثم نقلت بعد ذلك الى بغداد لتستقر مكانا فى العصر العباسى .

ومن هنا نشأ المناخ العلمى فى انطاكية ، وترعرع فيها شيخنا الضريع داود الأنطاكي بعد أن فقد نعمة البصر . ولكن الله عوضه خيرا . فمبحة شدة الذكاء ، وحدة الذاكرة وسافر الى دمشق واستمع الى علمائها . فتعلم الحكمة والطب والرياضيات والطبيعات . ثم انتقل الى مصر واجتمع بشيوخها وحكمائها .

يروون عنه كما يروون عن أبى العلاء المعرى حدة الداحر فليس أن رجلا اتاه ، وقال ما يقوم مقام النجم . قال البيضا ، ثم غاب عنه سنة ، وجاءه وهو منهك فى تركيب بعض الادوية ، فقال له الرجل مفاجأة ، وبأى شئ يقلى قال بالسمن !! ومثل ذلك ما يحكى عن المعرى أن شاعرا انشده بعض الابيات يوما ، فقال له أنت أشعر من بالشام ، تم انفق اجتماعهما بعد سبع سنين ، فانشده ابياتا آخر . فقال ومن بالعراق . كانه تنبه لقوله الاول !!

ثلاثة من جهابذة الشرق ، عوضهم الله عن فقد البصر بحدة الذكاء ، هم شيخ الادباء الدكتور طه حسين . وابى العلاء المعرى ، والشيخ داود الأنطاكي الملقب بالحكيم الماهر الفريد . والطبيب الحاذق الوحيد ، جالينوس اوانه ، وأبقراط زمانه . ويعتبر داود الأنطاكي رائدا فى علم الصيدلة ، أرسى أصول كل عنصر فى القوانين العشرة التى التزم بها فى مفرداته كالاتى :

- الاول : ذكر اسمائه بالالسن المختلفة ليعم نفعه .
- الثانى : ماهيته من لون ورائحة وطعم وتلزع وخشوبه وملاسه وطول وقصر .
- الثالث : ذكر حسنه وربيته ليؤخذ أو يجتنب .
- الرابع : ذكر درجته فى الكيفيات الاربع ليتبين الدخول به فى التراكيب .
- الخامس : ذكر منفعه فى سائر أعضاء البدن .

السادس : ذكر كيفية التصرف به مفردا أو مع غيره .

السابع : ذكر مضاره .

الثامن : ذكر ما يصلحه .

التاسع : ذكر المقدار المأخوذ منه مفردا أو مركبا ، مطبوخا أو منشفا ، بجرمه أو عصارته ، أوراقا أو أصولا إلى غير ذلك من أجزاء النبات المختلفة .

العاشر : ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد .

ولعلنا إذ نتقف وقفة عند قوانين « داود » نجد أنها قد أوفت على الغاية من حيث الطريقة العلمية الصحيحة من تحقيق للاسماء حتى لا نخلط بينها ، ومن ذكر للمنافع والمضار ، والمقادير الدقيقة التي يتناولها المريض وطريقة التناول وذكر البديل الذي يمكن استعماله إذا استعصى العقار الاصيل .

ومع ذلك فقد أضاف داود أمرين على أعظم جانب من الأهمية والخطورة بالنسبة لصناعة الصيدلة وتحضير العقاقير وهما :

الاول : الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر حتى لا يفسد .

الثاني : من أين يجلب الدواء ، إذ يترتب على ذلك فوائد مهمة للعلاج ، فقد قال الفاضل أبو قراط « عالجوا كل مريض بعقاقير أرضه ، فإنه أجلب لصحته ، ولا شك في الاحتياج إليها » .

ويلاحظ أن داود لم يكن عشابيا فقط في عقاقيره على غرار ابن البيطار العشاب المالقي ، فليدخّل مركبات المعادن مثل الاسفيداج والزنجار والاثمد وغيرها من مركبات الفلزات الكبريتيدية مما سنذكره فيما بعد ، وهذا النمط قد سار عليه علماء أوروبا في ذلك الحين أمثال « فالنتين » ، « ساراسلس » (١٤٩٣ - ١٥٤١ م) والآخر ادخل الزرنخ في فارما كوبيته وكذلك الزئبق مركبا أو على حالته الفلزية .

وتتضح أمانة داود حين يذكر مصاصده السابقة فيقول « فنحن كالمقتبسين من تلك المصاييح ذبالة ، والمغتربين من تلك البحور بلالة ، وأول من ألف شمل هذا النمط ، وبسط للناس فيه ما انبسط ، ديسقوريدوس اليوناني في كتابه الموسوم بالمقالات في الحشائش » ثم يستطرد أسماء أخرى مثل روفيس ثم قوليس ثم اندرماخس الأصغر .

ثم انتقلت الصناعة إلى أيدي النصارى ، وأول من هذب المفردات اليونانية ونقلها إلى اللسان السرياني دويدرس البابلي ، حتى أتى الفاضل العرب والكامل الجرب اسحق بن حنين النيسابوري فعرب اليونانيات والسريانيات ، وأضاف إليها مصطلح الاقباط لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وانطاكية ، ثم تلاه ولده حنين ففصل الاغذية عن الادوية ، وأما النجاشية فلهم كثير من الكناشات ، فثابت بن قرة له « كناشة في الطب » أي الحاوي في الطب .

ثم انتقلت الصناعة إلى الاسلام وأول واضع فيها

الكتب من هذا القسم الامام محمّد بن زكريا الرازي ثم ابن سينا الذي وضع الكتاب الثاني من القانون ، ثم ترادف المصنفون على اختلاف احوالهم فوضعوا كتباً كثيرة من أجلها مفردات ابن الاشعث وأبو حنيفة والشريف وابن الجزار والصائغ وجرجس بن يوحنا ، وأمين الدولة ، وابن التلميذ وابن البيطار ، ثم الطبيب الفاضل يحيى بن جزلة صاحب الكتاب الموسوم بمنهاج البيان .

« مؤلفات داود الانطاكي »

١ - أشهر مؤلفاته « تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجائب » .

٢ - كتاب البهجة والدرة المنتخبة في ما صح من الادوية المجربة .

٣ - شرح قصيدة ابن سينا التي يتكلم فيها على النفس .

٤ - كتاب غاية المرام في علم الكلام .

٥ - نزهة الازهان في اصلاح الابدان .

٦ - زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس .

٧ - الفية في الطب .

٨ - رسالة في الهيئة وكناية المحتاج في علم العلاج .

ويقع الكتاب الاول وهو تذكرة داود في نحو سبعماية صفحة من القطع الكبير ، وقد قسمه إلى ثلاثة أجزاء ، تتضمن مقدمة وأربعة أبواب ، خص المقدمة بتعداد العلوم المذكورة في الكتاب ، وحال الطب معها ، ومكانته وما ينبغي له ولتعالجه وما يتعين بذلك من الفوائد ، وتكلم في الباب الاول عن كليات هذا العلم ومداخله ، كما أفرد الباب الثاني لقوانين الافراد والتراكيب وأعماله العامة ، وما ينبغي أن يكون عليه من الخدمة ، نحو السحق ، والقلي والغلي ، والجمع والافراد ، والمراتب ، والدرج ، وأوصاف المقطع والملين والمفتح إلى غير ذلك ، وتكلم في الباب الثالث عن المفردات والمركبات ، وما يتعلق بها من اسم وماهية ومرتبة ونفع وضرر ، ورتبه على حروف المعجم .

أما الباب الرابع فقد تكلم فيه عن الامراض وما يخصها من العلاج وبسط العلوم المذكورة ، وما يخص العلم من النفع ، وما يناسبه من الامزجة ، وما له من المدخل في العلاج .

« الراتنجات الدوائية في تذكرة داود »

يستعرضها في مئة الكبير المشار اليه في المفردات التالية :

الكندر - المر - الجاوي - البلسم - الحنثيت - الميعة السائلة - المصطكى - الكثيرا - العنبر - قناوشق - سكبج - قلفونيا - كهرمان - الخ .

ويقول عن الكندر هو اللبان الذكر ، وهو صمغ شجرة نحو ذراعين تنمو بجبال اليمن ، الذكر منه المستدير الصلب الضارب إلى الحمرة ، والانثى الابيض الهش ، يحبس الدم ويصفى الصوت ، وينقى البلغم خصوصا مع المصطكى ، ويقطع الرائحة

المرامض الاذن ، ومع النعنع امراض الانف ، وهو يضر المثانة ويسقط الاجنة هذا ما يقوله داود فى تذكرته ، أما علم النبات الحديث فانه يرى أن اشجار المرتبة مائة وستين نوعا يطلق عليها فصيلة البلسم ، وجميعها أفريقية ما عدا اثني عشر نوعا منها تنبت فى جزيرة العرب والهند .

والمراتنج عضوى عطرى يتركب من ٢٥ - ٤٠ فى المائة مواد راتنجية ، ٥٧ - ٦١ فى المائة صمغ ، ٢٥ - ٨ فى المائة زيت طيار ، ومركبات أخرى أهمها حمض الكوميفوريك ، واسترات هذا الحمض مع بعض الكحوليات ذات الاوزان الجزيئية الكبيرة ، ويحتوى الزيت الطيار على الالدهيد واليوجينول وحمض خليك وحمض نمليك وبعض الكريسولات . وهناك نوع من المر يستخرج من الصومال يطلق عليه (هاباك ونكل) يستخدمونه فى سم الفهود ، وكان قدماء المصريين يستوردون المر من بلاد بونت لاستخدامه فى التحنيط وأنواع البخور .

ولا يتسع المجال هنا للاسترسال فى بنية الراتنجات الدوائية . وسنكتفى بقدر صغير من المفردات اللاعضوية من أصل معدنى .

« الاسفيداج »

« وصنعتة أن يصفح أحد الرصاصين (رصاص عادى أو قلعى) ويطلق بالعنب المدقوق ببزره ، ويدفن فى حفائر رطبة ، أو يثقب ويربط ، ويترك فى أدنان الخل ويحكم سدها بحيث لا يصعد البخار ، ويتعاهد ما عليه بالحلح الى أن يفرغ ، وأجوده الابيض الناعم الرززين المعمول فى آبيب أعنى تموز ، وهو بارد فى الثانية ، يابس فى الثالثة على الاصح ملطف مفر . ينفع من الحرق مطلقا ببياض البيض ودهن البنفسج والورم والصداع والرمد ، والحكة والبثور والقروح ونزف الدم طلاء . . . وهو يصعد ويكرب وينضى الى الخناق وربما قتل منه خمسة دراهم ، ويعالج بالقيء برمد الكرم وشرب الانيسون والكرفس » .

ويلاحظ أن طريقة صناعة استخراج الاسفيداج هذه أو ما يسمى أبيض شيروز مازالت تستخدم للان وهى الطريقة الهولندية ، حيث تحول بخار حمض الخليك صفائح الرصاص الى خلاط الرصاص ، وهذه تتحد مع غاز ثانى اكسيد الكربون الصاعد من تخمير العنب المدفون فيحول خلاط الرصاص الى كربونات الرصاص القاعدية ، وهو مركب يستخدم فى البويات والدهانات ويطلق عليه الابيض الفضى أو بيض شيروز ، ومركبات الرصاص عامة سامة اذا تسربت للدم عن طريق الجلد ، السمية فيها تراكمية ، كما يحدث عند استخدام السيلقون (اكسيد الرصاص الاحمر) .

ويقول عنه داود أنه يصنع من حرق الاسفيداج أو الرصاص على طابق ويذر الملح عليه وتحريكه وطفه فى الخل واعادته ما لم يفتت الى الحرق ، وباقى أحكامه كالاسفيداج ، وقيل أن الاسبرنج أشد نفعا فى القروح .

الكريهة وعسر النفس والسعال والربو مع الصمغ أو الكثير ، والرياح الغليظة ، ورطوبات الرأس بالعسل أو السكر ، وأمراض الاذن بالزيت مطلقا ، ويزيل القروح كنهها باطنه كانت أو ظاهرة شربا وطلاء ، والغثيان والقيء بالصمغ ، ودخانها يطرد الهوام ، ويصلح الهواء والوباء والوخم ، وأكثره يحرق الدم ، والذي يلتهب منه مغشوش ينبغي اجتنابه .

وتنمو أشجار الكندر فى الصومال وجنوب الجزيرة العربية ، والشمال الشرقى لأفريقيا ، وتصدر الى عدن وبومباى قهى مراكز لتجميعها ، ويستمر استغلال شجرة اللادن مدة ست سنوات ثم توقف عملية تشريطها التى تتم بإزالة بعض لحائها بطول ٤ - ٨ سم فى أماكن مختلفة منها بآلة يسمونها « المنجاف » فى أواخر شهر مارس أو ابريل حتى نهاية شهر سبتمبر أو آخر ديسمبر فى أشهر الجفاف حيث أن الامطار تلتفها .

والدموع التى تسيل من الاشجار فى مواضع التشريط تتصلب بعد أسبوعين ، ولا يزرع الاهاالى هذه الاشجار بل تسقط بذورها فوق الصخور ، أو تفرورها الرياح فتنبث بمفردها .

والكندر رائحة عطرية مقبولة ، وطعم فيه شئ من المرارة قليل ، وهو يتركب من ٦٠ - ٧٠ فى المائة راتنج ، ونحو ٣٠ فى المائة من الصمغ ، ٢ - ٨ فى المائة زيوت طيارة ، ويستخدم الكندر فى الكنائس والبلاد الشرقية فى البخور مع أنواع أخرى ، ومنقوع اللادن الذكر فى الماء يزيل السعال .

أما « المر » فيذكره داود كما يأتى : -

« المر هو السمري فى المقالات ، وهو معروف مشهور ، يسيل من شجرة بالمغرب كأنها القرظ تشترط بعد فرش شئ تسيل عليه فى طلوع الشعري ، فيجد قطعاً الى حمرة صافية ، تنكسر عن نكت بيض فى شكل الاظفار خفيفة هشّة ، وهذا هو الجيد المطلوب ، ويترجم بالمر الصافى ، ومنه ما يوجد على ساق الشجرة وقد جمد كالجماجم ، وهذا هو المعروف بمر البطارخ ، لانه يحكى بيض السمك فى دسومته وصفوته ، وليس بالردىء ، ومنه ما يعصر فيسيل ماء ثم يجمد مائلا الى السواد ، ويحكى الميعة السائلة ، ويسمى المر الحبشى ، وهو دون الثانى ، ومنه صنف يؤخذ بالطبخ والتجفيف قوى الزهومة والصدّة والصلابة والسواد ، وهو قتال فليجتنب من داخل وتبقى قوته لسائر أجزائه عشرين سنة .

وهو جار فى الثالثة يابس فى الثانية ، عنصر جيد ، وركن عظيم فى المراهم والاكحال على اختلاف أنواعها ومنافعها ، وهو ينفع سائر النزلات والصداع ، ويشد اللثة ويزيل قروحها وأوجاع الظهر ، وخشونة القصبة استحلابا فى الثم ، والرياح وأوجاع الكبد والطحال والمفاصل والنقرس والسموم شربا وطلاء ، ويطرد الهوام بخورا مع الكندر ، ويحفظ الموتى طلاء ، واعلم أنه يشارك كل دواء فيما أعده له فيساعد الكبريت فى الجرب ، ومع دهن اللوز

محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبيب بن غنم
ابن دودان بن أسد بن خزيمه الاسدي يكنى أبا نضلة
وكان يقال له الإخزم الاسدي كما كان يقال له : فارس
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن هشام في السيرة العطرة أن محرز بن
نضلة شهد بدرا من حلفاء بنى عبد شمس ، ويعنى
هذا أن صاحب الترجمة كان من المهاجرين ، ويؤيد
ذلك أن ابن عبد البر في الاستيعاب ذكر أن ابن
اسحاق قال : تتابع المهاجرون أرسالا ، أى جماعة اثر
جماعة ، وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام ، قد
أوعبوا - أى جمعوا ما استطاعوا من جمع - الى
المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة ،
رجالهم ونسأؤهم . منهم محرز بن نضلة ، ومع هذا فاز
بنى عبد الاشهل من الانصار الاوس يذكرون أن فضله
حليفهم .

ويظهر ، والله اعلم انه لا تناقض بين أن يكون
نضلة حليف بنى عبد شمس وحليف بنى عبد الاشهل ،
فقد يكون حليف بنى عبد شمس قبل الهجرة وحليف
بنى عبد الاشهل بعدها ، وقد يكون جمع بينهما فى
الحلف فى وقت واحد لان الكل مسلمون ، والاسلام
يدعو الى التجمع ، ويحارب التفرق ، ويدعو الى
التماسك ويحارب التفكك ، ويدعو الى المساندة
ويحارب التخاذل ، ويطالب قبل ذلك وبعده أولياءه
بالوقوف صفا واحدا كأنهم ببيان مرصوص تجاه
العدو المشترك .

وقد توافرت فى نضلة خصائص الشجاعة بكل
لوانها وشكولها مادياتها ومعنوياتها وأمكن له بذلك
أن يجمع بين يديه وعينيه وفى قلبه وجدانه ومشاعره
الاقدام من أطرافه ، ويكفيه تقديرا أنه فارس رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان يمتاز بهذا الوصف
وهذه الخلقة وتلك السمات والمكارم فى مجتمع يستند
أساسا الى الشجاعة فبلاد كبلاد الحجاز وفى عصره
آنذاك لا مكان فيه لغير الشجاع ، وخاصة الشجاع
الذى لا يهاب الموت ولا يخشاه بل يبحث عنه ويسعى
اليه ولا سيما حين تكون الشجاعة أداة ضرورية
لإعلاء كلمة الله ، واستئصال شأفة الباطل وقهر
أصحابه وحرهم . . الشجاعة التى تسترخض الدم
والروح فى مناهضة الشرك ، وتعطى من ذاتها وبذاتها
بلا حدود وفى غير مبالاة ضريبة الدم الذكى فى وجه
الكفر والضلال .

كل هذا بالإضافة الى أنه فارس من . . ؟ فارس
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أعطى المثل
الاعلى فى دنيا الشجاعة كلها قديما وحديثا من أجل
نصرة الحق لا كمثّل حمية الجاهلية التى تقف بجانب
الباطل . . ان شجاعة الرسول كانت مثلا فريدا فى
العطاء والفداء والبأس ، فقد صمد فى وجه الطغاة

محرز ابن نضلة

فارس
رسول
الله

الأستاذ
عبد المنعم حسن الرزوي



على نيل الشهادة ، وعلى أنه مؤمن صادق الإيمان
قأبت الجنان تهفو نفسه الى لقاء ربه عن طريق احدى
الحسينين وهى الموت فى سبيل الله .

فقد خرج محرز يومئذ اول من خرج من دار بنى
عيد الاشهل على فرس محمد بن سلمة يقال له ذو
اللمة .. خرج يوم السرح حين اغير على نعاى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو صاحب رسول الله فى
ذلك اليوم ويسمى غزوة ذى فرد سنة ست من
الهجرة .

وقصة خروج محرز فى هذا اليوم آية فى الشجاعة
والادام ، ولنترك حكايتها لحديث سلمه بن الاكوع
الطويل عند مسلم .. وفيه ، فما برحت مكانى حتى
رايت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخللون الشجر ، فاذا أولهم الاخرم الاسد - محرز
ابن نضلة - وعلى أثره أبو قتادة قال والحديث ما زال
لمسليمة : فاخذت بعنان الاخرم فقلت يا اخرم : احذرهم
لا يقطعوك - يقتلونك - قبل أن تلحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم - ولكن الخوف لا يعرف سبيلا
الى قلب محرز ، فأصاب سلمة بجواب لن يخبو
ضيقه ، ما دامت الحياة ، يا سلمة : ان كنت تؤمن
بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ،
فلا تحل بينى وبين الشهادة .. قال سلمة فخلعت
عنه ، فانقضى هو وعبد الرحمن بن عبيدة الغزاري فعقر
بعبد الرحمن فرسه ، وطعنه عبد الرحمن ، فسقط
وتحول على فرس عبد الرحمن ، ولحق أبو قتادة بعبد
الرحمن فطعنه فقتله ، ذلك ما ذكره ابن حجر فى
الاصابة .

وقال ابن الاثير فى أسد الغابة ان محرز بن نضلة
شهد بدرًا واحداً والخندق . خرج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم السرح وهى غزوة ذى فرد
سنة ست من الهجرة فقتله مسعدة بن حكبة بن مالك
ابن حذيفة بن يدر ، وكان يوم قتل ابن سبع أو ثمان
وثلاثين سنة أو نحو ذلك قليلا .

وقال فيه موسى بن عقبة محرز بن وهب ولم يقل
محرز بن نضلة ، وذكره فيمن شهد بدرًا من حلفاء بنى
عيد شمس وكانت سنة يومئذ احدى أو اثنتين وثلاثين
سنة .

والمجبرين الذين يعقزون بكثرة الكاثر مالا وولدا
وانصارا لدرجة أنهم كانوا يتمثلون دائما بقولهم :
انما العزة للكاثر وهذا بسخرية الساخرين ومكر
المكرين ، والله خير الماكرين ، وتسمى على صلف
المكبرين وعنت الجاهدين أصحاب القلوب
الغاسية . وويل لهم .

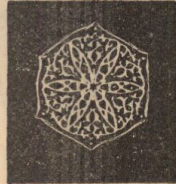
ولا جرم أن يكون نضلة على هذا النحو من
الشجاعة ، للمتقين لدين الله فى الارض ، وهو نتاج
طيب وكريم ، وهو ثمرة مباركة من ثمرات أهله الذين
لم يكتفوا بتأييدهم للرسول عليه الصلا والسلام ، بل
جميعوا رجالا ونساء لتأييده ومساندته والوقوف
بجانبه فى وجه الباطل .

وفى الطبقات الكبرى أن محرز بن نضلة ، كان
أبيض ، حسن الوجه ، وكان يلقب فهير ، وكان بنو
عيد الاشهل من الانصار يدعون أنه حليفهم .. قال
محمد بن عمر : سمعت ابراهيم بن اسماعيل بن أبى
حبيبة يقول ذلك .. وهنا يجدر بنا أن نتعمق ذلك وأن
تقف عنده وقفة متأنية ، فنلاحظ انه لا يمكن أن يحرص أى
قوم على أن شخصا معينا ، كان حليفهم ، ما لم يكن
هذا الشخص قد أوتى حظوظا كثيرة من الشجاعة
العالية والمكارم الباقية على الزمن وفى مقدمتها
الشجاعة التى لا ينكر فضلها فى كل مكان وكل
عصر . ولهذا أذاع كل من بنى عبد شمس وبنى عبد
الاشهل أن محرزًا كان حليفهم .

وقد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
محرز وعمارة بن حزم - أورده الواقدي فى الطبقات -
من الانصار ، وقال انه شهد العقبة مع السبعين منهم .

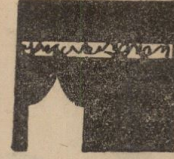
وكان محرز بعقله الواعى وبعقله الباطن يتطلع الى
الشهادة ويستهدفها .. قال محرز : رأيت سماء
الدنيا قد أفرجت لى حتى دخلتها ، حتى انتهيت الى
السماء السابعة ، ثم انتهيت الى سدرة المنتهى فقتل
لى : هذا منزلك ، فعرضتها على أبى بكر الصديق
رضي الله عنه ، وكان من أعبر الناس .. فقال : أبشر
بالشهادة .

وقد تحقق ذلك وبصورة مشرقة ولكنها مذهلة فى
الوقت نفسه اذ تجسد فيها اصرار محرز وتصميمه





1402 هـ



بيت الله الحرام

● ● ● ●
لقد وفق الله تعالى سيدنا
ابراهيم عليه السلام الى دعوة الناس
الى عبادة الله عز وجل ، والى نبذ
الاصنام والاثوان التى اتخذوا منها
آلهة لا تضر ولا تنفع .. واخذ ابراهيم
عليه السلام يفكر فى بناء بيت يعبد الله
فيه ويذكر اسمه . وظل يقلب وجهه فى
السما عساه يجد ما يشفى غلته
ويحقق له امله .. وما هى الا لحظة من
لحظات الرضا .. حيث تجلى فيها رب
العزة على خليله ونبيه وعبيده
ابراهيم .. ان قد حان الوقت لتؤدى
مهام نبوتك ورسالتك .. وأن قد حان
الوقت ليعرف خلقى حقى عليهم ،
فينكروا اسمى فى مكان معمر هو بيتى
فى الارض . بيت الله المعمر الذى بنّته
ملائكة السماء فى خط عمودى لعرش
الله عز وجل ليطوف الخلق به كما
تطوف الملائكة فى السماء .

عرشه وتحليله

الاستاذ فتيحة ابراهيم

□ ١٩٨ □

ويخرج الركب الذى يضم ابراهيم عليه السلام
وبصحبه زوجته الحبيبة هاجر والرضيع اسماعيل
الذى وهبه الله لابراهيم على الكبر ، فأعاد له الشباب
من الفرح والسرور . وسار جنوبا وما أن وصل الى
جبل أبى قبيس حتى نظر من اعلاه فوجد واديا محاطا
بالجبال من جميع الجهات .. واد لا زرع فيه ولا ماء
ولا حياة .. ولكن هناك وفى هذا المكان يرى ابراهيم
ما لا يراه أحد ، فقد أنس فيه الوحدة والامن والسلام
والطمأنينة . انه بيت الله الحرام .. لقوله عز
وجل : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وهدى للعالمين » . صدق الله العظيم .

ويامر ابراهيم وحى من رب العزة أن أترك هاجر
ورضيعها فى هذا المكان وعد من حيث أتيت . وتجرى
هاجر خلف ابراهيم عليه السلام .. منادية
له « يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا المكان الذى
ليس فيه أنيس ولا حياة ولا ماء ولا طعام ؟ » ويستمر
ابراهيم فى سيره لا ينظر اليها ودموعه تبيل لحيته
على هذا الفراق .. ولكن هذا أمر محتوم . وفى قوة
من الايمان ونبرات كلها قوة واطمئنان تعود هاجر الى
مكان اسماعيل بعد أن تلقى على ابراهيم تحية الوداع
وهى تقول : « اذا كان هذا أمر من الله فإن الله لا
يضيعنا !! » . ويقف ابراهيم عليه السلام خلف جبل
أبى قبيس ويخر ساجدا على الارض فى مقابلة البيت
المعمر ويدعو قائلا :

« رينا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند
بيتك المحرم ، رينا ليقموا الصلاة فأجعل أفئدة من
الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون » .

ثم نفذ الماء ، واشتد العطش باسماعيل ، وهرولت
هاجر فى الوادى باحثة عن الماء . ووقفت هاجر فوق
جبل الصفا عساها تجد ريا لهذا الطفل ، وعاورت
الهرولة الى جبل المروة ، وظلت تكرر الهرولة المرة تلو
المرة حتى بلغت سبعة أشواط ، ثم عادت متلهفة الى
ابنها اسماعيل ، فاذا بالماء قد انبثق تحت قدميه ،
فهرولت وأخذت حفنة من الماء وهى لا تصدق عينيهما ،
وتربت على الرمال وتقول « زمى - زمى » وسميت
زمزم نسبة لما قالته هاجر رضى الله عنها ..
وأرضاهما .

ان الدراسة التى أصدرها المجلس الاعلى للشئون
الاسلامية حول « بيت الله الحرام » للاستاذ أحمد
محمد شمس الدين .. من الدراسات المهمة التى
ركزت الاضواء على بيت الله الحرام من كل
الجوانب .. تاريخيا .. ووصفيا ..

زمزم .. والحياة بمكة

وعندما انبثقت عين زمزم .. بالماء ، حامت الطيور
فوق المنطقة فرائتها قبيلة جرهم التى كانت تعيش فى
خيايها بالقرب من ذلك المكان . فأرسلت من يستطلع
الخبر ، وعندئذ وفدوا على هاجر ، وأذنت لهم فى
الشرب من الماء ، واستسمحوا فى النزول مع قبيلتهم
فى هذا المكان ، فرحبت هاجر بهم . ودبت الحياة
بمكة بعد أن كانت صحراء جرداء . وكبر اسماعيل ،

وتزوج من فتاة طيبة من فتيات هذه القبيلة . وفرحت هاجر بابنها ، وتآقت نفسها لرؤية زوجها ابراهيم عليه السلام . وتحققت آمال هاجر حينما رأت ابراهيم عليه السلام يقف فوق جبل أبي قبيس ، وينظر الى الوادى الذى تركه بالامس صحراء جرداء ، وقد تحول الى جنة فيحاء . فخر ساجدا لله تعالى وهو يدعو « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام » .

ويمكث ابراهيم فى بيت اسماعيل هادىء البال ، قريير العين ، لا هم له الا ذكر الله ومن خلفه هاجر واسماعيل ومن تبعه على دينه من اقراء قبيلة جرهم . واذا بالوحى يبوئ له مكان البيت أن هنا يا ابراهيم فارفع القواعد منه وليساعدك اسماعيل . ويرتفع البناء ، ويخر ابراهيم ساجدا وخلقه اهله ، ويرفع رأسه ليسمع الوحى من عند الله :

« وأئن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » . ويقف ابراهيم وخلفه الجموع الحاشدة ويلبى أن : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لإشريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . ويردد الناس من خلفه هذه التلبية . أن لبيك اللهم لبيك .

كيف حج ابراهيم عليه السلام

وقف ابراهيم عليه السلام يلبى ويردد المسلمون التلبية خلفه حتى استلم البيت ، وجعل باب الكعبة أمية وزمزم عن يساره وأشار الى الحجر الأسود ، وأعلن نية الطواف سبعة أشواط لله تعالى ، وطاف بالبيت ، وانتهى من طوافه عند الحجر الأسود ، ثم صعد الى جبل الصفا وأعلن نية السعى سبعة أشواط ، وهلل وكبر ، ومن خلفه الحجاج الذين كان لهم السبق الاول فى أداء هذه الفريضة وراء خليل الله ابراهيم عليه السلام . وقد نظر ابراهيم الى زوجته هاجر وقال لها ان سعيك يوم عطش اسماعيل جعله الله من شعائره لقوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم » .

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة خرج ابراهيم عليه السلام وبه حجاج الله قاصدا منى ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع ، ثم اتجه الى عرفات ، فوقف بها الى ما بعد غروب اليوم التاسع ، وأفاض منها الى المزدلفة حيث بات ليلته ، وبعد الفجر قصد منى للاقامة بها الى أن يأمره الله باتهام المناسك .

ويهب ابراهيم عليه السلام من نومه ويربى على كتف اسماعيل ويسر فى أذنه الكلمات . . وينطلقا سويا الى مكان قريب من جبل ثبير بمنى ، وأفصح ابراهيم ولده بروياه وقال : « يا بني انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » ويقول اسماعيل : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » . ويعترض الشيطان طريق ابراهيم واسماعيل عليهما السلام محاولا أن يثنيهما

عن تحقيق الرؤيا ، ويرفع ابراهيم بصره الى السماء ويمسك بسبع حصيات ، ويرجم ابليس ، فيذهب ابليس عنه ، فلما وسوس لاسماعيل رحمه بسبعة أخرى ، ويثس ابليس من ابراهيم واسماعيل فوسوس لهاجر ، فرجه ابراهيم بسبع حصيات أخرى ، فذهب فى المرة الثالثة ولم يعد .

واستعد ابراهيم لتنفيذ أمر الله واستسلم اسماعيل لقضائه ، وصبرت هاجر على هذا البلاء وتلت قوله تعالى : « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون » . وقال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . . ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم » .

واستخلف ابراهيم عليه السلام ابنه اسماعيل على البيت المعظم ، وتركه ليعلم الناس شئون دينهم . وظل اسماعيل يجاهد من أجل الدين حتى ماتت أمه هاجر فدفنها فى الحجر ، ولما مات اسماعيل دفنه بنوه بجوارها . وهما قبران لهما علامتان خضراوتان ظاهرتان بالحجر ما بين الركن العراقى ، والركن الشامى ، وتحديدًا تحت الميزاب .

تاريخ بناء الكعبة

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان البيت قبل هبوط آدم صلى الله عليه وسلم ياقوته من يواقيت الجنة له بإبان من زمود أخضر ، باب شرقى ، وباب غربى ، وفيه قناديل من الجنة والبيت المعمور الذى فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون الى يوم القيامة حذاء البيت الحرام . ولما أهبط الله تعالى آدم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ، وأنزل عليه الحجر الأسود ، يتلألا كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم صلى الله عليه وسلم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى الحجر ، ثم أنزل على آدم العصا ثم قال : يا آدم تخط . فتخطى فإذا هو بأرض الهند فمكث ما شاء الله تعالى ، ثم استوحش الى البيت فقبل له ، أحجج يا آدم . فلما قدم مكة لقيته الملائكة فقال ، ما كنتم تقولون حوله ؟ قالوا : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر . فكان آدم صلى الله عليه وسلم اذا طاف قال هذا الدعاء ، وكان يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار وقال ، يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى فأوحى الله عز وجل ، أن يعمره نبي من ذريتك اسمه ابراهيم أقضى على يده عمارته ، واستنيط له سقايته ، وأريه موافقه ، وأعلمه مناسكه » .

وقد أعيد بناء الكعبة عدة مرات على القواعد التى أقام عليها ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأن تصدع البناء كان من أثر السيول .

وصف الكعبة المشرفة

أما الكعبة بوضعها الحالى مبنية من الاحجار الزرقاء الصلبة وهى تشبه الجرانيت ، ويبلغ ارتفاعها

٢٥ مترا وطول أضلاعها حوالي عشرة أمتار عدا الضلع الغربي اثني عشر مترا . وهي بناء مربع له أربعة أركان . الركن الذي به الحجر الأسود وهو أول الطواف . ثم الركن العراقي . وبه أول حجر إسماعيل . والركن الشامي وبه نهاية حجر إسماعيل . والركن اليمني ويقال له باب إبراهيم .

الحجر الأسود

أما الحجر الأسود فهو بيضاوي الشكل مساحته ١٥ سنتيمتراً في ٢٠ سنتيمتراً وجوانبه مثبتة بصفائح من الفضة وهو مرتفع عن الأرض بحوالي متر ونصف وهو على يسار باب الكعبة بحوالي مترين تقريباً . وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » . وقد قبله الرسول الكريم .

الملتمزم

وهو مكان أسفل باب الكعبة والدعاء فيه مستجاب .

مقام إبراهيم

وموضعه مقابل ما بين الركن العراقي وباب الكعبة وعليه قبة وسور من النحاس . ومن خلفه مصلى لركعتي الطواف . ويقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى به ركعتي سنة الطواف لقوله تعالى : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

خصائص البيت الحرام

● أنه أول بيت وضع على الأرض .
● عظم الله سبحانه هذا البيت بأن جعله مكاناً مقدساً يؤدي عنده الحج والعمرة والحج فريضة .

● قال عليه الصلاة والسلام : « البيت قبله لاهل المسجد ، والمسجد لاهل الحرم ، والحرم لاهل مشارق الأرض ومغاربها » .

● الصلاة في المسجد الحرام صحيحة في جميع أركان المسجد وفي مواجهة الكعبة لأن الله تعالى ولى وجه نبيه الكريم شطر المسجد الحرام ، وهي قبلته المسلمين جميعاً .

● إن تحية المساجد الصلاة وتحية البيت الطواف . والطواف في أي وقت في الليل والنهار .

● تحية الحرم بالأحرام بالحج أو بالعمرة .

● الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب لما روى عن

البيهقي في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن . عند التقاء الصوف ، ونزول الغيث ، وإقامة الصلاة ، ورؤية الكعبة » .

● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل الله على أهل المسجد ، مسجد مكة ، كل يوم عشرين ومائة رحمة ، منها للطائفين وأربعين منها للمصلين ، وعشرين منها للناظرين » .

● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفي مسجد ألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة » .

● وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة » . ولا يدخل أحد مكة إلا محرماً .

● وقد روى أن الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزينة ومن حجها تعلق بأشتارها حتى تدخله الجنة .

● تخصيصها بالحجر الأسود وأنه يمين الله في أرضه واختصها بماء زمزم الذي هو سيد المياه لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنها مباركة إنها طعام طعم ، إنها خير ماء على وجه الأرض فيها طعام من الطعم ، وشفاء من السقم » . وأنه اختصها بمقام إبراهيم وجعل منه مصلى .

ثم تناول المؤلف بالدراسة الأقوال التي قيلت في الحجر الأسود ، والحياة والاديان بمكة بعد بناء الكعبة . وركز دراسته أيضاً على ميلاد الرسول الكريم ، وتشريفه مكة بالرسالة وبالإسراء والمعراج . ثم هجرة الرسول ، وفتح مكة ، وعمرة القضاء ، وخطبة الفتح وبيعة أهل مكة ، وتطهير الكعبة .

وهذه الدراسة القيمة عن بيت الله الحرام في اثنتي عشر فصلاً ، تناول في الفصل العاشر ، الحج ، وأركانه .. وكل ما يتعلق به من سنن . وهناك فصل إرشادي عن الطريق إلى بيت الله الحرام . وأخيراً .. دراسة خاصة عن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

ودراسة الاستاذ أحمد محمد شمس الدين عن « بيت الله الحرام » من الدراسات القيمة حقاً ، وهي خير مرشد لكل حاج .. إلى أظهر بيت يحلم به المؤمنون في جميع مشارق الأرض ومغاربها .. بيت الله الحرام . ربنا اجعلنا من زواره .. وطوافه . واجعلنا من عبادك الصالحين التوابين . انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

منذ ألف عام تقريبا ، وفي صبيحة آخر يوم من شهر
رمضان المعظم عام ٢٨٤ هجرية : اشرق في قرطبة
نجم متألق من نجوم الدعوة بمولد عظيم من أشهر
امم المسلمين وامام هو اجمع اهل الاندلس قاطبة
لعلوم الاسلام وأوسمهم معرفة مع توسعه في علم
اللسان ووقور حظه من البلاغة والشعر ومعرفة
السير والاختيار ، ذلكم هو الامام الحافظ علي بن احمد
ابن سعيد بن حزم الاندلسي الظاهري ، ويكنى ابا محمد .
وقد ولد في بيت علم وفضل وثراء وجاه ، رأس أبوه
الوزارة أيام الدولة العامرية في عهد المنصور محمد
ابن أبي عامر ، ثم أيام ابنه المظفر من بعده ، ورأس
هو الوزارة أيام المستظهر بالله العامري عام ٤١٤
هجزة ، ثم أيام المعتمد بالله هشام بن محمد بن عبد
الملك بن عبد الرحمن الناصر .

وقد اقبل [ابن حزم] على العلم منذ صغره ،
واتجه أولا الى فقه مذهب مالك فقد كان هو المذهب
السائد في الاندلس حكومة وشعبا ، ودرس بعد ذلك
المذهب الشافعي وتعصب له وأعرض عما سواه حتى
اشتهر به ثم عدل عنه لانه رأى فيه ما رأى الامام
داود بن علي الاصبهاني ، شيخ المذهب الظاهري
وتلميذ الشافعي ، من دعوة التمسك بالنصوص ، ومن
هنا قال بطلان القياس وانصرف عن المذهب واستقل
في التفكير والتقرير شأن المذهب الظاهري لانه يعتمد
على الدليل وليس على التقليد ، الا انه كان يرفض
القياس ، فكيف يرضى بالتقليد . ولعلو همة ابن حزم ،
صار هو صاحب المذهب ، وقيل ان يبلغ الثلاثين من
عمره استغنى ليتفرغ لعلوم الاسلام ، وكان متفنا في
علوم جمة ، عاملا بعلمه ، زاهدا في متاع الدنيا بعد
الرياسة ، وكاننا أغلى أمانيه ان يسهر على نشر
دعوته ، ورفع راية الدين في ظلال القرآن الكريم والحديث
الشريف ، ولذا نسمعه في شعره الذي كان له فيه نفس
واسع وباع طويل يقول :

منأى من الدنيا علوم أبيها

وانشرها في كل باد وحاضر

دعاء الى القرآن والسنة التي

تناسى رجال ذكرها في المحاضر

وقد قال في ترجمته صاحب كتاب [تاريخ آداب
اللغة] [وبلغ من تفكيره انه رغب عن زخارف الدنيا
وبعد ان أدرك الوزارة تخلى عنهم واشتغل بالتأليف
في الفقه والمنطق والتاريخ واللغة والادب ، وكان له
علم في كل فن حتى قيل ان مجلداته تشبه أربعمئة
جلد وثمانين ألف ورقة لا يزال كثير منها باقيا] .
ولعل من أهمها كتاب [الفصل في الملل والأهواء
والنحل] ومن أشهرها [المحلى] و [جبهة
الانساب] و [الناسخ والمنسوخ] و [الاحكام في
أصول الاحكام] و [ابطال القياس والرأي]
و [المفاضلة بين الصحابة] و [طوق الحميمة]
وسواها خلاف ما ذكرنا كثير ، فقد كان من أكثر

المحلى للإمام ابن حزم

الأستاذ
على الجببر طحى

علماء المسلمين تصنيفاً في العصور الإسلامية بعد
الامام ابن جرير الطبري .

ويقول صاحب كتاب (الاعلام بتاريخ
الاسلام) « أن أكثر كتب ابن حزم لم تخرج من بيته في
حياته لحق الفقهاء عليه ، ولا ندري أكان سبب حقهم
عليه استطالته بفضل القول عليهم وأنه يلحن بالحجة
حيث لا يجدون له ردا ، أم كان سبب ذلك مخالفة
المذهب المعروف عندهم وهو مذهب مالك والاتباع بفق
لم يالفوه ، ومنهاج لم يعرفوه ، وتشدد في الدفاع
عما اختار ، وعنف في الرد عليهم ، لا يهمه أصاب
القول الرأي فادحضه أم صاحب الرأي فجرحه ، وأنه
يقول ما يرى لا يهمه بأى خطاب يقول مادام يحرر ما
يراه رأيا ، حتى قيل في شدته ونقد الكثير من مسائل
ومذاهب السابقين [لسان ابن حزم وسيف الحجاج
شفيقان] وهو فوق ذلك يحسن برقة قدره على
الناس ، فلا يدنون منه ، ولا يعمل على ادنائهم حتى
أحرقوا كتبه ، فقال في الذين أحرقوها ومن أوعزوا
اليهم :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي

تضمينه القرطاس بل في صدرى

يسير معنى حيث استقلت ركائبي

وينزل اذا انزل ويدفن في قبرى

دعوني من احراق رق وكاغد

وقولوا يعلم كى يرى الناس من يدري

والا فمؤدوا في المكاتب بداة

فكم دون ما تبتغون لله من ستر

وقد عاش هذا العالم الباذخ حياة كلها تضال ،
وأنه وإن كان قد ولد في عيش ناعم ، لم تكن حياته
ناعمة ، ولقد اتسعت آفاق فكره فدرس الفلسفة
والاخبار والانساب واللغة والادب ، وحفظ من الشعر
القديم والاسلامى الكثير ، ودرس الحديث وحفظ
وجمع . وكتابه [المحلى] شاهد على مقدار علمه
بالصحيح وفتاوى الصحابة واقتضيتهم ، وآثار
التابعين وفتاواهم واقتضيتهم ، وقد كان عالما بالملل
والنحل قديما واسلاميا ، وقد دون في بطون الكتب
المساجلات والردود في قول محكم وعبارات جزلة ، وكان
الخبير بالتاريخ في عمومته وخصوصه ، فهو يعلم تاريخ
الملوك وتاريخ النحل وكيف بدأت وكيف عاشت وكيف
انتهت ، يعرف ذلك بعقل مدرك للأسباب قبل المسببات
وللعليات قبل مظاهرها ، وأودع ذلك كله بقلمه
مبين . وتعتبر كتبه التي أشار إليها ابنه [ابو رافع
الفضل] من أمهات الفقه المقارن .

وقد اختاره الله الى جواره الكريم في شهر شعبان
عام ٤٥٦ هجرية بعد احدى وسبعين سنة تقريبا ،
كانت كلها حافلة بالجهاد الصادق في سبيل الله
واعلاء كلمته الخالدة .

□ ١٩٤ □

ولعل القارئ الكريم يذكر معنى أنه كان لزاما علينا
أن نترجم للامام ابن حزم كمدخل لا ندحة عنه ، ونحن
نتناول بالعرض والدراسة موسوعته
الكبرى [المحلى] وهى كما اسلفنا تأخذ مكان
الصدارة بين تواليه الكثيرة ، وتقع الموسوعة في احدى
عشر مجلدا ، وقد أوضح منهاجه في مقدمة الكتاب
بالمجلد الاول حيث قال : بعد حمد الله والثناء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم [فانكم رغبت أن
نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا
المرسوم [بالمحلى] شرحا مختصرا ايضا نقتصر فيه
على قواعد البراهين بغير اكثار ليكون مأخذا سهلا
على الطالب والمبتدىء ودرجا له الى التبحر في
الحجاج ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤيدة
الى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه والاشراف على
احكام القرآن والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمييزها مما لم
يصح والوقوف على الثقات من رواة الاخبار
وتمييزهم من غيرهم والتنبية على فساد القياس
وتناقضه وتناقض القائلين به] الى أن يقول [وليعلم
من قرأ كتابنا هذا أننا لم نحج بخبر صحيح ين رواية
البعث بسند ولا خالفنا الا خبرا ضعيفا ، نبينا ضعفا
او منسوخا فواضحنا نسخه] .

وفي ضوء هذا المنهاج الذى رسم خطوطه ابن حزم
ليكون دستوراً لدعوته نعرض من قضايا هذا الكتاب
ما يوضح معالم مذهبه وأبعاده - هذا المذهب
الظاهرى الذى يأخذ بظاهر النص من الكتاب والسنة
ولا يعتمد على القياس ويرفض الاحاديث الواردة فيه
ويعرض عليها ويضعفها مهما بلغت من الشهرة
واجماع الناس على الاخذ بها وقد أنشأ هذا المذهب
الامام داود بن علي الاصبهاني في العراق وهو
معاصر للامامين الشافعى واحمد بن حنبل ولكن لم
تقع بينه وبين الشافعى مناظرة لصغره والحق أن
الامام الحافظ ابن حزم هو الذى يعد امام المذهب
والقائم بحجته بما صنف فيه من كتب لا تزال خالدة
خلود الدين . وكان من اثر ابن حزم في نشر المذهب
الظاهرى أن جعله يعم أكثر أرجاء الاندلس والمغرب
حتى جاء الامام احمد بن تومرت وذهب الى الحج في
أواخر القرن الخامس الهجرى والتقى بالامام الغزالى
في العراق وكان ابن تومرت شابا حدثا فتأثر بالامام
الغزالى ايما تأثر ثم ذهب الى الحج وعاد ولقيه مرة
أخرى فسمع عليه وتخرج به ثم عدل عن المذهب
الظاهرى وأنشأ لنفسه مذهباً يوافق في التوحيد مذهب
الامام الغزالى ثم رجع الى بلاد المغرب وأخذ يثنى
الناس عن اتباع المذهب الظاهرى وكون لنفسه في
السوس الاقصى زوايا وأربطة لبعد اليها تلاميذه

[البقية ص ٢١٠]



□ ١٩٥ □

س ١ : من مجموعة أبطالنا في سيناء

يبعثون لنا بالتهنئة بالنصر الذي حققه الله على أيديهم .

ويسألون عن حكم تناول الأطعمة التي يجدونها مع العدو سواء المملات والأطعمة الجافة وغيرها . ويقولون اننا لا نعرف ان كانت لحم خنزير أو ليست لحم خنزير - كما أنهم لا يعرفون طريقة ذبحها وبعض جنودنا « اكل منهما وهو لا يعرف الحكم الشرعي ؟

الجواب :

هنيئاً لكم يارجالنا الأبطال - وللامة العربية كلها ما حققتموه من أعمال مجيدة وبطولات فذة سيطرت لكم وللجندي المصرية في سجل الشرف والفخر .
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « اذا فتحت عليكم مصر فاتخذوا منها جنوداً فانهم خير أجناد الأرض » .

زادكم الله قوة على قوة وأعانكم على ما بدأتموه وردكم اليها سالين غانمين وقد حررتهم أرضنا وطهرتم قدسنا وانتزعتهم من العدو حقوتنا وانتصرتهم عليه نصراً عزيزاً .

وما دتمت تسيرون على هدى من الله وتتحرون أحكام الشريعة الإسلامية في حركتكم وسلمكم فإن الله سبحانه سيكون معكم مؤيداً ونصيراً ، « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وما تجدونه أو تأخذونه من العدو من الطعام لحوماً أو غيرها معلية أو غير معلية جافة أو ليست جافة فانها حلال ولكم أن تأكلوها .

قال تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » . الا اذا كانت هذه اللحوم أو المملات من الأطعمة المحرمة على المسلمين، كالميتة والدم والخنزير ، واللحوم غير المذبوحة كالمخنوقة والمقذوفة بمثقل أو المذبوحة ذبحاً غير شرعي أو التي ذكر على ذبحها غير اسم الله تعالى فهذه كلها محرمة على المسلمين لقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيت » .

فمن وجد شيئاً من ذلك فلا يحل له أكل شيء منه الا اذا اضطر الى ذلك بمعنى أنه سيهلك جوعاً ان لم يتناول شيئاً منها وليس معه غيرها فحينئذ يجوز أن يأكل منها بالقدر الضروري وهو ما يسد رمقه ويحفظ عليه حياته قال تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وقال تعالى : « فمن

أنت تسأل والمفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور
عبد الحليم محمود
مفتي الجامع الأزهر



اضطر قى مخمصة عين متجائف لائم فان الله تعون رحيم .

وان لم يتيقن من حقيقة هذه الاطعمة هل هى ما أحله الله أو هى مما حرمه الله ؟ هل هى لحم خنزير أو ليست لحم خنزير ؟ هل هى مذبوحة ذبحا شرعيا أو غير مذبوحة ذبحا شرعيا هل ذكر عليها اسم الله أم ذكر عليها غير اسم الله ؟ فهى حلال وله أن يأكل منها ، لأن الاصل الحل فلا يزول بالشك - والله أعلم .

س ٢ : من أحد المواطنين :

يسأل عن حكم من يتهرب من الجندية فى زمن الحرب التى تشتعل بين المسلمين وغير المسلمين بحيله يلجأ إليها ؟

ويقول أنه - أى السائل - وان لم يجند لأن تجنيد مؤجل بكونه طالبا فإنه كان يتمنى أن يكون بين أفراد أبطالنا المجاهدين غير أنه اشبعنا لرغبته تطوع فى الدفاع المدنى ويطلب الرأى الشرعى فى تلك الحيلة ؟

الجواب :

يسرنى أن أهنيء هذا المواطن على اخلاصه لربه وحبه لوطنه وجهاده فى سبيله وأبشره بعظيم المثوبة من الله على أسهامه فى الدفاع عن بلده بالتطوع فى الدفاع المدنى ، فان العمل فى هذا الميدان يجد والخلص لا يقل عن العمل فى ميدان المعركة فحمائية الجبهة الداخلية حماية لظهر الجندى فى الميدان وتأمين لاهله وذويه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من جهز غازيا أو خلفه فى أهله فقد غزا » . أما من يحتالون عن التخلف أو التهرب من الجندية فى وقت يحارب فيه المسلمون جهادا فى سبيل الله لتحرير أرضهم واستخلاص حقهم فهم يحتالون للتخلف عن فريضة فرضها الله تعالى على المسلمين جميعا حين قال : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » وقد جازى الله سبحانه على من يؤدى هذه الفريضة أجرا عظيما قال تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ولقد نص القرآن الكريم على المتخلفين عن القتال فى سبيل الله وتوعدهم جهنم وبئس المصير قال تعالى : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » .

وليعلم من يحتال للتخلف عن واجب الجهاد أن الأعمار لن يطيلها تهرب من معركة الشرف والكرامة فالله تعالى يقول : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

ويقول سبحانه : « قل لن يتفككم القرآن أن تروا من الموت أو القتل وإذا لا تموتون الا قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » .

وقال تعالى : « قل ان الموت الذى تفرون منه فإنه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

ويقول تعالى : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

س ٣ : من نفس السائل :

بعض الناس يطلقون زوجاتهم ويعيشون معهن كأن شيئا لم يحدث ويقولون ان هذا الطلاق طلاق صورى لغرض من الاغراض فما حكم هذا العمل ؟

الجواب :

هذا عمل محرم لا ترضاه الشريعة الاسلامية ومن يغفل ذلك يعرض نفسه للحياة مع زوجته حياة محرمة فليس فى الاسلام شيء يسمى « طلاقا صوريا » فالطلاق اذا انشأه من يملكه وقع ، سواء كان أمام المأذون أم لم يكن أمام المأذون ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق واليمين)

فمن أوقع الطلاق على زوجته مازحا أو هازلا فالطلاق صحيح سواء قصد الطلاق فعلا أم لم يقصده ولا يحل شرعا ولا قانونا لمن فعل ذلك أن يعاشر زوجته الا اذا راجعها فى العدة ان كان الطلاق رجعيا بأن كان أول طلاق أو ثانى طلاق ، ولم يكن على مال فان كان على مال أو انقضت عدتها ولم يراجعها فإنها لا تحل له الا بعقد ومهر جديدين بإذنها ورضاها ، فان كان طلاقا مكلا للثلاث فقد بانت منه زوجته بينونة كبرى لا تحل له الا بعد أن تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا ويدخل بها الزوج الثانى دخولا حقيقيا ثم يطلقها أو يموت عنها وتنقض عدتها منه لقوله تعالى : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان .. » الى أن قال : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » . وقال صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن تعود لزوجها الاول قبل أن يدخل بها الزوج الثانى : « لا - حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » .

س ٤ : من المواطن فهيم عطا أحمد على من الاشراف محافظة قنا .

يقول ان سيدة أرضعت ابن ابنتها بعد انقطاع حيضها بسبع سنين وبعد أن بلغت من العمر خمسين سنة ولما كبر هذا الولد الرضيع اراد أن يتزوج احدى بنات عمه الشقيق فقال له الناس ان عمه

هذا أخ له من الرضاع فلا يجوز له أن يتزوج بابنته لأنها بنت أخيه من الرضاع فتحرم عليه كما تحرم عليه بنت أخيه من النسب .

ولما سئلت السيدة التي قبل أنها أرضعته نفت ذلك وقالت أنها كانت تعطيه ثديها للتلهى فقط ولم ينزل لها لبن حتى ترضعه الصغير ، والجارات هن اللاتي كن يرضعنه وهن موجودات الى الآن - فهل اعطاء الثدي في فم الصغير يحرم الزواج وان لم يكن هناك ارضاع ؟

الجواب :

إذا كان الامر كما ذكرت السيدة وثبت أن الولد لم يرضع منها فلا يحرم زواجه بإحدى بنات عمه لأن التحريم بسبب الرضاع مترتب على رضاع الصغير اللبن لا على اعطائه الثدي فقط فالتغذية التي تنبت اللحم وتنشز العظم وتتكون فيها الجنينية التي تنشأ بين الرضيع والمرضع وبسببها يكون تحريم الزواج إنما تحدث بالرضاع لا بمجرد اعطاء الثدي للصغير من امرأة ليست ذات لبن « لو أعطت حلمة ثديها للصغير ولا تدري ارضع أم لم يرضع لا يثبت التحريم لأن إباحة النكاح أصل فلا يزول بالشك » (الاختيار شرح المختار من كتب الحنفية) .

وبناء على ذلك فإنه يجوز لابن الابن المذكور أن يتزوج بمن يريد من بنات عمه الشقيق إذا ثبت - كما قررنا - ما قالته جدته لابيها المشار اليها في السؤال ما لم يكن هناك مانع آخر - والله أعلم .

س ٥ : من السيد المهندس الزراعى أحمد فخر الدين علم الدين من الصنف جيدة .

رجل تزوج ببنت عمه وكان جده لابيها متزوجا بسيدتين انجبت أولاهما أباه وعمه وأرضعت الثانية ابن ابنه ثم كبر الرضيع وتزوج إحدى بنات عمه وأنجب منها فهل يعتبر زواجه من ابنة عمه صحيحا أم غير صحيح وما حكم نسب الأولاد ان كان غير صحيح ؟

الجواب :

إذا كان الامر كما ورد في السؤال فإن الجد يعتبر أبا للرضيع باعتباره صاحب اللبن وتكون بنت عم الرضيع بنتا لأخيه من الاب رضاعا فيحرم زواجه بها كما يحرم زواجه ببنت أخيه لأبيه من النسب لقوله صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وهذا على رأى جمهور الفقهاء القائلين بأن « لبن الفحل » يحرم الزواج ومنهم فقهاء المذاهب الأربعة .

وهناك طائفة أخرى من العلماء ترى أن لبن الفحل لا يحرم .

□ ١٩٨ □

وقد بسطنا القول في مسألة « لبن الفحل » في عدد شوال ١٣٩٢ من مجلة منبر الاسلام فاذا أخذ صاحب المشكلة برأى الجمهور « الرأى الاول » فعليه أن يفارق زوجته فوراً ونسب أولادهما اليهما صحيح - هذا إذا توفرت شروط التحريم بالرضاع وهى أن يكون الرضاع فى الحولين الاوليين من عمر الرضيع وهذا بإجماع الفقهاء وان لا تقل الرضعات عن خمس متفرقات متبقيات كما هو مذهب الامام الشافعى وفى احدى الروايتين عن الامام أحمد رضى الله عنهما - فان كان عدد الرضعات أقل من خمس أو كان هناك شك فى انها خمس أو أقل فلا يثبت التحريم والزواج صحيح وعند الامامين أبى حنيفة ومالك رضى الله عنهما يثبت التحريم ولو بمصصة واحدة .

ومذهب الشافعى وأحمد هو المختار للفتوى .
وان أخذ صاحب المشكلة بالرأى الثانى القائل بأن « لبن الفحل » لا يحرم فزواجه صحيح . والله أعلم .

س ٦ : من أحد المواطنين العرب - بالملكة العربية السعودية .

يقول : انه كان زوجا لارملة تدعى « ليلي » وكانت ليلي هذه وهى زوجة لزوجها الاول الذى أنجبت منه ولدين قد أرضعت بنتا أجنبية عنها وعن زوجها تدعى « فاطمة » وتزوج السائل ليلي بعد انقضاء عدتها من زوجها السابق وعاش معها عشر سنوات ثم ماتت ومرت الايام وتزوجت فاطمة وعاشت مع زوجها فترة من الزمن ومات عنها زوجها . ثم تزوج السائل فاطمة التى أرضعتها زوجته السابقة « ليلي » وعاشها فترة من الزمن ولم ينجب منها وفى هذه الايام قال له الناس : انك عمها أى « زوج أمها » من الرضاع فهى محرمة عليك فأرسلها الى بيت والدها وهو ينتظر رأى الشرع فى ذلك حتى تكون حياته معها حياة قرضاهما الشرعية الإسلامية .

الجواب :

إذا كان الزوج قد دخل بزوجه السابقة (ليلي) التى أرضعت زوجته الحالية « فاطمة » كما هو مفهوم من السؤال حيث عاشها عشر سنوات - فقد حرم زواجه « بفاطمة » لأنها بنت زوجته رضاعا أى أنها ربيبته من الرضاع - ولما كانت الريبية من النسب تحرم على زوج الأم إذا دخل بأمرها ولا يحرم زواجه منها إذا لم يدخل بأمرها لقوله تعالى فى آية المحرمات « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم . . الى أن قال : وربائكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم . . » فان الريبية من الرضاع تحرم على زوج أمها إذا دخل بها لقوله صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

يرث ومن لا يرث وبأى شيء يحجب المتوفى عن الميراث وما نصيب كل وارث في المبلغ المذكور ؟

الجواب :

إذا كان الأمر كما ورد في السؤال ولم يترك المتوفى إلا أمه وجدته لأبيه وجدته لأمه وعماته فإن السركة كلها لأمه : الثلث فرضاً والباقي رداً .

ولا شيء لجدته لأبيه ولا لجدته لأمه لأن الأم تحجب الجدات من كل وجه أى لأب كن أو لأم طبقاً للمادة ٢٥ من قانون الموارث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ ولا شيء كذلك للعمات لأنهن من ذوى الأرحام ولا ميراث لذوى الأرحام مع وجود أحد من أصحاب الفروض أو العصباء النسبة طبقاً للمادة ٢١ من قانون الموارث المذكور - والله سبحانه وتعالى أعلم .

س ٩ : من المواطن س ع ط - المنزلة - دقهلية

يقول : أقرضت أحد المزارعين مبلغ ٢٠ جنيه عشرين جنيهاً نظير ضريبة أرز على أن أقسّمها بعد سهرين في حين أن ضريبه الأرز يوم تسليمها يدون سعرها ٢٧ جنيه م سبعة وعشرين جنيهاً فما رأى سيادتكم في المبلغ الزائد هل يعتبر حراماً علماً بأنه بموافقة الطرفين - وهذه طريقة سائدة بين المزارعين ؟

الجواب :

هذه معاملة مشروعة أجازتها الشريعة الإسلامية وهى المسماة في عرف الفقهاء (بالسلم) وهو كما يعرفه الفقهاء اسم لعقد يوجب الملك في الثمن عاجلاً وفى الثمن أجلاً وسمى بذلك لما فيه من وجوب تقديم الثمن وقال بعض فقهاء الحنفية السلم فى لغة العرب عقد يضمن تعجيل أحد البديلين وتأجيل الآخر وهو نوع من البيع لكن لما اختص بحكم وهو تعجيل الثمن اختص باسم هو السلم والسلم نوع من البيع مشروع على خلاف القياس لأنه بيع معنوم وبيع المعنوم لا يجوز إلا أن السلم إيج لحاجة الناس إليه قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » قال ابن عباس : أشهد أن الله تعالى أجاز السلم وأنزل فيه أطول آية فى كتابه وتلاه هذه الآية .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أسلم منكم فليسلم فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص فى السلم - وعليه الإجماع .

ويسمى السلم « بيع المقاييس » شرع لحاجتهم إلى رأس المال .

□ ١٩٩ □

بقى أمر هام فى هذا الموضوع يجب بحثه ذلك هو عدد الرضعات فإن كانت ليلى الزوجة السابقة أرضعت فاطمة « الزوجة الحالية » خمس رضعات متفقتات فأكثر فالزواج باطل إجماعاً وعلى كل من الزوجين السائل وزوجته فاطمة أن يفترقا فوراً بأن يترت حل منهما الآخر ولا أثم عليهما فيما مضى إذ لم يسبق عزمهما بالرضاع .

وإن كان عدد الرضعات أقل من خمس أو كان هناك شك فى أنها خمس أو أقل فالزواج كذلك باطل عند الإمامين أبى حنيفة ومالك وصحيح عند الإمام الشافعى وفى إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رضى الله عنهم جميعاً ورأى الشافعى وأحمد هو المحذور عند الفقهاء .

فعلى الزوج أن يسأل عن عدد الرضعات ممن يثق فيهم ممن عاصروا أرضاع زوجته فاطمة فى الحولين الأولين من عمرها من زوجته السابقة « ليلى » ويقرر مصير العلاقة الزوجية بينه وبين زوجته « فاطمة » على ضوء ما شرحنا من آراء الفقهاء والله يرفعنا ويرعاه .

س ٧ : من السيد عبد العليم سلام - مطوبس - كسر الشيخ

رجل أصحب أربعة أبناء وخمس بنات وتوفى أحد أبنائه فى حياته وترك بنتاً واحدة ثم توفى أبوه بعد وفاته ابنه عن ثلاثة رجال وخمس بنات وبنت ابنه المتوفى قبله وترك ١٨ فدانا فهل تأخذ بنت الابن نصيب أبيها كاملاً بموجب الوصية الواجبة ؟ وما مقدار نصيب كل من الورثة ؟

الجواب :

إذا كان الأمر كما ورد فى السؤال ولم يترك الوالد المتوفى سوى من ذكر فإن لبنت الابن نصيب أبيها كاملاً بمقتضى قانون الوصية الواجبة لأنه فى مسألتنا هذه أقل من الثلث وصاحب الوصية الواجبة يأخذ نصيب أبيه كما لو كان حياً فى حدود الثلث إذا توفرت شروط الوصية الواجبة المنصوص عليها فى المادة ٧٦ من قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ فتقسم التركة على أربعة رجال وخمس بنات كما لو كان الابن المتوفى قبل وفاة أبيه (الموروث) حياً وما يصيبه من التركة تأخذه ابنته وصية واجبة - كما قلنا - والباقى يأخذه الابناء الثلاث والبنات الخمس تعصياً للذكر ضعف الأنثى - والله أعلم .

س ٨ : من حداد محمد جاد شلبي - من الصالحية - مركز الصف

توفى طفل صغير وترك مبلغ ٢٤٠ جنيه مانقين وأربعين جنيهاً مصرياً وترك ورثة كالاتى : أم - جده لأب - جدة لأم - أربع عمات شقيقات فمن

الجواب :

إذا أعطى المال لغيره ليستثمر ذلك الغير في التجارة أو الصناعة وهما معا شريكان في الربح والخسارة فهذا عمل مباح لأن هذه المعاملة هي المعروفة « فقها » بالمضاربة وهي نوع من الشراكة فاحدهما يشترك برأس المال والاخر يشترك بعمله ولكل منهما نسبة معينة من الربح كما يتحمل كل منهما نسبة معينة في الخسارة وذلك حسبما يتفقان .
أما أن يعطيه المال ليتجر به أو لاستعماله في صناعة معينة ولصاحب المال مبلغ معين يأخذه كل فترة من الزمن نظير ذلك ولا يتحمل شيئاً في الخسارة فذلك حرام لأنه قرض بفائدة والإقراض بالفائدة ربا والربا محرم بصريح القرآن . فإن أعطاه ليستثمره له في تجارة أو صناعة نظير قدر معلوم من المال للقاتم بالاستثمار والربح كله لصاحب المال والخسارة كلها عليه كما أن رأس المال له أيضا فلا شيء في ذلك لأن العامل في المال المستثمر له يكون في هذه الحالة أجيرا لصاحب المال فقط يأخذ على عمله اجرا معينا ولا شأن له بالربح ولا بالخسارة والله أعلم .

ويعتقد بلفظ السلم وهو أن يقول أسلمت اليك ثلاثة جنيهات مثلا في أردب قمح - ويتعقد كذلك بلفظ السلف لأنه بمعناه .

ويجوز السلم في كل ما أمكن ضبط صفته ومعرفة مقداره وما لا يمكن ضبط صفته ولا معرفة مقداره فلا يجوز السلم فيه لأن ذلك يؤدي إلى المنازعة ولذلك اشترط الفقهاء لجواز السلم تسمية جنس السلم فيه كقمح وأرز وتمر ، ونوعه ، ووصفه ، كالجيد والردئ ومعرفة أجل السلم كشهريين أو ثلاثة « مثلا » وقدر المسلم فيه ككيلة أو أردب أو ضريبة كما يشترط قبض رأس المال قبل المفارقة وذلك ليتحقق معنى السلم وهو أخذ عاجل بأجل راجع كتاب الاختبار شرح المختار من كتب الحنفية .

س ١٠ : من نفس السائل

إذا أعطى شخص رجلا غيره قدرا من المال لتشغيله في تجارة معينة أو صناعة معينة نظير مبلغ معين يدخل هذا في نطاق المحرم أو الربا ؟

« بقية مقال من محاسن الاسلام : النظافة »

وفي السنة النبوية . أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أن الرجل يحب أن يكون ملبسه حسنا ونعله حسنة . فقال صلى الله عليه وسلم - أن الله جميل يحب الجمال - رواه مسلم .
فالاسلام يدعو المسلمين الى الظهور بالمظهر الجميل الحسن الذي يريح النفس والروح ويكسبهم مهابة وجلالا واحتراما .
يقول جابر رضى الله عنه : أتانا النبي صلى الله عليه وسلم . فرأى رجلا شعنا قد تفرق شعره فقال أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره ، ورأى رجلا آخر عليه ثياب وبسخة فقال : أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه - رواه أبو داود والنسائي .
وقال أبو الاحوص رضى الله عنه . آتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون - يعنى دنيء وردئ - فقال لك مال . قلت نعم . قال من أى المال . قلت من الإبل والغنم والخيول والرقيق . قال . فإذا أتاك الله مالا فليز أقر نعمة الله عليك وكرامته - رواه أبو داود والنسائي .

● هذه هي تعاليم الاسلام تعنى عناية فائقة بنظافة المسلم جسما وروحا . حتى يكون مجتمع المسلمين من أرقى المجتمعات الإنسانية وأعظمها مكانة في أعين الناس ، فاللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتحدثون بنعمك عليهم . وتظهر آثار نعمتك علينا واضحة . فأنت المولى وأنت الهادى . فانه لا يهدى لاحسن الاداب والاخلاق والعادات الفاضلة الا أنت يا رب العالمين

قال - أن الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة كريم يحب الكريم . جواد يحب الجود . - فنظفوا أنفسكم ولا تشبهوا باليهود - رواه الترمذى .

■ طهارة الماء :

بالماء يحيا الإنسان اذا شربه ويظهر اذا اغتسل به وتنظف ثيابه وكل ما يستعمله في مأكله ومشربه . لأن الماء عليه مدار حياة الإنسان وهو الأساس في طهارته ونقاوته من الأوساخ والأتذار . لذا أمر عليه الصلاة والسلام المسلمين بالحفاظ على طهارة الماء . فقال صلى الله عليه وسلم - لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يفتسل فيه - أخرجه البخارى - والله عز وجل يقول ؟ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، الاتفال . وقال تعالى « وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسا كثيرا »

● مظهر المسلم :

الشريعة الإسلامية تدعو المسلمين الى النظافة والطهارة والاعتناء بالمظهر والظهور بمظهر حسن . كما جاء في القرآن الكريم « وثيابك فطهر » سورة المدثر . خطاب للنبي عليه السلام وفي الخطاب اليه خطاب لامته عليه السلام . والله تعالى يقول ؟ ما بنى آدم خذوا زينتك عند كل مسجد « ٣١ الاعراف - دعوة للمسلمين أن يلبسوا أحسن ثيابهم عند كل مجلس أو اجتماع يعقد ، ليكون مظهرهم حسنا .



□ ٢٠٥ □

دور المرأة ..



فيها هي ذى أم هانئ نسيبة بنت كعب الانصارية يقول عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد « ما التفت يمينا ولا شمالا الا وأنا أراها تقبائل دوني » . ويقول لابنها عبد الله بن زيد بارك الله عليكم من أهل بيت مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ثم يدعو لها ولزوجها ولولدها ويقول « اللهم اجعلهم رفقاء في الجنة » وتقول أم هانئ ما أبالي ما أصابني من الدنيا - وقد جرححت رضى الله عنها في غزوة أحد اثني عشر جرحا فهذه المرأة التي حملت السلاح ونزلت الى المعركة لا تبالي ما أصابها رغم نعمة أظافرها لان الايمان الذي في قلبها كان أقوى من كل شيء . ثم ها هي ذى أم هانئ التي خرجت في غزوة أحد كانت مع زوجها ولولدها وأخيها واستشهد أمام عينيها الزوج والولد والاخ وحملتهم هذه الصحابة الجلييلة - وهي صابرة محتسبة لم تضعف ولم تهن أمام هذا الحدث الجلل - حملتهم على بغيرها وتوجهت بهم الى المدينة لتقبرهم هناك فلقيتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فسألتها قائلة ما وراءك ؟ تقول أم هانئ أما رسول الله فصالح وكل مصيبة بعده جلل « أى هينة بسيطة » واتخذ الله من المؤمنين شهداء ثلث عائشة من هؤلاء ؟ تقول المرأة الصابرة المحتسبة الواثقة بما عند ربها هذا أخى وابنى هانئ وزوجى عمرو بن الجحوح قالت عائشة فأتين تذهبين بهم ؟ قالت الى المدينة أقبرهم فيها ثم رجرت بغيرها ليتابع سيره فما استطاع فلما وجهته الى ميدان المعركة أسرع ولقد انتظرت حتى انتهى الرسول فقبرهم بيده ثم نظر اليها وقال يا هانئ لقد ترافقوا في الجنة عمرو بن الجحوح وابنك هانئ وأخوك عبد الله قالت يا رسول الله ادع الله أن

أسهمت المرأة بقدر كبير طوال المعارك التي دارت عبر التاريخ دفاعا منها عن بيتها ومشركها منها لرجال قومها ولقد حفظ التاريخ لها مشاركة فعلية خاصة في صدر الاسلام يوم أن كان المسلمون يدافعون عن عقيدتهم والتمكين لتثبيتها فلقد شاركت المرأة المسلمة الرجال في ميادين القتال وأسهمت بنصيبها في نصرة الحق الذي آمن به فلقد كان النساء يخرجن مع الرجال في الجيوش الاسلامية وكن يحملن السلاح اذا استدعى الامر ذلك يقاتلن في وسط المعركة .

وصيلة الشيخ
منصور الرفاعي عبيد



في المعركة والدفاع الشعبي

الذي فانسق القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة وتقول أم عطية رضى الله عنها غزوت مع النبي سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى انه دور خطير أثناء المعارك يحتاج الى أعصاب قوية وثبات وإذا كان بعض الكتاب يذكر ان المرأة فيها ضعف وخور فهي في المعارك كانت اقوى وأعظم من كل شيء فلقد شاركت في المقاومة الشعبية وهو عمل يتطلب سرعة الحركة وقوة الضربة حتى يكون القضاء مبرما على من تسلل من الاعداء داخل المدن فعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق جعل نساءه وعمته صفية في حصن ومعهم حسان بن ثابت فأقبل عشرة من اليهود فجعلوا يرمون الحصن ودنا أحدهم الى بابه وجعل يطيف به قالت صفية وقد حاربت قريظة وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا والنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى ولا آمنه أن يدل على عوراتنا فأنزل اليه فاقتله قال ليفغر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ولو كان في لخرجت مع رسول الله قالت فلما لم أر عنده شيئا أخذت عمودا ثم نزلت فضربت به ضربة شديدت رأسه حتى قتله ورجعت فقلت يا حسان اسليه « خذ سلاحه وثيابه لك » فانه لم يمنعني من سلبيه الا أنه رجل قال بلى بسليه من حاجة فقلت خذ الرأس وارم به الى اليهود قال ما ذاك في قالت فأخذت الرأس فرميت به على اليهود فقالوا قد علمنا أن محمدا لم يترك أهله خلوا ليس معهم أحد ففترقوا فأخبر بذلك النبي فغضب لها بسهم كالرجال « أي من غنائم بنى قريظة » .

يجعلني معهم . . انه الايمان الذي يثبت القلب ويقوى العزيمة فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين الذين صبروا على فقد الاحبة الذين سقطوا في ميدان الشرف والكرامة دفاعا عن عقيدتهم وهؤلاء الذين سقطوا لم يموتوا في عالم القرآن بل هم أحياء بها تركوا من آثار وبصمات تشير اليها الدماء الزكية التي روت الارض وصدق الله العظيم « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » وإذا كانت المرأة قد حملت السلاح وناضلت وصبرت على فراق الاحبة فانها رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبالنبي محمد الذي بعث اليها نبيا ورسولا ولقد شهدت هذه المعارك التي دارت رحاها بين المؤمنين حزب الله وأحبابه بقيادة النبي الكريم الذي أوحى الله اليه « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » ويقول له « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » وبين حزب الشيطان وأوليائه من الذين امتلا قلوبهم بالحقد والغیظ والتعالى على الاسلام وأهله فلم تقف المرأة تنظر بعين السلبية الى هذه المعارك أو بعيدة عن الاحداث بل كان اسهامها كبيرا ودورها عظيما يقول أنس بن مالك رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يغزو بأمر سليم ونسوة من الانصار معه فيسقيهم الماء ويداوين الجرحى وهذا دور آخر من أدوار المرأة في ميدان الجهاد أنه الخدمة العامة للذين أصيبوا بجراح وقعدوا عن حمل السلاح وهم في حاجة الى رعاية والمرأة هي الاقدر على تقديم تلك الرعاية تقبل الصحابية المجاهدة الربيع بنت معوذ كذا تغزو مع

كلم لونه لون دم وتريحه ريح مسك . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله قال « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول أى ربى خير منزل فيقول سل وتمنه فيقول ما أسألك وما أتمنى ؟ أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة .

ان ميزان القدر وضع المعيار الصادق لجزاء العمل الذى يعمله الانسان فى الدنيا ولقد فضل الله المجاهدين على القاعدين من المؤمنين وكلا وعد الله الحسنى ولكن المجاهد الذى يجاهد والصابر الذى يحتسب هؤلاء رفع القدر منزلتهم وأجل ثوابهم وأعطاهم الخير الكثير وان المرأة اذا كان عليها دور كبير من تهيئة البيت وتربية الجيل وتهذيب الخلق للابناء فان اسهامها كبير فى المعارك بما تبذله وما تقدمه من صبر وثبات وان أجرها لن يضيع فعلى المرأة أن تسهم وتشترك وتعمل على تخفيف الالام عن الجرحى والصبر عند فقد الاحبه والله تبارك وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ويذكر التاريخ أنه عندما شن الصليبيون الحرب المسعورة على الاسلام وأهله كان هناك حماس مشترك من الرجال والنساء للوقوف أمام هذا الغزو المسعور وكذلك عندما جاء الانجليز الى مصر بحجة استمرار النضال ضد فرنسا سنة ١٨٠٢ تجمع الاهالى فى رشيد وأخذوا يطلقون النار من النوافذ والسطوح وسقط الكثير من الرجال والنساء واستمر هذا الكفاح المشترك حتى سنة ١٩٧٢ فى اليوم المشهود ١٠ من رمضان سنة ١٢٩٢ يوم تحرير سيناء المجيدة عندما رأينا المرأة المصرية تسهم بدور كبير وتقوم بالواجب المقدس مشاركة مزها فى تحرير الارض واسترداد المقدسات وكم من شهيد سقط وجريح نزف دمه فصبرت أمه واحتسبت واسترجعت وتذكرت ما أعد الله لولدها هذا من روح وريحان ونعيم مقيم ونصر أكيد مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن على أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهينة يوم

صاحب الدنيا

ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها الا بأربعة ، فأما الثلاثة التى تطلب : فالسعة فى المعيشة ، والمنزلة فى الناس ، والازاد الى الآخر ، وأما الأربعة التى تدرك بها هذه الثلاثة : فاكتمال المال من احسن وجوهه وحسن القيام عليه ، ثم التثمين له ، ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الاهل والاخوان ويعود فى الآخرة نفعه ، فان اضاع شيئا من هذه الأربعة لم يدرك شيئا من هذه الثلاثة ، ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به ، وان كان ذا مال واكتسب ولم يحسن القيام عليه يوشك ان يفنى ويبقى بلا مال ، وان هو انفق ولم يثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاد ، كالكحل الذى انما يؤخذ منه على الميل مثل الغبار ، ثم هو مع ذلك سريع نفاذه ، وان هو اكتسب وأصلح وثمر ولم ينفق الاموال فى ابوابها كان بمنزلة الفقير الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله من ان يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه ، كحابس الماء فى الموضع الذى تنصب فيه المياه ، وان لم يخرج منه بقدرة مايدخل فيه مصل وسال من نواحيه فيذهب المال ضياعا وحسبك فى الحث على تدبير المال والارشاد فيه الى احكم قاعدة واقوم سبيل قول الحكيم تعالى شانه « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وقوله « عز وجل » لنبيه « صلى الله عليه وسلم » : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

شباب في عمر الزهر

قاعة الدرس إلى قاعة المعركة

الأستاذ محمود محمد عمار

جاء في مسند الإمام أحمد :

كان شباب من الانصار سبعين رجلا . يقال لهم
القراء . قال : كانوا يكونون في المسجد . فاذا أمسوا
انتحوا ناحية من المدينة . . فيتدارسون ويصلون . .

يحسب أهلهم أنهم في المسجد . .

ويحسب أهل المسجد أنهم في أهلهم .

حتى اذا كانوا في وجه الصبح . . استعذبوا من
الماء . واحتطبوا من الحطب . فجاءوا به فاسندوه
الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا
يوم بدر معونة . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على
قتلتهم خمسة عشر يوما في صلاة الغداة .

هذا نموذج من شباب هذه الامة . . قد استعلى
بارادته فوق لهو الحياة ولغبها . . ولم تنف به الامل
عند حد متعة زائلة لا تشبع رغبته في الخير . .

بل انه بالعقل الذي استقام به تفكيره . . وبالارادة

التي سلحته بالخلق . . جعل من معالي الامور متعته
وزاده . . فصار سهر الليل في مدارس العلم . .
وممارسة العمل . . وظيفه أقام عليها حياته . . حياته
التي تستكمل عناصر البقاء حين جمع بين العزلة
المتأمل الواعية . . والتطبيق العملي لما يفكر فيه . . لا
من وراء مكتب وسيم . . أو في نزهة على شاطئ
بحر يعب من هوائه . .

بل لقد وجد فكره السليم . . تطبيقه على الساحة
الكبيرة في مواجهة الباطل المتربص !

ولم يكن حصاده فقط عقيدة يجار بها دون محصول
يقدمه راضيا . . لنفسه ولاسرته ومجتمعه .

وبهذه الشخصية المتكاملة . . جمعوا الفضل من
اطرافه على ما يقول صلى الله عليه وسلم حين سئل
عن أفضل الناس :

رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه . . .
ومؤمن في شعب من « الشعاب يعبد الله ويدع الناس
من شره » .

لقد انتحوا ناحية من المدينة . . في شعب من

□ ٢٠٥ □

بأسلوبه الى من خلفه . وكانت المفاجأة .. عندما
عادت الى الاستاذ فكرته من يد الطالب الاخير ..
ليجدها مختلفة تماما عن ما لقته للطالب الاول !!

وهكذا لم يفتق ثلاثون طالبا .. وفي حضرة
استاذهم ورقابته .. ربما كان السبب ان ابلاغ الفكرة
من السابق الى اللاحق . قد تلون بالمزاج
الشخصي . ولم يجد ذهن اليقظ .. الذي يستوعب
الفكرة تماما .. ليتمكن في النهاية ان تصل بسلامتها
كاملة ..

ولكن الامر يختلف هنا :

انهم متفقون في الرأي .. دون تبعية لاحد ..
فالقضية المعروضة هي قضية الوحي المنزل من عند
الله .. على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ..
والداعي الى الحق والى طريق مستقيم ..

واذن .. فهي الاستجابة الكاملة لفطرة الانسان
المتعطشة الى ما يملأ فراغها بقضايا الحق .. بعيدا
عن وسوسة شياطين الانس والجن ..

وليس هناك أدنى خلاف حول ضرورة العمل من
أجل الدين والوطن المتمثل في الماء .. والخطب ..

هذا الماء .. وذلك الخطب الذي يقدم هدية الى رمز
الامة الاسلامية وقائد البشرية محمد صلى الله عليه
وسلم .. كفاء ما يقدم للحياة من نفسه وفكره
وماله ..

فلم يلههم تحصيل العلم عن واجب المشاركة في
خدمة البيئة التي يمشون فيها ..

ولم تكن هذه المشاركة أبدا .. عنفا .. أو هجوما
كيفما كان .. بيد أنه الوقت متاح لهم .. ينقسم في
حياتهم الى شطرين :

العلم .. والعمل :

علم يتدارسونه فيربطهم بالحياة .. ويصحح
تصورهم بها . فإذا هم يوفضون الى عمل الخير ..
الذي يجيء في نفس الوقت طبق ما تعلموه من سنن
الله في الكون .

فهم لم يحملوا من الماء أي ماء .. لكنه الماء العذب
يقدمونه الى الامة في شخص رسولها الكريم ..

ولم يتفاهموا بالعصا والسكين .. بيد أنها أعواد
من الخطب يجلبونها وقودا .. تسعد بها الاسرة
والعائلة .. ورمزا لركاة يبذلونها في خدمة وطنهم
تساوي الخروج للدفاع عنها ..

شعابها .. يعبتون الله .. فلما دعا للجهاد داع ..
كانوا سراعا اليه .

ولكن هذا الفضل الذي نجمه الان في حاجة الى
تفصيل نستبين به دقائق هذه النماذج الاصلية :

كانوا سبعين شابا .. ومع ذلك فقد توحدت
كلمتهم .. رغم أنهم في سن يتميز بالاعتداد
بالرأي .. فيكثر فيه الاختلاف تبعاً لذلك .

الا ان مبادئ الايمان واضحة في اذهانهم وضوحا
ادى الى الالتفاف حولها .. والعمل من أجلها .

نظرية سليمة .. قابلة للتطبيق في دنيا الواقع ..
تنشئ التنظيم المحكم .. على نحو تتحول به النظرية
الى حياة نابضة بالحركة .. فعلا الاختلاف اذا ..
وقد ذهبت دواعيه ؟

ليس هنا للهوى الشخصي مكان .. ولم تتعدد
الغاية بعدد الراحلين اليها ..

بل الكل .. جماعة واحدة .. الى هدف واحد
هو : ترقية المجتمع في التزام بكلمة الله .. وفي ضوء
كتابه الكريم .. وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

ولعل وحدة الكلمة .. لعل صلاية التنظيم هنا
أقرب الى تحرير النفس مما لو كان هناك فكر
سديد .. ولم يكن له التنظيم المكافئ لمسؤوليته ؟ !!

لقد انتصرت اسرائيل علينا مع فساد الافكار التي
تقوم عليها . ولكن وحدة الكلمة - حتى في مجال
العصايات - أدخل في الاهمية من افكار نمضغها ثم
نتركها تترسب في الاعماق . بدل أن تخرج الى
الواقع لتقول كلمتها !

وهؤلاء الرجال السبعون يمثلون بمسلكتهم الرائع
نهجا عمليا تتجسد به المفاهيم .. وتستقر
المبادئ .. لتكون في السلم دافعا الى مزيد من العلم
والعبادة يقترب بهما الفرد من الله سبحانه
وتعالى .

وفي الحرب .. تصبح وقودا يستحيل به الشباب
الوداع المسالم نارا تحرق الباطل .. وقوة فدائيه
خاصة يحرس الله بها الحق أن تناله أيدي
الفاصلين .

وأنكر بهذه المناسبة أن أحد أساتذة الجامعة أراد
أن يختبر مدى استيعاب تلاميذه لفكرة ما ..

فأعطى لاحد الطلبة ورقة شرح فيها معنى من
المعاني .. ثم طلب من كل واحد أن ينقل الفكرة

□ ٢٠٦ □

وهكذا يقود المعلم الرشيد .. والعبادة
الخاصة .. الى التضحية بما تحتاج اليه النفس في
صحراء يعز فيها الماء .. والى طبع الانسان بطابع
البذل والعطاء .. في سبيل الله والوطن .. ونريد أن
نقول :

ان العلم الاسلامي هنا مهد السبيل الى تربية
صقلت مواهب هؤلاء الشباب .. وأعدتهم فارتفعوا
فوق مستوى المنفعة الشخصية .. الى آفاق عالية
تتحقق بها مصلحة المجموع ..

ويجىء ذلك كله في سرية تامة .. حيث لا يعلم
أهلهم .. ولا يعلم رواد المسجد مكانهم ..

فليس هناك شعارات .. بل انه الشعور بالمسؤولية
الكاملة عن مستقبل الامة الذي يهم كل فرد فيها .
والارتباط الوثيق بمن يقف حارسا عليها .. مدافعا
عن كيانها ..

فاذا علمنا أن هؤلاء الشباب .. من « الانصار »
فهم من سكان المدينة .. واذا أدركنا أيضا مساكنهم
لليهود .. الذين يطلقون الشائعات الماكرة حول
الدعوة الاسلامية وقائدها .. وحول مستقبل الاسلام
الذي كشف للناس خباياهم .. أدركنا في نفس
اللحظة بعدا آخر من أبعاد هذه الوثبة الشبابية
المخلصية : لقد نجحت في مدارس العلم .. ونجحت
أيضا حين طبقت النظرية في الواقع . وحين لم
تسمح لدعاية اليهود أن تنال من وحدة الصف ..
وفوتت عليهم خطتهم في زحزحة المؤمنين عن
القاعدة .. وكانت عاقبة أمر اليهود خسرا .. لقد
تحالفت بنو قينقاع مع الاوس ..

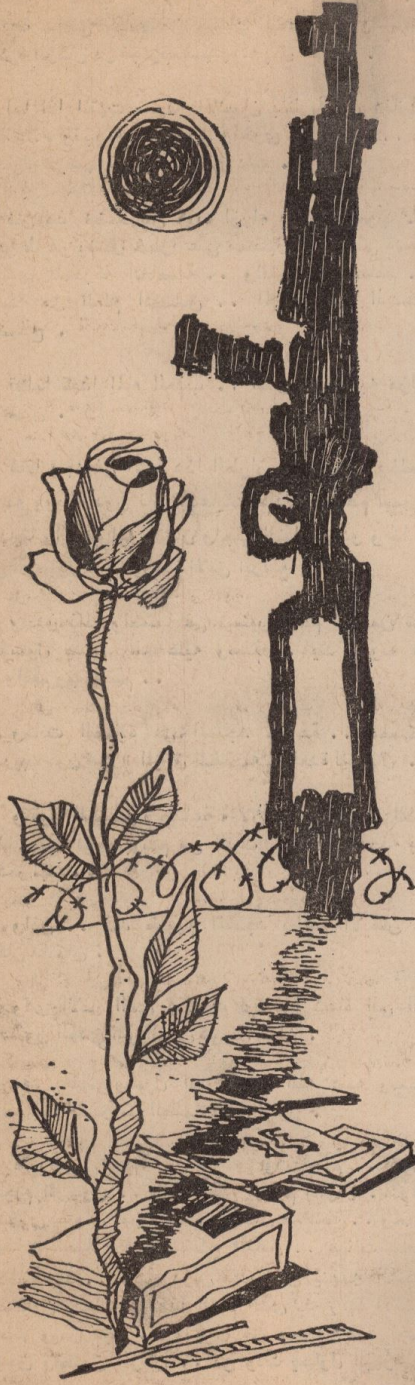
وتحالفت بنو قريظة وبنو النضير مع الخزرج ..

فكانت الاوس تقترض من بنى قينقاع .. والخزرج
تقترض من بنى قريظة وبنى النضير ..

ومن وراء ذلك كله مكر اليهود الرامى الى شل
حركة العرب بالديون .. بغية الاجهاز عليهم
أخيرا ..

فاذا استطاع فريق من الشباب المؤمن في هذه
الظروف الحالكة أن يخرج من هذا الحصار
المضروب .. وأن يحتفظ بدينه وولائه لرسول الله ..

اذا استطاع هذا الشباب أن يثبت وجوده ..
ويوحد صفه على طاعة الله عز وجل .. مستعليا
بارادته فوق كل اعتبار .. الا اعتبار مصلحة الدين
والجماعة .. كان ذلك كله دليلا واضحا على أثر
الايمان الواضح في حياة الناس .. الامر الذي



أن يشوهوا معالم هذا الحق .. وأن يستعمزوا ذلك الوطن ..

انه المعنى الصادق لامتحان يتعرض فيه الشباب من أجل العقيدة فيصعدون .. وينجحون .

وهو المعنى الذى يشجب كل محاولة يملئها الهوى أو يزيناها الشيطان .. تجعل من رأيك تثيريا .. ومن نظرتك قانونا .. بغض النظر عن حدود الواقع كما هو .. وعن رأى الذين يعلمون من أهل الذكر .. ما لا تراه .. ويضمرون فى كيانهم عزيمة لا تلين .. فتختار الزاوية المناسبة .. والفرصة المواتية .. فإذا هم أعصار فيه نار .. على أعدائك وأعداء وطنك !

فإذا أردت أيها الشباب أن تعرف معنى « الامتحان » ومعنى « النجاح » فهامهم أولاء اخوتك من الشباب يضعون لك التعريف عمليا .. بمداد من دمائهم .. وذلك فيما يرويه « جبار بن سلمى » وكان واحدا ممن اشتركوا فى قتل هؤلاء الشباب ثم أسلم أخيرا لسبب ما رآه من إيمانهم الوثيق .. يقول :

ان مما دعانى الى الاسلام أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه .. فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره .. فسمعتة يقول :

فزت والله !!
فقلت فى نفسى :

ما فاز .. لقد قتلت الرجل ؟ !

قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله فمقالوا :

يعنى - فاز - بالشهادة .

فقلت :
فاز لعمرى بالله !!

انه الامتحان العسير فى سبيل الايمان بالله .. يدفع المرء حياته ثمنا له ..

ويعد هذا الاستشهاد فوزا و « نجاحا » وشهادة تزرى بكل رتبة دنيوية تغرى بعض الناس بالعصيان والتمرد .. والاعتزاز الاجوف بنظريات هشة تحاول حجب الاعين عن هذه المثل التى تناديك اليوم .. ومن وراء الغيب أن تصحو من غفوتك .. لترى نفسك على شاشة التاريخ .. عملاقا يخلص للحق .. فيدافع عنه .. ويحب الوطن فيحرص عليه .. ويتق بالقائد فيقف من ورائه ما أقام الدين .. وصان الوطن ..

تلك آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا الى الأثر

يستصرخ شباب اليوم أن يعيد قراءة تاريخه .. ليعرف ما فى كيانه من طاقات العمل .. وما فى ذاكرة الزمان من تجارب سجلها له بكل اعتزاز .

أما اذا انتهت معرفة الانسان بنظرية من هنا أو هناك .. وتجربة من الشرق وأخرى من الغرب .. ثم محاولة فرضها فى بيئة لا تتقبل ذلك ..

فان هذا فضلا عن كونه ازراء بتاريخ العرب .. وهو ما هو يشكل خطرا على مستقبل الامة التى تدخر شبابها للمعركة الفاصلة .. والتى تتقاضاهم .. مزيدا من العلم الصادق .. المؤدى الى العمل الصالح .

تماما كهذا الماء العذب .. الذى يصلح به مزاج الانسان .

فإذا وجد فى الامة هذا الطراز من الشباب يخلص لدينه ووطنه دون تأثر بدعايات كاذبة - وهم جمهرة شبابنا والحمد لله - فان واجب القيادة يبدو واضحا فى الوصول بهم الى هذا الاتفاق الرفيع .

ويبدو ذلك واضحا فى تيسير العلم لهم من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم .. يتدارسون فى خلواتهم وجلواتهم ..

وكانت الصلاة فى المسجد جماعة .. معسكرا تدريبيا كون تلك « الفرق الخاصة » المعدة للنضال .

ونقول الصلاة « جماعة » لان رواد المسجد الذين يفتقدونهم فيحسبونهم فى البيت .. على معرفة بهم وذكر لهم .

واذن .. فقد طبعهم المسجد بطابع الايمان .. فكان ما كان !

وهو الامر الذى رشحهم ليكونوا دعاة الى الله يحملون الهدى الى الناس فى كل مكان .

فقد بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور .

فتعرضوا لحملة من الغدر أودت بهم .. فحزن عليهم الرسول .. داعيا على قتلهم بالويل .. وفاء وذكرى لشباب آمن بالله .. وعمل صالحا .. وحاول بهذا « الصلاح » أن يصلح الناس .. فكانت عاقبته الاستشهاد .. وهو درس يجب أن يفهمه الشباب المشغول بالعلم .. هذا العلم الذى ينصر به الانسان وطنه ويعز دينه .. ويجعل من وجوده قوة تحمى الحق وتصون الوطن .. فى وقت يحاول اليهود فيه

أنظروا الى آثارنا (٥٧٥) جملة في شبابنا (٥٧٤)
لتسجدوا شكرا لنعمة الله علينا .

لقد قرأت بالأمس نبأ ذلك الشاب الغربي الذي كان
ضمن جماعة من شباب الشعور الطويلة .. ولما جاء
بهم لقص شعورهم تقدم هذا الشاب ليقول :

انه بنت وليس ذكرا .. كى يحتفظ بشعره كاملا ! ؟
وهكذا .. وفى سبيل شعيرات تدوسها النعال يبيع
هذا المراهق رجولته !

الا ما أبعد المسافة بين شبابهم وشبابنا .. وهى
المسافة التى يقطعها الايمان حين يحمل تابعيه الى
بعيد .. بعيد .. فوق مظاهر الحياة الدنيا .. ويهب
أنصاره من القوة طاقة تدفعهم الى بذل ارواحهم فى
سبيل الله !! بعد أن بذلوا فى السلم .. ماءهم
للعذب ..

هذه الارواح التى بذلت .. ولا تزال فيستقيم بها
بناء الامة .. وتتحرك الاوطان ..

وقد صدق الشيخ حسن خالد حين قال :

ان كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض
الوطن تشربها التربة ولا تضيع .

فإذا كان الماء الذى يمس الارض يهزمها ويرببها ..
ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حبا
جنيا .. وثمرات شهيا .. وأكلا طيبا هنيا .

فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه .. ويسقى
أديم الارض .. ثم يسوخ فى ذرات التراب .. حتى
يبرز من جديد من خلال أحاسيس البشر .. وأفكارهم
وطاقتهم الوجدانية غضا عاصفا .

يموج فى الاثير .. ثم يصب على رؤوس الظلمة
الغاشمين .. ثم عزة وشمما وحيوية وقوة .. تتفتح

بها نفوس الالباء والابناء .. والاخوة والأقرباء ..
وأبناء الوطن الواحد .

بل ان دم الشهيد هو وقود حياة الامة .. وهو
الصحة الخفية التى تشق للامة طريق الخلود والمجد ..

وتظلمها بسحاب الرحمة والخير .. والطمأنينة
والرخاء .. ومهما يكن عطاء الله لهؤلاء الشهداء بعد
ذلك .. ومهما يكن احتفاؤه بهم .. وتمجيده
لذخريهم .. وإكرامه إياهم .. فهم أهل له

كذلك كثر الشهداء فى عصرى الاسلام الاول
والثانى .. فعلا نجم الامة .. وانتشر ظلها .. حتى
عم العالم القديم تقريبا .. كذلك فان العالم العربى
والاسلامى اليوم فى معاركه السافرة الضارية مع
الاستعمار ومع الصهيونية أحوج ما يكون لتعزيز
نضاله .. وشحن نشاط بنييه .. والهاسب أحاسيسهم
للثأر من الظالمين المعتدين ..

وبعد :

لقد كان «حارثة بن سراقة» أول شهيد فى معركة
بدر التى استهل بها المسلمون انتصاراتهم ..

وكانما كان معنى «الحرث» فى اسمه إشارة الى
تلك الارض الطيبة التى أعدها الاسلام للنباتات (٥٧٦)
ووضع فيها أكرم البذور .. فكانت كما قال الحق
سيحانه وتعالى :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا .. سيماهم فى وجوههم من أثر السجود .
دبت مثلهم فى التوراة . ومثلهم فى الانجيل كزرع
أخرج شطاها فأزهره فاستغلظ فاستوى على سوقه
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا
عظيما)



بقية مقال « المحلى للإمام ابن حزم »

يتلفه الحيوان ليلا من ضمان صاحبه وما يتلفه الحيوان نهارا لا ضمان فيه - ومثل من أفرغ أخرجه السيف صبيا أو امرأة فبات أو ماتت - فالفقهاء يعدونه من قتل الخطأ وهو لا بعده شيئا وإنما فيه التأديب وهو لا يفرق في اتلاف الحيوان بين الليل والنهار أخذاً من عمل [عمر رضى الله عنه] من قوله برد البعير أو البقرة أو الحمار أو الضواري إلى أهلها ثلاثاً ثم يعقرن وهذا فقه يخالف ما عليه الأئمة الأربعة صفحة [٣ - ٥] من المجلد الحادى عشر أيضاً .

وأخيراً فإنه يأخذ أحياناً بالضعيف إذا وافق اجتهاده كما ورد في صفحة [٩] من المجلد نفسه وقوله [قال أبو محمد أما الرواية عن عمر فهي أن لم تصح من طريق النقل فمعناها صحيح وبه نأخذ ولولا ضيق المجال لاتينا في التطبيق على النهج الف شاهد من الموسوعة

وبعد فهذا هو الإمام العظيم ابن حزم الذى كانت جراته في الحق وحماسته لعقيدته سببا في أن يحمل عليه أكثر علماء عصره ويحرضوا الملوك وذوى الرياسات عليه فأقصوه وطاردوه خارج أوطانهم وهو مع ذلك كله مسترسل في طريقته عاملا بالعهد الذى أخذه الله تعالى على العلماء في قوله تعالى [لتبيننه للناس ولا تكتمونه] فمضى في شأنه لم يخش في الله أو فيما يعتقده حقا خصوصاً حاقداً أو لوم لائماً .

وهذه موسوعته الشامخة [المحلى] وهى قبة في الفقه المقارن إذ يورد فيها أدلة المذاهب مسندة بأسانيد المتصلة إلى منتهاها مع استيعابها وتقصيها على اختلاف ألفاظها ورواياتها ثم يأتي بعد ذلك كما أسلفنا ينتقدها وينقضها ذاكراً أدلتها الصحيحة التى ترجح الأدلة الأخرى فهى بهذا تعد ثبناً للمذاهب المخالفة لها بأدلتها كما تعد موسوعة فذة في النقد رائدة في المناظرة والمحاجة ورفع راية النص من الكتاب والسنة على الرأى والقياس .

تلك نظرة عامة أردت بها من خلال عرض شخصية الإمام ابن حزم وموسوعته الكبرى أن ادحض حجة الذين ينكرون عالمية الشريعة الإسلامية وينتقصون عقلية أئمتها الاعلام ، وأن ارشد كما ارشد من سبقوني الى عروق الذهب المظورة في تراث هذا الإمام الجليل واننا لا نعرف قدر ما نملك من هذه الموارث التى كانت اشارات مضيئة للقاريخ الاسلامى .

ويقيمون فيها حتى تكون منها جيش عظيم بقيادة عبد المؤمن بن على فانشأ دولة الموحدين .

والطابع الذى يتميز به اجتهاد الامام ابن حزم أنه يسوق أقوال الفقهاء وكأنها من المسلمات للناظر بادىء ذى بدء حتى اذا انتهى القارئ الى آخر الشوط فوجىء به يقول ولسنا نقول بشئ من هذا ويأخذ في نقض ما ساقه جزءا فيأتى على الرواة فيجرح بعضهم ثم يأتى على الرواية فيعمل بمبضعه في توضيح اضطرابها ومخالفتها لما هو في نظره من القطعى ثم يسوق الدليل المخالف بالاسانيد المتصلة حتى ما يدع زيادة لمستزيد ولناخذ قضية [القسامة] مثالا لذلك والموسوعة فياضة بأشبهائها [والقسامة] أن يقتل واحد في حى أو في البادية ولا يعترف قاتله وهنا [لو] أى دليل على أن القتل لم يمت حتف أنفه فعلى أولياء الدم أن يتهموا أحدا أو جماعة ثم يستحلف المدعى عليهم أولا ثم يحلف المدعون ثم يأخذون الدية ويرى بعض الفقهاء في [القسامة] القود اذا كان هنا [لو] ونكل المدعى عليهم أو بأيمانهم ولا يزيد على الدية وقد أورد أقوال الصحابة وأقوال التابعين والسالفين من علماء أهل المدينة في اختلافهم واتفاقهم ثم يذكر بالتفصيل اختلافهم ثم يذكر أقوال المتأخرين في عصره ثم يقول فهذا كل ما حضرنا ذكره من صفحة [٦٠ الى ٧٣] من المجلد الحادى عشر ثم يعرج على الاحاديث الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفحة [٧٤] فيقول [ونذكر الآن الاخبار الصحاح الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسامة مجموعة كلها في مكان واحد مستقصاة ليلوح الحق بها من الخطأ ولتكون شاهدة لمن أصابنا فيها بأنه وفق للصواب وشاهدة لمن خالفنا ما فيها بأنه يسر للخطأ مجتهدا ان كان من سلف وعاصيا ان كان مقلدا وقامت الحجة عليه] ويظل يسرد هذه الاخبار الصحيحة حتى صفحة [٩٦] .

وسمة أخرى يمتاز به اجتهاده في مذهبه هي أنه يرفض الاحاديث المرسلة على إطلاقها مع وضوح العمل والإخذ بها واجماع الأئمة على اعتمادها ثم يأخذ بآثار عن الصحابة والتابعين قد لا تبلغ من القوة مبلغ الاحاديث التى يرفضها ومن هنا وقع الخلاف بينه وبين الأئمة في [الضمان] في قتل الخطأ وأخراجه بعض الاعمال المفضية الى القتل من الضمان أو القود مثل ما أخذ به الفقهاء من أن ما



عزيزى القارئ

مع ارهاصات فريضة الحج ، فريضة الجهاد الاعظم جهاد النفس ، تتلاحق الذكريات وتتسابق الاحداث لتتركز جميعها فى بؤرة العاشر من رمضان العظيم لتستمد منه التفسير والتحليل والتعليل لما عشناه من احداث جسام كادت ان تؤدى بالامة العربية وتغلقها بمناهات فكرية ومناقشات جدلية سقيمة ونجد انطلاقتها .. لولا ان يقض الله لها من فضله ورعايته رئيسها اللهم وقائدها المؤمن محمد أنور السادات وقد آل على نفسه ان يعيد للامة العربية مكانتها السامية التى حباها الله اياها ..

« وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار » ..

فاتاهم العاشر من رمضان بجند وقائد وخطة وتوقيت قرار لم يخطر لهم على بال .. فكف حصونهم وأذاقهم الوبال .. ولقد كان الحافز الروحي الذى تسليح به الجندي العربي أشد فتكا وأعظم تدميرا مما كانوا يظنون ..

وهو ما أشار اليه السيد الرئيس أنور السادات فى رسالته التى بعث بها الى المؤمنين الاسلامى الكبير الذى انعقد بجاكرتا تأييدا لمصر وللامة العربية فى نضالها المصرى حيث قال :

إذا كنا فى سنوات مضت قد تناوبنا الاسى من نكبات حاقت بنا مكرًا وخديعة ، فإننا الآن نتبادل الفرح بنصر مؤزر نحمد الله تعالى عليه .. حيث استطاع الجيش المصرى الباسل المؤمن بربه تعالى ، والمعتز بوطنه المقدس والمتسلح بالبطولة والتدريب والخبرة والتخطيط والعدد والوسائل ان يعبر قنطرة السويس التى طالما تساع العدو انها لن تعبر ، وأن يفتح خط بارليف الذى طالما زعم

فكان ان حمل قدره امام الله وامام الامة وامام العالم اجمع وظل يعمل فى صمت المؤمن بقدره الله ومكانة امته وصبر الواثق من النصر مهما كانت التضحيات . فمن تأمين للجبهة الداخلية ومنحها حرية الحركة فى ضوء المصلحة العامة الى تركيز بالغ على رفع كفاءة الجندي المصرى فى ضوء خطة متكاملة ظلت فى طي الكتمان اصرارا منه على تحقيق الهدف الذى ظن العدو يوما ما انه محال بل ظنت الامة العربية نفسها بدرجة او بأخرى ان هذا الهدف ما زال بعيدا وبعيدا جدا ..

واستطاع الرئيس بحق ان يحقق نجاحا سياسيا عالميا حرك مشاعر العالم وأوضح للامة العربية رؤية الهدف قيدات الدول الافريقية تعلن مساندتها للامة العربية بطريقة فعلية تمثلت فى قطع العلاقات مع اسرائيل .. ونهجت نفس السبيل دول عدم الانحياز ودول غرب أوروبا ونمت الاتصالات العربية الى درجة وحدة التصميم ووحدة الارادة تجاه المعركة المصرية ..

الى ان كان العاشر من رمضان الذى استلهم فيه القائد المؤمن كل ما ترنو اليه الامة المحمدية من امل وامانى وفجر يبدد نوره ظلام اراد له العدو ان يدوم واراد الله له ان ينقشع وبزول .. وصدق الله العظيم اذ يقول :
 ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾

□ ٢٢١ □

عبد الله الهدار المستشار الثقافي لرئيس حكومة
القمر بهروني عاصمة جزائر القمر

يستهل الاديان قصيدتها الميمية المطولة بكلمة
طيبة تقول :

تضرعات وابتهاالات ترفع بكل خضوع وخشوع
الى ذى الجلال والاكرام ، مستمدين النصر المبين
لاخواننا المجاهدين في شتى الميادين على الطغاة
البغاة المعتدين من اليهود ومن والاهم على حقوق
العرب والمسلمين .. وتستفتح القصيدة :

مصر الحبيبة مفخرة الاسلام

الله ينصرها مدى الايام

الله ينصرها وينصر سوريا

نصر عزيزا باهر الاحكام

يارب نصرا عاجلا ومعززا

ومؤيدا يا فائض الاكرام

واهلك لصهيون الخبيثة انها

قد جاوزت للحد والاحكام

يارب شئت شملها يارب مز

ق جمعها بالبؤس والالام

ليبك اللهم ليبيك

من رسالة الاديب طه على ابو المجد - رئيس
جميعه التربية الاسلامية

وانى الجمع المؤمن من كل فج عميق ملين امر
ربهم مستجيبين لنداء ابيهم ابراهيم عليه السلام
ليشهدوا منافع لهم .. ووصل الركب المبارك مكة
المكرمة وقد تجردوا من كل شيء الا رضاه الله ..
تركوا شهواتهم وملذاتهم والكل ينادى ليبيك اللهم
ليبيك .. ويطوفون بالكعبة الشريفة ويتذكرون ان
هناك بيتا آخر لا يمكن ابدا ان ينسى .. فانه اولى
القبليتين وثالث الحرمين .. وان الطريق من مكة
المكرمة الى القدس الشريف انها هو ومضة فكر
في راس كل مسلم ، فالمسجد الاقصى يذكره كل
من يقف في البيت العتيق .. فالطريق واحد
والاماكن المقدسة في درجة واحدة فالكعبة قبلية
المسلمين ومهبط الوحي والمسجد الاقصى اليه اسرى
بالرسول ومنه عرج الى السماء « سبحانه الذي
اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله » .

العدو انه حصون منيع لا تكسر وان يهزم
الجيش الاسرائيلي الذي ادعى العدو صلافة
وغرورا انه لا يقهر .. »

وفق الله امتنا العربية سواء السبيل فهو
نعم المولى ونعم النصير .

حكم وأمثال

للاديب المتصوف عبد الفضيل سلطان حسن
فاو - قبلى - مركز دشنا - قنا

يسر المجلة ان تتقبل بالترحاب رسالتك بل وتجعل
آراءك وانتقاداتك واقتراحاتك موضع الدراسة
والبحث من الادارة الفنية للمجلة كما يسرها ان
تفسح المجال لنشر بعض المقطعات التي بعثت بها
مع خالص تمنيات المجلة لك بالتوفيق :

• قيل لعابد ورع هل انت زاهد ام فقيه ؟

فقال : اخشى ان اتول زاهدا فاطيع نفسي
واخشى ان اتول فقيها فاعصى ربي .

• كان رجل يجالس عالم الصوفية « عامر
الشعبي » :

فقال له : لماذا لا تتكلم يارجل ؟ فقال : لا اتكلم
فاسمع واسمع فاعلم ، الا ان حظ الانسان من اذنه
له ، وان حظه من لسانه لغيره .

• اذا اعطيت رجلا سمكة فقد اطعمته يوما
واحدا ، واذا علمته كيف يصطاد فقد اطعمته اياما
كثيرة [مثل صينى] .

الطالب محمد محمد داود

جيزة - بدرشين ثانوية

بعثنا برسالتك الى فضيلة الامام الاكبر الدكتور
عبد الحليم محمود وسوف تنشر الاجابة في العدد
القادم ان شاء الله مع خالص التمنيات لك بالتوفيق

مصر الحبيبة

مفخرة الاسلام

للاديبان : سالم دحلان بن الشيخ بن بكر
أحد نواب برلمان القمر سابقا ، وهادى أحمد

□ ٢١٢ □

بيدب التعارف

الاسم : محمد ادوام .
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ١٩ عاما .
المهنة : طالب بدار المعلمين
الهواية : المرسلة وتبادل
المناظر الطبيعية .
العنوان : محبداووم - قاعة
مراجعة ٣٥ دار
المسلمين بالمرسى
تونس .



الاسم : سيف الإسلام طارق
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٤ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة وجميع
الطوايع والاطلاع
الديني .
العنوان : ٣٢ شارع عسكري
احسن باب الود .
الجزائر .



الاسم : عبد الرسول
عبد الحسن .
البلد : الجمهورية العراقية .
السن : ٢٠ عاما .
المهنة : طالب بكلية الاداب .
الهواية : الماطلمة وتبادل
الصور المراسلة .
العنوان : البصرة - جامعة
البصرة كلية الاداب
العراق .



الاسم : المنصف زلوى .
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ٢١ عاما .
المهنة : طالب بدار المعلمين
الهواية : المراسلة والاطلاع
الديني .
العنوان : ١٠٩ قاعة المراجعة
رقم ٤ دار المعلمين
سكرة - صفاقس .



الاسم : صالح مهدي حسن .
البلد : الجمهورية العراقية .
السن : ٢١ عاما .
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة وقراءة
الكتب الدينية وسماع
القرآن الكريم .
العنوان : العراق - محافظة
واسط قضاء الحى -
معمل تلج كردس .



الاسم : ونحائي مولاى الحسن
البلد : المملكة المغربية .
السن : ١٧ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة والاطلاع
والقراءة .
العنوان : ونحائي احمد بن القرشي
مرسى القاعدة الجوية
العسكرية الملكية -
مطار مراكش المغرب



الاسم : شحاتة عبد الرازق
 القصبي .
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٧ عاما .
 المهنة : طالب ثانوي .
 الهواية : المراسلة وقراءة
 الكتب الدينية وتبادل
 المناظر الطبيعية .
 العنوان : ميت الكرماء -
 مركز طلخا - دقهلية



الاسم : عبد الله احمد
 الانصارى .
 البلد : دولة الامارات المتحدة
 عجمان .
 السن : ٢٢ عاما .
 المهنة : موظف .
 الهواية : المراسلة والاطلاع
 الديني .
 العنوان : دولة الامارات
 العربية المتحدة امانة
 عجمان ص ب ١٠١



الاسم : صلاح السيد محمد
 غانم .
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٧ عاما .
 المهنة : طالب .
 الهواية : المراسلة وتبادل
 الطوابع والهدايا
 والاطلاع الديني .
 العنوان : ٨٧ ش ترعة الجبل
 - حدائق القبة -
 القاهرة .



الاسم : مجدى احمد محمد
 ابراهيم .
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٣ عاما .
 المهنة : طالب .
 الهواية : المراسلة وجمع
 الطوابع وقراءة
 الكتب الدينية .
 العنوان : كفر الدوار - بحيرة
 مساكن شركة مصر
 للفضل شقة ٢٤
 القديمة .



الاسم : محمد بن عبدالظلم
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ٢١ عاما .
 المهنة : طالب جامعي .
 الهواية : المراسلة وكتابة
 الشعر والاطلاع
 العنوان : شبرا الخيمة -
 مدينة السباع .



الاسم : وحيد عبد الله عجلان
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٧ عاما .
 المهنة : طالب .
 الهواية : المراسلة وجمع
 الطوابع .
 العنوان : كفر الشيخ -
 دسوق ش الجمهورية
 حارة عبد السلام .



الاسم : محمد محمود
 عبد الله محمد .
 البلد : جمهورية مصر العربية
 السن : ١٨ عاما .
 المهنة : طالب .
 الهواية : المراسلة والقراءة .
 العنوان : المنيا - ديرمواسى
 - العمارة الغربية



الاسم : آزار حيزة مجيد
 البلد : الجمهورية العراقية .
 السن : ١٦ عاما .
 المهنة : طالب .
 الهواية : المراسلة وجمع
 المناظر الطبيعية
 والمجلات الدينية
 العنوان : افران الكرامة -
 شارع السعدون
 موصل - عراق .



نص رسالة السيد الرئيس محمد أنور السادات التي بعث بها إلى مؤتمر الجمعيات والهيئات والمراكز الإسلامية في أندونيسيا والمنعقد في جاكرتا تأييدا لشعب مصر وشعوب الأمة العربية والقاهها السيد محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٣

■ معالم الطريق :

■ الجهاد في الإسلام :

- | | | |
|----|---------------------------------|--|
| ٨ | الدكتور جمعة الخولي | الرئيس السادات يقاتل بمفاهيم إسلامية |
| ١٤ | فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود | المقربون والجهاد في سبيل الله |
| ١٦ | الاستاذ أحمد زين | دروس من غزوة أحد |
| ١٨ | الاستاذ أحمد يوسف القرعى | على ضوء مؤتمر القمة العربي بالجزائر |
| ٢٣ | الاستاذ عبد المنعم مغربى | بنو اسرائيل |
| ٢٥ | الشيخ محمود أحمد هاشم | التجارة الربحية |
| ٢٦ | الاستاذ ابراهيم مصباح | قنبلة اسرائيلية في احتفال صهيونى |
| ٢٨ | الدكتور زكى مشعل | بواعث الانتصار والظفر في الجهاد والقتال |
| ٣٠ | الاستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى | من اخلاق اهل الايمان في الحرب وفي السلام |
| ٣٦ | الشيخ عبد الحكيم سرور | من أحب أن يكون قويا فليتكلم على الله |
| ٣٨ | الاستاذ صلاح عزام | عن الوحدة الإسلامية |
| ٤٠ | الاستاذة أ بكر السقاى | الحرب حريان في تاريخ الامس واليوم |
| ٤٣ | الاستاذ ناصف سليم | العلاقات العامة في حروب الاسلام |

■ دراسات قرآنية :

- | | | |
|----|--------------------------------|--|
| ٤٦ | الاستاذ أحمد حسين | تفسير سورة البقرة |
| ٤٩ | الشيخ عبد الجليل عيسى | انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون |
| ٥٣ | الاستاذ فتحى رضوان | الايمان |
| ٦٠ | الدكتور أحمد الحوفى | أيهما الذبيح : اسمايل أم اسحاق ؟ |
| ٦٢ | الدكتور عبد العزيز عزام | الله نور السموات والارض |
| ٦٤ | الشيخ عبد الفتاح القاضى | من معاني القراءات وأسرارها |
| ٦٦ | الدكتور محمد سعاد جلال | عرض القرآن لغزوة الاحزاب |
| ٧٠ | الدكتور محمد خليفة | صور من البيان القرآنى |
| ٧٣ | الدكتور عبد الفتى الراجحى | طبيعة الاختلاف بين الناس كما يتحدث عنها القرآن |
| ٧٦ | الدكتور أحمد الشرباصى | من اخلاق القرآن |
| ٧٩ | الاستاذ محمد العفيفى | فلسفة القيم في القرآن الكريم |
| ٨٣ | الشيخ حسن صالح | أضواء من كتاب الله |
| ٨٥ | الاستاذ محمد شديب | السيرة في ضوء القرآن الكريم |
| ٨٨ | الشيخ محمد خاطر | من أحكام الشريعة الإسلامية وأدابها |
| ٩٠ | المستشار أحمد محمود خليل | الخير في التشريع الإسلامى |
| ٩٢ | الدكتور محمد عبد المنعم القيمى | من الفقه المقارن |
| ٩٣ | المستشار محمود الهمشرى | جريمة السرقة بين الاسلام والقوانين الوضعية |
| ٩٧ | الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى | من تعاليم الاسلام العامة |

■ التشريع الإسلامى :

■ الحج :

- | | | |
|-----|------------------------------------|-------------------------------------|
| ١٠٠ | الشيخ محمد مصطفى أبو العلا | الحج جهاد يكسب خيرا عظيما |
| ١٠٤ | الشيخ نراج أحمد دردير | ذكريات وتوجيهات من عبد القداد |
| ١٠٧ | الدكتور على حسن عبد القادر | الجوانب الروحية والاجتماعية في الحج |
| ١٠٩ | الاستاذ أحمد وائى | الحج والحرب المقدسة |
| ١١٢ | الدكتور ابراهيم على أبو الخشب | الحج مؤتمر اسلامى عام |
| ١١٥ | الشيخ عبد الحميد بلع | يوم عرفة |
| ١١٦ | الدكتور عبد العزيز محمد عزام | من أسرار الحج |
| ١١٨ | الاستاذ محمد رجاء حنفى عبد المنجلى | الحج الركن الخامس من أركان الاسلام |
| ١٢٢ | المستشار عبد الستار آدم | خير ما قيل في الحج |

١٢٤	رسالة الى هاج بيت الله	الاستاذ عبد الحكيم النجار
١٢٦	مع ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام	الشيخ محمد هلال عبد الرسول
١٢٨	مع ذكريات التاريخ ومناسك الحج	الدكتور نصر فريد واصل
١٣٠	عيد الحج والتضحية	الشيخ عبد الرحمن النجار
١٣٢	عيد الاضحية	الاستاذ عبد المنعم حمادة
١٣٦	المعلقة الإسلامية في تاريخ الكعبة	الاستاذ محمد دياب
١٣٨	تحرير القدس وموسم الحج	الاستاذ محمد نهى عبد اللطيف
١٤٢	التصوف والفلسفة الإسلامية : الصوفية في الهامهم	الاستاذ حسن كامل المطاوى
١٤٥	القبض والبسط عند الصوفية	الاستاذ عبد السلام الشاذلي العرمي
١٤٨	الايان والمعرفة	الدكتور احمد حسنين
١٥٢	العلم والايان منبلمان للقوة الذاتية	الاستاذ محمود غنام زايد
١٥٤	عالمية الاسلام : الرؤية المؤمنة	الاستاذ اتور الجندي
١٥٦	من محاسن الاسلام : النظافة	الاستاذ محمود الطنطاوى
١٥٨	الاعلام النبوية الشريفة في ميادين الجهاد	الاستاذ ابراهيم النحام
١٥٩	الاصول الروحية للعبادة الإسلامية	الاستاذ عبد المجيد واغى
١٦٢	« وفي عصرنا صديق » اسمه يوسف	الاستاذ عبد المنعم الصاوى
١٦٦	اشواق	الشاعر الموهى الوكيل
١٦٧	صور من المجد لم تعدل بها صور	الشاعر كامل عبد الجواد القباياتى
١٦٨	ان من الشعر لحكمة	الشيخ محمد خليل الخطيب
١٦٩	اللبث الغالب اماننا على بن ابي طالب	الشاعر محمود جبر
١٧٠	على طريق النصر	الشيخ الصاوى شعلان
١٧٢	بشائر النصر لاحت	الشاعر المهدي محمود عبد الله
١٧٣	يا رب	الشاعر احمد عثمان المراهى
١٧٦	خبائث حرمها الله	الدكتورة ابتسام عبد الحليم
١٨٠	السيدة نفيسة رضى الله عنها	الاستاذ توفيق ابو علم
١٨٤	اعلام الحضارة الإسلامية	الدكتور احمد سميد الدهمداش
١٨٧	محرز بن نضله	الاستاذ عبد المنعم الادنوى
١٩٠	بيت الله الحرام	عرض : فتحى الاببارى
١٩٣	المحلى لابن حزم	الاستاذ على الجبلاطى
١٩٦	انت نسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود
٢٠٢	دور المرأة في المعركة	الشيخ بنصور الرفاعي عبيد
٢٠٥	شباب في عمر الزهر	الاستاذ محمود محمد عبارة
٢١١	مع القراء	اعداد : نؤاد هيبه
٢١٣	بريد التعارف	

■ العلم والايان :

■ الفن الإسلامى :

■ القصة :

■ الشعر :

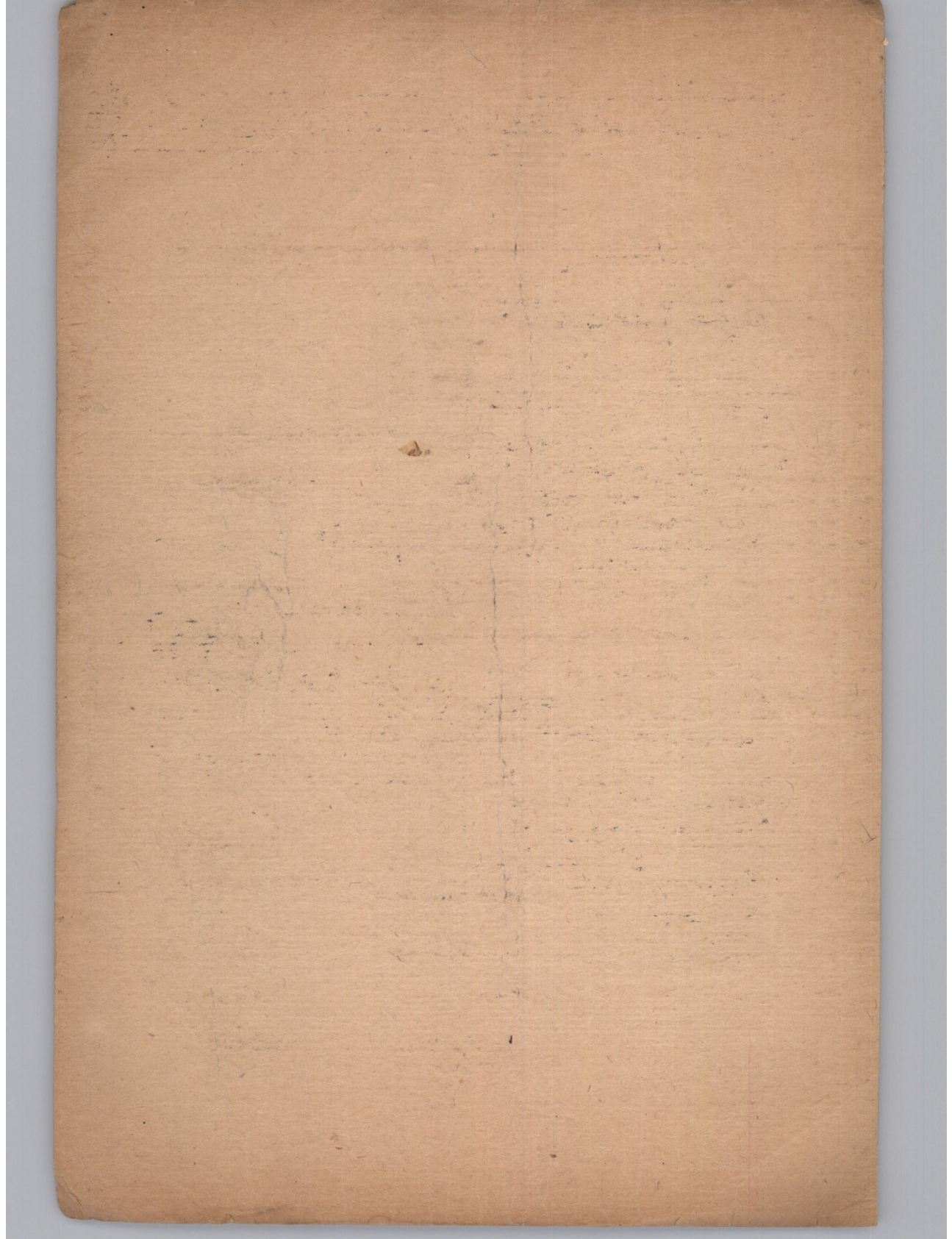
■ الطب :

■ شخصيات اسلامية :

■ المكتبة :

■ الاقتناء :

■ الاسرة المسلمة :



إِنَّا نَحْنُ نُثَرِّقُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

يسر
المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية
أن يقدم
للعالم الإسلامي

المصحف المجود

١٢٠ أسطوانة

بدولة مرة يتم تسجيل القرآن الكريم
متنوعاً بأصوات كبار القراء
كل جزء من القرآن الكريم على أربعة
أسطوانات طويلة المدى بجودة القراءة والكتابة بسرعة ٣٣ ١/٢ لفة
مع كل أسطوانة غلاف فاخر
سريع الأسطوانة الواحدة ٦٤ قرصاً
البيع نقدًا وبالتقسيط لموظفي
الحكومة والقطاع العام

المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والخط
الصحيح لآيات القرآن الكريم
كل جزأين على ٥ أسطوانات
الغلاف للجزأين ١٨٢ / ٢
البيع نقدًا وبالتقسيط لموظفي
الحكومة والقطاع العام

أسطوانات القرآن المرتل

"رواية مختص عن عاصم"
٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية ونور فافر ٢٣,٨٢٦
٤٤ أسطوانة مع غلاف عاصم ... ١٩,٣٥٢
رواية ورش عن نافع
٦٨ أسطوانة
٢٩,٩٠٩
سرعة ٣٣ ١/٢ لفة في الدقيقة

مخازن البيع

القاهرة :
مخازن القرآن المرتل :
٧٦ شارع الجمهورية - الدور الثالث
الاسكندرية :
فرع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
٤٩ شارع سعد زغلول - الدور الرابع

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء
٧ أسطوانات داخل كتيب مشروحة بالكتابة والصورة

باللغات : العربية ، الإنجليزية ، الفرنسية ، الألمانية
واللغات الآسيوية : الأوردية ، البنغالية ، الأوردية
واللغات الإفريقية : السواحلية ، الفولانية
ولغات أمريكا اللاتينية : الإسبانية ، البرتغالية

٥٠ قرصاً